

فصلية تعنى بالتواصل الثقافي

الكردي - العربي

تصدر عن دار سردم للطباعة والنشر

السنة الثامنة -العدد (33) ربيع 2012

موقع المجلة على الانترنت

www.serdam.org

المراسلات

تلفاكس: 00447043129839

ايميل

info@serdam.org

او عن طريق المشرف على التحرير

danaahmad78@yahoo.com

موبايل: 07701551153

تصميم الغلاف: ارام على

المصم المنفذ: اوميد محمد

المشرف على الطبع: فرهاد رفيق

المقالات تعبر عن اراء الكتاب انفسهم ولا تعكس بالضرورة رإى المجلة

يخضع ترتيب المواد لاعتبارات فنية

محتويات العدد

دراسات تأريخية ٥ ـ ٨١

دراسات وبحوث ٨٢ ـ ١٢٦

ملف/ الشاعر شيركو بيكەس ١٢٧ ـ ١٩٦

نصوص ابداعية ١٩٧ ـ ٢٠٥

حوار ٢٠٦ ـ ٢١٢

الوثائق ٢١٣ ـ ٢١٩

شخصيات كردية ٢٢٠ ـ ٢٢٥

محطات ثقافية ٢٢٦ ـ ٢٥٠

ذكر الكورد في تاريخ ابن خلدون



هوشيار بكر عزيز

(١-٦)

المقدمة

اصبح ابن خلدون بفضل مَلَكتِه ومواهبِه المتعددة من كبار العلماء الأفذاذ في الاسلام في القرن الثامن الهجري،جمع بين الشريعة والفلسفة والتاريخ والأدب،فهو مُفسّر ثاقب ومُفكر نابه ومؤرخ حصيف.وكان اعياصه من اليمن ينتمون الى اسرة عربية عريقة وتاريخ معروف،انتقلوا من حضرموت(١) الى اشبيلية(٢) مع العرب الفاتحين في القرن الأول الهجري،وحكموا بها الى أواخر المئة الثامنة. حيث قال ابن حيّان(٣):بيت بني خلدون الى الآن في اشبيلية نهاية في النِباهة،ولم تزل اعلامه بين رياسة سلطانية ورياسة علمية،وهذه العوامل اسهمت في تكوين شخصية ابن خلدون.

هو عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي،ولد في تونس في شهر رمضان سنة(٧٣٢هـ ـ١٣٣١م)،ونشأ فيها،وتربى في حجر والده الى ان ايفع وقرأ القران الكريم،فأقبل على العلم صادقاً في طلبه مع مامنحه الله سبحانه وتعالى من حافظة قوية وذكاء حاد،وذهن صاف،حيث تفقه لدى علماء عصره،منهم أبو عبدالله محمد بن بحر،وأبو القاسم محمد القصير،وأبو محمد بن عبد المهيمن الحضرمي(٤) الذي لازمهُ،واخذت منه،سماعاً،واجازة،كتاب المُوَطّا والسّير لأبن اسحق،وكتاب ابن الصلاح الشهرزوري الكوردي(٥) في علم الحديث،وكتباً

كثيرة آخرى.
رحل من تونس منتصف شهر شعبان سنة(٧٨٤هـ ـ١٣٨٢م) قاصداً مصر،وبقي في الأسكندرية شهراً لتهيئة مستلزمات الحج،ولم يقدر على ذلك وانتقل الى القاهرة،فلما دخلها،انثال عليه طلبة العلم،يلتمسون الأفادة من علمه،فَجَلَسَتْ للتدريس بالجامع الأزهر،بعد ذلك اتصل بالملك الظاهر(٦)،و وفَّر لهُ الجرارية من صدقاته،شأنهُ مع اهل العلم. وفي سنة(٧٨٦هـ ـ ١٣٨٤م) ولّاهُ الملك الظاهر قاضياً.
عاش ابن خلدون في القرن الثامن الهجري،وكان اسوأ القرون التي مرَّ بها الاسلام،حيث جاء هذا القرن عقب سقوط الخلافة العباسية في بغداد على أيدي المغول المتوحشين.
استدعى السلطان فرج(٧) ابن الملك الظاهر ابن خلدون لمصاحبته الى الشام(٨) في سنة(٨٠٣هـ ـ ١٤٠٠م)،عندما زحف اليه التتر(٩) من بلاد الروم(١٠) والعراق(١١) بقيادة ملكهم تيمورلنك(١٢)،لكن بعد فترة قفل راجعاً الى مصر(١٣)،مخلفاً الكثير من امرائه وقضاته،وكان ابن خلدون(١٤) من بين المخلفين،وأُخبر بأن تيمورلنك يسأل عنه،وهل سافر مع العساكر الى مصر او موجود،فاستدعاهُ،ذهب ابن خلدون للقائهِ وأقام عندهُ ثلاثين يوماً،وعاملهُ بالجميل.
اثير الجدل في حينه حول مُداهنتهِ لتيمورلنك،حيث ان الكثير من الفقهاء والمؤرخين اتهموه ُبالأتنهازي،لكن اتضح من خلال محادثته مع تيمورلنك انـه سياسي حاذق،واجتهد في موقفه هذا كثيراً وللقائهِ معهُ كان لهُ اثرٌ في تهدئتهِ وابتعاد الخطر عن المسلمين وأراضيهم وممتلكاتهم.
بعد عمرٍ حافل بالمؤلفات والارهاصات السياسية،وبعد ان اثرى المكتبة الاسلامية والعالمية بكُتب تُعدُ في القمة، انتقل الى جوار ربه تعالى،وهو قاض في مصر في يوم الأربعاء لأربع بقين من شهر رمضان سنة(٨٠٨هـ ـ١٤٠٥م) عن عمر ناهز ستاً وسبعين سنة.
خلف مؤلفات كثيرة نذكر منها(المقدمة) في علم الأجتماع،وهي من روائعه التي لم يجد الزمان والتاريخ بمثلها،(شفاء السائل لتهذيب المسائل)،والكتاب مدار بحثنا هذا تاريخ ابن خلدون(١٥)،وهو تاريخ شمولي يبدأ ببداية الخليقة وتاريخ قبل الأسلام وبعدهُ الى نهاية المئة السابعة،مدوناً فيهِ أخبار هذه الأزمنة سياسياً واجتماعياً واقتصادياً وطبيعياً،ساعياً الى احياء وتذكير الدور الذي اداهُ العرب المسلمون اضافة الى الدور الذي ادتهُ الأقوام الاخرى ومن ضمنهم الكورد في سبيل اعلاء راية الأسلام،حيث نجد في ثناياهُ ذكر الكورد عشرات المرات بألفاظ مختلفة(الأكراد،أكراد، الكُردي،كُردي،الكُرد،كُرد،الكُردية،اكرادها)،اذ ان لفظة (الأكراد،أكراد) دلالة الى مجموعة اوقلّة من الكورد،(الكُردي،كُردي،الكُردية) دلالة الى الأنتماء،(الكُرد،كُرد) دلالة الى القومية.
ان اللغويين والمعجمين قد دونوا لفظة الكورد في معاجمهم بمفاهيم شتى،حيث جاء في تاج العروس من جواهر القاموس،جـ٩،ص١٠٤:الكَرْدُ أي العُنق،وهي فارسي معرب،والكَرْدُ:السَوق العدو وطَردُ العدو(كَرَدَهُمْ يَكْرُدُهُمْ كَرْداً)،والكُرْد:بضم الكاف،جيلٌ معروف وقبائل شتى.وقال الحسيني(١٦) في تاج العروس من جواهر القاموس،جـ٩،ص١٠٤، نقلاً عن المسعودي(١٧):وهم طوائف شَتَّى والمعروف منهم السورانية والكورانية"الطؤرانية(١٨) "والعمادية(١٩)

والحكارية"الهكارية(٢٠)" والمحمودية والبختية(٢١) والبشوية"البشنوية(٢٢)" والجوبية(٢٣) والزرزائية(٢٤) والمهرانية(٢٥) والهارونية واللرّية(٢٦)،الى غير ذلك من القبائل التي لا تُحصى كَثْرَةً،وبلادهم أرض فارس(٢٧) وعراق العجم(٢٨) والأذربيجان(٢٩) والأربل(٣٠) والموصل(٣١).

وفي المحيط في اللغة،جـ٢،ص٣٥:الكُرْد،جيلٌ من الناس.وفي المعجم الوسيط،جـ٢،ص٧٨٢:الكُرْد،شعب يسكن في هضبة فسيحة في آسيا الوسطى،وبلادهم موزعة بين تركيا وايران والعراق وغيرها.

وكذلك دون ابن خلدون معلومات قيّمة عن الدول والامارات الكوردية وبعض قبائلها واعلامها،وغلبت على مروياته العديد من العناوين الصريحة المتعلقة بالدولة الحسنويهية في الدينور(٣٢) وهمذان(٣٣) ونهاوند(٣٤) والصامغان(٣٥) وشهرزور(٣٦) وبعض نواحي اذربيجان والدولة الأيوبية في مصر والشام واليمن(٣٧) والمغرب(٣٨) ودولة بني مروان في الجزيرة ودياربكر(٣٩)"آمد"،وكذلك الأمارة الدوستكية وغيرها مع تعريفنا بروايات مميزة عن اعتداءات الترك والفرس والعرب على القرى والمدن الكوردية،وكيفية سلبهم ونهبهم لهما،ويعطينا صورة حقيقة لبلاد الكورد.

لقد كانت كوردستان الأسم الظّلي،أي بمعنى يرمز اليها في سياق اسماء آخرى في المنطق، عربية،فارسية،ارمنية،وعثمانية وتركية لاحقاً،نظراً لتفكيك اوصالها سياسياً،اذ ان أرض كوردستان حقيقة جغرافية وتاريخية بحة تخص الأمة الكوردية في اكثريتها.

اعتمد ابن خلدون على عددٍ من المصادر لمؤرخي سلفهِ مثل الطبري(٤٠) والمسعودي وابن الأثير(٤١) اخرين. وكان اعتمادهُ بين النقل او اكتفائه احياناً بأنتقاء نصوص مختارة،اضافة الى تدوينه الأحداث التي عاصرها ومشاهداته العيانية.وتكمن اهمية ذكره للكورد حيث دخلوا في مرحلة جديدة من التعايش بعد ان استولى العرب على اغلب مدنهم ومناطقهم.ولأهمية هذا السفر القيّم،قمت بأنتقاء النصوص التي ذكر فيها اسم الكورد،وقارنت بعض الحوادث مع ماجاء في المصادر الاخرى،مثل الكامل في التاريخ لأبن الأثير،وتاريخ الاسلام للأمام الذهبي(٤٢)،وتاريخ ابي الفداء(٤٣) الأيوبي الكوردي،وتاريخ ابن الوردي(٤٤)،وكتب تاريخية أخرى.وكذلك علقت على بعض النصوص،وضبطنا كثيراً من اسماء الخلفاء والسلاطين والامراء والعلماء والأعلام،وعرّفت بهم تعريفاً موجزاً وأُشرت الى مصادر ترجمتهم مع ذكر الجزء والصفحة،وضبطنا وعرّفنا بأسماء المدن والمواقع والقبائل والأمم من المصادر البلدانية والنسّابة مع ذكر الجزء والصفحة.

صحيح ان بعض المواقع والمدن معروفة لدى القُرّاء الكرام،اِنّ غايتي هي ابراز الحقيقة الجغرافية والتاريخية لهذه المدن والمواقع. وقارنت ارقام التواريخ الهجرية الواردة في النصوص،بما يقابلها في الميلادية،وان التواريخ وبعض الكلمات التي وضعتها بين قوسين مزدوجين كهذا"   " من اضافتي،مستنداً من المصادر التاريخية الآخرى وخاصة الكامل في التاريخ،تسهيلاً للقارئ الكريم.

رغم محاولتي المضنيّة، بقي عددٌ من المدن والمواقع والاعلام،لم اعثر على ذكر لهم في المصادر الموجودة بين يدي،لذا تركتهم وشأنهم.

واختتم مقدمتي بهذه الاسطر،طائر الفينيق،هوطائر اسطوري تقول عنهُ الاسطورة،انهُ يعيش محترقاً في منبت الشمس،ومن رماد احتراقه تُنبت افراخهُ من جديد. ان الأمة الكوردية تشبهُ هذا الطائر،فكم مرة احترق حتى ظن بعض السابحين في الماء العكر،انها نهايتها.ولكن ويا للعجب،كانت هذه الأمة تتحدى كل الصعوبات والويلات والمجازر المريعة التي ارتكبت بحق ابنائها،والدمار الذي لحق بمدنها وقُراها.فعاد وبعزيمة واصرار على البقاء،صنع المعجزات،رافضاً كافة محاولات القضاء عليها.واقليم كوردستان خير دليل على ذلك،حيث التطور في الأقليم شمل نواحي الحياة كلها، المعيشية، العمرانية، الزراعية، الصناعية،والثقافية من خلال اهتمام كبير بالدراسة وحرية الصحافة والتعددية السياسية.واصبحت نموذجاً يحتذى به في المنطقة. واخيراً لاادعي بأني انجزتُ بحثاً متكاملاً،ربما به من الهفوات وأخطاء غير المتعمدة،فإنَ الكمال لله تعالى. الحمد لله الذي شرّف الأنسان على سائر الحيوان،بنطق اللسان.

في ذكرما كتبه المؤلف عن الإقليم الثالث وما تحوي هذا الإقليم من الأمصار و البلدان والأنهار والجبال. قال ابن خلدون:(وتحت هرمز(٤٥) بلاد فارس مثل سابور(٤٦) ودارأبجرد(٤٧) ونسا(٤٨) وإصطخر(٤٩) والشاهجان(٥٠) وشيراز(٥١) وهي قاعدتها كلها وتحت بلاد فارس إلى الشمال عند طرف البحر بلاد خوزستان(٥٢) ومنها الأهواز(٥٣) وتستر(٥٤) وصدى(٥٥) وسابور والسوس(٥٦) ورام هرمز(٥٧) وغيرها وأرجان(٥٨) وهي حد ما بين فارس وخوزستان.وفي شرقي خوزستان جبال الأكراد متصلة إلى نواحي أصبهان(٥٩) وبها مساكنهم ومجالاتهم وراءها في أرض فارس وتسمى الرسوم.)جـ١،ص٥٤.

في ذكر ماكتبه ابن خلدون عن الإقليم الرابع،ومانحوي هذا الإقليم من الأمصار و البلدان والأنهار والجبال. قال ابن خلدون:(وأما نهر دجلة(٦٠) فإذا دخل من الجزء الخامس إلى هذا الجزء يمر بجزيرة ابن عمر(٦١) على شمالها ثم بالموصل كذلك وتكريت(٦٢) وينتهي إلى الحديثة(٦٣)، فينعطف جنوبا وتبقى الحديثة في شرقه والزاب الكبير(٦٤) والصغير(٦٥) كذلك، ويمر على سمته جنوبا. وفي غرب القادسية(٦٦) إلى أن ينتهي إلى بغداد(٦٧) ويختلط بالفرات(٦٨)، ثم يمر جنوبا على غرب جرجرايا(٦٩) إي أن يخرج من الجزء إلى الإقليم الثالث فتنتشر هنالك شعوبه وجداوله، ثم يجتمع ويصب هنالك في بحر فارس عند عبادان(٧٠). وفيما بين نهر الدجلة والفرات قبل مجمعهما ببغداد هي بلاد الجزيرة. ويختلط بنهر دجلة بعد مفارقته ببغداد نهر آخر يأتي من الجهة الشرقية الشمالية منه وينتهي إلى بلاد النهروان(٧١) قبالة بغداد شرقا، ثم ينعطف جنوبا ويختلط بدجلة قبل خروجه إلى الإقليم الثالث. ويبقى ما بين هذا النهر وبين جبل العراق والأعاجم بلد جلولاء(٧٢) وفي شرقها عند الجبل بلد حلوان(٧٣) وصيمرة(٧٤).وأما القطعة الغربية من الجزء فيعترضها جبل يبدأ من جبل الأعاجم مشرقا إلى آخر الجزء، ويسمى جبل شهرزور، ويقسمها بقطعتين في الجنوب من هذه القطعة الصغرى بلد خونجان(٧٥) من الغرب والشمال عن أصبهان وتسمى هذه القطعة بلد الهلوس وفي وسطها بلد نهاوند، وفي شمالها بلد شهرزور غربا عند ملتقى الجبلين والدينور

شرقا عند آخر الجزء. وفي القطعة الصغرى الثانية طرف من بلاد أرمينية(٧٦) قاعدتها المراغة(٧٧) والذي يقابلها من جبل العراق يسمى باريا وهو مساكن للأكراد، والزاب الكبير والصغير الذي على دجلة من ورائه. وفي آخر هذه القطعة من جهة الشرق بلاد أذربيجان).جـ١،ص٥٩.

في ذكرما كتبه المؤلف عن الإقليم الخامس، وماتحوي هذا الإقليم من الأمصارو البلدان والأنهار والجبال.قال ابن خلدون:(وفي الجزء السادس من هذا الإقليم في جنوبه وغربه بلاد أرمينية متصلة إلى أن يتجاوز وسط الجزء إلى جانب الشرق، وفيها بلدان أردن(٧٨) في الجنوب والغرب. وفي شمالها تفليس(٧٩) ودبيل(٨٠). وفي شرق أردن مدينة خلاط(٨١) ثم بردعة(٨٢) في جنوبها بانحراف إلى الشرق مدينة أرمينية ومن هنالك مخرج بلاد أرمينية إلى الإقليم الرابع وفيها هنالك بلد المراغة في شرقي جبل الأكراد المسمى بأرمى وقد مر ذكره في الجزء السادس منه. ويتاخم بلاد أرمينية في هذا الجزء وفي الإقليم الرابع قبله من جهة الشرق فيها بلاد أذربيجان وآخرها في هذا الجزء شرقا بلاد اردبيل(٨٣) على قطعة من بحر طبرستان(٨٤)).جـ١،ص٦٣.

في ذكر ان جيل العرب في الخلقة طبيعيٌّ. قال ابن خلدون:(وهؤلاء سكان المدر والقرى والجبال، وهم عامة البربر(٨٥) والأعاجم. ومن كان مَعاشُهُ في السَّائِمَة مثل الغنم والبقر فهم ظعن في الأغلب لارتياد المسارح والمياه لحيواناتهم فالتقلب في الأرض أصلح بهم. ويسمون شاويةّ، ومعناه القائمون على الشاء والبقر. ولا يبعدون في القفر لفقدان المسارح الطيبة وهؤلاء مثل البربر والترك وإخوانهم من التركمان والصقالبة(٨٦). وأما من كان معاشهم في الإبل فهم أكثر ظعنا وأبعد في القفر مجالا لان مسارح التلول ونباتها وشجرها لا يستغني بها الإبل في قوام حياتها عن مراعي الشجر بالقفر، وورود مياهه الملحة والتقلب فصل الشتاء في نواحيه فرارا من أذى البرد إلى دفء هوائه، وطلبا لمخاض النتاج في رماله. إذ الابل أصعب الحيوان فصالا ومخاضا وأحوجها في ذلك إلى الدفء فاضطروا إلى إبعاد النجعة. وربما زادتهم الحامية عن التلول أيضا فأوغلوا في القفار نفرة عن الضعة منهم، فكانوا لذلك أشد الناس توحشا ، وينزلون من أهل الحواضر منزلة الوحش غير المقدور عليه والمفترس من الحيوان العجم. وهؤلاء هم العرب وفي معناهم ظعون البربر وزناتة(٨٧) بالمغرب والأكراد والتركمان والترك بالمشرق، إلا أن العرب أبعد نجعة وأشد بداوة لأنهم مختصون بالقيام على الإبل فقط وهؤلاء يقومون عليها وعلى الشياه والبقر معها. فقد تبين لك أن جيل العرب طبيعي لا بد منه في العمران.)جـ١،ص١٠٠.

في ذكر إذا كانت الأمة وحشية كان ملكها أوسع.قال ابن خلدون:- (وذلك لأنهم اقدر على التغلب والاستبداد كما قلناه واستعباد الطوائف لقدرتهم على محاربة الأمم سواهم، ولأنهم يتنزلون من الأهلين منزلة المفترس من الحيوانات العجم. وهؤلاء مثل العرب وزناتة ومن في معناهم من الأكراد والتركمان وأهل اللثام من صنهاجة(٨٨). وأيضا فهؤلاء المتوحشون ليس لهم وطن يرتافون منه ولا بلد يجنحون إليه، فنسبة الأقطار والمواطن إليهم على السواء فلهذا لا يقتصرون على ملكة قطرهم وما جاورهم من البلاد، ولا يقفون عند حدود أفقهم بل يظفرون إلى الأقاليم البعيدة ويتغلبون على الأمم النائية. وانظر ما يحكى في ذلك عن عمر

رضي الله عنه لما بويع وقام يحرض الناس على العراق فقال: إن الحجاز(٨٩) ليس لكم بدار إلا على النجعة، ولا يقوى عليه أهله إلا بذلك. أين القراء المهاجرون عن موعد الله سيروا في الأرض التي وعدكم الله في الكتاب أن يورثكموها فقال {ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون} واعتبر ذلك أيضا بحال العرب السالفة من قبل مثل التبابعة وحمير كيف كانوا يخطون من اليمن إلى المغرب مرة وإلى العراق والهند أخرى).جـ١،ص١١٨ـ١١٩.

في ذكرالحروب ومذاهب الأمم وترتيبها.

قال ابن خلدون:ـ (إعلم أن الحروب وأنواع المقاتلة لم تزل واقعة في الخليقة منذ براها الله وأصلها إرادة انتقام بعض البشر من بعض ويتعصب لكل منها أهل عصبيته. فإذا تذامروا لذلك وتوافقت الطائفتان إحداهما تطلب الانتقام والأخرى تدافع كانت الحرب. وهو أمر طبيعي في البشر لا تخلو عنه أمة ولا جيل. وسبب هذا الانتقام في الأكثر إما غيرة ومنافسة. وإما عدوان، وإما غضب لله ولدينه، وإما غضب للملك وسعي في تمهيده. فالأول أكثر ما يجري بين القبائل المتجاورة والعشائر المتناظرة، والثاني وهو العدوان أكثر ما يكون من الأمم الوحشية الساكنين بالقفر كالعرب والترك والتركمان والأكراد وأشباههم لأنهم جعلوا أرزاقهم في رماحهم ومعاشهم فيما بأيدي غيرهم ومن دافعهم عن متاعه آذنوه بالحرب، ولا بغية لهم فيما وراء ذلك من رتبة ولا ملك وإنما همهم ونصب أعينهم غلب الناس على ما في أيديهم.)جـ١،ص٢١٩.

في ذكر قيام المسلمين ببناء المساجد في بلاد الإسلام"سنة سبع عشرة(٦٣٨م)". قال ابن خلدون:ـ (ثم اختلف حال ملوك الروم في الأخذ بدين النصارى تارة وتركه أخرى، إلى أن جاء قسطنطين وتنصرت أمه هيلانة وارتحلت إلى القدس(٩٠) في طلب الخشبة التي صلب عليها المسيح بزعمهم، فأخبرها القساوسة بأنه رمى بخشبته على الأرض وألقى عليها القمامات والقاذورات فاستخرجت الخشبة وبنت مكان تلك القمامات كنيسة القمامة. كأنها على قبره بزعمهم. وهربت ما وجدت من عمارة البيت وأمرت بطرح الزبل والقمامات على الصخرة حتى غطاها، وخفي مكانها جزاء بزعمها لما فعلوه بقبر المسيح. ثم بنوا بإزاء القمامة بيت لحم(٩١) وهو البيت الذي ولد فيه عيسى عليه السلام. وبقي الأمر كذلك إلى أن جاء الإسلام وحضر عمر لفتح بيت المقدس(٩٢) وسأل عن الصخرة فأرى مكانها، وقد علاها الزبل والتراب فكشف عنها وبنى عليها مسجداً على طريق البداوة. وعظم من شأنه ما أذن الله من تعظيمه، وما سبق من أم الكتاب في فضله حسبما ثبت. ثم احتفل الوليد بن عبد الملك(٩٣) في تشييد مسجده على سنن مساجد الإسلام بما شاء الله من الاحتفال كما فعل في المسجد الحرام وفي مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة، وفي مسجد دمشق. وكانت العرب تسميه بلاط الوليد. وألزم ملك الروم أن يبعث الفعلة والمال لبناء هذه المساجد وأن ينمقوها بالفسيفساء، فأطاع لذلك وتم بناؤها على ما اقترحه. ثم لما ضعف أمر الخلافة أعوام الخمسمائة من الهجرة في آخرها وكانت في ملكة العبيديين(٩٤) خلفاء القاهر من الشيعة واختل أمرهم، زحف الفرنجة(٩٥) إلى بيت المقدس فملكوه وملكوا معه عامة ثغور الشام وبنوا على الصخرة المقدسة منه كنيسة كانوا يعظمونها ويفتخرون ببنائها. حتى إذا استقل صلاح الدين بن أيوب الكردي(٩٦) بملك مصر

والشام ومحا أثر العبيديين وبدعهم زحف إلى الشام وجاهد من كان به من الفرنجة حتى غلبهم على بيت المقدس، وعلى ما كانوا ملكوه من ثغور الشام وذلك لنحو ثمانين وخمسمائة من الهجرة). جـ١،ص٢٨٣ـ٢٨٧.

في ذكر انساب امم العالم واختلاف اجيالهم والكلام على الجملة في انسابهم. قال ابن خلدون:(وذكر أيضا أن فارس(٩٧) من ولد أشوذ بن سام، وقال فيه فارس ابن طبراش بن أشوذ، وقيل انهم من أميم بن لاوذ وقيل ابن غليم. وفى التوراة ذكر ملك الأهواز واسمه كرد لا عمرو من بني غليم والأهواز متصلة ببلاد فارس. فلعل هذا القائل ظن أن أهل أهوازهم فارس، والصحيح أنهم من ولد يافث كما يذكر. وقال أيضاً ان البربر من ولد عمليق بن لاوذ وأنهم بنو تميلة من مأرب بن قاران بن عمر بن عمليق، والصحيح أنهم من كنعان بن حام كما يذكر. وذكر في التوراة ولد ارم أربعة عوص وكاثر وماش ويقال مشح والرابع حول. ولم يقع عند بني اسرائيل في تفسير هذا شئ الا أن الجرامقة(٩٨) من ولد كاثر. وقد قيل ان الكرد والديلم من العرب(٩٩)، وهو قول مرغوب عنه. وقال ابن سعيد كان لاشوذ أربعة من الولد إيران ونبيط وجرموق وباسل فمن ايران الفرس والكرد والخزر(١٠٠)، ومن نبيط النبط والسريان، ومن جرموق الجرامقة وأهل الموصل، ومن باسل الديلم وأهل الجبل. قال الطبري: ومن ولد ازفحشذ العبرانيون وبنو عابر بن شالخ بن ازفخشذ، وهكذا نسبه في التوراة).جـ٢،ص١٠.

في ذكر ماتضمنه الكتاب من الدول في هذه الطبقات الأربع على ترتيبها والدول المعاصرين من العجم في كل خليقة منها.قال ابن خلدون:ـ (ثم نرجع إلى ذكر المستبدين بالدعوة العباسية بالمغرب والنواحي، وهم بنو الأغلب(١٠١) بافريقية وبنو حمدان(١٠٢) بالشام وبنوالمقلد بالموصل، وبنو صالح(١٠٣) بن كلاب بحلب، وبنو مروان(١٠٤) بديار بكر، وبنو أسد(١٠٥) بالحلة(١٠٦)، وبنو زياد(١٠٧) باليمن، وبنو هود(١٠٨) بالأندلس(١٠٩). ثم نرجع إلى القائمين بالدعوة العبيدية(١١٠) بالنواحي وهم الصليحيون باليمن، وبنو أبى الحسن الكلبي بصقلية(١١١) وصنهاجة بالمغرب. ثم نرجع إلى المستبدين بالدعوة العباسية من العجم في النواحي، وهم بنو طولون(١١٢) بمصر ومن بعدهم بنو طغج، وبنو الصفار(١١٣) بفارس وسجستان(١١٤)، وبنو سامان(١١٥) فيما وراء النهر(١١٦)، وبنو سبكتكين(١١٧) في غزنة(١١٨) وخراسان(١١٩)، وغورية في غزنة والهند، وبنو حسنويه(١٢٠) من الكرد في خراسان. ثم نرجع إلى ذكر المستبدين على الخلفاء ببغداد من العجم، وهم أهل الدولتين العظيمتين القائمتين بملك الإسلام من بعد العرب، وهم بنو بويه من الديلم والسلجوقية من الترك. ثم نرجع إلى ملوك السلجوقية المستبدين بالنواحي، وهم بنو طغتكين بالشام وبنو قطلمش ببلاد الروم، وبنو خوارزم شاه ببلاد العجم وما وراء النهر).حـ٢،ص١٨ـ١٩.

في ذكر الخبر عن الفرس وذكر أيامهم ودولهم وتسمية ملوكهم وكيف كان مصير أمرهم إلى تمامه وانقراضه. قال ابن خلدون:ـ (هذه الأمة من أقدم أمم العالم، وأشدّهم قوّة وآثارا في الأرض، وكانت لهم في العالم دولتان عظيمتان طويلتان الأولى منهما الكينية، ويظهر أنُّ مبتدأها ومبتدأ دولة التَّبابعة وبني إسرائيل واحد، وأن الثلاثة مُتعاصرة. ودولة الكينية

هذه هي التي غلب عليها الاسكندر والساسانية الكسرويَّة، ويظهر أنها معاصرة لدولة الروم بالشام، وهى التي غلب عليها المسلمون. وأما ما قبل هاتين الدولتين فبعيد، وأخباره متعارضة. ونحن ذاكرون ما اشتهر من ذلك. وأما أنسابهم فلا خلاف بين المحققين أنهم من ولـد سـام بن نـوح، وأنَّ جدّهم الأعلى الذي ينتمون إليه هو فرُس. والمشهور أنهم من ولـد إيــران بن أشـوذ بن سـام بن نوح، وأرض ايـران هي بلاد الفرس. ولما عُرِّبت قيل لها اِعــراق. هذا عند المحققين وقيل: انهم منسوبون إلى ايران بن إيران بن أشوذ. وقيل إلى غُليم بن سام. ووقع في التوراة ذكر ملك الأهواز كزدامر من بني غليم. فهذا أصل هذا القول والله أعلم. لأنَّ الأهواز من ممالك بلاد فارس. وقيل: إلى لاوذ بن ارَم بن سام وقيل إلى أميم بن لاوذ، وقيل إلى يوسف بن يعقوب بن اسحاق ويقال انَّ الساسانية فقط من ولد اسحا،ق وأنه يسمى عندهم وترك، وأنَّ جدّهم منوشهر بن منشحر بن فَرهِسَ بن وترك. هكذا نقل المسعودي هذه الأسماء، وهى كما تراه غير مضبوطة. وفيما قيل ان الفرس كلهم من ولد إيران بن أفريدون الآتي ذكره، وأنَّ من قبلهُ لا يسمون بالفرس والله أعلم. وكان أوَّل ما ملك إيران أرض فارس. فتوارث أعقابه الملك، ثم صارت لهم خراسان ومملكة النَّبط والجرامقة ثم اتسعت مملكتهم إلى الإسكندرية غرباً،وباب الابواب شمالاً.وفي الكتب انَّ أرض ايران هي أرض الترك، وعند الإسرائيليين أنهم من ولد طيراس بن يافث وإخوتهم بنو مادي بن يافث، وكانوا مملكة واحدة. فأمّا علماء الفرس ونسّابتهم فيأبون من هذا كله، وينسبون الفرس إلى كيومرث، ولا يرفعون نسبه إلى ما فوقه. ومعنى هذا الاسم عندهم ابن الطين وهو عندهم أول النسب. هذا رأيهم وأما مواطن الفرس فكانت أول أمرهم بأرض فارس، وبهم سميت. ويجاورهم إخوانهم في نسب أشوذ بن سام، وهم فيما قال البيهقي(١٢١) الكُرْدُ والدَّيلم(١٢٢) والخَزَر والـنـبـط(١٢٣)والجـرامـقـة. ثـم صـارت لهم خراسان ومملكة النبط والجرامقة.ثم صارت لهم خُراسان ومملكة النَّبط والجَرَامِقة وسائر هؤلاء الأمم). جـ٢،ص١٥٠.

في ذكـر فتح الموصل في زمـن الخليفة عمر بن الخطاب(١٢٤) ضمن احداث وقعة اجنادين وفتح بيسان وبيت المقدس. قال ابن خلدون:ـ (ويقال أن عبد الله بن المعتمر(١٢٥) بعث ربعى بن الافكل بعهد عمر إلى الموصل ونينوى(١٢٦)، وهما حصنان على دجلة من شرقيها وغربيها. فسار في تغلب وإياد والنمر، وسبقوه إلى الحصنين، فأجابوا إلى الصلح وسـاروا ذمـة. وقيل بل الـذي فتح الموصل عتبة بن فرقد(١٢٧) سنة عشرين(٦٤٠م)،وأنه ملك نينوى وهو الشرقي عنوة. وصالحوا أهل الموصل وهو الغربي على الجزية، وفتـح معها جبل الأكراد وجميع أعمال الموصل، وقيل انما بعث عتبة بن فرقد عياض بن غنم(١٢٨) عندما فتح الجـزيـرة على مـا نـذكـره). جـ٢،ص٤٤٥.

في ذكر فتح الأهـواز والسوس بعدها"سنة سبع عــشـرة(٦٣٨م)". قـال ابـن خلدون:ـ (لما انـهـزم الهـرمـزان(١٢٩) يـوم القادسية قصد خوزستان وهى قاعدة الأهواز، فملكها وملك سائر الأهـواز. وكـان أصله منهم من البيوتات السبعة في فارس وأقام يغير على أهل ميسان(١٣٠) ودسـت ميسان من ثغور الـبـصـرة(١٣١)، يأتي إليها من مـنـادر(١٣٢) ونهر تـيري(١٣٣) من ثغور الأهـواز. واستمد

عتبة بن غـزوان(١٣٤) سعدا فأمده بنعيم بن مقرن(١٣٥) ونعيم بن مسعود(١٣٦) فنزل بين ثغور البصرة وثغور الأهواز. وبعث عتبة بن غزوان سلمي بن القين(١٣٧) وحرملة بن مريطة(١٣٨) من بني العدوية من حنظلة فنزل على ثغور البصرة بميسان ودعوا بني العم بن مالك، وكانوا ينزلون خراسان. فأهل البلاد يأمنونهم، فاستجابوا وجاء منهم غالب الوائلي وكليب بن وائـل(١٣٩) الكلبي فلقي سلميّ وحرملة وواعداهما الثورة بمنادر ونهر تيري. ونهض سلميّ وحرملة يوم الموعد في التعبية،وأنهض نعيما وًالتقوهم والهرمزان وسلميّ على أهل البصرة، ونعيم على أهل الكوفـة(١٤٠). وأقبل إليهما المـدد من قبل غالب وكليب، وقد ملك منادر ونهر تيري، فانهزم الهـرمـزان وقتل المسلمون من أهل فارس مقتلة وانتهوا في اتباعهم إلى شاطئ دجيل(١٤١) وملكوا ما دونها. وعبر الهرمزان جسر سوق الأهواز وصار دجيل بينه وبين المسلمين. ثم طلب الهرمزان الصلح فصالحوه على الأهواز كلها، ما خلا نهر تيري ومنادر وما غلبوا عليه من سوق الأهواز فانه لا يردّ، وبقيت المسالح على نهر تيري ومنادر، وفيهما غالب وكليب. ثم وقع بينهما وبين الهرمزان اختلاف في التخم ووافقهما سلميّ وحرملة فنقض الهرمزان ومنع ما قبله وكثف جنوده بالأكراد. وبعث عتبة بن غزوان حرقوص بن زهير(١٤٢) السعدي لقتاله، فانهزم وسار إلى رام هرمز، وفتح حرقوص سوق الأهواز ونزل بها واتسعت له البلاد إلى تستر).جـ٢،ص٤٤٩.

في ذكر فتح أذربيجان في زمن الخليفة عمر بن الخطاب."سنة اثنتين وعشرين(٦٤٢م)" قال ابن خلدون:(ولما افتتح نعيم الري(١٤٣) أمـره عـمـر أن يبعث سمـاك بـن خرشة الانصاري(١٤٤) إلى اذربيجان مُمدّاً لبكير بن عبد الله(١٤٥). وكان بكير بن عبد الله عندما سار إلى أذربيجان لقي بالجبال اسفنديار بن فـرخـزاد(١٤٦) مهزوماً من واقعة نعيم من ماح رود(١٤٧) دون همذان وهو أخو رستم فهزمه بكير وأسره. فقال له أمسكني عندك، فأصالح لك على البلاد وإلا فرّوا إلى الجبال وتركوها. وتحصن من تحصن إلى يـوم ما، فأمسكه وسـارت البلاد صلحا إلا الحصون. وقـدم عليه سمـاك وهـو في مثل ذلـك وقد افتتح ما يليه وافتتح عتبة بن فرقد ما يليه. وكتب بكير إلى عمر يستأذنه في التقدم فأذن له أن يتقدم نحو الباب، وان يستخلف على ما افتتح، فاستخلف عتبة بنٍ فرقد وجمع له عمر أذربيجان كلها. فـولى عتبة سماك بن خرشة على ما افتتحه بكير. وكان بهرام بن الفرخزاد(١٤٨) قصد طريق عتبة وأقام به في عسكره مقتصداً بل معترضاً له. فلقيه عتبة وهزمه، وبلغ خبرالى الاسفنديار وهو أسير عند بكير، فصالحه واتبعه أهل أذربيجان كلهم. وكتب بكير وعتبة بذلك إلى عمر، وبعثوا بالأخماس، فكتب عمر لأهل أذربيجان كتاب الصلح. ثم غزا عتبة بن فرقد شهرزور والصامغان ففتحهما بعد قتال على الجزية والخراج، وقتل خلقاً من الأكراد، وكتب إلى عمر ان فتوحي بلغت أذربيجان فـولاهُ إياهـا،و ولى هرثمة بن عرفجة(١٤٩) الموصل).جـ٢،ص٤٥٧.

في ذكرفسا(١٥٠) ودارابجـرد ضمن فتوح فارس"سنة ثلاث وعشرين(٦٤٣م)". قال ابن خلدون:ـ (وقصد سارية بن زنيم(١٥١) الكناني مـن أمـراء الانسياح مدينة فسا ودارابجـرد فحاصرهم. ثم استجاشوا بأكراد فارس واقتتلوا بصحراء. وقام عمر على المنبر

ونـادى: يا سارية الجبل يشير إلى جبل كان إزاءه أن يسند إليه. فسمع ذلك سارية ولجأ إليه ثم انهزم المشركون، وأصاب المسلمون مغانمهم وكان فيها سقط جوهر فاستوهبه سارية من الناس، وبعث به مع الفتح إلى عمر). جـ٢،ص٤٦١.

في ذكـر خـبر الأكـراد"سـنـة ثـلاث وعشرين(٦٤٣م)".قال ابن خلدون:(كان امر أمراء الانسياح لما فصلوا إلى النواحي اجتمع ببيروذ(١٥٢) بين نهر تيري ومنادر من أهل الأهواز جموع من الاعاجم أعظمهم الأكراد، وكـان عمر قد عهد إلى أبى مـوسـى(١٥٣) أن يسير إلى أقصى تخوم البصرة ردءا للأمراء المنساحين. فجاء إلى بيروذ وقاتل تلك الجموع قتالا شديدا، وقاتل المهاجر بن زياد حتى قتل. ثم وهن الله المشركين فتحصنوا منه في قلة وذلة. فاستخلف أبو موسى عليهم أخاه الربيع بن زياد وسار إلى اصبهان مع المسلمين الذين يحاصرونها، حتى إذا فتحت رجع إلى البصرة. وفتح الربيع بن زياد بيروذ وغنم ما فيها. ولحق به بالبصرة وبعثوا إلى عمر بالفتح والأخمـاس. وأراد ضبة بن محصن العنزي أن يكون في الوفد فلم يجبه أبو موسى، فغضب وانطلق شاكياً إلى عمر بانتقائه ستين غلاما من أبناء الدهاقين لنفسه وأنه أجاز الحطيئة بألف. وولى زياد بن أبى سفيان(١٥٤) أمور البصرة، واعتذر أبو موسى وقبله عمر. وكان عمر قد اجتمع إليه جيش من المسلمين فبعث عليهم سلمة بن قيس الاشجعي(١٥٥) ودفعهم إلى الجهاد على عادته وأوصاهم. فلقوا عدوا من الأكراد المشركين فدعوهم إلى الإسلام أو الجزية فأبوا، وقاتلوهم وهزموهم وقتلوا، وسبوا وقسموا الغنائم).جـ٢ ،ص٤٦٢ .

في ذكـر ولايـة الوليد بن عقبة(١٥٦) الكوفة وصلح أرمينية وأذربيجان"سنة خمس وعشرين(٦٤٥م)". قال ابن خلدون:(فبعث الوليد الناس مع سلمان بن ربيعة(١٥٧) ثمانية آلاف، ومضوا إلى الشام ودخلوا أرض الـروم مع حبيب بن مسلمة(١٥٨)، فشنوا عليهم الغارات واستفتحوا الحصون. وقيل ان الذى أمد حبيب بن مسلمة بسلمان بن ربيعة هو سعيد بن العاص. وذلك أن عثمان كتب إلى معاوية أن يغزى حبيب بن مسلمة في أهل الشام أرمينية، فبعثه وحاصر قاليقلا(١٥٩) حتى نزلوا على الجلاء أو الجزية، فجلا كثيرا إلى بلاد الروم. وأقام فيها فيمن معه أشهرا ً. ثم بلغه أن بطريق أرميناقس وهى بلاد ملطية(١٦٠) وسيواس(١٦١) وقونية(١٦٢) إلى خليج قسطنطينية(١٦٣) قد زحف إليه في ثمانين ألفا ً،فاستنجد معاوية فكتب إلى عثمان فأمر سعيد بن العاص بإمداد حبيب فأمده بسلمان في ستة آلاف، وبيَّت الروم فهزمهم وعـاد إلى قاليقلا. ثم سـار في البلاد فجاء بطريق خلاط وبيده أمان عياض بن غنم وحمل ما عليه من المال. فنزل حبيب خلاط، ثم سار منها فصالحه صاحب السيرجان(١٦٤) ثم صاحب اردستان(١٦٥) ثم صالح أهل دبيل بعد الحصار، ثم أهل بلاد السيرجان كلهم. ثم أتى أهل شمشاط(١٦٦) فحاربوه فهزمهم وغلب على حصونهم. ثم صالحه بطريق خــرزان(١٦٧) على بـلاده وسـار إلى تفليس فصالحوه وفتح عدة حصون ومدن تجاورها. وسار ابن ربيعة الباهلي إلى أران(١٦٨)، فصالح أهل البيلقان(١٦٩) على الجزية والخراج ثم أهل بردعة(١٧٠) كذلك وقراها. وقاتل أكراد البوشنجان(١٧١) وظفر بهم، وصالح بعضهم على الجـزيـة، وفتح مدينة شمـكـور(١٧٢) وهـى الـتي سميت بعد ذلـك المتوكلية).

جـ٢،ص٤٦٥ـ٤٦٦.

في ذكر ولاية ابن عامر على البصرة وفتوح فارس وخراسان"سنة تسع وعشرين(٦٤٩م)".

قال ابن خلدون:ـ (وفي السنة الثالثة من خلافة عثمان(١٧٣) خرج أبو موسى من البصرة غازيا إلى أهل آمد(١٧٤) والأكراد لما كفروا، وحمل ثقله على أربعين بغلة من القصر بعد ان كان حضّ على الجهاد مشياً. فألب الناس عليه ومضوا إلى عثمان فاستعفوه منه). جـ٢،ص٤٧٠.

في ذكر مسيرة المختار(١٧٥) إلى الكوفة وأخذها من ابن المطيع(١٧٦) بعد وقعة كربلاء(١٧٧) سنة"ست وستين(٦٨٥م)".

قال ابن خلدون:ـ (ولما اشتد الحصار على ابن مطيع أشار عليه شبث بن ربعي(١٧٨) بأن يستأمن للمختار ويلحق بابن الزبير وله ما يعده. فخرج عنهم مساء ونزل دار أبي موسى. واستأمن القوم للمختار، فدخل القصر وغدا على الناس في المسجد فخطبهم، ودعاهم إلى بيعة ابن الحنفية، فبايعه أشراف الكوفة على الكتاب والسُنّة، واللطف بأهل البيت، ووعدهم بحسن السيرة. وبلغه أن ابن مطيع في دار أبي موسى، فبعث إليه بمائة ألف درهم وقال يجهّز بهذه. وكان ابن مطيع قد فرّق بيوت الأموال على الناس، وسار ابن مطيع إلى وجهه وملك الكوفة، وجعل على شرطته عبد الله بن كامل(١٧٩)، وعلى حرسه كيسان أبا عمرة(١٨٠)، وجعل الأشراف جلساءه، وعقد لعبد الله بن الحارث بن الاشتر(١٨١) على أرمينية، ولمحمد بن عُمَير بن عطارد(١٨٢) على أذربيجان، ولعبدالرحمن بن سعيد بن قيس على الموصل، ولإسحق ابن مسعود(١٨٣) على المدائن(١٨٤)، ولسعد بن حُذيفة بن اليمان(١٨٥) على حلوان. وأمره بقتال الأكراد وإصلاح السابلة. وولّى شُريحا على القضاء). جـ٣،ص٢٥ـ٢٦.

في ذكر اخبارابن الأشعث(١٨٦) ومقتله سنة"خمس وثمانين(٧٠٤م)".

قال ابن خلدون:ـ (ويقال ان بعض الأعراب جاء إلى الحجاج فدَلّهُ على طريق من وراء معسكر ابن الأشعث، فبعث معه أربعة آلاف جاؤوا من ورائه، وأصبح الحجاج فقاتله واستطرد له حتى نهب معسكره. وأقبلت السريّة من الليل إلى معسكر ابن الأشعث، وكان الغرقى منهم أكثر من القتلى، وجاء الحجاج إلى المعسكر فقتل من وجد فيه، وكان عِدّة القتلى أربعة آلاف منهم عبد الله بن شداد بن الهادي(١٨٧)، وبسطام بن مصقلة(١٨٨) وعمر بن ربيعة الرقاشي(١٨٩)، وبشر بن المنذر ابن الجارود(١٩٠) وغيرهم ولما سارابن الأشعث إلى سجستان أتبعه الحجاج بالعساكر، وعليهم عمارة بن تميم اللخمي، ومعهم محمد بن الحجاج فأدركوه بالسوس فقاتلوه، وانهزم إلى سابور واجتمع إليه الأكراد وقاتلوا العساكر قتالا شديدا فهزم، وخرج عمارة ولحق ابن الأشعث بكرمان(١٩١)، فلقيه عامله بها وهيأ له النزول فنزل).جـ٣،ص٥٣.

في ذكر خبر يزيد بن المهلّب(١٩٢) وأخوته.

قال ابن خلدون:ـ (كان الحجاج قد حبس يزيد وإخوته سنة ست وثمانين(٧٠٥م)، وعزل حبيب بن المهلب(١٩٣) عن كرمان فأقاموا في محبسهم إلى سنة تسعين(٧٠٨م)،وبلغه أن الأكراد غلبوا على فارس، فعسكر قريبا من البصرة للبعث، وأخرج معه بني المهلب وجعلهم في فسطاط(١٩٤) قريبا منه، ورتب عليهم الحرس من أهل الشام. ثم طلب منهم ستة آلاف ألف، وأمر بعذابهم وبكت أُختهم هند بنت المهلب زوجة الحجاج فطلّقها ثم كف

عنهم وجعل يستأدبهم). جـ٣،ص٦٧.

في ذكر مقتل عبد الله بن معاوية" سنة تسع وعشرين ومائة(٧٤٦م)". قال ابن خلدون:ـ (قد تقدم لنا أن عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بويع بالكوفة، وغلبه عليها عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ولحق بالمدائن. وجاءه ناس من أهل الكوفة وغيرها، فسار إلى الجبال(١٩٥) وغلب عليها وعلى حلوان وقومس(١٩٦) واصبهان والري وأقام باصبهان. وكان محارب بن موسى مولى بني يشكر عظيم القدر بفارس، فجاء إلى دار الإمارة باصطخر وطرد عامل عبد الله بن عمر عنها، وبايع الناس لعبد الله بن معاوية. ثم سار إلى كرمان فأعار عليها وانضم إليه قوّاد من أهل الشام. فسار إلى سالم بن المُسيّب(١٩٧) عامل عبد الله بن عمر على شيراز، فقتله سنة ثمان وعشرين و"مائة"(٧٤٥م). ثم سار محارب إلى اصبهان وحوّل عبد الله بن معاوية إلى اصطخر، بعد أن استعمل على الجبال أخاه الحسن بن معاوية(١٩٨)، وأتى إلى اصطخر فنزل بها، وأتاه بنو هاشم وغيرهم، وجبى المال وبعث العمال. وكان معه منصور بن جمهور وسليمان بن هشام، وأتاه شيبان بن عبد العزيز الخارجي، ثم أتاه أبو جعفر المنصور وعبد الله ابن أخيه عيسى. ولما قَدِمَ يزيد بن عمر بن هُبيرة(١٩٩) على العراق أرسل نباتة ابن حنظلة ألكلابي(٢٠٠) على الأهواز،وأن يقاتل عبد الله بن معاوية، وبلغ سليمان بن حبيب وهو بالأهواز فسرّح داود بن حاتم للقاء نباتة، وهرب سليمان من الأهواز إلى نيسابور(٢٠١)، وقد غلب الأكراد عليها فطردهم عنها، وبايع لابن معاوية، فبعث أخاه يزيد بن معاوية(٢٠٢) عليها. ثم إن محارب بن موسى فارق عبد الله بن معاوية وجمع، وقصد نيسابور فقاتله يزيد ابن معاوية، وهزمه فأتى كرمان. وأقام بها). جـ٣،ص١٣٦.

في ذكر خروج المطرف بن المغيرة بن شعبة(٢٠٣) "سنة سبع وسبعين(٦٩٦م)". قال ابن خلدون:ـ (لما وَلِيَ الحجاج الكوفة وقدمها وجد بني المغيرة صلحاء أشرافا ،فاستعمل عُروة على الكوفة ومُطْرَفا على المدائن، وحمزة على همذان، فكانوا أحسن العمال سيرةً وأشدّهم على المريب. ولما جاء شبيب إلى المدائن نزل نهر شير(٢٠٤)، ومطرف بمدينة الأبواب، فقطع مطرف الجسر وبعث إلى شبيب أن يرسل إليه من يعرض عليه الدعوة، فبعث إليه رجلا من أصحابه فقالوا: نحن ندعو إلى كتاب الله وسنة رسوله وانا نقمنا على قومنا الاستئثار بالفي وتعطيل الحدود والتبسّط بالجزية فقال مطرف: دعوتم الى حق وما نقمتم الاّ جوراً ظاهراً وأنا لكم متابع فبايعوني على قتال هؤلاء الظلمة بأحداثهم، وعلى الدعاء إلى الكتاب والسنة على الشورى كما تركها عمر بن الخطاب حتى يولّي المسلمون من يرضونه، فان العرب إذا علمت أن المراد بالشورى الرضا من قريش رضوا فكثر مبايعكم، فقالوا: لا تجيبك إلى هذا. وأقاموا أربعة أيام يتناظرون في ذلك ولم يتفقوا وخرجوا من عنده، ثم دعا مطرف أصحابه وأخبرهم بما دار بينه وبين أصحاب شبيب، وأن رأيه خلع عبد الملك والحجاج فوجموا من قوله وأشاروا عليه بالكتمان فقال له يزيد بن أبي زياد(٢٠٥) مولى أبيه: لن والله يخفى على الحجاج شئ مما وقع، ولو كنت في السحاب لاستنزلك فالنجاء بنفسك، ووافقه أصحابه فسار عن المدائن إلى الجبال، ولما كان في بعض الطريق دعا أصحابه إلى الخلع والدعاء

إلى الكتاب والسنة، وأن يكون الأمر شورى فرجع عنه بعض إلى الحجاج منهم سبرة بن عبد الرحمن بن مختف، وسار مطرف ومرَّ بحلوان وبها سويد بن عبد الرحمن السعدي مع الأكراد فاعترضوه، فأوقع مطرف بهم وأثخن في الأكراد ومال عن همذان ذات اليمين وبها أخوه حمزة واستمده بمال وسلاح فأمده سرا وسار إلى قم(٢٠٦) وقاشان(٢٠٧) فبعث عماله في نواحيها وفزع إليه من كل جانب). جـ٣،ص١٦٥ـ١٦٦.

في ذكر العمال على النواحي أيام السفاح(٢٠٨) والمنصور(٢٠٩). قال ابن خلدون:ـ (وولى سنة ثمان وأربعين "ومائة"(٧٦٥م) على الموصل خالد بن برمك(٢١٠) لإفساد الأكراد في نواحيها، وفي سنة ثمان وخمسين و"مائة"(٧٧٤م) عزل "المنصور" موسى بن كعب(٢١١) عن الموصل لشيء بلغه عنه فأمر ابنه المهدي(٢١٢) أن يسير إلى الرقة(٢١٣) مرورا ً بزيارة القدس ويكفل طريقه على الموصل فقبض عليه، وكان المنصور قد ألزم خالد بن برمك ثلاثة آلاف ألف درهم وأجلّه في إحضارها ثلاثا أي"ثلاثة ايام"وإلا قتله، فبعث ابنه يحيى(٢١٤) إلى عمارة بن حمزة(٢١٥) ومبارك التركي،وصالح صاحب المصلى وغيرهم من القوّاد ليستقرض منهم قال يحيى: فكلهم بعث إلا أن منهم من منعني الدخول ومنهم من يجيبني بالرد إلا عمارة بن حمزة فانه أذن لي ووجهه إلى الحائط ولم يقبل عليّ وسلمت فردَّ خفيفا ًوسأل كيف خالد فعًّرفته واستقرضته فقال: إن أمكنني شيء يأتيك فانصرفت عنه. ثم أنفذ المال فجمعناه في يومين وتعذّرت ثلاثمائة ألف وورد على المنصور انتقاض الموصل والجزيرة وانتشار الأكراد بها، وسخط موسى بن كعب، فأشار عليه المسيب بن زهير(٢١٦) بخالد بن برمك فقال: كيف يصلح بعد ما فعلنا؟ فقال: أنا ضامنه فصفح له عمّا بقي عليه وعقد له على الموصل، ولابنه يحيى على أذربيجان. وسارا مع المهدي فعزل موسى بن كعب وولاهما قال يحيى وبعثني خالد إلى عمارة بقرضه وكان مائة ألف فقال: لي أكنت لأبيك صديقا قم عني لأقمت، ولم يزل خالد على الموصل إلى وفاة المنصور). جـ٣،ص٢٠٨ـ٢٠٩.

في ذكر ولاية ابن السيد على الموصل. قال ابن خلدون:ـ (وفي سنة أربع وعشرين و"مائتين"(٨٣٨م) ولّى المعتصم(٢١٧) على الموصل عبد الله بن السيد بن أنس الازدي(٢١٨)، وكان سبب ولايته أن رجلا من مقدمي الأكراد يعرف بجعفر بن فهرجس(٢١٩) كان قد عصى بأعمال الموصل، وتبعه خلق كثير من الأكراد وغيرهم، وأفسدوا البلاد فبعث المعتصم لحربه عبد الله بن السيد بن أنس فقاتله وغلبه على مانعيس وأخرجه منها بعد أن كان استولى عليها. ولحق بجبل داسن(٢٢٠) وامتنع بأعاليه، وقاتله عبد الله وتوغل في مضايق ذلك الجبل، فهزمه الأكراد وأثخنوا في أصحابه بالقتل، وقتل اسحاق بن أنس عمّ عبد الله.

فبعث المعتصم مولاه اتياخ(٢٢١) في العساكر إلى الموصل سنة خمس وعشرين و"مائتين"(٨٣٩م) وقصد جبل داسن فقاتل جعفرا ًوقتله وافترق أصحابه، وأوقع بالأكراد واستباحهم وفرّوا أمامه إلى تكريت). جـ٣،ص٢٦٤ـ٢٦٥.

في ذكر أخبار مساور الخارجي(٢٢٢) "سنة اثنتين وخمسين ومائتين(٨٦٦م)". قال ابن خلدون:ـ (كان الوالي على الموصل عقبة بن محمد بن جعفر بن محمد بن الأشعث

بن هاني الخزاعي وكان صاحب الشرطة بالحديثة من أعمالها حسين بن بكير، وكان مساور بن عبد الله ابن مساور البجليّ من الخوارج يسكن بالبوازيج(٢٢٣)، وحبس صاحب الشرطة حسين بن بكير بالحديثة ابنا للمساور هذا يسمى جوثرة(٢٢٤) وكان جميلا، فكتب إلى أبيه مساور بأن حسين بن بكير نال منه الفاحشة، فغضب لذلك وخرج فقصد الحديثة، فاختفى حسين وأخرج ابنه من الحبس. ثم كثر جمعه من الأكراد والأعراب، وقصد الموصل فقاتلهما أياما ،ثم رجع فكان تحت طريق خراسان، وكانت لنظر بندار ومظفر بن مشبك(٢٢٥) فسار إليه بندار في ثلثمائة مقاتل، والخوارج مع مساور في سبعمائة فهزموه وقتلوه ولم ينج منهم إلا نحو خمسين رجلا ،وفرّ مظفر إلى بغداد وجاء الخوارج إلى جلولاء، وكانت فيهم حرب هلك فيها من الجانبين خلق. ثم سار خطرمش(٢٢٦) في العساكر فلقيهم بجلولاء، وهزمه مساور ثم استولى مساور على أكثر أعمال الموصل، ثم وليّ الموصل أيوب بن أحمد بن عمر بن الخطاب ألتغلبي سنة أربع وخمسين"ومائتين"(٨٦٨م)). جـ٣،ص٢٩٠.

في ذكر ابتداء دولة الصفار"سنة ثلاث وخمسين ومائتين(٨٦٧م)".قال ابن خلدون:ـ (وكان على فارس علي بن الحسين بن شبل، وأبطأ عامل الخراج. واعتذر، فكتب له المعتز(٢٢٧) بولاية كرمان يريد أعداء كل منهما بصاحبه لان طاعتهما مهوضة، فأرسل علي بن الحسين بفارس طوق بن الغلس خليفة على كرمان، وسار يعقوب الصفار(٢٢٨) من سجستان فسبقه طوق واستولى عليها، وأقام يعقوب بمكانه قريبا منها يترقب خروج طوق إليه. وبعد شهرين ارتحل إلى سجستان فوضع طوق أوزار الحرب وأقبل على اللهو، واتصل ذلك بيعقوب في طريقه، فكرّ راجعا وأغذ السير فصادفه بعد يومين، وركب أصحابه وقد أُحيط بهم ففرّوا ناجين بأنفسهم، وملك يعقوب كرمان وحبس طوق. وبلغ الخبر إلى علي بن الحسين وهو على شيراز فجمع جيشه ونزل على مضيق شيراز وأقبل عليه يعقوب حتى نزل قبالته،والمضيق متوعّر بين جبل ونهر ضيق المسلك بينهما، فاقتحم يعقوب النهر بينهما وأجاز إلى علي بن الحسين وأصحابه فانهزموا،وأخذ علي أسيرا ًواستولى على جميع عسكره،ودخل شيراز وملكها وجبى الخراج،ورجع إلى سجستان وذلك سنة خمس وخمسين و"مائتين"(٨٦٨م). ويقال: بل وقع بينهما بعد عبور النهر حرب شديدة انهزم آخرها عليّ،وكان عسكره نحوا مَن خمسة عشر ألفا من الموالي والأكراد،ورجعوا منهزمين إلى شيراز آخر يومهم وازدحموا في الأبواب وافترقوا في نواحي فارس وانتهوا إلى الأهواز وبلغ القتلى منهم خمسة آلاف،ولما دخل يعقوب وملك فارس امتحن عليّا ًوأخذ منه ألف بردة،ومن الفرش والسلاح والآلة ما لا يُحَد،وكتب إلى الخليفة بطاعته). جـ٣،ص٢٩٢ـ٢٩٣.

في ذكر استيلاء الصفار على فارس وطبرستان.

قال ابن خلدون:ـ (قد تقدم استيلاء يعقوب بن الليث الصفار على فارس أيام المعتز من يد علي بن الحسين بن مقبل. ثم عادت فارس إلى الخلفاء ووليها الحارث بن سيما، وكان بها من رجال العراق محمد بن واصل بن إبراهيم التميمي، فاتفق مع أحمد بن الليث من الأكراد الذين بنواحيها، ووثبوا بالحارث بن سيما فقتلوه، واستولى ابن واصل على فارس سنة ست وخمسين و"مائتين"(٨٦٩م)، وقام

بدعوة المعتمد(٢٢٩)).جـ٣،ص٣٠٧.

في ذكر أخبار الزنج مع اغرتمش(٢٣٠) سنة"ست وستين ومائتين(٨٧٩م)". قال ابن خلدون:ـ (قد كان تقدم لنا إيقاع سليمان بن جامع(٢٣١) باغرتمش وحربه بعد ذلك مع تكين وجعلان ومطر بن جامع(٢٣٢) وأحمد بن كيتونة واستيلاؤه على مدينة واسط(٢٣٣). ثم ولى اغرتمش مكان تكين البخاري(٢٣٤) ما يتولاه من أعمال الأهواز فدخل تستر في رمضان ومعه مطر بن جامع، وقتل جماعة من أصحاب أبان(٢٣٥) كانوا مأسورين بها.

ثم سار إلى عسكر مكرم، ووافاه هناك علي بن أبان(٢٣٦) والزنج، فاقتتلوا ثم تحاجزوا لكثرة الزنج، ورجع علي إلى الأهواز وسار اغرتمش إلى الخليل بن ابان ليعبروا إليه من قنطرة اربل(٢٣٧)، وجاءه أخوه علي وخاف أصحابه المخلفون بالأهواز فارتحلوا إلى نهر السروة(٢٣٨) وتحارب علي واغرتمش يوما ثم رجع علي إلى الأهواز ولم يجد أصحابه، فبعث من يردّهم إليه فلم يرجعوا. وجاء اغرتمش وقتل مطر بن جامع في عدّة من القواد، وجاء المدد لابن أبان من صاحبه الخبيث فوادعه اغرتمش وتركه. ثم بعث محمد بن عبيد الله إلى انكلاي ابن الخبيث في أن يرفع عنه يد ابن أبان فزاد ذلك في غيظه، وبعث يطالبه محمد بالخراج ودافعه فسار إليه، وهرب محمد من رامهرمز إلى أقصى معاقله، ودخل علي والزنج رامهرمز وغنموا ما فيها.

ثم صالحه محمد على مائتي ألف درهم، وترك أعماله. ثم استنجده محمد بن عبيد الله على الأكراد، على أن لعلي غنائمهم، فاستخلف عليّ على ذلك مجلز، وطلب منه الرهن فمطل وبعث إليه الجيش فزحف بهم إلى الأكراد. فلما نشب القتال انهزم أصحاب محمد فانهزم الزنج وأثخن الأكراد فيهم، وبعث على من يعترضهم فاستلبوهم، وكتب علي إلى محمد يتهدده فاعتذر وردّ عليهم كثيراً من أسلابهم وخشي من الخبيث وبعث إلى أصحابه مالا ليسألوه في الرضا عنه).جـ٣،ص٣١٨.

في ذكر حروب الخوارج بالموصل. قال ابن خلدون:ـ (كان مساور الخارجي قد هلك في حروبه مع العساكر سنة ثلاث وستين و"مائتين"(٨٧٦م) بالبوارسح(٢٣٩)، وأراد أصحابه ولاية محمد بن حرداد(٢٤٠) بشهرزور، فامتنع وبايعوا أيوب بن حيّان المعروف بالغلام، فقتل فبايعوا هارون بن عبد الله البجلي(٢٤١) وكثر أتباعه، واستولى على بلد الموصل، وخرج عليه من أصحابه محمد بن حرداد، وكان كثير العبادة والزهد يجلس على الأرض ويلبس الصوف الغليظ ويركب البقر لئلا يفر في الحرب. فنزل واسط(٢٤٢) وجاء وجوه أهل الموصل فسار إليهم وهارون غائب في الاحشاد، فبادروا إليه واقتتلا وانهزم هارون وقُتل من أصحابه نحو مائتين. وقصد بني ثعلب مستنجدا بهم فأنجدوه وسار معه حمدان بن حمدون، ودخل معه الموصل، ودخل ابن حرداد واستمال هارون أصحابه، ورجع إلى الحديثة، ولم يبق مع ابن حرداد إلا قليل من الأكراد فمالوا إلى هارون بالموصل، فخرج وأوقع بابن حرداد فقتله وأوقع بالأكراد الجلالية(٢٤٣)، وكثر أتباعه وغلب على القرى والرساتيق، وجعل على دجلة من يأخذ الزكاة من الاموال المُصعَّدة والمنحدرة، ووضع في الرساتيق من يقبض اعتبار الغلات، واستقام أمره).جـ٣،ص٣٢٨.

في ذكر أخبار عمرو بن الليث(٢٤٤). قال ابن خلدون:ـ (كان عمرو بن الليث بعد

مهلك أخيه يعقوب قد ولّاه الموفق(٢٤٥) خراسان واصبهان وسجستان والسند(٢٤٦) وكرمان والشرطة ببغداد، كما كان أخوه، وقد ذكرنا ذلك قبل. وكان عامله علي فارس ابن الليث(٢٤٧) فانتقض عليه سنة ثمان وستين و"مائتين"(٨٨١م)، فسار عمرو لحربه فهزمه واستباح عسكره ونهب اصطخر ثم ظفرت جيوشه بمحمد وأسره وحبسه بكرمان، فأقام بها ثم بعث إلى أحمد بن عبد العزيز بن أبي دُلف وهو بأصبهان يطلبه بالمال. فبعث إليه بالأموال، وبعث عمرو إلى الموفق بثلاثمائة ألف دينار، وبخمسين مَنّامن المسك ومثلها من العنبر ومائتين من العود، وثلثمائة ثوب من الوشي ومن آنية الذهب والفضة والدواب والغلمان قيمة مائة ألف دينار.

واستأذنه في غزو محمد بن عبيد الكردي رامهرمز فأذن له فبعث قائدا من جيشه إليه فأسره وجاء به إلى عمرو. ثم عزل المعتمد سنة احدى وستين(٢٤٨) و"مائتين"(٨٧٤م) عمرو بن الليث عما كان قلّده من الأعمال). جـ٣،ص٣٣٢.

في ذكر فتنة أهل الموصل مع الخوارج. قال ابن خلدون:ـ (قد تقدم لنا أن هارون بن سليمان كان على الشراة من الخوارج، وكان بنو شيبان(٢٤٩) يقاتلونهم ويغيرون على الموصل. فلما كانت سنة تسع وسبعين و"مائتين"(٨٩٢م) جاء بنو شيبان لذلك وأغاروا على سوى(٢٥٠) وغيرها من الأعمال، فاجتمع هارون الشاري في الخوارج، وحمدان بن حمدون التغلبيُّ على مدافعتهم. وكان مع بنى شيبان هارون بن سيما مولى أحمد بن عيسى بن الشيخ الشيباني بعثه محمد بن اسحاق بن كِنداجُق والياً على الموصل عندما مات أبوه اسحاق وولّيَ مكانه على أعماله بالموصل وديار ربيعة فلم يرضهُ أهل الموصل وطردوه، فسار إلى بنى شيبان مستنجدا بهم، فلما التقى الجمعان انهزم بنو شيبان أوّلاً، واشتغل أصحاب حمدان والخوارج بالنهب، فكرّ عليهم بنو شيبان وظفروا بهم وكتب هارون بن سيما إلى محمد ابن اسحاق بن كنداجق يستمده، فسار بنفسه وخشيه أهل الموصل، فسار بعضهم إلى بغداد يطلبون عاملا يكفيهم أمر ابن كنداجق ومرّوا في طريقهم بمحمد بن يحيى المجروح الموكل بحفظ الطريق فألفوه وقد وصل إليه بولاية العهد، الموصل فبادر وملكها، وتواثق ابن كنداجق في مكانه وبعث إلى خمارويه بالهدية، ويسأل إمارة الموصل كما كان من قبل، فلم يجبه إلى ذلك ثم عزل المجروح وولّى بعده علي بن داود الكردي(٢٥١)).جـ٣،ص٣٣٥.

في ذكر الولايات بالنواحي أيام المعتز. قال ابن خلدون:ـ (كانت الفتنة قد ملات نواحي الدولة من أطرافها وأوساطها، واستولى بنو سامان على ما وراء النهر، والصفّار على سجستان وكرمان، وملك فارس من يد عمال الخليفة، وانتزع خراسان من بني طاهر وكلهم مع ذلك يقيمون دعوة الخليفة. وغلب الحسن بن زيد(٢٥٢) على طبرستان وجرجان(٢٥٣) منازعاً بالدعوة ومحارباً بالديلم لابن سامان والصفّار وعساكر الخليفة باصبهان واستولى صاحب الزنج على البصرة والاُبلَة(٢٥٤) إلى واسط وكور دجلة منازعا للدعوة ومشاققا ،وأضرم تلك النواحي فتنة. ولم يزل الموفق في محاربته حتى حسم علّته وقطع أثره واضطرمت بلاد الموصل والجزيرة فتنة بخوارج السراة وبالقرب من بنى شيبان وتغلب بالأكراد، واستولى ابن طولون على مصر والشام مقيما لدعوة الخلافة العباسية،..........وفى

سنة ثمان وخمسين و"مائتين"(٨٧١م) قُتل منصور بن جعفر الخياط في حرب الزنج وولّى يارجوج(٢٥٥) على أعمال منصور، فولّى عليها اصطيخور، وهلك في حرب الزنج، وعقد المعتمد للموفق على ديار مصر وقنسرين(٢٥٦) والعواصم. وبعثه لحرب الزنج ومعه مُفلح، فهلك في تلك الحرب. وعقد المعتمد على الموصل والجزيرة لمسرور البلخي فكانت بينه وبين مساور الشيباني حروب، وكذلك بين الأكراد واليعقوبية وأوقع بهم كما مرّ، وفيها رجع أحمد بن واصل إلى طاعة السلطان وسلّم فارس للحسن بن الفياض،.........،وفيها ولّى علي بن الليث على الشرطة ببغداد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر، وعلى اصبهان أحمد بن عبد العزيز بن أبي دُلف، وعلى الحرمين وطريق مكة محمد بن أبى الساج. وولّى الموفق على الجزيرة أحمد بن موسى بن بغا، فولّى من قبله على ديار ربيعة(٢٥٧) موسى بن أتامش، فغضب لذلك اسحاق بن كنداجق(٢٥٨)، وفارق عسكر موسى، وسار إلى بلد(٢٥٩) وأوقع بالأكراد اليعقوبية. ثم لقى ابن مساور الخارجي فقاتله. وسار إلى الموصل وطلب من أهلها المال، وخرج علي بن داود لقتاله مع اسحاق بن أيوب وحمدان بن حمدون وكانت بينهم حروب أخرها المعتمد لاسحاق بن كنداجق على الموصل،.........،وفى سنة ثمان وستين و"مائتين"(٨٨١م) كان مقتل الخجستاني(٢٦٠) واتفق وأصحابه بعده على رافع بن هرثمة من قوّاد بني طاهر، وملك بلاد خراسان وخوارزم(٢٦١). وفيها انتقض محمد بن اليث بفارس على أخيه عمرو فسار إليه وهزمه واستباح عسكره، وملك اصطيخور وشيراز وظفر به فحبسه كما مرّ وفيها كانت وقعة بين اتكوتكين بن اساتكين(٢٦٢) وبين أحمد بن عبد العزيز ابن أبي دُلف، فهزمه اتكوتكين وغلبه على قم. وفيها بعث عمرو بن الليث عسكراً إلى محمد بن عبد الله الكردي(٢٦٣). وفيها انتقض لؤلؤ على مولاه أحمد بن طولون(٢٦٤)، وسار إلى الموفق وقاتل معه الزنج،..........،وفى سنة تسع وسبعين و"مائتين"(٨٩٢م) خلع جعفر بن المعتمد(٢٦٥) وقدم عليه المعتضد، وكانت الحرب بين الخوارج وأهل الموصل، وبين بني شيبان. وعلى بني شيبان

هارون بن سيما من قبل محمد بن اسحاق بن كنداج ولاّه عليها فطرده أهلها، فزحف إليهم مع بني شيبان ودافع عن أهل الموصل هارون الشاري وحمدان بن حمدون، فهزمهم بنو شيبان، وخاف أهل الموصل من ابن سيما وبعثوا إلى بغداد يطلبون واليا ًفولّى المعتمد عليهم محمد بن يحيى المجروح الموكل بحفظ الطريق، وكان ينزل الحديثة فأقام بها أياما ثم استبدل منه بعلي بن داود الكردي). جـ٣،ص٣٣٧ـ٣٣٨ـ٣٤٠ـ٣٤٢ـ٣٤٤.

في ذكر هزيمة هارون الشاري ومهلكه.

قال ابن خلدون:ـ (وكتب المعتضد إلى بدر مولاه بطلب بكر بن عبد العزيز وحربه. فأمر بذلك عيسى النوشري(٢٦٦) فقام به ولقي بكرا بنواحي اصبهان، فهزمه بكر، ثم عاد النوشري لقتاله سنة أربع وثمانين و"مائتين"(٨٩٧م)، فهزمه بنواحي اصبهان واستباح عسكره. ولجأ بكر إلى محمد بن زيد العلوي بطبرستان، وهلك بها سنة خمس وثمانين و"مائتين"(٨٩٨م)، وكان عمر لما مات أبوه قبض على أخيه الحارث ويكنى أبا ليلى، وحبسه في قلعة ردّ(٢٦٧)، ووكل به شفيعا ًالخادم. فلما جاء المعتضد واستأمن عمر وهرب بكر وبقيت القلعة بيد شفيع بأموالها،

رغب إليه الحارث في إطلاقه فلم يفعل، وكان شفيع يسامره كل ليلة وينصرف، فحادثه ليلة ونادمه، وقام شفيع لبعض حاجته، فجعل الحارث في فراشه تمثالاً وغطّاه وقال لجاريته قولي لشفيع إذا عاد هو نائم ومضى. فاختفى في الدار، وفك القيد عن رجله بمبرد أُدخل إليه وبرد به مسماره. ولما أُخبر شفيع بنومه مضى إلى مرقده، وقصده أبو ليلى على فراشه فقتله، وأمر أهل الدار واجتمع عليه الناس فاستحلفهم ووعدهم، وجمع الأكراد وغيرهم وخرج من القلعة ناقضا للطاعة. فسار إلى عيسى النوشري وحاربه فأصاب أبا ليلى منهم سهم فمات وحمل رأسهُ إلى اصبهان ثم إلى بغداد).جـ٣،ص٣٤٧ـ٣٤٨.

في ذكر ابتداء دولة بني حمدان(٢٦٨). قال ابن خلدون:ـ (وفى سنة ثنتين وتسعين(٢٦٩) و"مائتين"(٩٠٤م) عقد المكتفي(٢٧٠) على الموصل وأعمالها لأبي الهيجاء عبد الله بن حمدان بن حمدون العدوي التغلبي(٢٧١)، فقدمها أول المحرم، وجاء الصريخ من نينوى بأن الأكراد الهدبانية ومقدّمهم محمد بن سلال(٢٧٢) قد اغاروا على البلاد وعاثوا، فخرج في العساكر وعبر الجسر إلى الجانب الشرقي. ولقيهم على الحادر(٢٧٣) فقاتلهم وقتل من قوّاد سليمان الحمداني(٢٧٤) ورجع عنهم، وبعث إلى الخليفة يستمده فأبطأ عليه المدد إلى ربيع من سنة أربع، فلما جاءه المدد سار إلى الهدبانية وهم مجتمعون في خمسة آلاف بيت فارتحلوا أمامه واعتصموا بجبل السلق(٢٧٥) المشرف على الزاب، فحاصرهم وعرفوا حقه فخذله أميرهم محمد بن سلال بالمراسلة في الطاعة والرهن وحث أصحابه خلال ذلك في المسير إلى أذربيجان، واتبعهم أبو الهيجاء فلحقهم صاعدا إلى جبل القنديل(٢٧٦)، فنال منهم وامتنعوا بذروته. ورجع أبو الهيجاء عنهم فلحقوا بأذربيجان، ووفد أبو الهيجاء على المُكتفي فانجده بالعسكر وعاد إلى الموصل. ثم سار إلى الأكراد بجبل السلق فدخله وحاصرهم بقنّته، وطال حصارهم واشتدّ البرد وعدمت الأقوات، وطلب محمد بن سلال النجاة بأهله وولده، فنجا واستولى ابن حمدان على أموالهم وأهليهم وأمَّنهم. ثم استأمن محمد بن سلال فأمَّنه وحضر عنده وأقام بالموصل وتتابع الأكراد الحميدية مستأمنين، واستقام أمر أبى الهيجاء بالموصل، ثم انتقض سنة إحدى وثلثمائة(٩١٣م)، فبعث إليه المقتدر(٢٧٧) مؤنسا الخادم، فجاء بنفسه مستأمنا، ورجع به إلى بغداد، فقبله المقتدر وأكرمه.

وبقى ببغداد إلى أن انتقض أخوه الحسين بديار ربيعة سنة ثلاث وثلثمائة(٩١٥م)، وسارت العساكر فجاؤا به أسيرا.فحبس المقتدر عند ذلك أبا الهيجاء وأولاده، وجمع إخوته بداره ثم أطلقهم سنة خمس وثلثمائة(٩١٧م)). جـ٣،ص٣٥٥.

في ذكر الصوائف(٢٧٨) أيام المقتدر. قال ابن خلدون:ـ (وفى سنة خمس عشرة و"ثلاثمائة"(٩٢٧م) دخلت سرية من طرسوس(٢٧٩) إلى بلاد الروم، فأوقع بهم الروم وقتلوا أربعمائة رجل صبراً،وجاء الدمستق في عساكر من الروم إلى مدينة دبيل، وبها نصر ألسبكي فحاصرها وضيَّق مخنقها واشتد في قتالها حتى نقب سورها ودخل الروم إليها، ودفعهم المسلمون فأخرجوهم وقتلوا منهم بعد أن غنموا ما لا يحصى وعاثوا في أنعامهم، فغنموا من الغنم ثلثمائة ألف رأس فأكلوها.

وكان رجل من رؤساء الأكراد يعرف بالضحاك في حصن له يعرف بالجعبري(٢٨٠)،فتنصر وخدم ملك الروم فلقيه المسلمون في سنة الغزاة

فأسروه وقتلوا من معه). جـ٣،ص٣٨٣ـ٣٨٥.

في ذكر الولايات على النواحي أيام المقتدر.

قال ابن خلدون:ـ (كان باصبهان عبد الله بن إبراهيم ألمسمعي(٢٨١) عاملا عليها، خالف لأول ولاية المقتدر وجمع من الأكراد عشرة آلاف، وأمر المقتدر بدرا ألحمامي(٢٨٢) عامل اصبهان بالمسير إليه. فسار إليه في خمسة آلاف من الجند وأرسل من يخوّفه عاقبة المعصية، فراجع الطاعة وسار إلى بغداد واستخلف على اصبهان. وكان على اليمن المظفر بن هاج. ففتح ما كان غلب عليه ألحرثي باليمن وأخذ ألحاتمي من أصحابه. وكان على الموصل أبو الهيجاء بن حمدان، وسار أخوه الحسين بن حمدان(٢٨٣) وأوقع بأعراب كلب وطي(٢٨٤)، وأسر سنة أربع وتسعين و"مائتين"(٩٠٦م). ثم سار الى الأكراد المتغلبين على نواحي الموصل سنة خمس وتسعين و"مائتين"(٩٠٧م) فاستباحهم وهربوا إلى رؤوس الجبال. وخرج بالحاج في سنة أربع وتسعين و"مائتين"(٩٠٦م) رصيف بن سوارتكين(٢٨٥) فحصره أعراب طي بالقتال وأوقعهم فهزمهم، ومضى إلى وجهه. ثم أوقع بهم هنالك الحسن ابن موسى فأثخن فيهم،............، وفى سنة تسع و"ثلاثمائة"(٩٢١م) ولى المقتدر على حرب الموصل ومعونتها محمد بن نصر الحاجب(٢٨٦)، فسار إليها وأوقع بالمخالفين من الأكراد المادرانية(٢٨٧). وفيها ولى داود بن حمدان(٢٨٨) على ديار ربيعة. وفي سنة عشر عقد ليوسف بن أبي الساج على الري و قزوين(٢٨٩) وابهر(٢٩٠) وزنجان(٢٩١) وأذربيجان على تقدير العلوية كما مرّ. وفيها قبض المقتدر على أم موسى القهرمانة(٢٩٢)،لأنها كانت كثيرة المال، وزوّجت بنت أختها من بعض ولد المتوكل(٢٩٣)، كان مرشحا للخلافة، وكان محسنا فلما صاهرته أوسعت في الشوار واليسار والعرس، وسعى بها إلى المقتدر إنها استخلصت القوّاد، فقبض عليها وصادرها على أموال عظيمة، وجواهر نفيسة. وفيها قتل خليفة نصر بن محمد الحاجب بالموصل، قتله العامة، فجهز العساكر من بغداد، وسار إليها. وفي سنة إحدى عشرة و"ثلاثمائة"(٩٢٣م) ملك يوسف بن أبي الساج الري من يد أحمد بن على صعلوك، وقتله المقتدر، وقد مرّ خبره. وفيها ولّى المقتدر بُني بن قيس على حرب اصبهان، وولّى محمد بن بدر المعتضدي على فارس مكان ابنه بدر عند ما هلك. وفي سنة اثنتي عشرة و"ثلاثمائة"(٩٢٤م) ولّى على اصبهان يحيى الطولوني، وعلى المعاون والحرب بنهاوند سعيد بن حمدان. وفيها توفي محمد بن نصر الحاجب صاحب الموصل، وتوفي شفيع اللؤلؤي صاحب البريد، فولّى مكانه شفيع المقتدري. وفى سنة ثلاث عشرة و"ثلاثمائة"(٩٢٥م) فتح إبراهيم المسمعي عامل فارس ناحية القفص(٢٩٤) من حدود كرمان، وأسر منهم خمسة آلاف. وكان في هذه السنة ولّى على الموصل أبا الهيجاء عبد الله بن حمدان. وابنه ناصر الدولة خليفة فيها، فأفسد الأكراد والعرب بأرض الموصل وطريق خراسان وكانت إليه، فكتب إليه ابنه ناصر الدولة سنة أربع عشرة و"ثلاثمائة"(٩٢٦م) بالانحدار إلى تكريت للقائه، فجاءه في الحشد وأوقع بالعرب والأكراد الجلالية وحسم علتهم). جـ٣،ص٣٨٥ـ٣٨٧ـ٣٨٨.

في ذكر دخول أذربيجان في طاعة وشمكير(٢٩٥) "سنة ست وعشرين وثلاثمائة(٩٣٧م)". قال ابن خلدون:ـ (كان من عمال وشمكير على أعمال الجبل لشكري

بن مـردي، وكان مجاورا لأعمال اذربيجان، وعليها يومئذ ديسم بن إبراهيم الكردي(٢٩٦) من أصحاب ابن أبي الساج. فحدثت لشكري نفسه بالتغلب عليها، فجمع وسـار إليها وخرج إليه ديسم فانهزم، فاستولى على سائر بـلاده إلا أردبـيـل، وهـى كرسي أذربيجان. فحاصرها لشكري وضيق حصارها فراسلوا ديسم بالمشي لقتال لشكري من ورائه. ففعل وجاءه يوم قتالهم من خلف فانهزم لشكري إلى موقان(٢٩٧)، فأعانه اصبهبذها ابن دولة. وسار معه نحو ديسم، فانهزم ديسم وقصد وشمكير بالري، واستمده على أن يدخل في طاعته ويضمن له مالا في كل سنة فأجابه). جـ٣،ص٤٠٤.

في ذكـر مقتل بجـكـم(٢٩٨) "سـنـة تسع وعشرين وثلاثمائة(٩٤٠م)".قال ابن خلدون:ـ (كان أبو عبد الله البريدي(٢٩٩) بعد هربه إلى البصرة من واسط أنفذ جيشا إلى المدار، فبعث إلى لقائهم جيشا من واسـط عليهم تـورون(٣٠٠) انتخب له الكرة، فظفر بجيش ابن البريدي ولقي بجكم خبره في الطريق، فسرّ بذلك وذهب يتصيّد فبلغ نهر جور(٣٠١) وعثر في طريقه ببعض الأكراد فشره لغزوهم وقصدهم في خفّ من أصحابه، وهربوا بين يديه وهـو يرشقهم بسهامه. وجـاءه غلام منهم من خلفه فطعنه فقتله. واختلف عسكره فمضى الديلم فكانوا ألفا وخمسمائة إلى ابن البريدي. وقد كان عزم على الهرب من البصرة فبعث لقدومهم وضاعف أرزاقهم وأدرّهـا عليهم. وذهـب الأتــراك إلى واسط وأطلقوا تكينك(٣٠٢) من حبسه وولّوه عليهم فسار بهم إلى بغداد في خدمة المتقى وحصر ما كان في داربجكم من الأموال والدواوين، فكانت ألف ومائة ألف دينار ومـدة إمارته سنتان وثمانية أشهر).جـ٣،ص٤٠٨ـ٤٠٩.

في ذكر استيلاء الديلم على أذربيجان "سنة ثلاثين وثلاثمائة(٩٤١م)" قال ابن خلدون:ـ (
كانت أذربيجان بيد ديسم بن أبراهيم الكردي من أصحاب يوسف بن أبي الساج، وكان أبوه من أصحاب هارون الشاري من الخوارج. ولما قتل هارون لحق بأذربيجان وشرد في الأكراد فولد له ديسم هذا فكبر وخدم ابن أبي الساج، وتقدم عنده إلى أن ملك بعدهم أذربيجان. وجاء السيكري خليفة وشمكير في الجبل سنة ست وعشرين و"ثـلاثمـائـة"(٩٣٧م) وغلبه على أذربيجان. ثم سار هو إلى وشمكير وضمن له طاعة ومالاً، واستمدَّهُ فأمدَّهُ بعسكر من الديلم وساروا معه، فغلب السيكري، وطرده وملك البـلاد، وكـان معظم جيشه الأكـراد فتغلبوا على بعض قلاعه فاستكثر من الديلم وفيهم صعلوك بن محمد بن مسافر بن الفضل وغيرهما، فاستظهر بهم وانتزع من الأكـراد ما تغلبوا عليه،وقبض على جماعة من رؤسائهم. وكان وزيره أبو القاسم علي بن جعفر قد ارتاب منه، فهرب إلى الطرم(٣٠٣) وبها محمد بن مسافرمن أمراء الديلم، وقد انتقض عليه ابناه وهشودان(٣٠٤) والمرزبان، واستوليا على بعض قلاعه، ثم قبضا على أبيهما محمد وانتزعا أمواله وذخائره وتركاه في حصنه سليباً فريداً.فقصد علي بن جعفر المرزبان وأطمعه في أذربيجان، فقلده وزارته وكانت نحلتهما في التشيع واحـدة، لان على بن جعفر كان من الباطنية والمرزبان من الديلم وهم شيعة. وكاتب علي ابن جعفر أصحاب ديسم واستمالهم واستفسدهم عليه، وخصوصا الديلم ثم التفتوا للحرب وجاء الديلم إلى المرزبان واستأمن معهم كثير من الأكـراد وهرب ديسم في فَلّ من أصحابه إلى

أرمينية واستجار بجاحق بن الديواني فأجاره وأكرمه، وندم على ما فرط في إبعاد الأكراد وهم على مذهبه في الخارجية. وملك المرزبان أذربيجان واستولى عليها. ثم استوحش منه علي بن جعفر وزير ديسم وتنكر له أصحاب المرزبان، فأطمعه المرزبان فأخذ أموالهم وحملهم على طاعة ديسم).جـ٣،ص٤١٢.

في ذكر ملك عضد الدولة(٣٠٥) بغداد وقتل بختيار(٣٠٦). قال ابن خلدون:ـ (ولما انصرف عضد الدولة إلى فارس كما ذكرناه، أقام بها قليلاً ثم مات أبوه ركن الدولة(٣٠٧) سنة ست وستين و"ثلاثمائة"(٩٧٦م) بعد أن رضي عنه وعهد له بالملك كما نذكره في خبره. فلما مات شرع بختيار ووزيره ابن بقية في استمالة أهل أعماله مثل أخيه فخر الدولة(٣٠٨) وحسنويه الكردي(٣٠٩)،وطلب ابن حمدان وعمران بن شاهين(٣١٠) في عدوانه فسار عضد الدولة لطلب العراق،واستمدّ حسنويه وابن حمدان فواعداه ولم يبعداه فسار إلى الأهواز ثم سار إلى بغداد،ولقيه بختيار فهزمه عضد الدولة واستولى على أمواله وأثقاله).جـ٣،ص٤٢٩.

في ذكر ابتداء دولة باذ وبني مروان(٣١١)"الكوردي" بالموصل. قال ابن خلدون:ـ (قد تقدم لنا إن عضد الدولة استولى على ملك بني حمدان بالموصل سنة سبع وستين و"ثلاثمائة"(٩٧٧م)، ثم استولى على ميافارقين(٣١٢) وآمد وسائر ديار بكر من أعمالهم، وعلى ديار مضر(٣١٣) أيضا َمن أعمالهم سنة ثمان وستين و"ثلاثمائة"(٩٧٨م)، وولّى عليها أبا الوفاء من قوّاده، وذهب ملك بني حمدان من هذه النواحي. وكان في ثغور ديار بكر جماعة من الأكراد الحميدية مقدمهم أبو عبد الله الحسين بن دوشتك، ولقبه باذ(٣١٤)، وكان كثير الغزو بتلك البلاد وإخافة سُبُلها.

وقال ابن الأثير حدثني بعض أصدقائنا من الأكراد الحميدية أن اسمه باذ وكنيته أبو شجاع وان الحسين هو أخوه وان أول أمره انه ملك أرجيش(٣١٥) من بلاد أرمينية). جـ٣،ص٤٣١ـ٤٣٢.

في ذكر مقتل صمصام الدولة(٣١٦). قال ابن خلدون:ـ (كان صمصام الدولة بن عضد الدولة مستولياً على فارس كما ذكرناه، وكان أبو القاسم وأبو نصر ابنا بختيار محبوسين ببعض قلاع فارس فجرّد الموكلين بهما في القلعة وأخرجوا عنها، واجتمع إليهما من الأكراد.

وكان جماعة من الديلم استوحشوا من صمصام الدولة لما أسقطهم من الديوان فلحقوا بابني بختيار، وقصدوا أرجان، وتجهز صمصام الدولة إليهم وكان أبو على بن استاذ هرمز(٣١٧) مقيماً بفسا فثار به الجند، وحبسه ابنا بختيار، ثم نجا، وقصد صمصام الدولة القلعة التي على شيراز ليمتنع فيها إلى أن يأتيه المدد فلم يمكنه أن يأتيها من ذلك، وأشار عليه باللحاق بأبي على بن أستاذ هرمز أو بالأكراد، وجاءته منهم طائفة فخرج معهم بأمواله فنهبوه وسار إلى الدودمان على مرحلتين من شيراز.

وجاء أبو النصر بن بختيار إلى شيراز فقبض صاحب الدودمان على صمصام الدولة، وأخذه منه أبو نصروقتله في ذي الحجة سنة ثمان وثمانين و"ثلاثمائة"(٩٩٨م) لتسع سنين من إمارته على فارس).جـ٣،ص٤٣٦ـ٤٣٧.

في ذكر انقراض دول وابتداء أخرى في النواحي.قال ابن خلدون:ـ (وفي سنة ثمانين"وثلاثمائة"(٩٩٠م) ابتدأت دولة بني مروان"الكوردي" بديار بكر بعد مقتل

خالهم باذ، وقد مرّ ذكره. وفي سنة اثنتين وثمانين و"ثلاثمائة"(٩٩٢م) انقرضت دولة بني حمدان بالموصل وابتدأت دولة بني المسيب من عقيب كما نذكرها. وفى سنة أربع وثمانين و"ثلاثمائة"(٩٩٤م) انقرضت دولة بني سامان من خراسان وابتدأت دولة بني سبكتكين(٣١٨) فيها، وفي سنة تسع وثمانين و"ثلاثمائة"(٩٩٨م) انقرضت دولة بني سامان مما وراء النهر وانقسمت بنو سبكتكين ومَلكَ الخاقان ملك الترك. وفي سنة ثمان وثمانين و"ثلاثمائة"(٩٩٨م) ابتدأت دولة بني حسنويه الأكراد بخراسان(٣١٩).وفي سنة تسع وتسعين و"ثلاثمائة"(١٠٠٨م) كان ابتداء دولة بني صالح بن مرداس من بني كلاب بحلب كما نستوفي سياقة أخبارهم في دولهم منفردة كما شرطناه).جـ٣،ص٤٣٨.

في ذكر ظهور بني مزيد(٣٢٠). قال ابن خلدون:ـ (وفي سنة سبع وثمانين و"ثلاثمائة"(٩٩٧م) خرج أبو الحسن علي بن مزيد(٣٢١) في قومه بني أسد. ونقض طاعة بهاء الدولة(٣٢٢) فبعث إليه العساكر فهرب أمامهم وأبعد حتى امتنع عليهم.

ثم بعث في الصلح والاستقامة وراجع الطاعة. ثم رجع إلى انتقاضة سنة اثنتين وتسعين و"ثلاثمائة"(١٠٠١م)،واجتمع مع قرواش بن المقلد(٣٢٣) صاحب الموصل وقومه بني عقيل فحاصروا المدائن. ثم بعث إليهم أبو جعفر الحجاج(٣٢٤) وهو نائب بغداد العساكر فدفعوهم عنها، وخرج الحجاج، واستنجد خفاجة فجاء من الشام وقاتل بني عقيل وبني أسد فهزموه.

ثم خرج إليهم ولقيهم بنواحي الكوفة فهزمهم وأثخن فيهم بالقتل والأسر، واستباح ملك بني مزيد، وظهر في بغداد في مغيب أبي جعفر من الفتة والفساد والقتل والنهب ما لا يحصى فكان ذلك السبب في أن بعث بهاء الدولة أبا علي بن جعفر أستاذ هرمز كما مرّ، ولقبه عميد الجيوش فسكن الفتنة وأمن الناس. ولما عزل أبو جعفر أقام بنواحي الكوفة، وارتاب به أبو علي فجمع الديلم والأتراك وخفاجة وسار إليه، واقتتلوا بالنعمانية(٣٢٥) وذلك سنة ثلاث وتسعين و"ثلاثمائة"(١٠٠٢م) فانهزم أبو جعفر وسار أبو علي إلى خوزستان ثم إلى السوس فعاد أبو جعفر إلى الكوفة ورجع أبو علي في أتباعه فلم تزل الفتنة بينهما، وكل واحد منهما يستنجد ببني عقيل وبني أسد وخفاجة، حتى أرسل بهاء الدولة عن أبي علي وبعثه إلى البطيحة(٣٢٦) لفتنة بني واصل كما نذكره في دولتهم.

ولما كانت سنة سبع وتسعين و"ثلاثمائة"(١٠٠٦م) جمع أبو جعفر وسار لحصار بغداد، وأمدَّه ابن حسنويه أمير الأكراد، وذلك أَنّ عميد الجيوش ولّى على طريق خراسان أبا الفضل بن عنّان وكان عدوّ البدر بن حسنويه(٣٢٧) فارتاب لذلك، واستدعى أبا جعفر، وجمع له جموعا من أمراء الأكراد، منهم هندي بن سعد(٣٢٨) وأبو عيسى شادي بن محمد، ورزام بن محمد.

وكان أبو الحسن علي بن مزيد الاسدي انصرف عن بهاء الدولة مُغاضبا له فسار معهم، وكانوا عشرة آلاف وحاصروا بغداد وبها أبو الفتح بن عنان(٣٢٩) شهراً .ثم جاءهم الخبر بانهزام ابن واصل بالبطيحة الذي سار عميد الجيوش إليه فافترقوا وعاد ابن مزيد إلى بلده، وسار أبو جعفر إلى حلوان، وأرسل بهاء الدولة في الطاعة، وحضر عنده بتستر فأعرض عنه رغبا لعميد الجيوش).جـ٣،ص٤٣٨ـ٤٣٩.

في ذكر الخبر عن وحشة الأكراد وفتنة

الكوفة"سنة خمس عشرة واربعمائة(١٠٢٤م)".

قال ابن خلدون:ـ (كان الأثير عنبر الخادم مستوليا في دولة مشرف الدولة(٣٣٠) الوزير أبي القاسم المغربي عديله في حملها فنقم الأتراك عليهما، وطلب من مشرف الدولة الخراج من بغداد خوفاً على انفسهما فخرج معهما غضباً على الأتراك، ونزلوا على قرواش بالسندي(٣٣١). واستعظم الأتراك ذلك، وبعثوا بالاعتذار والرغبة.

وقال أبو القاسم المغربي دخل بغداد إنما هو أربعمائة ألف، وخرجها ستمائة فاتركوا مائة وأحتمل مائة فأجابوه إلى ذلك خداعاً.وشعر بوصولهم فهرب لعشرة أشهر من وزارته). جـ٣،ص٤٤٢.

في ذكر قدوم جلال الدولة(٣٣٢) إلى بغداد.

قال ابن خلدون:ـ (ولما رأى الأتراك اختلال الأحوال، وضعف الدولة بفتنة العامة، وتسلط العرب والأكراد بحصار بغداد، وطمعهم فيها، وأنهم بقوا فوضى، وندموا على ما كان منهم في ردّ جلال الدولة اجتمعوا إلى الخليفة يرغبون إليه أن يحضر جلال الدولة من البصرة ليقيم أمر الدولة، فبعث إليه القاضي أبا جعفر السمناني(٣٣٣) بالعهد عليه، وعلى القواد فسار جلال الدولة إلى بغداد في جمادي من سنة ثمان عشرة و"اربعمائة"(١٠٢٧م)). جـ٣،ص٤٤٣.

في ذكر مسير جلال الدولة إلى الأهواز. قال ابن خلدون:ـ (كان نورالدولة(٣٣٤) دبيس بن علي بن مزيد صاحب الحلة، ولم تكن الحلة يومئذ بمدينة، قد خطب لأبي كاليجار(٣٣٥) لمضايقة المقلّد بن أبي الأغر الحسن بن مزيد، وجمع عليه منيعا أمير بني خفاجة(٣٣٦) وعساكر بغداد فخطب هو لأبي كاليجار، واستدعاه لملك واسط، وبها الملك العزيز ابن جلال الدولة فلحق بالنعمانية وتركها، وضيق عليه نور الدولة من كل جهة فتفرق ناس من أصحابه وهلك الكثير من أثقاله.

واستولى أبو كاليجار على واسط، ثم خطب له في البطيحة، وأرسل إلى قرواش صاحب الموصل، وعنده الأثير عنبر يستدعيهما إلى بغداد فانحدر عنبر إلى الكحيل(٣٣٧) ومات به.

وقعد قرواش، وجمع جلال الدولة عساكره ببغداد، واستمد أبا الشوك(٣٣٨) وغيره، وانحدر إلى واسط، وأقام هنالك من غير قتال، وضاقت عليه الاحوال.

واعتزم أبو كاليجار على مخالفته إلى بغداد، وجاءه كتاب أبي الشوك بزحف عساكر محمود بن سبكتكين إلى العراق، ويشير بالصلح والاجتماع لمدافعتهم فأنفذ أبو كاليجار الكتاب لجلال الدولة فلم ينته عن قصده، ودخل الأهواز فنهبها، وأخذ من دار الإمارة مائتي ألف دينار. واستباح العرب والأكراد سائر البلد، وحمل حريم كاليجارإلى بغداد سُبيّاً فماتت أمه في الطريق. وسار أبو كاليجار لاعتراض جلال الدولة، وتخلف عنه دبيس لدفع خفاجة عن أصحابه، واقتتلوا في ربيع سنة إحدى وعشرين و"اربعمائة"(١٠٣٠م) ثلاثة أيام فانهزم أبو كاليجار، وقتل من أصحابه ألفان، ودبيس لما فارق أبا كاليجار وصل إلى بلده).جـ٣،ص٤٤٤.

في ذكر وثوب الجند بجلال الدولة وخروجه من بغداد. قال ابن خلدون:ـ (ثم جاء الأتراك سنة ست وعشرين(٣٣٩) و"اربِعمائة"(١٠٣٤م) إلى جلال الدولة فنهبوا داره وكُتبه ودواوينه، وطلبوا الوزير أبا اسحاق السهيلي(٣٤٠) فهرب إلى حلة غريب بن مكين، وخرج جلال الدولة إلى عكبرا وخطبوا ببغداد لأبي كاليجار وهو بالأهواز، واستقدموه فأشار عليه بعض

أصحابه بالامتناع فاعتذر إليهم فأعادوا لجلال الدولة. وساروا إليه معتذرين، وأعادوه بعد ثلاثة وأربعين يوماً. واستوزر أبا القاسم بن ماكولا(٣٤١)، ثم عزله واستوزر عميد الملك أبا سعيد عبد الرحيم ثم أمره بمصادرة أبي المعمر بن الحسين البساسيري(٣٤٢) فاعتقله في داره، وجاء الأتراك لمنعه فضربوا الوزير ومزّقوا ثيابه وأدموه. وركب جلال الدولة فأطفأ الفتنة وأخذ من البساسيري ألف دينار وأطلقه، واختفى الوزير. ثم شغب الجند ثانيا ًفي رمضان، وأنكروا تقديم الوزير أبي القاسم من غير علمهم، وانه يريد التعرض لأموالهم فوثبوا به ونهبوا داره وأخرجوه إلى مسجد هنالك فوكلوا به فوثب العامّة مع بعض القواد من أصحابه فأطلقوه، وأعادوه إلى داره، وذهب هو في الليل إلى الكرخ(٣٤٣) بحرمه ووزيره أبو القاسم معه. واختلف الجند في أمره وأرسلوا إليه بأن يملكوا بعض أولاده الاصاغر، وينحدر هو إلى واسط، وهو في خلال ذلك يستميلهم حتى فرّق جماعتهم، وجاء الكثير إليه فأعادوه إلى داره، واستخلف البساسيري في جماعة للجانب الغربي سنة خمس وعشرين و"اربعمائة"(١٠٣٣م) لاشتداد أمر العيّارين ببغداد، وكثرة الهرج، وكفايته هو ونهضته.

ثم عاد أمر الخلافة و السلطنة إلى أن اضمحل وتلاشى، وخرج بعض الجند إلى قرية فلقيهم أكراد وأخذوا دوابهم وجاؤوا إلى بستان القائم فتعللوا على عماله بأنهم لم يدفعوا عنهم، ونهبوا ثمرة البستان وعجز جلال الدولة عن عتاب الأكراد وعقاب الجند، وسخط القائم أمره وتقدّم إلى القضاة والشهود والفقهاء بتعطيل المراتب الدينية فرغب جلال الدولة من الجند أن يحملهم إلى ديوان الخلافة). جـ٣،ص٤٤٦.

<u>في ذكر ابتداء دولة السلجوقية. قال ابن خلدون</u>:ـ (واجتمع صاحب طبرستان وصاحب الري مع قائد مسعود، وقاتلوهم فهزمهم الغز وفتكوا فيهم وقصدوا الري فملكوه، وهرب صاحبه إلى بعض قلاعه فتحصن بها، وذلك سنة ست وعشرين وأربعمائة(١٠٣٤م). واستلفهم علاء الدولة بن كالويه(٣٤٤) ليدافع بهم ابن سبكتكين(٣٤٥) فأجابوه أولا ،ثم انتقضوا.

وأما الذين قصدوا أذربيجان منهم، ومقدموهم بوقا وكوكباش(٣٤٦) ومنصور ودانا فاستألفهم وهشودان ليستظهر بهم فلم يحصل على بغيته من ذلك. وساروا إلى مراغة سنة تسع وعشرين و"اربعمائة"(١٠٣٧م) فاستباحوها، ونالوا من الأكراد الهديانية"الهذبانية" فحاربوهم وغلبوهم وافترقوا فرقتين، فرجع بوقا إلى أصحابهم الذين بالري، وسار منصور وكوكباش إلى همذان، وبها أبو كاليجار بن علاء الدولة بن كالويه فظاهرهم على حصاره متي خسرو بن مجد الدولة. فلما جهد الحصار لحق باصبهان وترك البلد فدخلوها واستباحوها، وفعلوا في الكرخ(٣٤٧) مثل ذلك وحاصروا قزوين حتى أطاعوهم وبذلوا لهم سبعة آلاف دينار. وسار طائفة منهم إلى بلد الأرمن فاستباحوها وأثخنوا فيها، ورجعوا إلى أرمينية. ثم رجعوا من الري إلى حصار همان، فتركها أبو كاليجار وملكوها سنة ثلاثين و"اربعمائة"(١٠٣٨م)، ومعهم متي خسرو المذكور فاستباحوا تلك النواحي إلى استراباذ(٣٤٨)، وقاتلهم أبو الفتح بن أبي الشوك صاحب الدينور فهزمهم وأسر منهم وصالحوه على إطلاق أسراهم.

ثم مكروا بأبي كاليجار أن يكون معهم ويدبّر أمرهم، وغدروا به ونهبوه، وخرج علاء

الدولة من اصبهان فلقي طائفة منهم فأوقع بهم وأثخن فيهم، وأوقع وهشودان بمن كان منهم في أذربيجان وظفر بهم الأكراد وأثخنوا فيهم وفرَّقوا جماعتهم. ثم توفي كول أمير الفرق التي بالري، وكانوا لما أجازوا من وراء النهر إلى خراسان بقي بمواطنهم الأولى،هنالك طغرلبك بن ميكائيل بن سلجوق واخوته داود وسعدان وينال(٣٤٩) وهمفري،فخرجوا الى خراسان من بعدهم.)جـ٣،ص٤٤٨ـ٤٤٩.

في ذكر مسير الملك الرحيم(٣٥٠) إلى فارس. قال ابن خلدون:ـ (ثم سار الملك الرحيم من الأهواز إلى فارس سنة إحدى وأربعين و"اربعمائة"(١٠٤٩م)،وخيم بظاهر شيراز، ووقعت فتنة بين أتراك شيراز وبغداد فرحل أتراك بغداد إلى العراق، وتبعهم الملك الرحيم لانحرافه عن أتراك شيراز، وكان أيضا منحرفا عن الديلم بفارس لميلهم إلى أخيه فلاستون(٣٥١) باصطخر، وانتهى إلى الأهواز فأقام بها واستخلف بارجان أخويه أبا سعد وأبا طالب فزحف إليهما أخوهما فلاستون، وخرج الملك الرحيم من الأهواز إلى رامهرمز للقائهم فلقيهم وانهزم إلى البصرة، ثم إلى واسط.

وسارت عساكر فارس إلى الأهواز فملكوها وخيموا بظاهرها. ثم شغبوا على أبي منصور، وجاء بعضهم إلى الملك الرحيم فبعث إلى بغداد واستقر الجند الذين بها، وسار إلى الأهواز فملكها وأقام ينتظر عسكر بغداد. ثم سار إلى عسكر مكرم فملكها سنة اثنتين وأربعين و"اربعمائة"(١٠٥٠م).

ثم تقدم سنة ثلاث وأربعين و"اربعمائة"(١٠٥١م) ومعه دبيس بن مزيد(٣٥٢) والبساسيري(٣٥٣) وغيرهما. وسار هزار شب بن تنكير(٣٥٤) ومنصور بن الحسين الاسدي(٣٥٥) فيمن معهما من الديلم والأكراد(٣٥٦) من أرجان إلى تستر فسبقهم الملك الرحيم إليها وغلبهم عليها. ثم زحف في عسكر هزار شب فوافاه أميره أبو منصور بمدينة شيراز فاضطربوا ورجعوا، ولحق منهم جماعة بالملك الرحيم فبعث عساكر إلى رامهرمز وبها أصحاب أبي منصور فحاصرها وملكها في ربيع سنة ثلاث وأربعين و"اربعمائة"(١٠٥١م).

ثم بعث أخاه أبا سعد في العساكر إلى بلاد فارس لان أخاه أبا نصر خسرو كان باصطخر وضجر من تغلب هزار شب بن تنكير صاحب أخيه أبي منصور فكتب إلى أخيه الملك الرحيم بالطاعة فبعث إليه أخاه أبا سعد فأدخله اصطخر وملكه. ثم اجتمع أبو منصور فلاستون وهزار شب ومنصور بن الحسين الاسدي، وساروا للقاء الملك الرحيم بالأهواز واستمدّوا السلطان طغرلبك(٣٥٧)، وأبَوْ اطاعته فبعث إليهم عسكرا ،وكان قد ملك اصبهان واستطال وافترق كثير من أصحاب الملك الرحيم عنه، مثل البساسيري ودبيس ابن مزيد والعرب والأكراد، وبقي في الديلم الاهوازية وبعض الأتراك من بغداد. ورأى أن يعود من عسكر مكرم إلى الأهواز ليتحصن بها.)جـ٣،ص٤٥٢.

في ذكر فتنة ابن أبى الشوك ثم طاعته. قال ابن خلدون:ـ (كان سعدي بن أبي الشوك(٣٥٨) قد أعطى طاعته للسلطان طغرلبك بنواحي الري، وسار في خدمته، وبعثه سنة أربع وأربعين و"اربعمائة"(١٠٥٢م) في العساكر إلى نواحي العراق، فبلغ النعمانية وكثر عيثه، وراسله مطد من بني عقيل قرابة قريش بن بدران(٣٥٩) في الاستظهار له على قريش ومهلهل(٣٦٠) أخي أبي الشوك فوعدهم فسار

إليهم مهلهل وأوقع بهم على عكبرا(٣٦١) فساروا إلى سعدي وشكوا إليه، وهو على سامراء(٣٦٢) فسار وأوقع بعمّه مهلهل وأسره، وعاد إلى حلوان، وهمّ الملك الرحيم بتجهيز العساكر إليه بحلوان، واستقدم دبيس بن مزيد لذلك.

ثم عظمت الفتنة سنة خمس وأربعين و"اربعمائة"(١٠٥٣م) ببغداد من أهل الكرخ وأهل السنة، ودخلها طوائف من الأتراك وعمّ الشر واطرحت مراقبة السلطان، وركب القواد لحسم العلة فقتلوا علوياً من أهل الكرخ فنادت نساؤه بالويل فقاتلهم العامة، وأضرم النار في الكرخ بعض الاتراك فاحترق جميعه. ثم بعث القائم وسكن الأمر، وكان مهلهل لما أسر سار ابنه بدر إلى طغرلبك وابن سعدي كان عنده رهينة، وبعث إلى سعدي بإطلاق مهلهل عند ذلك فامتنع سعدي من ذلك وانتقض على طغرلبك، وسار من همذان إلى حلوان وقاتلها فامتنعت عليه فكاتب الملك الرحيم بالطاعة، ولحقه عساكر طغرلبك فهزموه، ولحق ببعض القلاع هنالك.

وسار بدر في أتباعه إلى شهرزور، ثم جاءه الخبر بأن جمعا من الأكراد والأتراك قد أفسدوا السابلة وأكثروا العيث فخرج إليهم البساسيري واتبعهم الى البوازيج).جـ٣،ص٤٥٤. في ذكر القبض على الملك الرحيم وانقراض دولة بني بويه سنة"سبع واربعين واربعمائة"(١٠٥٥م). قال ابن خلدون:ـ (ولما نزل طغرلبك بغداد وافترق أهل عسكره في البلد يقضون بعض حاجاتهم فوقعت بينهم وبين بعض العامة منازعة فصاحوا بهم ورجموهم. وظن الناس أن الملك الرحيم قد اعتزم على قتال طغرلبك فتواثبوا بالغز من كل جهة الا أهل الكرخ فانهم سألوا من وقع إليهم من الغزّ و أرسل عميد الملك وزير طغرلبك عن عدنان بن الرضي(٣٦٢) نقيب العلويين، وكان مسكنه بالكرخ فشكره عن السلطان طغرلبك. ودخل أعيان الديلم وأصحاب الملك الرحيم إلى دار الخلافة نفيا ًللتهمة عنهم. وركب أصحاب طغرلبك فقاتلوا العامة وهزموهم وقتلوا منهم خلقا ًونهبوا سائر الدروب ودور رئيس الرؤساء وأصحابه والرصافة(٣٦٣)، ودور الخلفاء، وكان بها أموال الناس نقلت إليها للحرمة فنهب الجميع، واشتدّ البلاء وعظم الخوف. وأرسل طغرلبك إلى القائم بالعتاب ونسبة ما وقع إلى الملك الرحيم والديلم وانهم انحرفوا وكانوا برآء من ذلك. وتقدم إليهم الخليفة بالحضور عند طغرلبك مع رسوله فلما وصلوا إلى الخيام نهبها الغزّ ونهبوا رسل القائم معهم. ثم قبض طغرلبك على الملك الرحيم ومن معه، وبعث بالملك الرحيم إلى قلعة السيروان(٣٦٤) فحبس بها وكان ذلك لست سنين من ملكه. ونهب في تلك الهيعة قريش بن بدران صاحب الموصل ومن معه من العرب، ونجا سليبا ًإلى خيمة بدر بن المهلهل(٣٦٥)، واتصل بطغرلبك خبره فأرسل إليه وخلع عليه وأعاده إلى مخيَّمه، وبعث القائم إلى طغرلبك بإنكار ما وقع في اخفار ذمته في الملك الرحيم وأصحابه، وانه يتحول عن بغداد فأطلق له بعضهم بلكسكسا لربه وأنزع الاقطاعات من يد أصحابه الملك الرحيم فلحقوا بالبساسيري، وكثر جمعه، وبعث طغرلبك إلى دبيس بالطاعة وانفاذ البساسيري، فخطب له في بلاده، وطرد البساسيري فسار إلى رحبة ملك، وكاتب المستنصر العلوي صاحب مصر. وأمر طغرلبك بأخذ أموال الأتراك الجند وأهملهم، وانتشر الغز السلجوقية في سواد بغداد فنهبوا الجانب الغربي من

تكريت إلى النيل(٣٦٦)، والجانب الشرقي إلى النهروانات(٣٦٧)، وخرب السواد وانجلى أهله، وضمن السلطان طغرلبك البصرة والأهواز من هزار شب بن شكر بن عياض(٣٦٨) بثلثمائة وستين ألف دينار، وأقطعه أرجان وأمره أن يخطب لنفسه بالأهواز دون ما سواها. وأقطع أبا علي بن كاليجار قرميسين(٣٦٩) وأعمالها، وأمر أهل الكرخ بزيادة الصلاة خير من النوم في نداء الصبح، وأمر بعمارة دار المملكة وانتقل إليها في شوال. وتوفي ذخيرة الدين أبو العباس محمد بن القائم بالله في ذي القعدة من هذه السنة. ثم انكح السلطان طغرلبك من القائم بالله خديجة بنت أخيه داود واسمها ارسلان خاتون"سنة ثمان واربعين واربعمائة"(١٠٥٦م)، وحضر للعقد عميد الملك الكندري وزير طغرلبك وأبو علي ابن أبي كاليجار وهزار شب بن شكر بن عياض الكردي، وابن أبي الشوك وغيرهم من أمراء الأتراك من عسكر طغرلبك).جـ٣،ص٤٥٦-٤٥٧.

في ذكر مسير طغرلبك إلى الموصل"سنة ثمان واربعين واربعمائة"(١٠٥٦م). قال ابن خلدون:ـ (لما كان السلطان طغرلبك قد ثقلت وطأته على العامّة ببغداد، وفشا الضرر والأذى فيهم من معسكره فكاتبه القائم يعظه ويذكره، ويصف له ما الناس فيه فأجابه السلطان بالاعتذار بكثرة العساكر. ثم رأى رؤيا في ليلته كان النبي صلى الله عليه وسلم يوبخه على ذلك فبعث وزيره عميد الملك إلى القائم بطاعة أمره فيما أمر، وأخرج الجند من وراء العامة ورفع المصادرات. ثم بلغه خبر وقعة قطلمش(٣٧٠) مع البساسيري، وانحراف قريش صاحب الموصل إلى العلوية فتجهز وسار عن بغداد ثلاثة عشر شهرا من نزوله عليها ونهبت عساكره أوانا(٣٧١) وعكبرا وحاصر تكريت حتى رجع صاحبها نصر بن عيسى إلى الدعوة العباسية، وقتله السلطان، ورجع عنه إلى البوازيج فتوفي نصر، وخافت أمه غريبة بنت غريب بن مكن أن يملك البلد أخوه أبو العشام فاستخلفت أبا الغنائم ابن المجلبان(٣٧٢) ولحقت بالموصل، ونزلت على دبيس بن مزيد. وأرسل أبو الغنائم رئيس الرؤساء فأصلح حاله ورجع إلى بغداد وسلم له تكريت، وأقام السلطان بالبوازيج إلى سنة تسع وأربعين و"اربعمائة"(١٠٥٧)، وجاءه أخوه ياقوتي في العساكر فسار إلى الموصل، وأقطع مدينة بلد هزار شب بن تنكير(٣٧٣) الكردي، وأراد العسكر نهبها فمنعهم السلطان، ثم أذن لهم في اللحاق إلى الموصل، وتوجه إلى نصيبين(٣٧٤)، وبعث هزار شب إلى البرية في ألف فارس ليصيب من العرب فسار حتى قارب رحالهم، وأكمن الكمائن وقاتلهم ساعة). جـ٣،ص٤٥٨-٤٥٩.

في ذكر وفاة السلطان طغرلبك وملك ابن أخيه داود. قال ابن خلدون:ـ (ثم سار السلطان طغرلبك من بغداد في ربيع الآخر إلى بلد الجبل، فلما وصل الري أصابه المرض وتوفي ثامن رمضان من سنة خمس وخمسين و"اربعمائة"(١٠٦٣م)،وبلغ خبر وفاته إلى بغداد فاضطربت، واستقدم القائم مسلم بن قريش(٣٧٥) صاحب الموصل ودبيس بن مزيد وهزار سب صاحب الأهواز وبني ورام وبدر بن مهلهل فقدموا، وأقام أبو سعد الفارسي ضامن بغداد سورا َعلى قصر عيسى، وجمع الغلال وخرج مسلم بن قريش من بغداد فنهب النواحي، وسار دبيس بن مزيد وبنو خفاجة وبنو ورام والأكراد لقتاله.

ثم استتيب ورجع إلى الطاعة. وتوفي أبو الفتح بن ورام مقدم الأكراد والجاوانية،

وحمل العامة السلاح لقتال الاعراب فكانت سببا لكثرة الذعار).جـ٣،ص٤٦٥.

في ذكرالشحنة ببغداد والخطبة لبركيارق(٣٧٦). قال ابن خلدون:- (كان ايلغازي بن ارتق(٣٧٧) شحنة ببغداد، وولاه عليها السلطان محمد عند استيلائه في المصاف الأول، وكان طريق خراسان إليه فعاد بعض الايام منها إلى بغداد، وضرب فارسٌ من أصحابه بعض الملاحين سهم في ملاحات وقعت بينهم عند العبور فقتله فثارت بهم العامة وأمسكوا القاتل، وجاؤا به إلى باب النوبة(٣٧٨) في دار الخلافة ولقيهم ولد ايلغازي فاستنقذه من أيديهم فرجموه، وجاء إلى أبيه مستغيثا ً،وركب إلى محلة الملاحين فنهبها وعطّف عليه العيارون فقتلوا من أصحابه، وركبوا السفين للنجاة فهرب الملاحون وتركوهم فغرقوا.

وجمع ايلغازي التركماني لنهب الجانب الغربي فبعث إليه المستظهر قاضى القضاة والكيا ألهراسي(٣٧٩) مدرس النظامية بالامتناع من ذلك"وكان في سنة خمس وتسعين واربعمائة"(١١٠١م)، فاقتصر ايلغازي اثناء ذلك متمسكا بطاعة السلطان محمد. فلما انهزم محمد وانطلق من حصار اصبهان واستولى بركيارق على الري، بعث في منتصف ربيع الأول من سنة ست وتسعين و"اربعمائة"(١١٠٢م) من همذان كمستكين القيصراني(٣٨٠) شحنة إلى بغداد.

فلما سمع ايلغازي بعث إلى أخيه سقمان(٣٨١) بحصن كيفا(٣٨٢) يستدعيه للدفاع. وجاءهُ سقمان ومر بتكريت فنهبها، ووصل كمستكين ولقيه شيعة بركيارق وأشاروا عليه بالمعاجلة، ووصل إلى بغداد منتصف ربيع. وخرج ايلغازي وأخوه سقمان إلى دجيل ونهبا بعض قراها، واتبعهما طائفة من عسكر كمستكين.

ثم رجعوا عنهما وخطب للسلطان بركيارق ببغداد وبعث كمستكين إلى سيف الدولة صدقة(٣٨٣) بالحلة عنه وعن المستظهر بطاعة بركيارق فلم يجب، وكشف القناع وسار إلى جسر صرصر(٣٨٤) فقطعت الخطبة على منابر بغداد فلم يذكر أحد عليها من السلاطين، واقتصر على الخليفة فقط. وبعث سيف الدولة صدقة إلى ايلغازي وسقمان بأنه جاء لنصرتهما فعادوا إلى دجيل وعاثوا في البلاد، واجتمع لذلك حشد العرب والأكراد مع سيف الدولة، وبعث إليه المستظهر(٣٨٥) في الإصلاح وخيّموا جميعا بالرملة(٣٨٦) وقاتلهم العامّة، وبعث الخليفة قاضى القضاة أبا الحسن الدامغاني(٣٨٧) وتاج رؤساء الرياسة ابن الموصلايا إلى سيف الدولة بكفّ الايدي عن الفساد).جـ٣،ص٤٨٥ـ٤٨٦.

في ذكر وفاة المستظهر وخلافة المسترشد(٣٨٨). قال ابن خلدون:- (ثم توفي المستظهر بالله أبو العباس أحمد بن المقتدي بالله(٣٨٩) أبو القاسم عبد الله بن القائم بالله في منتصف ربيع الآخر سنة اثنتي عشرة وخمسمائة(١١١٨م) لأربع وعشرين سنة وثلاثة أشهر من خلافته، وبويع بعده ابنه المسترشد بالله الفضل، وكان ولي عهده منذ ثلاث وعشرين سنة، وبايعه أخوه أبو عبد الله محمد وهو المقتدي، وأبو طالب العباس وعمومته بنو المقتدي وغيرهم من الأمراء والقضاة والأئمة والأعيان.

وتولّى أخذ البيعة القاضي أبو الحسن الدامغاني، وكان نائبا ً عن الوزارة فأقرّهُ المسترشد عليها، ولم يأخذ البيعة قاض غير هذا للمسترشد، وأحمد بن أبي داود للواثق، والقاضي أبو علي اسماعيل بن اسحاق للمعتضد.

ثم عزل المسترشد قاضي القضاة عن نيابة

الوزارة واستوزر أبا شجاع محمد بن الربيب أبي منصور، خاطبه أبوه وزير السلطان محمود(٣٩٠) وابنه محمد في شأنه فاستوزره.

ثم عزله سنة عشر واستوزر مكانه جلال الدين عميد الدولة أبا علي بن صدقة وهو عم جلال الدين أبي الرضي بن صدقة وزير الراشد. ولما شغل الناس ببيعة المسترشد ركب أخوه الأمير أبو الحسن في السفن مع ثلاثة نفر وانحدروا إلى المدائن، ومنها إلى الحلة فأكرمه دبيس، وأهمّ ذلك المسترشد وبعث إلى دبيس في إعادته مع النقيب علي بن طراد الزينبي فاعتذر بالذمام، وأنه لا يكرهه فخطب النقيب أبا الحسن أخا الخليفة في الرجوع فاعتذر بالخوف، وطلب الأمان.

ثم حدث من البرسقي ودبيس ما نذكره فتأخر ذلك إلى صفر من سنته وهي سنة ثلاث عشرة"وخمسمائة"(١١١٩م)، فسار أبو الحسن بن المستظهر إلى واسط وملكها، فبادر المسترشد إلى ولاية العهد لابنه جعفر المنصور ابن اثنتي عشرة سنة، فخطب له وكتب إلى البلاد بذلك، وكتب إلى دبيس بمعاجلة أخيه أبي الحسن فانه فارق ذمامه، فبعث دبيس العساكر إلى واسط فهرب منها، وصادفوه عند الصبح فنهبوا أثقاله وهرب الأكراد والأتراك عنه، وقبض عليه بعض الفرق وجاؤوا به إلى دبيس فأكرمه المسترشد وأمّنه وأنزله أحسن نزل). جـ٣،ص٤٩٢ـ٤٩٣.

<u>في ذكر انتقاض الملك مسعود(٣٩١) على أخيه السلطان محمود ثم مصالحته واستقرار جكرمش(٣٩٢) شحنة ببغداد. قال ابن خلدون</u>:ـ (كان السلطان محمد(٣٩٣) قد أنزل ابنه مسعودا بالحلة، وجعل معه جيوش بك(٣٩٤) اتابك فلما ملك السلطان محمود بعد وفاة أبيه، ثم ولّي المسترشد الخلافة بعد أبيه، وكان دبيس صاحب الحلة ممرضا في طاعته، وكان اقسنقر البرسقي(٣٩٥) شحنة بالعراق كما ذكرناه، أراد قصد الحلة وأخلى دبيس عنها وجمع لذلك جموعا من العرب والأكراد، وبرز من بغداد في جمادي سنة اثنتي عشرة و"خمسمائة"(١١١٨م)،وبلغ الخبر إلى الملك مسعود بالموصل وانَ العراق خال من الحامية فأشار عليه أصحابه بقصد العراق للسلطنة فلا مانع دونها فسار في جيوش كثيرة، ومعه وزيره فخر الملك أبو علي بن عمار صاحب طرابلس(٣٩٦)، وسيأتي خبره وقسيم الدولة زنكي بن اقسنقر ابن الملك العادل، وصاحب سنجار(٣٩٧) وأبو الهيجاء(٣٩٨) صاحب اربل). جـ٣،ص٤٩٣.

في ذكر طاعة طغرل لأخيه السلطان محمود"سنة ست عشرة وخمسمائة"(١١٢٢م). قال ابن خلدون:ـ (قد تقدم ذكر انتقاض الملك طغرل بساوه(٣٩٩) وزنجان على أخيه السلطان محمود بمداخلة أتابكه كنتغدي، وان السلطان محمودا المشار إليه أزعجه إلى كنجة(٤٠٠). وسار إلى أذربيجان يحاول ملكها.

ثم توفي أتابكه كنتغدي في شوال سنة خمس عشرة و"خمسمائة"(١١٢١م)، وكان اقسنقر الأحمد يلي صاحب مراغة، فطمع في رتبة كنتغدي، وسار إلى طغرل واستدعاه إلى مراغة وقصدوا أردبيل فامتنعت عليهم، فجاؤوا إلى تبريز(٤٠١)، وبلغهم أن السلطان أقطع أذربيجان لجيوش بك، وبعثه في العساكر وأنه سبقهم إلى مراغة فعدلوا عنها وكافؤا صاحب زنجان فأجابهم، وسار معهم إلى ابهر(٤٠٢) فلم يتم لهم مرادهم، وراسلوا السلطان في الطاعة واستقّر حالهم.

وأما جيوش بك فوقعت بينه وبين الأمراء من عسكره منافرة، فسعوا به عند السلطان

فقتله بتبريز في رمضان من سنته، وكان تركيا ًمن مماليك السلطان محمد، وكان حسن السيرة مضطلعا ًبالولاية. ولما ولي الموصل والجزيرة كان الأكراد قد عاثوا في نواحيها، وأخافوا سبلها فأوقع بهم وحصر قلاعهم، وفتح الكثير منها ببلد الهكارية(٤٠٣) وبلد الزوزان(٤٠٤) وبلد النسوية(٤٠٥) وبلد النحسة(٤٠٦)، حتى خاف الأكراد واطمأنّ الناس وأمنت السبل). جـ٣،ص٤٩٧ـ٤٩٨.

في ذكر وفاة السلطان مسعود ومُلك ملك شـــاه(٤٠٧) ابـن أخيه محمود. قـال ابن خلدون:ـ (ثم توفي السلطان مسعود أول رجب سنة سبع وأربعين وخمسمائة(١١٥٢م)،لإحدى وعشرين سنة مـن بيعته، وعشرين من عوده بعد منازعة إخوته. وكان خاص بك بن بلنكري(٤٠٨) متغلبا على دولته، فبايع لملك شاه ابن أخيه السلطان محمود، وخطب له بالسلطنة في همذان، وكان هذا السلطان مسعود آخر ملوك السلجوقية عن بغداد.

وبعث السلطان ملك شاه الأمير سالار كرد في عسكر إلى الحلة فدخلها، وسار إليه مسعود جـلال(٤٠٩) الشحنة، وأظهر لـه الاتـفـاق، ثم قبض عليه وغرقه واستبد بالحلة). جـ٣،ص٥١٣.

في ذكـر وفــاة المـقـتـفـي(٤١٠) وخلافة المستنجد(٤١١) وهو أول الخلفاء المستبدين على أمرهم من بنى العباس عند تراجع الدولة وضيق نطاقها ما بين الموصل وواسط والبصرة وحلوان. قال ابن خلدون:ـ (ثم توفي المقتفي لأمرالله أبوعبدالله محمد بن المستظهر في ربيع الأول سنة خمس وخمسين"وخمسمائة"(١١٦٠م) لأربع وعشرين سنة وأربعة أشهر من خلافته، وهـو أول مـن استبد بالعراق منفردا عن سلطان يكون معه من أول أيام الديلم فحكم على عسكره وأصحابه، فيما بقي لمملكتهم من البلدان بعد استبداد الملوك في الأعمال والنواحي. ولما اشتدّ مرضه تطاول كل من أم ولده إلى ولاية ابنها. وكانت أم المستنجد تخاف عليه، وأم أخيه علي تروم ولاية ابنها، واعتزمت على قتل المستنجد، واستدعته لزيارة أبيه وقد جمعت جواريها وآتت كل واحدة منهن سكينا لقتله، وأمسكت هي وابنها سيفين، وبلغ الخبر إلى يوسف المستنجد فأحضر أستاذ دار أبيه، وجماعة من الفراشين، وأفرغ السلاح ودخل معهم الـدار وثار به الجواري فضرب إحداهن وأمكنها فهربوا وقبض على أخيه علي وأمه فحبسهما وقسم الجواري بين القتل والتغريق، حتى إذا توفي المقتفي جلس للبيعة فبايعه أقاربه وأولهم عمه أبو طالب.

ثم الوزير عون الدين بن هبيرة(٤١٢) وقاضي القضاة وأربـاب الدولة والعلماء وخطب له، وأقرّ ابن هبيرة على الوزارة وأصحاب الولايات على ولايتهم، وأزال المكوس والضرائب، وقرب رئيس الرؤساء وكان أستاذ دار فرفع منزلته عبد الواحد المقتفي، وبعث عن الأمير ترشك سنة ست وخمسين و"خمسمائة"(١١٦٠م)من بلد اللحف(٤١٣)، وكان مقتطعا بها فاستدعاه لقتال جمع من التركمان أفسدوا في نواحي البندنيجين(٤١٤)، فامتنع من المجيء وقال: يأتيني العسكر وأنا أقاتل بهم، فبعث إليه المستنجد العساكر مع جماعة من الأمـراء فقتلوه، وبعثوا برأسه إلى بغداد، ثم استولى بعد ذلك على قلعة الماهكي(٤١٥) من يد مولى سنقر الهمذاني، ولاّهُ عليها سنقر وضعف عن مقاومة التركمان والأكراد حولها، فاستنزله المستنجد عنها بخمسة عشر ألف دينار، وأقام ببغداد. وكانت هذه القلعة أيام المقتدر بأيدي التركمان والأكراد).جـ٣،ص٥١٩ـ٥٢٠.

زرادشت من المنظور الكردي

د. فرج وهاب زنكنه

(٢-٢)

ان الكرد والمثقفين الكرد يؤمنون ويعتقدون ان زرادشت هو نبي الكرد والايرانيين، "بسم الله الرحمن الرحيم: وان من امة الا خلا فيها نذير" (فاطر: ٢٤) وولد في كردستان وكتابه آفيستا كتب باللغة الكردية القديمة، كما ادعى بوجود الخالق ووحدانية اهورامزدا(١) يؤكد ان زرادشت كرديا، ولد في اورمية(٢) ان اللغة الكردية قريبة جدا الى اللغة التي كتب بها آفيستا.

احسان نوري (٣) ، يتعبر النبي زرادشت بني الايرانيين عموما وكان حكيما كرديا من اهل ميديا ومن عشيرة ماز الكردية، وهرب من ظلم الاعداء الى عربستان، تحت اسم ابراهيم.

الديانة الزرادشتية(٤)

قبل زرادشت كان الايرانيون يعرفون الهين مقدسين وهما اله النور خالق الشمس والنار والطيبة وصفاء القلب واله الشر او الظلمة خالق الشر والفساد والفتن والقتل وكل ما هو سيئ ويسيء الى الانسان. الديانة التي اذاعها زرادشت ديانة جديدة اتى بها في ذلك الزمان، لقد نشأ زرادشت في احضان شعب من الوثنيين الذين اتخذوا من الظواهر الطبيعية البارزة الهة يعبدونها كما كان يفعل اجدادهم الاريون القدماء وكما كان يفعل ابناء عمومتهم القدامى من الهنود.

وكان الجزء الشرقي من ايران شعبا بدويا... واهل البادية تدعو حياتهم الى السلب والنهب والاغارة وسفك الدماء في سبيل الحصول على اقواتهم، ويقول افلاطون وغيره من قدماء المؤرخين فقد استنكر زرادشت وثنية شعبه يهب لاصلاح الفساد وينصب نفسه نبيا مرشدا يهدي قومه الى طريق الحكمة والصواب.

كان زرادشت بعيد النظر، ماهرا في التنجيم، والدعوة الزرادشتية تتجلى في دعوة الناس الى ان يعبدوا الها واحدا ويهجروا الوثنية وعبادة الكواكب التي شاع امرها بين الاريين منذ القدم.
وان الديانة الزرادشتية هي ديانة توحيد، واعتراف بوجود اله واحد (اهورامزدا) ومعناه مركب من ثلاث كلمات هي (اهو) و(را) و(مزدا) ومعناها على الترتيب انا، الوجود، الخالق(٥).
يبدو ان زرادشت قد اخذ اسم الهة (اهورامزدا) من اسم اله الاشوريين وهو: اسارامازاش، وانه جعل للشمس في السماء رمزا لنور مزدا المتلألىء، والنار في الارض رمزا لطهارته، وكان دينه عبادة الله والكفر بالشيطان، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر، فليس في العقيدة الزرادشتية الهان، وانما قوتان(٦)، الخير والشر، قوة الخير مجموعة من سبعة ملائكة قديسين يمثلون الفضائل السبع العليا هي (الحكمة، الشجاعة، العفة، العدل، الاخلاص، الامانة، والكرم) واما قوة الشر: سبع من القوى الشيطانية الخبيثة وهي (النفاق، الخديعة، الخيانة، الجبن، البخل، الظلم، وازهاق الارواح).
وبين هاتين القوتين صراع دائم، وللديانة الزرادشتية رمزان هما الشمس والنار، فالشمس تمثل روح اهورامزدا فانها كائن مشرق متلألئ، النار قوة مطهرة مهلكة طاهرة، نقية، نافعة، لا يمكن ان يطرق اليها الفساد.
ومن ثم يظهر لنا ان الزرادشتية لا تدعو-كما يزعم بعض الناس الى عبادة النار بل تدعو الى تقديس هذين العنصرين، عنصر الشمس والنار.
وكان زرادشت نفسه في اثناء سنوات رسالته، يجول في البلاد ليقيم هياكل النار.. ويتلون عبارات دينية، يدعون بها الناس الى التفكير الخير، والكلام الطيب، والعمل الصالح وتسمى هذه النصائح بالجواهر الثلاث.
ولم يقف الزرادشتيون عند تقديس الشمس والنار بل كانوا يقدسون سائر العناصر الاربعة (الاستقصات) وهي: (التراب والماء والهواء والنار).
وانما قدسوا التراب لانه مصدر اقوات الناس ومن مظاهر تقديسه انهم لم يدفنوا به جثث الموتى التي كانت تعد في نظرهم قذرة.
ان الزرادشتية يعتني بالثور والكلب، ويعتبرهما من الحيوانات المفيدة، لان الاول يستخدم في حرث الارض وريها، والثاني في حراسة الزرع وحماية الماشية.
ومن اهم التعاليم الدينية والخلقية والاجتماعية:
١-اجتناب الكذب.
٢-الوفاء بالعهد، وحفظ كلمة الشرف.
٣-اجتناب الاحتكاك والاتصال بهم.
فرض زرادشت خمس صلوات في اليوم والليلة، كانت واحدة من الصلاة عند بزوغ الشمس، والثانية عند الظهر، والثالثة عند غروب الشمس، والصلاة عندهم دعاء يوجه الى اهورامزدا.
وللمرأة في الديانة الزرادشتية منزلة رفيعة، وتبيح للنساء وظائف الكهنوت والدين.
ويبتهلون اهورامزدا بالدعوات وبخاصة في يوم التوبة وهو عيد (نوروز) فذلك العيد مثل ما يفعل المسلمون في عيد الفطر. واما في المآتم من عاداتهم بعد القاء جثة الميث ان يعزي اهله ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع يقيم حفل ديني وتوزع الصدقات.
وتحث الزرادشتية بوجوب الاهتمام بارواحهم

اكثر من اجسادهم، لان الارواح خالدة، والاجساد فانية، والى وجوب التزود من الدنيا بما ينفع في الاخرة من عمل الخير والاخلاص فيه.

(لايوجد اثر للديانة الزرادشتية في ايامنا هذه باستثناء عشائر قليلة العدد تعتنق هذه العقيدة في ولاية فارس بالاضافة الى طائفة – البارسيين- في الهند والتي يبلغ تعدادها التسعين الفا وحوالي المليون ونصف المليون من الكرد المتشردين في مناطق كردستان واوربا)(٧).

آفيستا AVESTA

وهو الكتاب المقدس لدى الزرادشتيين، وهو بمثابة تاريخ للزرادشتية ولزرادشت، ويسمى بالعربية ابستاق والسريانية ابستاكا وبالفارسية الحديثة ابستا او اوساتا(٨)، وقد ضهر في نقوش صخرة بيستون (ابستام) وفي البهلوية اوستاك، وقال ابن الاثير في حديثه عن زرادشت: انه (صنف كتابا طاف به الارض فما عرف احد معناه، وزعم ان لغته سماوية خوطب بها وسماه اشتا)(٩). شرح زرادشت كتابه وسماه زند، ومعناه التفسير ثم شرح الزند بكتاب سماه بازند، يعني تفسير التفسير.

ان كلمة ابستاق مشتقة من (ابستا) وهي كلمة فارسية قديمة معناها: سند او اساس او معين، ان معنى اوستا هو النص الاساس GROUNT TEXT (متن) وهي انسب ترجمة لكلمة اوستا.

وان الابستاق الموجود الان سفر واحد من الاسفار الواحد والعشرين(١٠) التي تم جمعها وتدوينها في العصر الساساني ذلك هو سفر الونديداد. واربعة اسفار اخرى قد ادمجت في سفر اليسنا، ولهذا اصبحت خمسة اسفار:

أ-اليسنا YASNA وهو قسم الادعية والصلوات.

ب-الويسبرد VISPRED يتكون هذا السفر من ٣٣-٤٧ فصلا تسمى كرده.

ج-الونديداد VINDIDAD اي القانون المضاد للشياطين.

د-اليشتات اي الترنيمات او المزامير (YASHTS) تتلى في مدح الملائكة المكرمين والكائنات الروحانية يسمى انشاسبند (ANSHASPAND) وهي احدى وعشرون ترنيمة منظومة.

هـ-الخودة اوسستا، اي الابستاق الصغير، وهو سفر جامع لادعية وصلوات يتلوها عامة الشعب، ويشتمل على اربعة اجزاء هي(١١):

١-الادعية الخمس (NAJAYISH) وهي ادعية تخاطب بها الشمس والقمر، وميثرا (MITHRA) والماء وناربهرام.

٢-الكاتاها الخمس.

٣-ادعية ايام الثلاثاء (سيرودة) الصغرى نها والكبرى.

٤-ادعية اربعة تتلى طلبا للبركة (افرينكان-AFRINGAN) وقد اضاف المتأخرون من الزرادشتيين الى كتبهم المقدسة اسفارا اخرى منها بندهش (BUNDAHISH).

ويرجع الفضل في الكشف عن بقايا الابستاق الى العلامة الفرنسي انكوتيل دوبيرن (ANQUETIL DUPERRON) الذي عاش في اواخر القرن الثامن عشر الميلادي، فقد عثر في اثناء بحثه في مكتبة بودليان (BODLEIAN)(١٢) على بعض اجزاء مخطوطة من الابستاق، فاعتزم ان يتابع بحثه للحصول على بقية الاجزاء، ولما زار الهند وعاد

الى فرنسا احضر معه لما عثر عليه من بقية اجزاء افيستا، ولا تزال هذه الترجمة بالمكتبة الوطنية بباريس، وتعد اول ما وصل الى العالم الاروبي الحديث من معلومات عن هذا الكتاب المقدس لدى الزرادشتيين.
بعض المؤرخين يـرون ان زرادشـت قد هاجر من القسم الجنوبي الشرقي من ايران الى الجزء الغربي ومدينة بلخ(١٣)، ان لغة افيستا هي نفس اللغة المستعملة في الجنوب الشرقي.

الخاتمة

اود ان اذكـر هنا ان زرادشـت استـطـاع ان يوحد الايرانيين تحت لوائه في خيمة واحدة ويوحد كلمتهم، وان يوجههم الى عبادة الله، والكفر بالشيطان، ويبعدهم عن عبادة الاوثان والاصنام، وشاعر الزرادشتية بين الايرانيين في عهد الدولتين الهخامنشية والساسانية.
وان الـذي بـين ايـديـنـا، لا يمكننا ان نقول بان جميع ما رويناه امـور متفق عليها بين المتقدمين والمتأخرين من المؤرخين. فاننا نجد فريقا منهم يصفون الزرادشتية ومعجزات زرادشت وصفا اجماليا، في حين ان فريقا اخر يسهب ويفضل، ويكثر من ذكر المعجزات التي ظهر على يد زرادشت بعد نبوته. وان الابستاق (١٤) كتب على جلد اثني عشر الف بقرة، حفرا في الجلود ونقشا بالذهب، وبعد هجوم الاسكندر المقدوني اعدمت هذا الكتاب(١٥).
ان الديانة الزرادشتية:
١-تدعو الناس الى عبادة اهورامزدا AHURA MAZDA
٢-تنادي بثلاثة مبادئ جوهرية هي: التفكير الطيب، والقول الحسن، والعمل الصالح.
٣-تحـث معتنقيها على جهاد في سبيل الحق والخير والنور ومقاومة الباطل والشر والظلام.
٤-توجب على انصارها فلح الارض، واستغلال مواردها وتربية المواشي.
٥-على كل زرادشـتي ان يعطف على الفقراء والمساكين.
٦-تـعـد المتقين الـصـالـحـين المتبعين لاوامـر لهـورامـزدا بالجنة وتـنـذر العصاة المخالفين بالعقاب والعذاب في جهنم.
واتفق العلماء والقدماء والمحدثون من المؤرخين على ان زرادشت:
١-ضحك في اليوم الذي ولد فيه بصوت عال أمام جميع الحاضرين.
٢-انه نبي مرسل من لدن اهورامزدا ونزل عليه افيستا بطريق الوحي.
٣-ظهر على يديه بعض الامور الخارقة للعادة قبل نبوته وبعدها.
٤-ان كشتاسب الملك امن بزرادشت بعد ان شاهد من المعجزات.
٥-الزرادشتية انتشرت في جميع انحاء ايران في عهد الدولتين الهخامنشية والساسانية.
واعـيـدت كتابة افكار زرادشـت ونصائحه في افيستا في عهد اردشـير(١٦) الـذي يعتبر اول رئيس للاسرة الساسانية الذين حكموا ايران مابين ٢٣٤ق.م-٦٥٠ق.م ثم اتمه شابور الثاني الـذي كـان من المناصرين لـديـن(١٧) زرااشـت الزرادشتية.
اما بعد هجوم الاسلام على اراضي فارس بقيادة سعد بن ابي وقاص، فقد راسل سعد الخليفة عمر بن الخطاب حول الكتب والمكتبات التي تمت السيطرة عليها، فرد عليها ان كان فيها ما يطابق الاسلام فان القران في غنى عنه وان

يخالفها فتقدم باعدامها.

الهوامش:

١-حسين حوزني مركرياني: زرادشت، ٦
٢-محمد امين زكي بيك: برعم كردستان، ٣١
٣-تاريخ اصل الكرد ١٩٩
٤-وكان من يدخل الديانة الزرادشتية، ياخذ على نفسه عهدا مدونا في الابستاق وينتهي بالعبارة الاتية: لن اقدم على سلب او نهب او تحريب او تدمير او اخذ الثأر، اقر اني اعبد اهورامزدا واعتنق دين زرادشت.
٥-الملل والنحل ٢٤١
٦-apopular history of philophy ٤٥.p
٧-تاريخ كردستان ٤٦
٨-كتاب التاريخ الادبي لفارس ٧٨
٩-قصة الادب الفارسي ١١٩
١٠-١١ FRITZ WOLF PV
١١قادة الفكر في الشرق والغرب ٧٥
١٢-راجع كتاب: PRIENTAL PHILOSOPHY BY F.GRANT ٢٢٨.P
١٣-زرادشت ونصائحه ١٢٠
١٤-المسعودي ٢٢٩
١٥-زرادشت او ذي القرنين ٦١
١٦-زرادشت ٧٠
١٧-دائرة معارف القرن العشرين ٥٥٠

المصادر:

-القران الكريم
١-ابن الاثير: تاريخ ابن الاثير
٢-ازاد، ابو الكلام، زرادشت او ذي القرنين، بغداد ١٩٦٧ (باللغة الكردية)
٣-براون، كتاب التاريخ الادبي لقارس، لندن
٤-خوين، جكر، تاريخ كردستان، ج١، استوكهلم ١٩٨٥
٥-دائرة المعارف البريطانية، ج٣٨، ط ١١
٦-رضا، هاشم، زرادونصائحه، طهران ١٩٩٢
٧-الشنتاوي، احمد، زرادشت، بغداد، ١٩٦٧ (باللغة الكردية)
٨-الشهرستاني، ابو الفتح محمد بن عبدالكريم بن ابي بكر احمد، الملل والنحل، ج١، لبنان ١٩٧٥
٩-عبدالقادر، حامد، قادة الفكر في الشرق والغرب، القاهرة ١٩٥٦
١٠-عبدالقادر، سور، قصة الادب الفارسي، القاهرة، د.ت.
١١-المسعودي، مروج الذهب، ج١، ط٤، ١٩٦٤
١٢-مكرياني، حسين حزني، برعم الربيع، ١٩٣٥
١٣-النديم، الفهرست، القاهرة، ١٢٤٨هـ
١٤-نوري، احسان، تاريخ اصل الكرد، ١٢٢٢ السنة الايرانية
١٥-وجدي، محمد فريد، دائرة معارف القرن العشرين، ج٤، دار الفكر، بيروت
١٦-وليست، ترجمة نصوص فهلوية، ج٤، باريس ١٩٠٦
١٧-وليام، جاكسون، زرادشت نبي قدماء الايرانيين، نيويورك ١٨٩٩
١٨-وليام، جاكسون، تاريخ فارس الادبي، ج١، نيويورك ١٨٩٢
١٩-fritz wolf, avesta, berlin, ١٩٦٠
٢٠-f.grant, oriental philosophy. N.d
٢١-m.kaunitz, apopulor history of philosophy. N.d
٢٢-roberts. P. beeks. Agrammar of gatha avestan new york ١٩٨٨.

رسالة في الكشف عن حقيقة نوروز



ترجمة وتحشية: جلال زنكَابادي

في (٤٦٤- ٤٦٧هـ = ١٠٧١ - ١٠٧٤م) ألّف شخص ﴿هو عمر الخيّام (؟١٠٢١-؟١١٢٣م)على الأرجح﴾ هذه الرسالة لشرح و توضيح كيفيّة تأسيس نوروز والدورات التقويميّة والأشكال المتنوعة للتكبيس (عمل الكبيسة) ثمّ صنّف ضياءالدين عبدالرافع بن أبي الفتح الهروي إبّان السنوات (٥٥٥ – ٥٨٢ هـ = ١١٦٠- ١١٨٦م) رسالة في شرح الهدايا النورزيّة، التي تقدّم إلى الملوك والسلاطين، وقدّمها إلى تاج الدولة خسرو الملك (آخر ملك غزنوي)؛ وعليه ثمّة احتمالان:

أ- لأنّ عبدالرافع الهروي عدّ رسالته المنتظمة أجدر وأفضل علميّاً وتحقيقيّاً(بحثيّاً)؛ فقد ألحق (رسالة في الكشف عن حقيقة نوروز) مع إضافة مختصر بعنوان مقدّمة ، و قطعة " عن تقاليد ملوك العجم" (مجهولة المصدر) ألحقها ببداية رسالته ، و صاغ من هذه المواضيع الثلاثة كتاباً مترابط المحتوى. ب- كتب شخص آخر (رسالة في الكشف عن حقيقة نوروز) ثمّ أضاف إليها قطعة (عن تقاليد ملوك العجم) (مجهولة المصدر) وبعدها دوّن رسالة

عبدالرافع الهروي. وماسلف يعني أن الكتاب الكبير المعروف بـ (نوروزنامه) ليس من تأليف الخيّام كما يحسبه بعض الباحثين بالخطأ ، في حين يكاد أغلب الخيّاملوجيين يتفقون على تنسيب هذه الرسالة إليه.

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب مؤلّف لتبيان وكشف حقيقة نوروز عند ملوك العجم ؛ أيَّ يوم كان؟ ولماذا؟ وأيّ ملك حدّده؟ وكيف كان ذلك؟ ولماذا عظّموه؟ وغير ذلك من أعراف الملوك وتقاليدهم وعاداتهم وسِيَرِهم، في أيّ مجال، باختصار.(إن شاءالله) أمّا تحديدهم ليوم نوروز؛ فلكي يعرفوا ويضبطوا دورتيّ الشمس : إحداها دورانها في كلّ ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً وربع اليوم ليل نهار حتى عودتها إلى أول دقيقة في برج الحمل، وقد سمّوا الوقت ذاك نوروز ورأس السنة الجديدة ، والأخرى دورانها في كلّ ألف وأربعمائة وإحدى وستين سنة لتعود إلى الدقيقة نفسها وهي مبتدأها الأصلي، إنّما لاتعود إلى الدقيقة نفسها؛ في كلّ سنة في الوقت نفسه واليوم الذي إبتدأته وسارت ؛ لأن في كلّ سنة ينقص من المدّة ربع ﴿ليل نهار﴾

ولمّا أدرك جمشيد (١) هذا اليوم وحدّده ؛ إذ سمّاه نوروز(٢) وخصّه بمراسيم عيد، ومن ثمّ أشار إليه الملوك والناس الآخرون الذين جاءوا بعده. وقصّة ذلك كما يلي:

لمّا توّج كَيومرث (٣) - أوّل ملوك العجم- وجلس على العرش ، أراد أن يسمّي أيّام السّنة والشهور ويضع التاريخ (يؤرِّخ) ؛ لكي يعرفها الناس﴿ وينظمّوا شؤون حياتهم وفقها﴾ فارتأى أن يدعو موابذة (٤) العجم إليه في صباح اليوم الذي تبلغ الشمس أوّل دقيقة في برج الحمَل، ويبلّغهم بوضع تاريخ وتسمية الشهور بإثني عشر إسماً وأن يبتدئوا التأرخة من ذلك اليوم. وعليه فقد إجتمع الموابذة جميعاً، ووضعوا التاريخ. ولقد قال علماء العجم الذين كانوا علماء ذاك العصر أن الإله تبارك وتعالى قد خلق إثني عشر ملاكاً ، عيّن أربعة ملائكة منهم لحماية السماء ومافيها من الأهرامنة (٥) وعيّن أربعة ملائكة على جهات العالم الأربع لمنع عبور الأهرامنة من جبل قاف (٦) وأمر الملائكة الأربعة الآخرين بالتجوال في السموات والأرض لإبعاد الأهرامنة عن الخلائق. وحسبما يقولون فإن هذا العالم في وسط ذلك العالم مثل دار جديدة شيّدت داخل قصر قديم ، وقد خلق الباري تعالى الشمس من نوره ، وأضاء بها السموات والأرض ، ونمّا بها النباتات ، ويتطلّع إليها البشر كنور من أنوار الإله عزّ و جلّ، وينظرون إليها بإجلال وتعظيم ؛ على إن الباري تبارك وتعالى قد عُني بها أكثر من الموجودات الأخَر. ويقولون أن مثل(الشمس لدى الباري) مثل ملك عظيم يشير إلى تعظيم خليفة من خلفائه وتبجيل فضله ، فكلّ مَنْ يعظّمه ؛ يعني تعظيمَ الملك نفسه. ويقولون أن الباري تبارك وتعالى أرسل أمره حينذاك أنْ تثبت الشمس؛ كي تصل حرارتها وأشعتها ومنفعتها المكنونة فيها(من قبل الباري) سائر الأشياء. وأمر السماء الكبرى أن تعيد الشمس لتبلغ حرارتها ومنفعتها كلّ شيء؛ فذهبت الشمس إلى برج الحمل ، فأعادتها السماء، فانفصل الظلام عن النور، فظهر الليل والنهار، وعندها إبتدأ تاريخ هذا العالم. وبعدها بألف وأربعمائة وإحدى وستين سنة ، عادت﴿الشمس﴾ في الدقيقة نفسها واليوم نفسه ، وهي مدّة الإقتران الثاني والسبعين لكيوان (زحل) و أورمزد (المشتري) ويدعى القران الأصغر، وهو يحصل في كلّ

عشرين سنة. وأنّى تستكمل الشمس دورتها وتصل إلى هـذا المكـان ، يحصل قِـران زحل والمشتري ، في نفس البـرج ، الـذي يهبط فيه زحل ، بمقابلة برج الميزان الذي فيه زحل ، دورة هنا ودورة هناك ، على هذا الترتيب الآتي ذكره ؛ فتتضح أمكنة الكواكب ﴿تتغيّر أحوال العالم وتظهر أشياء جديدة﴾ كما تجري الشمس في برج الحمَل ، ويجري زحل والمشتري مع كواكب أخرى موجودة هناك أصلاً. فإن آن مثل هذا الأوان بأمر الباري تعالى ؛ ستتغيّر أحـوال العالم ، وتستجدّ أشياء ، كما لو أن العالم دار وتغيّر. أمّا كيف علموا بحلول هذا الوقت ؛ فإن ملوك العجم ، ومن أجل تعظيم الشمس، ومن أجل كلّ مَنْ لايستطيع معرفة ذلك اليوم ؛ فقد شخّصوه واحتفلوا به عيداً، وأخبروا الناس ؛ ليعرفه الجميع، وأن يثبتوا ذلك التاريخ ويحفظوه بدقة. و كما يقولون فإن كَيومرث إبتدأ التاريخ بهذا اليوم ، حسب السنة الشمسيّة ، وبما انّ دورة الشمس كانت تستغرق ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً وربع اليوم؛ فقد تُرك هذا الربع ، وقسَم الثلاثمائة والخمسة والستين يوماً على إثني عشر؛ حسب قياس دورة القمر، فكان كلّ قسم ثلاثين يوماً ، وخصّه بإسم ، وأناطه بملك من الملائكة الإثني عشر، الذين ولاّهم الباري تبارك وتعالى شؤون العالم. وبعدها قسّم الدورة الكبرى إلى أربعة أقسام ؛ فكان كلّ قسم ثلاثمائة وخمس وستين سنة وربـع السنة ؛ لأن مـدّة السنة اليزدكَرديّة - هي ثلاثمائة وخمسة وستون يوماً وربـع اليوم - وسمّاه بالسنة الكبرى ، وحينما تنصرم الأقسام الأربعة للسنة الكبرى؛ يحل نوروز الكبير، والتجدّد في أحوال العالم. وعلى الملوك واجـب أداء المراسيم والتقاليد الملكيّة ، والإحتفاء المبهج في أوّل السنة ؛ من أجل التبريك والتاريخ. وقد قال العلماء كلّما أُحتفي بيوم نوروز وعمّ الإبتهاج ؛ سيمضي العمر حتى نوروز التالي في مسرّة وسعادة ، وقد جرّبه وبرهنه الحكماء للملوك.

شهر فروردين : فروردين باللغة البهلوية ، معناه الشهر الذي يبدأ النبات فيه بالنمو، وهو يحلّ في برج الحمَل، تسوده الشمس طوال الوقت﴿ويكون أوّل الربيع﴾

شهر أرديبهشت : ﴿مثل الجنة﴾ إقتبسوا إسمه من (بهشت = الجنّة) وهو الشهر الذي يبدو فيه العالم مثل الجنة بجماله ومسرّاته ، و(أرد = مثل/ وبهشت = الجنة باللغة البهلوية) وفيه تكون الشمس في السمت ، ويقع في برج الثور، وهو يشمل أواسط الربيع.

شهر خُرداد : سمّي بهذا الإسم ومعناه الشهر الـذي يعطي القوت للناس من قمح وشعير



وفواكه وثمار...ويقع هذا الشهر في برج الجوزاء، والشمس كائنة فيه «ويكون آخر الربيع»

شهر تير : سمّوه (تير= سهم) لإقتسام الشعير والقمح وغيرهما من الغلال والخضار فيه حسب الأسهم . وينزل سهم الشمس «شعاعها» من غاية العلى صوب الأسفل مثل السهم المرمي في الهواء. وبرج هذا الشهر هو السّرطان، وهو أول أشهر فصل الصيف.

شهر مرداد :«الشهر الخامس» مرد معناه (تراب، أرض) باللغة البهلويّة. وقد سمّوا الشهر هكذا ؛ حيث التراب المعطي يمنح الخضار والثمار والفواكه الناضجة. وكذلك يتحوّل هواء الجوّ مثل غبار التراب. وهذا الشهر يقع في منتصف الصيف ، ويحسب قسم منه على برج الأسد.

شهر شهريور : وقد دعوه بشهريور، أي : دخل (وارد) الملوك ؛ فهم يتقاضون فيه عشر الغلال . وفي هذا الشهر يكون دفع (الخراج) على المزارعين أسهل. وتكون الشمس خلال هذا الشهر في برج السّنبلة ، وهو آخر شهر من الصّيف.

شهر مهر : دعوا هذا الشهر بشهر مِهر«المودّة ، المحبّة» إذ تسود المودّة بين الناس الذين يمنحون بعضهم البعض من كلّ مانضج لديهم من الغلال والثمار، ويأكلونه معاً. وتكون الشمس في برج الميزان ، ويكون مبتدأ الخريف.

شهر آبان : يقولون عنه شهر آبان (المياه) ؛ لأن المياه تزداد فيه ، من الأمطار التي تبدأ بالسقوط ، ويستجمع الناس الماء للزراعة. وهو الشهر الأوسط في الخريف. وتكون الشمس في برج العقرب خلال هذا الشهر.

شهر آذر : آذر (نار باللغة البهلوية) إذ يكون الجوّ فيه بارداً ؛ فيحتاج الناس إلى النار للتدفئة. وتكون الشمس في برج القوس ، ويكون آخر الخريف.

شهر دي : ديو (غول ، عفريت ، مارد) باللغة البهلوية. وقد دعوا الشهر هكذا؛ لأنّه قاسٍ وخشن ، ولاطراوة ولا ليونة في الأرض. ويكون الناس خلاله مثل العفاريت والجان مختبئين في بيوتهم ملازمين النار والظلمات. وتكون الشمس في برج الجدي. ويكون أوّل الشتاء.

شهر بهمن : بهمن «به همان» يعني شبيه الشهر الفائت (دي) في البرودة والصلادة وإنزواء«الناس» وتكون الشمس أيضاً في خانة زحل ، أي في برج الدلو المرتبط بالجدي «ويكون وسط الشتاء»

شهر اسفندارمذ : دعوه بشهر اسفندارمذ ؛ لأن اسفند (ثمرة ، فاكهة) باللغة البهلوية، وهذا يعني أنّ الثمار والحشائش تبدأ فيه بالنمو والكبر. وتبلغ الشمس في هذا الشهر آخر الأبراج وهو برج الحوت.

وهكذا قسّم كَيومرث هذه المدّة «السّنة» إثني عشر قسماً«شهراً» وحدّد ابتداء التاريخ، وبعدها عاش أربعين سنة.

ولّما رحل«كيومرث» عن الدنيا، جلس هوشنكَ شاه (٧) على العرش بدلاً عنه. و حكم تسعمائة وسبعين سنة. وقد قهر الغيلان والجن، وأوجد حِرَف الحِدادة والنّجارة ونسج الحرير ، واستخراج الحرير من « شرانق دودة القز» وجني العسل من النحل ، وانقضت الدنيا في مسرّة. وغادر هذا العالم باسم طيّب {بصيت حسن}.

وبعده جلس طهمورث شاه (٨) على العرش، وحكم ثلاثين سنة. وقد شيّد الأسواق والحارات والأزقة ، ونشر نسج الحرير والصوف. وظهر في عهده بوذاسف «رهبان بزس» الذي جاء

بدين الصابيان﴿الصابئه﴾ (٩) فاعتنقه ﴿طهمورث﴾ وشدّ الزنّار وعبد الشمس وعلّم الناس الكتابة ، فدعوه طهمورث حابس الغيلان.

ومن بعده وصلت الملوكيّة إلى أخيه جمشيد ، وكان قد فات على تاريخ كيومرث ألف وأربعون عاماً ، وتحوّلت الشمس إلى أوّل يوم بفروردين وحلّت في البرج التاسع. ولمضيّ أربعمائة وإحدى وعشرون سنة على حكم الملك جمشيد ؛ فقد تمّت هذه الدورة، وعادت الشمس إلى فروردين نفسه في أوّل الحمَل ثانية، واستقامت أمور العالم لجمشيد ، وطوع الجن وأمرهم ببناء الحمّامات و غزل خيوط القطن ونسج الحرير الملوّن- إذ كانت الجان تنسجه من قبل ، ثمّ طوّره البشر بالعقل والتجربة بمضيّ الزمن- وكذلك سخّر الحمير والخيل والبغال في العمل. وسفّد الفرس بالحمار ؛ لتوليد البغل. واستخرج الجواهر من المعادن ، وصنع الأسلحة والحُلي ، واستخرج الذهب والفضة والنحاس والقصدير والرصاص من المناجم ، وعمل العرش الذهبيّ والتاج والقلادة والسوار والخاتم ، واستعمل المسك والعود(البخور) والكافور والزعفران والعنبر والروائح والعطور الأخرى. واحتفل في هذا اليوم الذي ذكرناه، وسمّاه نوروز، أمر الناس (الرعيّة) أن يحتفلوا في كلّ سنة ؛ كلّما يحل فروردين جديد ، و أنْ يحسبوه يوماً جديداً حتى تكمل الدورة الكبرى ، ويحلّ نوروز الحقيقي. كان جمشيد شاه في أوّل حكمه عادلاً ورعاً وسخيّاً جداً، وكان يخشى الله ويقدّسه، والناس يحبّونه وسعداء بملوكيّته ؛ فقد حباه الباري تعالى بشوكة وعقل وجلال ؛ لكي يستخرج الكثير من الأشياء ، ويزيّن العالم والناس بالذهب والجواهر والديباج والعطور، وسخّر الدواب. وبعد أربعمائة ونيّف من حكمه الملكي وجد الجن منفذاً إليه ، فجمّلوا الدنيا وعزّزوها في عينيه وقلبه ؛ فانشغل بأنانيّته وعظمته وظلمه ، وانزوى عن مطاليب الناس ، الذين عانوا وشقوا بسببه ، ومابرحوا ليل نهار يدعون الإله لزوال ملكه. ففقد العناية والعظمة الربّانيتين ، وأخطأ في كلّ تدابيره . وكان أنْ ظهر بيوراسب (المدعو ضحاك) (١٠) في صقع ما، وهجم عليه وخلعه من العرش ، ولم تنصره الرعيّة ، التي كانت قد ضاقت به ذرعاً ؛ فاضطرّ إلى الفرار إلى الهند ، واعتلى بيوراسب عرشه، ومن ثمّ ظفر به ﴿أي بجمشيد﴾ وشطره بالمنشار شطرين.

تخت جمشيد

لقد حكم بيوراسب ألف سنة. وكان عادلاً في البداية ، ثمّ تحوّل ظالماً في النهاية قولاً وفعلاً ؛ إذ نفذ إليه الجن ، فتعسّف وعذب الناس ،



حتى جاء فريدون من زاوية ما﴿الهند﴾ وقتله، واعتلى عرش الملوكيّة. وكان فريدون من نسل (سلالة) جمشيد. وقد حكم خمسمائة سنة ، وكان عادلاً مبارك الخطى وملكاً معظماً. وبمضيّ مائة وأربع وستين سنة على حكم فريدون (١١) ؛ إنتهت الدورة الثانية من تاريخ كَيومرث ، واعتنق ﴿فريدون﴾ دين ابراهيم عليه السّلام، وطوّع الفيل والأسد والفهد ، وقيل انّه سفّد الفرس بالحمار﴿فنتج البغل﴾ وهو الذي صنع الخيمة والإيوان،

وجلب بذور وفسائل وشتلات الأشجار المثمرة والمياه الجارية إلى البساتين والعمائر، وكذلك الأترنج (الكبَاد) والنارنج والبادرنک (بقلة طبّيّة) والليمون والورد والبنفسج والنرجس والنيلوفر والسوسن والريحان والمرزنكَوش وغيرها إلى الحدائق والبساتين. وهو الذي دشن إحتفال عيد المهركَان (المهرجان) واحتفل سنويّاً بذكرى مقتل ضحاك واعتلائه هو العرش ، وقد استحسن الناس المتأذون من عسف وجور ضحاك احتفاءه باليوم المذكور، و راحوا يحتفلون فيه ؛ تبعاً للفأل الحسن. ومابرح الناس يقيمون سنويّاً حتى عهدنا مراسيم أولئك الملوك ذوي العهود الطيّبة في إيران و طوران؛ كلّما حل فروردين ، وهو اليوم الذي جدّد فيه فريدون الإحتفال ، ودعا إليه الناس من أصقاع العالم ، وكتب ميثاقاً وأناط تنفيذه بمن إصطفاهم ، حيث وزّع مُلكه على أبنائه: تركستان (من نهر جيحون حتى الصين والماصين) لتور﴿طور﴾ و أرض الروم لـ (سلم) وأرض إيران وعرشه هو لـ (إيرج)؛ وعليه فإن ملوك الترك والعجم من الجوهر(الأصل) نفسه، وهم أقرباء، بل سليلو فريدون أصلاً ، ومن واجب الناس تنفيذ تقاليد وأوامر هؤلاء الملوك؛ لأنهم من نسله. وبمضيّ عهد فريدون ومن أعقبه من الملوك حتى حلول عهد كَشتاسب (١٢)، وبعد مضيّ ثلاثين سنة على حكمه ظهر زردشت (١٣) مبشراً بالدين الكَبري (عبادة النار) فاعتنقه كَشتاسب وتبعه، وكان قد مضى على احتفال فريدون حتى عهدذاك تسعمائة وأربعون عاماً، وقد بلغت الشمس برج العقرب؛ فأمر كَشتاسب بالتكبيس ، واتخذ من فروردين حين ورود الشمس في أوّل السرطان موعداً للإحتفال، وقال: " اضبطوا هذا اليوم بدقة، ونَوْرزوا فيه؛ فالسرطان هو طالع العالم، ويكون دفع حق بيت المال أيسر وقتئذ على الفلاّحين والمزارعين" وتفضل أيضاً بالقول أن يُجرى التكبيس في كلّ مائة وعشرين سنة؛ لكي تبقى السنوات منتظمة كما هي، ويعرف الناس مواقيتهم وما يتخللها من حرّ و برد. ثمّ تواصلت إقامة تلك المراسيم حتى عهد الإسكندر الرومي (المدعو بذي القرنين) (١٤) وقد أجروا الكبيسة حتائذ. وظلّ الناس يتبعون التقليد نفسه حتى عهد أردشير بابكان(١٥) إذ حان وقت الكبيسة ؛ فقام بالكبيسة واحتفل احتفالاً عظيماً، ونقش ميثاقاً، وعين ذلك اليوم و دعاه ﴿نوروز﴾ وظلّ الناس يتبعون التقليد نفسه حتى عهد انوشيروان العادل (١٦) ، والذي نورزَ بعد تشييد إيوان المدائن(١٧)، حيث إحتفل وأدّى المراسيم والطقوس كافة؛ لأنها كانت مراسيمهم، لكنه لم يقم بالتكبيس، وقال لِيبقَ ذلك حتى تبلغ الشمس أوّل السرطان، حسبما أشار وفعل كَيومرث وجمشيد. قال هذا، ثمّ لم يجرَ التكبيس حتى عهد الخليفة المأمون (١٨) ، الذي أمر أن يقوم (الفلكيون) بالرصد، وأن ينورز الناس ؛ كلّما حلّت الشمس في برج الحمَل. وقد دوّن الزيج

المأموني﴿كتيّب النجوم﴾ الذي مازال معتمداً في التقويم. وفي عهد المتوكّل على الله كان له وزير اسمه محمد بن عبدالملك، والذي قال له: " يقع افتتاح دفع الخراج في وقت يكون المال بعيداً عن الغلال؛ فيلحق الأذى بالناس ، وكان من تقاليد ملوك العجم إجراء التكبيس ؛ لكي يحلّ رأس السنة في موعده الثابت، فلا يتأذى الناس من دفع المال إلاّ قليلاً ﴿يتأذون أقل﴾ لأن أيديهم تعلو﴿لاتكون في ضيق﴾ " ولم يستجب﴿إستجاب﴾ (١٩) المتوكّل ، وظلّ الحال كما هو...﴿فأعادوا الشمس من السرطان إلى فروردين﴾ فارتاح الناس. وفي عهد المعتضد (٢٠) طرح عليه وزيره أبوالقاسم بن سليمان بن وهب موضوع التكبيس ؛ فاستجاب وأمر بإجرائه ، وعندها أعادوا الشمس من السرطان إلى فروردين، فكان مدعاة ارتياح الناس ، ثم تواصل هذا التقليد(العرف) ثمّ سمعت أنّ خلف بن احمد أمير سيستان أجرى تكبيساً آخر، والآن ثمّة فرق ستة عشر يوماً مع نوروز، لكنني لم أقف على كيفيّة الأمر. (وقد طُرِحَ أيضاً هذا الأمر على السّلطان سعيد معزّ(معين) الدنيا والدّين ملكشاه، أنار الله برهانه ؛ لكي يتفضّل بالأمر لإجراء التكبيس ؛ فتعود السّنة إلى مكانها. ولقد إستقدموا علماء وحكماء العصر من خراسان وصنعوا كلّ آلة تستخدم في الرصد- من ديوار و ذات الحِلَق وغيرهما- وهمّوا بنقل نوروز إلى فروردين ، لكن ملك الزمان لمْ يمهله الأجل ؛ فلمْ يستكمل الكبيسة)

هي ذي حقيقة نوروز وكلّ ما وجدناه في كتب المتقدّمين وأقوال العلماء، على سبيل الإختصار. ﴿ والآن سنذكر بعض تقاليد وأعراف ملوك العجم على سبيل الإختصار، ونعود إلى تفصيل نوروز، بعون الله وحسن توفيقه﴾(٢١)

الحواشي (ج.ز):

(١) جمشيد : ملك أسطوري إيراني خلّف تهمورث . حكم سبعمائة سنة . نشر العدل والإحسان و الرحمة في ربوع مملكته. إستخرج المعادن النادرة ، و تفنن بذكائه في صنع الأسلحة ، وصنع الملابس ، و صنّف الناس : كهّاناً ، محاربين ، زرّاعاً و حرفيين . و سخر الجن للأعمال الصعبة والشاقة . وعرف أسرار الطب و صناعة الأدوية. طاف بمركبته أصقاع الأرض ، و طار إلى الممالك كلّها على سرير مرصع بالجواهر يحمله الجن في أوّل يوم من أيّام السنة وقت حلول الشمس في برج الحمل ؛ فسرّ سروراً عظيماً ، وانتشى بشرب أقداح من الخمر بالجواهر يحمله الجن في أوّل يوم من أيّام السنة وقت حلول الشمس في برج الحمل ؛ فسرّ سروراً عظيماً ، وانتشى بشرب أقداح من الخمر ، و عرف ذلك اليوم بـ (النوروز) و ظلّ عرفاً مقدّساً عند الإيرانيين. و بعد استكمال أسباب العز و الرخاء ، راح جمشيد يتكبّر و يستبدّ و يتجبّر ، فتخلّت عنه العناية الربّانيّة ؛ فاضطرب حكمه ، و عمّ الفساد والخوف ، و هرب العلماء و الحكماء ، وانشق ملوك الممالك الإيرانية عن طاعة ملكهم الأكبر ، واتصلوا بأستياك (ضحاك) و دعوه ليخلّصهم من جمشيد ؛ فلبّى دعوتهم و نصب نفسه ملكاً عليهم ، و لاحق جمشيد الهارب إلى الهند ، حيث اختفى مائة سنة ، ثمّ ظهر ، فقصده الضحاك و ظفر به و قتله.

(٢) نوروز (اليوم الجديد) هو أوّل يوم في تقاويم الشعوب الإيرانيّة كالكرد و الفرس ، بل عيد قومي للكرد بالأخص ، و يعمّ الإحتفال به شعوباً كثيرة في الشرق و الغرب ؛ بصفته عيداً في بدء كلّ ربيع ، علماً أن السومريين

ثم الأكديين كانوا يحتفلون به ، و قد أقرّته منظمة اليونسكو في قرار لها (في شباط ٢٠١٠) عيداً عالميّاً . و هو يصادف اليوم الحادي والعشرين من شهر آذار (مارس) في السنة الميلاديّة.

(٣) كَيومرث : أوّل ملك إيراني أسطوري من الأسرة البشداديّة . يحسبه الزرادشتيون آدم أبا البشر. كان قويّاً و شهماً . إرتدى جلد نمر ؛ فدشّن بذلك ارتداء الملابس . و يذكر أن السلالة البشدادية(الأسطوريّة) أقدم من السلالة الميديّة (التاريخيّة) التي تعد إمتداداً لها ؛ و موطنهما واحد ، و يشمل مناطق ميديا الصغرى والكبرى ، والميديّون هم أكبر مكوّن من أسلاف الشعب الكردي.

(٤) موابذة : جمع (موبذ = رجل دين / روحاني) على ذمّتي (ج.ز)

(٥) الأهرامنة : جمع (أهريمن = إبليس) على ذمّتي (ج.ز)

(٦) جبل قاف : جبل أسطوري ، ورد ذكره في القرآن الكريم ، و فسّره المفسّرون على إنه جبل محيط بالأرض ، و هو من الزبرجد الأخضر ، و منه زرقة السماء . و إنه أصل جبال الأرض كلّها . ويحسبه البعض جبل ألبرز و آخرون جبل القفقاس ، حيث يعيد البعض جذر الكلمة (قاف) إلى القفقاس ، و آخرون إلى (كوف = كوه) البهلويّة.

(٧) هوشنگ شاه : خلَف جدّه كيومرث على العرش فحكم تسعمائة و سبعين عاماً وحافظ على سمات عظمة جدّه وأسلافه . قام بشق الجداول و شجع الزراعة و روّض الحيوانات كالبقر و الحمير و اصطاد الحيوانات البرية و استعمل جلودها في صنع الملابس والمفارش . و هو الذي إكتشف النار بالصدفة ذات يوم ، حين رمى حيّة بحجارة لكنها لم تصبها ، واصطدمت بصخرة فانقدحت شرارة نار . وقد اتخذ هوشنك النار قبلة معبودة ، و من ابتدأ تعظيم الإيرانيين للنار.

(٨) طهمورث شاه : تولّى العرش بعد أبيه هوشنگ . تلقب بـ (ديوبند = سجّان الغيلان) إذ حارب الجن و انتصر عليهم ، و سجن الكثير منهم ؛ فلم يطيقوا حياة الذل والقهر ، و عاهدوه على تعليمه الخط و الكتابة بثلاثين لغة ؛ إذا ما أطلق سراحهم ، فاستجاب لعرضهم ، و كان ذلك بداية لنشوء الخط والكتابة بين الخلق . وعرف طهمورث بترويضه للوحوش الكاسرة ، و بعدله. حكم ثلاثين عاماً ، و خلفه جمشيد.

(٩) الصّابئة : المندائيّون . ديانتهم غنوصيّة . ذكرهم القرآن الكريم بين أهل الكتاب .ومنهم من كان يعبد الكواكب . يقول عنهم الأستاذ الباحث عزيز سباهي : " لعب الصائبة ، رغم كونهم طائفة دينيّة صغيرة ، دوراً ملحوظاً في تطوّر الحياة الروحيّة والفكريّة في بلاد مابين النهرين خلال ظهور المسيحيّة و إنتشارها ، و بعد ظهور الإسلام ، و لاسيّما بعد ازدهار الحضارة العربيّة – الإسلاميّة أيّام العبّاسيين ، و لمعت من بينهم شخصيّات علميّة أسهمت بقسط وافر في إعلاء شأن الحضارة العربيّة – الإسلاميّة . لكنهم بعد تدهور هذه الحضارة ، و الغزو المغولي ، و الفتح العثماني من بعد ، و تعرّضهم إلى الإضطهاد في العهود المختلفة ؛ إنكمشوا على أنفسهم في القرى المنتشرة عند البطائح المتدّة من جنوب نهر الفرات حتى نهر كارون في جنوب غربي إيران..."

(١٠) بيوراسب بن مرداس (ازدهاك = ضحاك) : عرف بالصلاح و حب الناس في البداية . كان

يهوى الطرب واللهو والصيد . كان له خادم من الجن (إبليس) المتنكّر في هيئة شاب وسيم ، نال ثقة ضحاك بخدماته المُرضيّة ، إلى حدّ إغرائه بقتل والده الملك ؛ ليحكم العالم وحده . و بعدها تنكّر إبليس بهيئة طبّاخ ، فاستلم المطبخ الملكي ، ولتفننه في إعداد الأطعمة ؛ أعجب به ضحاك ، و ودّ أن يكرمه ، فاستخاره : " ماذا تريد؟" و بعد الدعاء بطول العمر و دوام الملك والعز لضحاك ، طلب إبليس أن يقبّل منكبيه ، فتعجب ضحاك و استجاب له . و بعدها اختفى إبليس ، في حين نبت من منكبيّ ضحاك ثعبانان أرعباه هو و حاشيته ، وعجز الأطباء والحكماء عن استئصالهما ؛ إذ كانا ينبتان من جديد(وهو مرض السرطان بالتأكيد) وإذا بإبليس يظهر من جديد متنكراً بزيّ طبيب ، و يقول لضحاك : " إنّه قضاء الله لامناص منه ، ولكن عليك أن تطعمهما بأدمغة البشر يوميّاً ؛ فيهدآن ، و تهدأ آلامك المبرّحة" و عليه أمر الضحاك بقتل شابين يوميّاً لإطعام الثعبانين بدماغيهما ، واستمرّ الحال ، و عمّ الخوف والرعب في نفوس الرعيّة من تفاقم بطشه... و ثار الناس عليه بقيادة كاوه الحدّاد الذي يسّر لفريدون (أحد أبناء الضحايا) إلقاء القبض على ضحاك و حبسه حتى الموت في جبل دماوند . يظن المؤرخون والباحثون أن ضحاك هو أستياك رابع الملوك في العهد الميدي (٧٠٨ – ٥٥٠ ق .م)

(١١) فريدون : حكم خمسمائة سنة . إستهلّ عهده باحتفال كبير عُرِف بعيد (مهركان = مهرجان) . و في شيخوخته قسّم امبراطوريته على أبنائه الثلاثة ، حيث أعطى أرض الروم و بلاد المغرب و ما جاورها لإبنه الأكبر (سلم) و بلاد الترك والصين و ما جاورها لإبنه الأوسط (طور) – سلف الطورانيين الترك – و لإبنه الأصغر (إيرج) إيران و بابل و الهند مع تاج الإمبراطوريّة بصفته وليّ العهد . قتله أخواه شرّ قتلة. ومن ثمّ كبر ابنه منوجهر وانتقم من عمّيه.

(١٢) كَشتاسب: إبن لهراسب . حكم مائة و عشرين سنة . سجّل بطولات عظيمة في بلاد الروم ، حيث قتل الذئب الأغبر و الثعبان الضخم و تزوّج من كتايون إبنة ملك الروم . و لمّا عاد إلى إيران و تسنّم عرشها ، راح يبسط الأمان والسلام والعدل والخير. وقد ظهر النبيّ زرادشت في عهده ، فآمن بديانته، و عمل على نشرها و تعزيزها في أرجاء مملكته ، و بنى بيوتاً كثيرة للنار مقببة بقباب بديعة. خلَفه حفيده بهمن.

(١٣) زرادشت (؟ ٥٨٣ ق.م): نبيّ الإيرانيين القدامى وكتابه الآفيستا. كانت ديانته توحيديّة مبدؤها الجوهري : الفكر الطيّب و الكلام الطيّب و العمل الطيّب . تحسب الزرادشتية كلّ ما هو خير و فضيلة و جميل من صنع الإله هرمزد ، و كلّ ما هو شرّ و رذيلة وقبيح من عمل أهريمن (الشيطان) ، و الصراع قائم دائماً و أبداً بين هرمزد و أهريمن ، يمثلهما النور و الظلام. و قد إعتنق الأخمينيّون والساسانيّون الديانة الزرادشتية. و ورد في الآويستا ذكر الملوك : جمشيد ، ضحاك ، كيكاوس ، كيخسرو و كَشتاسب.

(١٤) الإسكندر الرومي (٣٥٦- ٣٢٣ ق.م) : من أشهر الغزاة الفاتحين . لقب بذي القرنين . إجتاح إمبراطوريّة الفرس بعدما هزّم داريوش الثالث في معركة كَوكَميلا قرب اربيل بالعراق سنة (٣٣١ ق .م) . مات بالحمّى في بابل. تقاسم امبراطوريته قادته : أنتيغونس و بطليموس و

سلوقس ؛ فنشأت الممالك الهلنستيّة.

(١٥) أردشير بابكان : مؤسس السلسلة الساسانية. حكم للفترة (٢٢٤- ٢٤١م) وحّد ايران و قضى على أردوان الخامس آخر الملوك الأشكانيين في ٢٢٦م، ثم قام بفتوحات توسّعية في جزر الخليج و المناطق الغربية للإمبراطوريّة الرومانيّة كنصيبين و حران ، ثمّ ضمّ أرمينيا إلى امبراطوريته. كان أردشير ملكاً حكيماً و قديراً ، و ثمة تدوين لأعماله في كتاب (كارنامك أردشير بابكان) باللغة البهلوية السائدة في العهد الساساني ، و هو مترجم إلى الفارسية الحديثة.

(١٦) انوشيروان العادل : ابن قباد . يعد عهده (٥٣١- ٥٧٩م) أزهى عهود العهد الساساني ؛ من حيث استتباب الأمن والإستقرار وإقرار العدالة و تشجيع الزراعة و تعبيد الطرق و بناء القناطر والجسور ، و الإهتمام بالتعليم والترجمة وإكرام وفادة النساطرة الذين طردهم الإمبراطور الروماني زينو ، وكان لوزيره بزركمهر دور بارز مؤثر في توجيهه في إدارة البلاد والعناية بشؤون الرعيّة . علماً أن أنوشيروان كان شديد القسوة مع خصومه حتى إخوته و أبنائهم الذين قتلهم جميعاً ، كما قتل مزدك والآلاف من المزدكيين وأحرق كتبهم و صادر أموالهم . وقد خاض حرباً طويلة الأمد ضد الرومان.

(١٧) إيوان المدائن : موقع جنوبي بغداد . طسيفون عاصمة الفرثيين. فتحها العرب بعد معركة القادسيّة . نقل المنصور أنقاضها لبناء بغداد.

(١٨) المأمون عبدالله بن هارون الرشيد (٧٨٦- ٨٣٣م): الخليفة السابع من كبار الخلفاء العبّاسيين. أمّه جارية فارسيّة . أحبّ الفرس ؛ فلمْ يكسبْ ودّ العرب . درس و بحث في بضعة علوم : الطب ، الفلك ، الرياضيّات ، الفقه ، الحديث و علم الكلام . و كان شاعراً. قتل أخاه الأمين ، و خلّفه في ٨١٣م . عُني بالآداب و العلوم ، و أنشأ (بيت الحكمة) ببغداد ؛ فازدهرت في عهده حركة الترجمة و النقل . و كان يرعى العلماء و يجالسهم و يناقشهم . ناصرَ المعتزلة ، و امتحن الناس في خلق القرآن ؛ فعرف هذا الإمتحان بـ (المحنة) و قد خلّفه أخوه المعتصم .

(١٩) هكذا ورد الإختلاف بين المتنين : (دانشنامهء خيّامى) و (گنجينهء نثر بارسى)

(٢٠) المعتضد بالله احمد بن الموفق : الخليفة العباسي السادس عشر(٨٩٢- ٩٠٢م) عقد صلحاً مع خمارويه الطولوني و اقترن بابنته. هزّم جيشه ابوسعيد الجنابي القرمطي .

(٢١) في ترجمتي هذه إستشرت أيضاً المتن الوارد بعنوان (نوروزنامه) في (گنجينهء نثر بارسى / بهٰ‌وشش: حسن صدر حاج سيد جوادى) والذي وجدته على صفحات النت. و ممّا جاء في تقديمه : " نوروز نامه نموذج كامل لأسلوب النثر في القرن الخامس الهجري (١١م) وتتراءى فيه سمات نثر ذاك القرن كافة . أسلوب كتابته بسيط جداً، وخالٍ من التكلّف. عباراته قصيرة، تقلّ فيه الكلماتُ العربيّة، وتتخلله كلمات وعبارات بهلويّة (.....) نوروز نامه يبيّن بالأخص أسباب ظهور عيد نوروز والكشف عن حقيقته، وواضعه من الملوك، وطقوسه وتقاليد الملوك الساسانيين في هذا المجال "

المصدر:

دانشنامهء خيّامى / رحيم رضازادهء ملك/ تهران – ١٣٧٧(١٩٩٨م)

شهادات وإشارات حول كردستانية خانقين

إبراهيم باجلان

تعتبر خانقين من المناطق الكردستانية التي لاغبار على كوردستانيتها وتواصل سكن الكرد فيها منذ ماقبل الميلاد بعشرات القرون. وهناك أشارات وشهادات لمؤرخين وجغرافيين من العرب والمسلمين ومن الرحالة الأجانب أيضاَ. وهناك آثار التأريخية التي لايزال شاخصة فيها تؤكد هذه الحقيقة. وهي بهذا كردستانية موقعاَ وتأريخاَ وتسمية. وحول موقعها الجغرافي يذكر الأستاذ المؤرخ (طة باقر) في كتاب (تأريخ الحضارات القديمة أو الوجيز في تأريخ حضارة الرافدين) من منشورات وزارة الثقافة والاعلام للعام (١٩٨٦). وذكر في الفصل المعنون- الطرق المؤدية الى الاقليم الشرقية – (ص٣٣).

• أما طريق خانقين فكان يؤدي الى كرمانشاة وهمذان (اكباتا) القديمة عاصمة الميديين (الماذيين). وهي بهذا كانت بوابة دولة ميديا. أولى الدول التي أنشأها الكرد, وقضى عليها كورش الكبير.

• وأن الجغرافيين والرحالة العرب والمسلمين أطلقوا عليها أسم بوابة خراسان, وبوابة (زاغروس) يذكر مؤلف كتاب (العراق الشمالي) محمد هادي الدفتر, وعبدالله حسن. من مطبوعات النهار ج بغداد ١٩٥٨, ونقلاَ عن المؤرخ (أوريان) الذي يطلق على جبال زاغروس أسم جبال (الغديان), ويسميها المؤرخ كونينوس ب(جبال كورديان) أي جبال الاكراد, وتسمى جبال وأراضي زاغروس أي المنطقة الجبلية المنيعة.

• وأن الجغرافيون المسلمين أطلقوا عليها إسم بوابة أقليم الجبال أي (أقليم كردستان) بمفهوم عصرنا, أي أن خانقين كانت دوماَ مفتاح كوردستان ومما ينبغي ذكره أن الاساتذه في مجال الجغرافية البشرية من أمثال الدكتور (شاكر خصباك). يؤكد هذه الحقيقة في كتاب (العراق الشمالي) درامة لنواحية الطبيعية والبشرية. ساعدت جامعة بغداد على نشرة سنة (١٩٧٣). يقول الدكتور خصباك :- لابد من قول كلمة بشأن قضاء خانقين, فمن المعلوم أنه بمثل أمتداد فيزلوجيا وانثولوجيا لاقليم العراق الشمالي.

من الناحية التأريخية

ومـن الناحية الـتأريخية فـأن أولى الـدول الكردية الـتي نشأت قبل الميلاد ب(٣٥٠٠) سنة,نشأت على نخوم خانقين, وهـي دولة (اللولو) وهم من أقوام زاغروس الاوائل – الذين يشكلون أحد الروافد الرئيسية من مكونات الشعب الكردي . وعلى رأي اللورد كـارزون والأب توما بـوا, يعتبرهم أجـداد للكرد اللور. وتحكموا بالمناطق الكائينة بين خانقين وزهـاو الى حـدود كرمانشاة. ومن نواحي هورين وشيخان وحلبجة الى بنجوين والسليمانية وحتى حدود بازيان في كركوك وطريق خانقين – بغداد ومن اشهر ملوكهم (آنو بانيني) الذي وردة ذكره في دائرة المعارف العراقية للاستاذ (محمود الجندي) كأشهر ملك من ملوك الكرد الاقوياء وآثار انتصار هـذا الملك على الاكـديـين مـازالـت محفورة في جبال زهاو وهورين وشيخان في مسلتين تأريخيين. وهذا يشكل دليلاً قوياً على حكم الكرد لهذه المنطقة منذ اكثر من (٥) خمسة الآف سنة,

*وفي العهد العباس كانت خانقين تابعة ل(ماه الكوفة), وفي عهد البوبهيين كانت تابعة للامارة الحسنوية في دنيور وشهرزور, الكردية انظر دراسة الدكتورة جليلة ناجي الهاشمي المنشورة في العدد الاول, المجلد الثالث من مجلة المجمع العلمي الكردي سنة ١٩٧٥. والتي اشتهر حكامها باقامتهم للجسور والقناطر والمشاريع الخيرية.

وفي العام ١٩٦٠ وبينما كـان المواطن (كمال مصطفى) واخوتة يحاولون فتح جدول لسقي بستان استأجروة في منطقة علمدارالكائنة في الصوب الصغير في خانقين عثروا على شاهدة قبرين المرمر محفورة عليها أسم المتوفي احمد محمد ورفرياء المتوفي سنة ١١٢ للهجرة وورفرياء من العشائر الكردية المعروفة وهذا دليل اخر على تواصل سكن الكرد لخانقين منذ بدايات القرون الثاني للهجرة.

كردستانية خانقين
في رحلة المنشىء البغدادي

رحلة المنشىءالبغدادي كتبها سنة ١٣٢٧ ه (١٨٢٢)م. وهو السيد محمد امين السيد احمد المعروف بالمنشىء البغدادي , بالذي تجولة في ديـار الكرد ومواطن العراق الاخـرى فذكر القبائل والمواقع الاثرية. فعلها عن الفارسية (عباس العزاوي المحامي. وطبعها سنة ١٩٤٨ في بغداد . ففي الصحيفة (٣٩) ذكر (خانقين) ويقال لها (خان جيل) ومن قزلرباط اليها خمسة فراسخ وتقع على جانب نهر الوند (ص٤٠) الذي يأتي من جبال (اللر) جانب منها في جهة قزلرباط والاخرى مهمة (حاجي قرة) وفيها الف وخمسمائة بيت كلهم (كرد) وكسب الاغلبية رزاعة القطن والتبغ والرز والشعير .والـملاحـظ ان المؤلف يقول كلهم (كرد) وهو فارس الاصل .

خانقين كانت تحكم
من قبل باشوية زهاو الكردية

وفي كتاب :- كرد وتـورك وعـرب – سياسة ورحلات وبحوث عن شمال الشرقي في العراق . ١٩١٩ -١٩٢٥ تأليف : سي وجي – أدموندز مستشار وزارة الداخلية في العراق. ١٩٣٥ -١٩٤٥

ترجمة / جرجيس فتح الله. ص١٤ يقول المؤلف

وكان قضاء خانقين جزء من بشالق(باشوية) زهاب وهو النخاع العظمي للنزاع بين تركيا وايـران الـذي دام لمدة قـرون – الى ان قسم بينهما بموجب معاهدة تحديد الحدود (١٩١٣ -١٩١٤) وعرفت هذه الامـارة بأمارة باجلان ايضاً. وكانت خانقين المركز الشتوي الامراء زهاو.

وقد ورد ذكر هذه الامـارة في كتاب المنشء البغدادي ص٤٣ خلال زيارتة لمدينة زهاو- زهاب تبعد هذه البلدة فرسخين عن قنطرة زهـاب – وبيوتها خمسة الاف وهي قاعدة اكراد باجلان , وربيتهم يلقب باشا واكراد باجلان لهم ثلثمائة قرية وقد انتقل اليها امـراء باجلان سنة ١١٨٠ وبعد أن. أصبحت (درنـة) ضمن امـلاك شـاه ايـران سنة ١٨٤٧ بموجب معاهدة أرضروم الثانية.كما زار هذه البلدة جميس بكنفهام سنة ١٨١٦ خلال رحلة الى العراق وتحدث عن باشا زهـاو, وامارتة الكردية التي كانت تابعة للدولة العثمانية. خانقين في مذكرات رؤوف البحراني والوضع في العراق في اواضر العهد العثماني ١٩٠٠ – ١٩٢٠

محمد رؤوف البحراني تولى مناصب عديدة منذ بدايات تأسيس الحكم الملكي في العراق في مذكراتة تحدث عن خانقين وزعيمها مصطفى باشا باجلان ص٩٠ و٩١ – قائلاً:- مصطفى باشا أبـن عثمان باشا بن احمد بن قادر بن عبدالله بن احمد باشا باجلان من رووسـاء , الاسـرة الباجلانية البارزين, القاطعة شرقي العراق في منطقة خانقين من شمالها الى جنوبها ويمتدد نفوذهم الى مابعد منطقة (زهاو) والى مقربة كرمانشاه داخل ايران وأضاف: نال هو وأباءه الى الجد الرابع بالتعاقب الرتبة الباشوية من السلطنة العثمانية تقديراً لخدماتهم,ولد في خانقين سنة ١٨٤١ ونشأ بها لكراماًوتولى مناصب منها قائمقامية قضاء بدرة وجسان ومندلي والعزيزية اضافة الى (امـارتـة منطقة باجلان) التي يحكمها هو واباوه من قبل في خانقين وهم متنفذون فيها الى ابعد الحدود. وكان قبل اعلان الدستور العثماني في عام ١٩٠٨م

صنيعا في الاستانة لمدة سنوات ثم عفي عنه لبراعته الشعرية لدى السلطان عبد الحميد حيث منحه رتبة الباشوية وعاد الى العراق . ولما كثرت اساءة العثمانيين للاكراد عام ١٩١٦ م ثار بوجههم مع قومه ومع اقتراب الانكليز في خانقين مال اليهم وتعاون معهم لتامين حقوق الشخصية والعائلية والقبلية ولتحقيق افضل ما يمكن لاتباعه ويعتبر من رجال الاكـراد والبواسل في الحروب القبلية والتي بـرزت شجاعته وموافقة الجرئية فيها وكـان مصطفى باشا باجلان وعجيل باشا السمرمد والسيد القزوين موضع اعتماد السر بزس كوكسن وكان الملك فيصل الاول يجامله كشخصية كردية جليلة توفي بعد تتويج الملك فيصل باشهر وتوفي في خانقين واخر عام ١٩٢١ بحكم الشيخوخة ودفن فيها عن ٨١"عاماً ورد عنه في تقرير المخابرات البريطانية المرفوع سنة ١٩١٩ بحق العشائر

الكردية وقد ترجمة وعلق علية الاستاذ فـواد حمـة خورشيد ان الرئيس الحالي مصطفى باشا باجلان كهل قاسي وشخصية صارمة كان هذا الرجل تبوا مناصب في العهد العثماني ولة المام شامل بالعشائر العربية والمقيمة بتلك الارجاء لا تقل معرفته والمامة بالعشائر الكردية في كوردستاني الجنوبية انه كـردي نقي بكل معنى كلمة (He is Qkurd To Backbone) كان يمتاز بنشاطه ومما ستة لكل خطة تقضي نجح كردستان حكما ذاتيا واستطاع هذا الزعيم ان يصاهر الاسقة البابانية التي هي من الاسر الكرمانجية النقية فر كردستان الجنوبية انظر مجال بابان /تاريخ باجلان – مجلة المجع المجع العلمي العراقي والهئية الكردية المجلد ٢٣و٢٤-١٩٩٢

كماان المسربيل اكدت في كتاب (فصول من تاريخ العراق التعريب نفوذ مصطفى باشا ترجمة وجعفر ضباط طبع بمساعدة وزارة التربية ١٩٧١ ففي ص١٤٢ في اواخـر نيسان صفر مصطفى ثاشا نفسه الى بغداد حاملا طلبلت قبائل باجلان والجاف والشرفيناني والطالبانية وجهاء قزرباط يطالبون بتلبية حقوق الكرد وتصف مصطفى باشا بزعيم خانقين.

وفي منتصف القرن الماضي زار كوردستان الكاتبان محمد هادي الدفتر وعبدالله حسن، وكانت الغاية من زياتهما معرفة طبيعة وسكان العراق الشمالي وصدر الكتاب المذكور ج١ عن دار النهار ١٩٥٨ وفي الصفحة ٦٣ ذكر العشائر القاطنة في / قضاء خانقين.

والعشائر المذكورة: هي ١- زركوش ٢-والباجلان ٣- والـكـرويـة ٤-وبــنـي ويــس ٥- والجـمـور ٦-والربيعة ٧-والطالبانية ٨- والشرف باينية ٩-والـقـادر ويسية ١٠- والبرزنجة ١١- والدلو ١٢- والجـاف ١٣- والسورميري ١٤- والكاكائية ١٥- والكهريز ١٦- والاركوزاي ١٧- والعساكرة ١٨- والطائشة ونلاحظ انه من مجموع ١٨ عشيرة تقطن القضاء بينها اربعة عشائر عربية وهي ١-الكروية ٢- بني ويس ٣- الربيعة ٤- العساكرة وهـذا يبين حجم الكرد في قضاء خانقين انذاك وفي كتاب العراق قديما وحديثا للاستاذ عبدالرزاق الحسين ورد ذكر العشائر الساكنة في القضاء وذكر المؤلف (١٥) عشيرة من بينها ثلاثة عشائر عربية.

وهناك عشرات الادلة حول عراقة كوردستانية خانقين ذكرنا بعضها والخلاصة ان خانقين كانت وما زالت ارضا كردستانية لم يغادرها اهلها الكرد منذ ما قبل الميلاد وفي العصور الاسلامية حكمت من قبل الامارات الكردية االحسنوية والعنازية والكلهر وامـارة زهاو –باجلان وقد تعمدت ذكر المصادر العربية والاجنبية حول كوردستان خانقين لكي لا يقال انني استندت الى الباحثيين والمؤرخين الكورد ولتكن هذه الاشارات التي لا تكون كل المصادر حول هذا الجانب وانا جزء منها ومما يدعو للاستغراب ينبري البعض للقول ان الكرد توجهوا الى خانقين بعد سقوط النظام الدكتاتوري والشوفيني ولانه كما قيل يمكن خـداع بعض الناس لبعض الوقت ولكن لا يمكن خوع كل الناس لكل الاوقات.

في هوية كردستانية خانقين

أمل باجلان

من المعروف ان عوامل واسباب نشوء المدن أما ان تكون دينية او تجارية او سياسية او جغرافية اذ لجغرافية المنطقة وطبيعة ارضها ومناخها دور في نشاتها وخانقين تمتلك من هذه العوامل اغلبها ولذلك فانها تعتبر من اقدم المدن في تاريخ كردستان ونحن الان لسنا بصدد محاولة لاثبات قدم خانقين كمدينة فقط وانما نسعى الى توضيح بعض الحقائق من خلال تقديم الادلة على كردستانية خانقين منذ نشاتها الاولى قبل الالف السنين ولذلك لابد لنا من القول بان هذه المدينة التاريخية تزخر بالعديد من المعالم التي تثبت ذلك ، فاسماء تضاريس المنطقة التي تحتضنها من جبال وسهول ووديان اغلبيتها المطلقة جاءت باسماء كردية وكذلك قراها وتجمعاتها السكانية واصفين بذلك جمال طبيعتها الخلابة فاقترنت تلك الاسماء بمسمياتها طوال قرون رغم محاولات الانظمة المتعاقبة للتلاعب بها واستبدالها باسماء عربية لا تلائم وطبيعة المنطقة وشواخصها، وحتى مقابرها القديمة و الحديثة تفصح عن هويتها الكوردية .. وهي ميزة قد تضاف الى مجموعة الملامح الكوردستانية للمدينة، ولجمال طبيعتها فان امهات كتب التاريخ تذكر بان اسكندر المقدوني عندما مر بها خلال حملته للسيطرة على بلاد الشرق اطلق عليها اسم (ارتميتا) تشبها بالمصيف ذو الهواء العليل. اذ توفي الإسكندر في مدينة بابل سنة ٣٢٣ ق.م مما يعني انه مر بخانقين قبل ذلك الحين وماهي الا دليل تؤكد ان خانقين اقدم بلدة كردية في تاريخ المنطقة.

وتعود تاريخ تاسيس خانقين الى العهود الساسانية اي في ٢٢٦ ق.م وان اصل التسمية (ساسان) يرجع الى الكاهن الزرادشتي ساسان جد اول ملوكهم أردشير الأول والإمبراطورية الساسانية واطلق الاسم على الامبراطورية الفارسية الثانية من سنة (٢٢٦ - ٦٥١) ق.م عندما انتهى حكمها في عهد يزدجرد الثالث حيث ان أرض الإمبراطورية الساسانية أحاطتْ كل من (إيران اليوم، العراق، وأجزاء من أرمينيا وأفغانستان، والأجزاء الشرقية من تركيا، وباكستان). كما جاء في أطلس تاريخ الإسلام (ص٤٩) لمؤلفه الدكتور حسين مؤنس. اذا استطردنا في سياق مانروم الوصول اليه

سنجد المفردات لاتخرج عن اطار لغة القوم وهي الكردية ومن اسماء تلك القرى (ئاواي كـةورة - القرية الكبيرة وهـورة شيخاني)، وسةوز بلاخ – معناها ربما يدل على مربط الخيول اذ تقع على مفترق الطرق وسةوز تعني الاخضر وهي ترمز بذلك الى وفرة الحشيش وقد تكون محورة من ولاغ اي الخيول والمواشي الى بلاخ وهكذا فهي كباقي الاسماء الكردية ويعود تاريخ تاسيسها الى ٥٠٠ عام قبل الان، اما كاريز واركوازي وبابلاوي ونفط خانة الى اكثر من ٢٠٠ عام)، و بالنسبة لاسماء الجبال التي تحيط بالمدينة من كل الاتجاهات جبال (مرواري من الشمال وتعني العقد انما اطلق على قمة الجبل الذي يطل الى حد ما على خانقين وهو في شكله الدائري وباخجة – من الجنوب الشرقي ويعني الحديقة ، ودارة وشكة –اي الشجر اليابس من الجنوب الغربي اطلق عليها هـذا الاسـم لجفاف اصاب تلك المنطقة بسبب ضروف مناخية معينة مرت بها كذلك جبل بةمو من شمالها اما جبل اخ وداخ فتحد المدينة من الشرق وتعني الاسف والحسرة وربما جاءت تسميتها من التحذير لمن يريد الاقحام والدخول الى تلك الناحية بسبب وعورتها وصعوبة التجول فيها) نرى ان جميع تلك الاسماء كردية بحته لها معاني بالعربية وكل اسم بالتاكيد يطلق على منطقة او جبل او قرية تعد صفة لذلك المكان اذ ان الكرد يكثرون من التسميات الوصفية سواء كان للاشخاص ام الاماكن اي ليس كما هو بالعربية ومثلا على ذلك (بةفراو وهي اسم زهرة تنبت في جبال كوردستان وتعني ماء الثلج و شاه سوار اي ملك الخيالة او كوسار اي ظل الجبل وهي تستعمل كاسماء للرجال والنساء كذلك اسماء الجبال والقرى والانهار والاحياء القديمة في خانقين وهذا ما يثبت تاكيدنا في كردستانية المدينة منذ عهود ماقبل التاريخ . وان اغلب المسميات جاءت كمفردات للوصف تـبرز خلالها جانبا من معالم المنطقة او تتحدث عن صفة لازمتها وكلها جاءت بمفردات كوردية ومن الامثلة عن تلك الاسماء : شيرون ، كه وره ، سه وز بلاغ ، داره وشكة ، به مو ، كلات .. والمئات الاخرى من الاسماء الكردية .وقد لا يختلف اثنان على ان الاسماء هي الصورة الحقيقية للهوية .

ثـم نـاتـي الى سـكـان الخـانـقـين وسـر تنوع الثقافات والعادات والديانات التي يتميزون بها سابقا وحتى الان انهم وبـلا شـك من الاغلبية الكردية والاقلية التركمانية وبعض العشائر العربية يتكلمون مواطنوها ثلاثة لغات ومنفتحون على ثقافات وتقاليد عديدة لاسباب في مقدمتها انها كانت تقع في موقع ستراتيجي مهم بين طـرق الحـج والتجارة وحتى الحروب وعرفت باسم بوابة زاكروس، وغدت تبعاً لموقعها على طريق التجارة الدولية (طريق الحرير) قديماً والطريق المـؤدي الى المراقد المقدسة في بغداد وكربلاء والنجف في التاريخ الحديث كل ذلك اعطاها الميزة في انفتاحها على لغات وثقافات الامم الاخرى ومعاشرتهم وتصاهر معهم كالفارسية والعربية والتركمانية والمذاهب والديانات المختلفة وعلى الرغم من هذا فمازال سكانها الاصليون محافظون على لغتهم الام الكردية

بلهجاتها اللورية والكلهورية ، والماجو الذي يعد من اقـدم اللهجات كونها لغة احدى الديانات القديمة متمسكين بتقاليدهم كشعب كوردي اصيل.

ورغم ما مرت به خانقين من الظروف التي مارس من خلالها حكام المنطقة والمسيطرون عليها وبمختلف الاساليب من اجل محو هويتها الكردستانية ابتداءً من حـروب (داريـوش) والـرومـان ومـروراً باجتياح المغول لها اثناء زحفهم على العراق (عام ٦٥٦هـ)، ثم الصراعات والمواجهات الدامية التي خاضها العثمانيون هناك ضد الصفويين والـروس والبريطانيين تباعاً، وانتهاءً بخطط التعريب الـتي بدات منذ الحكم الملكي ومـرورا بالنظام البعثي الشمولي بافكاره وبرامجه القومية التي اتسمت بالعنصرية الى ابعد حد ولحين اندلاع الحرب مع ايران والسياسة النظام التعسفية بحق سكان الكرد التي اتسمت بالعنصرية الى ابعد حد والتي من خلااللها ادى الى هدم معظم القرى التي كانت تتبع خانقين وقوره تو وميدان وهجر سكانها قسرا" فلم يتبقى منها الا من كانت قوميته عربية اذ سكنوها بعد الترحيل وقد قام النظام السابق بتغيير اسمائها الكردية القديمة باخرى عربية وان الامثلة على ذلك كثيرة كقرية علي بك (الجمهورية)،مبارك (الكرامة) ،يوسف بك (يثرب)،محمد شيربك (احد)، ميخاس (١٧ تموز) واخرى حتى انه منع المواطنون الكرد من بناء منازل جديدة بل وحتى الحصول على الموافقات الامنية للترميم سكناهم وكل ذلك لمحو هوية خانقين الكوردستانية الا انهم ورغم الماسي والصعاب ظلت المدينة تدافع عن هويتها باصرار فبعد سقوط النظام قام ساكنيها بازاله اثار التعريب والشمولية منها حيث ان العوائل الـتي تم ترحيلها في سبعينات الـقـرن الماضي عـادت اغلبها الى مساكنها كذلك تم اطلاق الاسماء القديمة على الاحياء والقرى من جديد بعدما قام النظام البعثي بتغييرها بهدف التعريب ونسبة الكورد في خانقين اليوم وحسب اخر احصاء لسنة ٢٠٠٨ فان نسبة السكان الكرد الان هي اكثر من ٨٥٪ ونسبة العرب هي ١٢٪ اما التركمان فهي اقل من ٣٪ او اقل واقليات اخرى تكاد لايكون لها نسب محددة تذكر، ابناء المدينة ينعمون بالحرية ومتميزون بالتعايش السلمي دون اثارة نعرات طائفية او قومية او عنصرية لايحتاجون سوى الى عودتها الى احضان اقليم كوردستان من جديد املين تطبيق القانون الدسـتـور لاسيما المـادة ١٤٠ ليحصلوا على حقوقهم التي سلبت منهم اذ ان خانقين جزء لايتجزء من اقليم كردستان.

المصادر

- تاريخ الامـبراطـوريـات موسوعة العالمية الحرة ويكابيديا

- موسوعة أطلس تاريخ الإسلام لمؤلفه حسين مؤنس.

- خانقين .. الواقع السكاني ارقام وحقائق (١٩٥٧ ـ ٢٠٠٨

منشور في جريدة الاتحاد بتاريخ Monday, August ١٨: صفحة بحوث ودراسات للصحفي والكاتب مسعود دارا خان.

- كتاب مخطوط خانقين بوابة زاكروس عبر التاريخ\ للمؤلف ابراهيم باجلان.

الكرد.. قراءة بين الفكر والادب والتاريخ



بقلم: دانا احمد مصطفى

الميديون (الامبراطورية الميدية)
بحث المستشرقون وعلماء تاريخ الشرق القديم من الاوروبيين في التاريخ القديم لهذه المنطقة وقدموا معلومات جليلة في هذا الموضوع. وهي ان اقدم مظاهر المدنية لاباء الكرد ظهرت في الامبراطورية الميدية. واعتقد مؤرخون كرد مثل مينورسكي وتوفيق وهبي ان نسب الكرد يعود الى الميديين.

وقد ذكرت الكتب السماوية الدينية القديمة ذرية (ماد) والدولة الميدية، فقد ورد في التوراة: ان سام وحام ويافت ابناء النوح (عليه السلام)، وبعد الطوفان، خلفوا احفادا من بعدهم، وكان اولاد (يافت) هم: جومر وماجوج ومادي وياوان وتوبال وماشه ك وتيراس.

وجاء ايضا في موضع اخر: تزوج ابراهيم امرأة اخرى واسمها (قتورة)، فتولد زيمرتن ويقشان ومدان وميديان وبيشباق وشوحا.

وقال الحكيم لوقا في (اسفار الرسل) وهو نفسه صاحب (انجيل لوقا): (قسم منا ينتمي الى (فرتين ومادين وايلاميين)، وقسمنا الاخر قطنوا في (ميزوبوتاميا-بلاد ما بين النهرين) واليهودية والكبدوكيه وبونتس واسبا والفرجية واليمفيلية ومصر والمناطق التابعة لليبيا الموازية للقيروان...).

ومن المدونات القديمة التي وصلت الينا حول

الميديين، هذا اللوح الذي نقش عليه غزو (شلمانسري) الثالث على اقليم اسمه (باراسوا) الواقع بين جبال كردستان في ٨٣٧ قبل المسيح، يبدو انه يوجد في ذلك الاقليم ٢٧ رئيسا، هم الملوك اذ يحكمون ٢٧ دولة، لكن سكان تلك الدول قليلون، يقال لهم (امادای) او (مادای) او (میدي)، انهم تابعون للقوميات الهندواوروبية، فاتجهوا من ساحل محيط الخضر صوب جنوب غربي اسيا حوالي ١٠٠٠ الف سنة قبل بروز المسيح. حيث يسمى كتاب الزردشتيين المقدس هذا الموطن بالجنة.

كانت مناطق بوخارا وسمرقند الموطن القديم للميديين، ثم هجروا الى الجنوب، اتحدث القبائل الميدية في السنوات الاخيرة للقرن الثامن قبل المسيح، تحت رعاية القائد (ديوسيس)، وفي ٧١٥ قبل المسيح اسس هذا القائد السليط اول عاصمة لهم في (اكباتان-همدان). فاصبحت هذه القوة اكبر قوة مقابل اشور، لذا فان الاشوريين متى سنحت الفرصة لهم، يهاجمون على الدولة الميدية. وفي النهاية استطاع الملك الميدي (سياخار-سياكزارس) ان يبيد (نينوى) ويمحو الاشوريين، عام ٦١٢ قبل المسيح، كانت الدولة الميدية موضع انظار الاجانب، فوضعوا لها دوما الخطط للاستيلاء عليها. عام ٥٥٦ قبل المسيح استولى (دارا الاول) على مدينة (اكباتان). وبعد اكثر من قرنين استطاع (اسكندر المقدوني) ان يسلط عليها في ٣٣٠ قبل المسيح، ثم استولى عليها (السلوكيون) في ٣١٠ قبل المسيح، واخيرا استولى عليها حتى عام ٦٣٣ بعد المسيح وبروز الاسلام.

التشابه بين اسم الكرد وبعض قبائل الهندواوروبية

عندما نمعن النظر في اسامي بعض من القبائل والاقوام والشعوب يتجلى لنا ان هذه الاسامي قريبة جدا من كلمة (الكرد): كلمة (كردكا) المنقوشة على قطعة حجر سومرية، هذا المدون يعود تاريخه الى الفي عام قبل المسيح، ومنها (كاردوخ)-الكاردوخيون-الذين قاوموا جيش الاسكندر المقدوني عند عودته في ايران بعد انتصاره على كورش الكبير (٤٠١-٤٠٠)، فقد وصفهم المؤرخ اليوناني (كسينوفون-xenophon) (٤٢٧-٣٥٥ قبل المسيح) بالشجاعة والفروسية، وان حبهم لوطنهم غزيرة جمَّة.

وقد ورد اسم شعب اخر في تاريخ هذه المنطقة، هو شعب (كورت) وهو مماثل لـ(كورد). وقد ذكر علماء الجغرافيا اليونانيين كـ(سترابو وبتوليمي) اسم منطقة (كوردئين) في بدايات القرون التالية للمسيح. ويقول (سترابو): ان هذه المنطقة سميت (كوردوئين) وتقع فيها مدينة (بينك)، هي بلاد الكاردوخيين في الزمان الغابر. وقد سمى الاراميون وطن الكرد بـ(بيث قردا)، كما سمي وطن الكرد في النصوص العربية لما قبل الاسلام بـ(بقردا).

لقد عاشت اقوام وقبائل كثيرة في هذه المنطقة على مر التاريخ، وهناك تشابه كبير بين اساميهم واسم الكرد.

بانت كلمة (الكرد) منذ فجر انتشار الدين الاسلامي، اذ استخدم علي بن ابي طالب (كرم الله وجهه) لاول مرة كلمة (الكرد) وذلك في رسالة بعثها الى (زياد بن ابيه). وبعد ذلك استخدم-وعلى مرور الدولة الاسلامية-المؤرخون العرب والفرس والترك

ذكروا الكرد كشعب او مجموعة اثنية، منهم: الطبري ت٩٢٣هـ والمسعودي ت٩٥١هـ، ابن الاثير ١١٤٠-١٢٤٠، حمدالله المستوفي (القرن الرابع عشر. اسكندر بيك مونشي الترك ١٥٦٠-١٦٣٥، والرحالة التركي الشهير اوليا جلبي ١٩٥٤، ومهدي خان كوكب القرن الثامن عشر.

بداية الاسلام حتى واقعة جالديران

ان انتشار الدين الاسلامي في المناطق الكردية، لم يكن سهلا، بل افتقر الى مدة طويلة. وبعد ترسيخ هذا الدين وقعت المناطق الكردية تحت سيطرة خليفة (امير المسلمين). وفي فترة حكم الخليفة، تسلمت بعض العوائل الكردية زمام الامور، اقواها هي الدولة المروانية-الدوستكية المستقلة في ٩٩٠ الى ١٠٩٦. وكذلك الدولة المسنوية حكمت جنوب شرقي كردستان فترة ٩٥٩ الى ١٠١٥.

لقد برزت رجالات من الكرد تجاوزوا صيتهم وشهرتهم حدود البلاد حيث وصلت الى العالم باسره. ان صلاح الدين الايوبي هو اول قائد كردي، اسس العائلة الايوبية التي حكمت بقعة شاسعة من الشرق الاوسط، مصر الشام، ميزوبوتاميا (بلاد ما بين النهرين) وكردستان. كل تلك البلاد كانت تحت امرة العائلة الايوبية من ١١٦٩ الى السنوات الاخيرة من القرن الثالث عشر.

هذا الشجاع استطاع ان يهزم المجوس من القدس وانتصر على ريتشار الاول (ريكاردوسي قلب الاسد) وفيليب اوكستيني الفرنسي.

في القرن الثالث عشر سحبوا بساط الحكم من تحت اقدام العرب والقريش. فقد برزت قبائل تركية-منغولية النسب، وذلك قبل هدم الخلافة العباسية من قبل هولاكو المنغولي عام ١٢٥٨. ازدادت قوة المسلمين غير العرب، فوقع موطن الكرد تحت سلطة السلجوقيين وسموا لاول مرة في القرن الثاني عشر وطن الكرد بـ(كردستان)، بعدها شرع الكرد في القرن الثالث عشر بغزو هولاكو، وبعد ذلك هزموا (تيمورلنك) عام ١٤٠٠ في اميدي.

من هنا اصبحت كردستان موضع هجوم وغزوات الاجانب، فدخوا كل حدب وصوب، واحرقوا الرطب واليبس، فهم جيوش (قره قوينلو ١٣٧٨-١٤٦٨) واق قوينلو ١٣٧٨-١٥٠٢، فلم يتركوا غير الخراب والدمار والرمال. واكبر الاحداثلا والحروب تاثيرا على مصير الكرد هي واقعة (جالديران).

حرب جالديران وتقسيم كردستان

عام ١٥١٤ نشبت اكبر واقعة بين سلطان سليم الاول العثماني والشاه اسماعيل الصفوي. وفي جوهرها كانت حربا مذهبية بين الشيعة والسنة، على احتلال ارض وشعب كان من حقه ان يعيش حرا مستقلا على ارضه بسلام. والذي ازر سلطان سليم للانتصار على الصفويين هو ان غالبية الكرد كانت من السنة، لذا مالوا الى العثمانيين.

وبعد انتصار العثمانيين، عين سلطان سليم المؤرخ الشعير (ادريس البتليسي) حاكما على كردستان. من هنا انقسمت كردستان الى قسمين، قسم وقع تحت حكم الصفويين، واخر وقع تحت حكم العثمانيين. فبرزت امارات كردية دخلت كلتا الدولتين، مثل: شمدينان، بوتان، بايزيد، هكاري، بادينان، سوران، اردلان، بابان... الخ.

كانت هذه الامارات مستقلة، واحيانا يعارضون السلطة، لكنهم على علاقة وطيدة مع سلطان الروم وشاه العجم، ان هذه الامارات كانت تاخذ الجزية والضرائب من الفلاحين، وفي الوقت نفسه هم انفسهم يعطون الجزية والضرائب لشاه العجم وسلطان الروم.

وفي فترة القرون الخمسة الاخيرة، اي بعد حرب جالديران، الحق سلطان سليم قسما كبيرا من جنوب كردستان ببلاد السلطنة، فانقسمت بلاد الكرد بحدود سياسية ممزقة عن البعض، ولا شك ان الكرد كانوا معارضين على هذه الاحوال. فانبروا بثورات وانتفاضات وكانت تلك الثورات مدونة بماء الذهب في تاريخ الكرد. ان هذه الثورات كثيرة جدا لاتعد ولا تحصى، وكانت اقواها في القرن التاسع عشر. كل هذه الثورات كانت دليلا قاطعا على ان الشعب الكردي كان يبحث عن الحرية ويحرص على نيلها.

وبعد انهيار الصفويين ١٥٠٢-١٧٣٦ باتت ايران تحت حكم عائلة كريم خاني زند ١٧٣٦-١٧٨٦ وهذا شيء متوقع، لان ايران-وان كانت دولة الفرس-لكن حكمها غالبا بيد اشخاص من الاقوام الاخرى على مر التاريخ.

القرن التاسع عشر

ازداد بطش السلطان العثماني والشاه الصفوي في القرن التاسع عشر مستعينا ببعض الاقطاع الكرد الذين كانوا على علاقة معهم، ومن خلال ذلك انتشر التخلف بين افراد المجتمع الكردي.

وفي العصر ذاته اتت فكرة تدمير وابادة الامارات الكردية، ومقابل ذلك فقد برز معتقد (الكردية) بثوب جديد. فقرر السلطان محمود الثاني ان يحتل كردستان مرة اخرى، ونفذ وعده فهاجم كردستان عام ١٨٣٤ واحتلها ووضعها تحت سلطته، فادى ذلك الى تاسيس حركة قومية لاول مرة عام ١٨٤٣-١٨٤٦، من قبل بدرخان باشا. لكنها لم تفلح.

كما ثار (يـزدان شير) عام ١٨٥٥ ضد السلطة العثمانية، واستحوذ على (بتليس والموصل) ثم اتجه صوب الجنوب، حتى استولى على جميع المناطق الواقعة بين (وان-بغداد) لكن هذه الحركة ايضا لم تر الانتصار.

وهناك ثورة اخرى عام ١٨٨٠ برئاسة عبيدالله، التي امتازت بمميزات خاصة بها، لكنها ايضا لم تر الفلاح والنصر.

بداية القرن العشرين

ثار الكرد قبل الحرب العالمية الاولى واثناء الحرب نفسها بوجه الاجانب عدة مرات، دون وجود صلة بين تلك الثورات، اي لم تكن منظمة او بشكل التحزب، كما لم يكن لها منهج يسيرون عليها، لذلك فاخمادها شيء يسير جدا.

لقد اصبحت كردستان اثناء الحرب العالمية الاولى، مركزا لاقتتال الجهات المتحاربة. ما ادى الى افشاء الغلاء والمجاعة والمسغبة في البلاد.

وحسب معاهدة سيفر في ١٠ اغسطس عام ١٩٢٠ تسقط مناطق واقاليم عدة من الامبراطورية العثمانية، منها كردستان. وقد نصت المعاهدة على تاسيس دولة كردستان. فكونوا لجنة من ممثلي بريطانيا وفرنسا وايطاليا. فقد ورد في المعاهدة: ان الكرد القاطنين في تركيا طالبوا-خطا-رسميا. الاستقلالية من عصبة الامم، وعلى الدولة التركية ان تنسحب من

تلك المناطق.
لكنها كانت لعبة سياسية من قبل الدول الامبريالية، لانهم قرروا قبلا، عدم تاسيس دولة للكرد. وبعدها اهملت القضية الكردية تماما في معاهدة لوزان عام ١٩٢٣.

الكرد في تركيا

شارك الكرد ضد قوات الاجانب والتي حاصرت تركيا، ايام ان كانت الدولة التركية-وقت بروز الحركة الكمالية-تنير تحت مخاطر تلك القوى من كل حدب وصوب. وجدير ذكره ان كرد تركيا لم يكونوا وحدهم يشاركون في هذه الثورات، بل ايضا شارك كرد العراق. فقد ضحى الكرد من اجل الترك كثيرا. ولهم القدح المعلى في حرب تركيا من اجل الاستقلال. وخير دليل على ذلك ىهو ما جاء به المؤرخ العربي (سليمان نطيف) حول موضوع ذكريات الجندي المجهول الذي استشهد في حرب (سقاريا)، من اجل تحرير تركيا، فقال: (لاشك ان هذا الجندي من كردستان).
ومع كل ذلك فقد كان وضع الكرد غير مستقر وسيئ، من جهة اخمدت ثوراتهم من اجل حقوقهم القومية، ومن جهة اخرى ثمة ادعاءات في تركيا ضد الكرد، تزعم ان الكرد لاوجود لهم اساسا، بل كان اصلهم من الترك ونسوا لغتهم الام، يقول مفتش وزارة معارف تركيا حول الكرد ولغتهم: (ان لغة الاتراك الجبليين-اي اللغة الكردية-حدث عليها تفليش بمرور الزمان شيئا فشيئا).
ان اضطهاد الكرد في كردستان تركيا ادى الى قيام ثورة ١٩٢٥ بقيادة الشيخ سعيد بيران. وكان للمثقفين واولو الاقلام دور كبير في تلك الثورة. لقد شملت هذه الثورة اقليما شاسعا في كردستان تركيا. فبلورت الدولة التركية جيشا عرمرماً، وازرتهم الدولة الفرنسية، حيث فتحت لهم باب سوريا ليهاجموا من خلالها الى المناطق الكردية، بهذا الشكل استطاعت تركيا ان تخمد هذه الثورة، وتغلب على الكرد. من هنا شرعت القوات التركية بمحو اثار القرى الكردية، ومن ثم النهب والسلب وقتل الابرياء فيها.
وفي ٢٥/حزيران عام ١٩٢٥، قامت القوات التركية باعدام ٤٥ قائدا من الحركة الكردية وفي مقدمتهم الشيخ سعيد بيران. يقول الرئيس الهندي (جواهير لال نهرو): (ثار الكرد للمرة الثانية عام ١٩٢٩، لكنهم غُلبوا من قبل القوات التركية). ولاشك ان هذا الاخماد شيء عرضي-اذ لايمكن ان تمحى ثورة شعب يضحي بحياته من اجل الحرية والاستقلالية الى الابد).
وبعد مرور عامين على ثورة الشيخ سعيد بيران اي عام ١٩٢٧، ثار الكرد مرة اخرى. وذلك بقيادة (احسان نوري باشا)، وقد استمرت هذه الثورة حتى ١٩٣٠. فواجتهم الترك باسلوب همجي بعيد عن اي ضمير او شعور بالانسانية، فغلبت عليها فشرد اهالي قرى كردستان الى مناطق (اناضول). وفي عام ١٩٣٧ ثار الكرد القاطنون في (درسيم)، وقد ارجع (أ.سافراستيان) سبب هذه الثورة الى الظلم والاضطهاد الذي قامت به الترك ضد الشعب الكردي.
اثناء الحرب العالمية الثانية مرت الحركة القومية الكردية في تركيا بفترة سكون، اما بعد الحرب وفترة غزو امريكا الى كوريا الشمالية، فقد ارسلت الحكومة التركية جيشا

لمؤازرة كوريا الجنوبية، والذي يجدر ذكره هو ان هذا الجيش المؤازر من الشباب الكرد، اذ اريقت دماء كثيرين من ابناء الكرد في وطن كوريا.

لقد اثرت ثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨ في العراق، على الحركة القومية الكردية في تركيا وايران. من هنا شرع حكام الترك وايران يضطهدون الكرد وينتهكون حقوقهم. وفي ظرف سنتين بعد ثورة العراق فقد سجنت الحكومة التركية مئات من الوطنيين الكرد في انقرة واسطنبول، واتهمتهم بانهم على علاقة مع المنظمات الاجنبية، حيث كتبت صحيفة (نيشنال كارديان) بعددها الصادر في ١١ نيسان ١٩٦٠: (ان السبب الرئيس في سجن واعتقال الكرد هو انهم كرد، وكانوا يطالبون الحكومة التركية بمنح الحقوق لهم، والاعتراف بهم ككرد لا كقوم الاتراك الجبليين، كما يطالبون منها ان تمهد لهم المجال لطبع ونشر صحيفة كردية).

هاجمت الصحافة التركية على الكرد، والدليل على ذلك، ما جاء في صحيفة (ميلليت)، حيث نشرت نصوص الدستور التركي، وخصوصا البنود التي تتهم كل اولئك الذين لهم صلة مع الكرد، اذ يقول: (تنص الفقرة ١٠٥ من الدستور التركي على ان اي جهة تحث الكرد للثورة فهي متهمة وفق القانون، وعلى هدي هذه الفقرة يحق للشرطة ان ينفي هؤلاء الثوريين مع عوائلهم الى المكان النائي) ٢٥/تشرين الاول عام ١٩٦٠.

وفي ٨/مارس عام ١٩٦١ بدأت ثورات الكرد المتتالية في ماردين، دياربكر، بتليس، وان. حيث شارك فيها الوف من مختلف شرائح المجتمع، وكان شعارهم: (نحن كرد، لسنا تركا) و(ليسقط الظلم والجور)، و(يلزم على الترك ان تعترف بحقوقنا القومية)، ولكن سرعان ما اخمدت هذه الثورة وأُعدم مشاركوها.

الكرد في ايران

تتشابه احوال كردستان ايران بكردستان تركيا في كثير من الاشياء، اذ المناطق الكردية في ايران هي من اكثر المناطق المتخلفة في ايران. وقد حكمت البلاد من قبل الاقطاع. وكان السياسيون في ذلك البلد ينتهجون نفس الطريقة التي ينتهجها السياسيون الاتراك تجاه الاقوام غير الفارسية، اي سياسة الابادة. كانوا يبحثون عن اي دليل يخدم هذا الهدف، وفي مقدمته قولهم حول اللغة الكردية كونها تنتمي الى عائلة اللغات الايرانية، اي ان اللغة الكردية لهجة من اللهجات الفارسية.

رغم ان حكومة ايران اعترفت بوجود الكرد في ايران، لكن ليس هناك فرق شاسع بين السياسة التركية والايرانية حيال الكرد وحقوقهم. يقول ممثل مجلس الشورى الوطني: (لاتوجد في ايران مسألة باسم المسألة الكردية، ثمة لا ينظرون الى الكرد كشعب بل انهم ينسبون مع الفرس الى اصل واحد).

ان اضطهاد الشعب الكردي والاذري من قبل حكومة ايران ادى الى قيامهم بالثورات ضد جور وظلم رضا شاه. فقد غطت اجنحة الثورات في صيف وخريف ١٩٢٦ المناطق الجنوبية والشمالية لكردستان ايران.

وفي الفترة نفسها تأسست الاحزاب والمنظمات الوطنية الكردية، مما ادى الى ان تجهز الثورة الكردية نفسها في اطار جديد ومتين ومنتظم. وقبل الحرب العالمية الثانية تأسس في ايران

(حـزب رزكـاري كـوردسـتـان-حـزب تحرير كردستان)، اذ تدخلت قوات الحمر السوفيتية في اراضي ايـران وفق معاهدة مع المقسمين، فقد حـدث تغيير جـذري في منهج حزب تحرير كردستان، حيث غيروا اسمه الى (ذ.ك- ذيانةوةي كورد-احياء الكرد).

فقد بدأت هذه العصبة بنشر المطبوعات، وفي مقدمتها مجلة (نيشتمان-الوطن). وفي عام ١٩٤٥ تأسس الحزب الديمقراطي الكردستاني على اساس (ذ.ك.=احياء الكرد).

وبعد الحرب العالمية الثانية، ولدت جمهوريتا كردستان واذربيجان في كانون الاول عام ١٩٤٥. ان هاتين الجمهوريتين كانتا موضع افتخار الكرد. لكن الدولة الايرانية استطاعت ان تتغلب على الجمهورية الكردية. والذي ساعد ايران على ذلك هو خروج القوات الحمر من ايران وكذلك عدم اهتمام السوفيت بالقضية الكردية، وايضا مؤازرتهم من قبل الامبرياليين فهم السند الوحيد لشاه ايـران، وكـان شاه عينهم في هذه المنطقة.

في شهري مارس/نيسان عام ١٩٤٧ اعدم جميع اعضاء قيادة الجمهورية الكردية، وفي مقدمتهم رئيس الحزب الديمقراطي الكردستاني ورئيس الجمهورية الكردية القاضي محمد. يقول المحامي الامريكي (وليم دوكلاس) حول اعدام القاضي محمد: (ان اعدام هذا النبيل الشجاع كـان موتا لنفس واحـدة، ولم يمت الشعور الكردي، حقيقة ان موته جدد روح الشعور القومي ومنح قوة جديدة للشعور الكردي).

وتلو ثـورة ١٩٥٨ وخـروج العراق من ميثاق بغداد، هرب بعض من القادة العراقيين وعدد من الاقطاع الكرد المتخلفين الى ايران، شرعوا هناك مع عدد من الكرد الايرانيين باصدار جريدة (كوردستان). رغم ان الهدف من اصدار هذه الجريدة هو نشر الايديولوجية الايرانية، والادعاءات ضد ثورة العراق لكن لعبت دورا في دراسات اللغة والادب الكردي.

الكرد في العراق

تأسست الدولة العراقية في عام ١٩٢٠، لكنها لم تكن مستقلة تماما، بل كانت تحت مراقبة الدولة البريطانية. ففي هذه الفترة ثار الكرد في مدينة السليمانية بقيادة الشيخ محمود الحفيد، واستمرت هذه الثورة حتى ثلاثينيات هذا القرن.

وفي ٢٤ من كانون الاول عام ١٩٢٢ اضطرت الحكومة العراقية الجديدة والبريطانية على اصدار بيان، قرروا فيه تأسيس دولة كردستان في المناطق الكردية في العراق، لكن ذلك في الاسـاس خدعة سياسية، حيكت مـن قبل الانكليز، حاولت ان تخدع الكرد وترضي الرأي العام العالمي ومن ثم تخمد الحركة الكردية.

وحينما ظهر للكرد ان الانكليز خدعتهم. طفقوا باعداد انفسهم في السليمانية واربيل، وكذلك المثقفين الكرد في بغداد، كلهم شرعوا بتأسيس المنظمات القومية. وجنبا الى جنب ذلك فقد فكر العرب بتهيئة انفسهم لغزو الانكليز.

لقد حـددوا الـيـوم ٦ مـن ايـلـول عـام ١٩٣٠ لانتخاب اعضاء البرلمان العراقي في السليمانية. يجب على البرلمان المنتخب الجديد ان يوقع على ميثاق عام ١٩٣٠ بين بريطانيا والعراق، هذا الميثاق يرسخ سلطة الانكليز في العراق. ولم يرد في الميثاق اي ذكر للقضية الكردية. من هنا برز للكرد ان الانكليز خدعتهم، بل

لم يفكر في يوم من الايام ان تعترف بحقوقهم القومية.
ثار الكرد في يوم الانتخابات، فاطلق الجيش العراقي بمؤازرة الانكليز النار على الناس، وحينذاك كان الشيخ محمود خارج المدينة مع مسلحيه، وعندما سمع ان الجيش العراقي اطلقوا النار على ابناء الكرد، آب مع مسلحيه الى السليمانية وارسلت الحكومة جيشا غزيرا على المنطقة الكردية بمؤازرة القوات الجوية البريطانية. ولم يكن في وسع الثوار الكرد ان يتحملوا مواجهة كل تلك القوات البرية والجوية. لذا فقد بعث الشيخ محمود في ٣٠ تشرين الاول عام ١٩٣٠ تقريرا الى عصبة الامم جاء فيه: (... اذا لم يساعد الانكليز الشعب الكردي في نضالهم من اجل الاستقلال، فليذرهم ولا يتدخل في شؤونهم. فيجب ان يفتخر الكرد بما لديهم من القوة). للقوات الجوية البريطانية مستمرة في قصف المناطق الكردية، لقد كتب المفوض الاعلى السابق للانكليز في العراق (ويلسون) في ١٩٣٢: (في فترة السنوات العشر الاخيرة قصفت القوات الجوية البريطانية مواطني الكرد دون اي رحمة).
ثار الكرد مرة اخرى عام ١٩٣١ لكن البارزانيين، هذه المرة، هم الذين قادوا هذه الثورة بقيادة الشيخ احمد البارزاني، وسبب هذه الثورة هو عدم الاهتمام بالمناطق الكردية من قبل الحكومة العراقية من جميع النواحي: العلمية-التربوية-الصحية...
كما انتفض البارزانيون مرة اخرى عام ١٩٣٥ بقيادة (خليل خوشوي)، وقد ساعدت القوات الجوية البريطانية حملة العراق على هذه الثورة لاخمادها.

وفي عام ١٩٤٣ شن كرد كردستان الجنوبية انتفاضة تحريرية بقيادة الملا مصطفى البارزاني، وقد استمرت هذه الثورة عامين حتى ١٩٤٥.
وفي ١٩ حزيران عام ١٩٤٧ اعدمت الحكومة العراقية اربعة من الضباط الكرد، تحت ذريعة انهم شاركوا في ثورة ١٩٤٢-١٩٤٥ وهم (عزت عبدالعزيز، مصطفى خوشناو، خيرالله عبدالكريم، محمد محمود القدسي).
وقد تأسس حزب (هيوا-الامل) القومي في عام ١٩٣٥ واستطاع ان يجمع الوطنيين وضباط الجيش. وفي فترة الحرب العالمية الثانية، برزت الايديولوجية الماركسية في كردستان العراق. وقد لعبت هذه الايديولوجية دورا كبيرا في تحريك وتفعيل الحركة القومية الكردية. ومن ثم ولد الحزب الشيوعي العراقي.
وفي اربعينيات هذا القرن، اسس اعضاء حزب (هيوا) اليساري مع الوطنيين الاخرين حزبا جديدا هو حزب (شورش-الثورة) التقدمي. كما اسس ممثلو البورجوازيين الكرد حزب (رزكاري-التحرير)، من هنا فان حزب (هيوا) مع حزب (رزكاري) كونا معا الجبهة الوطنية.
وفي صيف عام ١٩٤٦ انعقد مؤتمر بين الحزب الشيوعي العراقي وبعض المنظمات السياسية الكردية، ونتيجة هذا المؤتمر ولج قسم من اعضاء حزب (شورش-الثورة) في الحزب الشيوعي العراقي، والبعض الاخر ولجوا في حزب (التحرير)، وهم تارة اخرة ولجوا في (الحزب الديمقراطي الكردي) والذي تغير اسمه الى (الحزب الديمقراطي الكردستاني).
وبعد الحرب العالمية الثانية مرة اخرى حدثت ثورة عنيفة في العراق ضد ميثاق

الانكلو-عراقي عام ١٩٣٠. وقد حاولت الحكومة العراقية ان تغير هذا الميثاق، من جهة انها تريد تطبيع الوضع الكردي، ومن جهة ثانية انها تريد ان تهيئ نفسها لميثاق جديد مع الانكليز.

وفعلا في ١٥/كانون الثاني عام ١٩٤٨ حدث اجتماع بينهما في مدينة (بورتسموت) لقد ميثاق جديد بين العراق وبريطانيا. وقد وقف الشعب ضد هذا التفاوض بينهما بثورات وانتفاضات مما ادى الى اضطرار الحكومة العراقية لوقف هذا الاتفاق. من هنا بدأت الحكومة العراقية بشن هجمات عنيفة على الشعب الكردي، وقامت بسجن عدد من الوطنيين الكرد واعدام عدد كثير منهم.

وحاول الامبرياليون ان يلموا شمل دول الشرق الاوسط بميثاق حربي، من وحي هذا المنظور جاءت اتفاقية (بغداد) عام ١٩٥٥، وهي في حقيقتها اتفاقية تركية-باكستانية.

واخيرا حدثت ثورة ١٤/تموز عام ١٩٥٨، وسقطت سلطة الملك نوري السعيد، وطرحوا السلطة الانكليزية خارجا، ولكن لم تستمر الحالة الديمقراطية (الوضع الديمقراطي) طويلا بل شرعت بالتلاشي شيئا فشيئا.

الكرد في سوريا

وقع قسم من الخارطة الكردية في حدود سوريا بعد سقوط السلطة العثمانية، وبعد عام ١٩٣٠ قام المثقفون من كرد سوريا واخرون خارج سوريا بالسعي من اجل تنمية وتطوير القضية الكردية، فاسسوا مطابع في سوريا، ثم بدءوا بوضع (ألفباء) كردي على اساس لاتيني. وكان للعائلة البدرخانية دور وفاعلية في تطوير وتنمية المطابع والكتابة الكردية وذلك من خلال الصحافة والكتب والكراسات... وبعد الحرب العالمية الثانية اخذت سوريا استقلالها، وبدأت بتهيئة نفسها من ناحية الجيش. من هنا فقد بدأ الوضع الكردي غير مستقر، كما انتهكت حقوقهم ومنعوا منهم الطبع والنشر باللغة الكردية. وقد اتهمت الحكومة السورية كثيرا من الوطنيين الكرد وسجنهم بتهمة انهم ينشرون الفكرة الماركسية ضد القومية العربية، حتى وصل الامر الى ان الحكومة السوية منعت تسمية الرضيع باسم كردي، وغيرت اسامي القرى والارياف الكردية باسام عربية.

استمر هذا الوضع حتى ٢٣/شوباط عام ١٩٦٦، فقد تغيرت السلطة واتجه وضع الكرد صوب الاحسن.

الكرد في روسيا والاتحاد السوفييتي

في بداية القرن التاسع عشر ١٨٠٤-١٨٠٥ بعد انتصار (استيسيانوف) في حرب الروس مع العجم وتوقيع معاهدة (كولستان) عام ١٨١٣، وقعت منطقة (اليزابيت بول) في حدود الخارطة الروسية، وبذا وقع قسم من المواطنين الكرد داخل الحدود الروسية، وتلو غزو التركمانيين عام ١٨٢٨، اتى الى المواطنين الكرد القاطنون في مناطق (يريفان) من ايران الى روسيا، كما هاجر عام ١٨٧٨ المواطنون الكرد الساكنون في (قارس واردهان) الى ارض روسيا. كان الشعب الكردي في روسيا شعبا متاخرا راكدا جامدا غير نشط. وبعد حرب اكتوبر عام ١٩١٧ وترسيخ السلطة الجديدة للسوفيت في جميع بقع روسيا القيصرية القديمة، فقد برز

الكرد الروسيين القدماء في مناطق (قفقاس، اسيا الصغرى) منها:

١-الارمن (ارمنستان):

يعيش كرد ارمنستان التابعة للسوفيت في مناطق (يريفان والكز). وكانوا معتنقين للايزدية. وبعد تاسيس السلطة السوفيتية اخذوا بعض حقوقهم القومية، مثل التعلم باللغة الكردية وطبع الكتب الكردية، واصدار صحيفة (ريا تازه-الطريق الجديد) والتي تصدر حتى الان مرتين في الاسبوع. وكذلك لهم اذاعتهم ومسرحهم ومدارسهم...

٢-اذربيجان (السوفييت):

يعيش كرد هذه الدولة في مناطق (لاجين وكلبه جار)، وكانوا يعتنقون الاسلام، ومذهبهم شيعي، ولهم مدارسهم وكان تعليمهم باللغة الكردية، ويطبعون الكتب الكردية. لكن هذه الرفاهية لم تدم طويلا، بل استمرت حتى قبل الحرب العالمية الثانية، من هنا انذاب الكرد في اذربيجان. والسبب في ذلك هو ان الكرد والاذريين كليهما شعبان مسلمان وشيعيا المذهب. وكان شعار الحكام الاذريين هو (لسنا مسلمين!) بمعناه الانثروبولوجي لا بمعناه الديني (المذهبي) وهذا ادى الى انذياب الكرد في اذربيجان.

٣-كورجستان (السوفيت):

ان كرد هذه الجمهورية كانوا معتنقين للايزدية، وكانوا يعيشون في العاصمة (مدينة تفليس)، وكانوا حتى الان يحتفظون بلغتهم وعاداتهم القومية، ولهم منظماتهم ومراكزهم الثقافية، وكانوا على علاقة وطيدة مع كرد ارمنستان، وينشرون الكتب باللغة الكورجية الروسية حول الكرد.

٤-تركمانستان (السوفيت):

يعيش الكرد هنا حول مدينة (ماري)، وهم مسلمون شيعيون، في بداية تاسيس السلطة السوفيتية كانت لهم مدارسهم والمنشورات الكردية بالكتابة اللاتينية. لكن قبل الحرب العالمية الثانية سلبت منهم هذه الحقوق، مع ذلك استطاعوا ان يحافظوا على قوميتهم، وذلك لانهم اعتنقوا الشيعة، والتركمان هم شنيون، وهذا سبَّب في قوميتهم.

اللغة الكردية

تنتمي اللغة الكردية إلى فصيلة اللغات الهندوأوربية، قسم اللغات الهندوإيرانية. أما الصلة التي تربط اللغة الكردية بهذه المجموعة اللغوية، فهي بالاضافة إلى وجود آلاف من المفردات الأفستية والبهلوية والفارسية القديمة في اللغة الكردية، هي وجود القواعد اللغوية المتقاربة من حيث

تصريف الأفعال وتركيب الجمل وكذلك من حيث التغيرات الدلالية وعلم الأصوات اللغوية، وحتى من ناحية تقسيم الكلام الدلالية وعلم الأصوات اللغوية، وحتى من ناحية تقسيم الكلام إلى مقاطع، إلا أن هذا الانتماء إلى هذه المجموعة اللغوية لا تعني بأية حال من الأحوال عدم استقلال اللغة الكردية بين لغات العالم الحية، حيث بالرغم من وجود التشابهات الكثيرة بينها وبين لغات هذه المجموعة من النواحي المذكورة، إلا أن لها أصولها وقواعدها وتطوراتها ودلالاتها واشتقاقاتها الخاصة، وهي ليست فرعاً من أية لغة أخرى، حيث رغم القرابة اللغوية بينها وبين الفارسية

الحالية مثلاً، إلا أنها لغة خاصة، حافظت على استقلاليتها، كما دلت جميع الدراسات الصوتية والأتنوغرافية والدراسات المقارنة التي قام بها العالمان الألمانيان "روديجر" و"بوت" عام ١٨٤٠ حيث أثبتا نتيجة دراسات متواصلة في المقارنة اللغوية بين الكلمات الكردية واللغات الايرانية، على أن الكردية بقواعدها ومفرداتها وأصولها وأصواتها، لغة خاصة مستقلة رغم انتمائها إلى اللغات الايرانية.

وأيد هذا الرأي، بعد ذلك، المستشرق الروسي "بيتر ليرخ" في أبحاثه القيمة التي نشرها بعنوان: "دراسات عن الكرد" باللغتين الروسية والالمانية عام ١٨٥٧ و ١٨٥٨ في سان بترسبورك - لينىنغراد - وكذلك بحثه القيم: دراسات عن كرد ايران عام ١٨٥٦ بترسبورك باللغة الروسية. وأيد هذا الرأي أيضاً مستشرقون بارزون، أمثال: رينان/ ودورن وارش، وميولر، وجابا.

يقول الميجر أدموندس الاخصائي في تأريخ الكرد في مقالة له نشرت في مجلة جمعية آسيا الوسطى العدد ١١: "أصبح من الوضوح بمكان أن اللغة الكردية، ليست عبارة عن لهجة فارسية محرفة مضطربة، بل إنها لغة آرية نقية معروفة لها مميزاتها الخاصة وتطوراتها القديمة.

وكذلك فإن مينورسكي البحاثة المختص باللغات الشرقية، ينفي ذلك، ويعتقد أنه بينما تنتمي اللغة الفارسية إلى المجموعة الجنوبية الغربية، فإن اللغة الكردية تنتمي إلى المجموعة الشمالية الغربية، وأنها تتصف بشخصية متميزة تماماً عن اللغة الفارسية، ويورد الدلائل اللغوية التي تثبت الفروق القائمة بين كل منها، وفي الفروق الجوهرية بين اللغة الكردية والفارسية، يذكر العلامة توفيق وهبي ثلاثة فروق متتالية:

- لاتعرف الفارسية الحديثة كاسعة التي كانت تستعمل لبنائي المتوسط والمجهول في الفارسية القديمة والافستية، كما أنها تركت حتى كاسعة بناء المجهول المتداولة في الفارسية المتوسطة التي كانت بدورها قد تركت كاسعة بنائي المتوسط والمجهول العائدة للفارسية القديمة. أما اللغة الكردية فتحتفظ بكاسعة البناء المتوسط والمجهول التي لاتعود إلى الفارسية الحديثة، ولا اللغات الايرانية المتوسطة كالفرثية والفارسية، بل إلى العهد الهندي الايراني، وكون هذه الكاسعة على وشك الاهمال في الأفستية والفارسية القديمة، لدليل يثبت قدم الكردية وأصالتها. ١

٢- نبذت الفارسية الحديثة بناء المفعول في الأزمنة الماضية للأفعال المتعدية، الذي كان متداولاً في الفارسية المتوسطة والفرثية المتوسطة وفي الفارسية القديمة، أما اللغة الكردية فتحتفظ ببناء المفعول في الأزمنة الماضية للأفعال المتعدية، وقد احتفظت بهذا الغرض بصنفين من الضمائر الشخصية.

أ- الضمائر الملكية.

ب - الضمائر الفاعلية.

٣- تركت الفارسية الحديثة استعمال ضمير الوصل، أما اللغة الكردية فتحتفظ به.

أصل اللغة الكردية

لدراسة أصل اللغة الكردية، تجب مراجعة أقدم المؤلفات المكتوبة باللغات الايرانية، ولعل أقدم هذه المؤلفات، هو كتاب أفستا - كتاب الدين الزردشتي - والذي كتب في حوالي القرن السابع قبل الميلاد.

ولد زردشت في أورمية (مدينة الرضائية الحالية)، أصله كردي، وهو النبي الآري كان من أهل ماد ومن طائفة ماز؛ نادى بعبادة أهورا مزدا، الإله العارف بكل شيء، ليكون إلهاً لجميع الطوائف البشرية، إلا أنه لقي من قومه عذاباً كبيراً، فهاجر شرقاً إلى بلاد الملك كشتاسب في بلخ، وأدخل الملك ورعيته في دينه، حتى أنهم دافعوا في سبيل هذا الدين بضراوة، حتى انتشر رويداً رويداً، ولكن الايرانيين لم يكونوا كلهم على دين زردشت حتى نهاية عهد الهخنمتسيين و الاشكانيين، ولم تصبح الزردشتية ديناً رسمياً للدولة، إلا في زمن الساسانيين.

وتدل الدراسات التاريخية على أن ما وصلنا من كتب زردشت، نزر قليل مما كانت عليه، فقد ذكر المسعودي في مروج الذهب أن الأبستاق، أي الأفستا كتب في إثني عشر ألف مجلد بالذهب، فيه وعد ووعيد وأمر ونهي وغير ذلك من الشرائع والعبادات، لم تزل الملوك تعمل بما في هذا الكتاب إلى عهد الاسكندر، وماكان قتله لدارا بن دارا، فأحرق الاسكندر بعضاً من هذا الكتاب، ثم صار الملك بعد الطوائف إلى أردشير بن بابك، جمع الفرس على قراءة سورة منه يقال لها اسناد.

أما الدكتور محمد معين، فيقول، بأن بلينيوس الروماني من مؤرخي القرن الأول الميلادي، نقل عن هرميبوسس المؤرخ اليوناني الذي عاش في القرن الثالث قبل الميلاد، إنه قرأ مذهب الايرانيين بذمة في كتابهم الديني الذي نظمه زردشت في ألف بيت.

أما تنسر رئيس علماء الدين في عهد أردشير بابك، فقال في رسالته إلى جسنف شاه ملك طبرستان: "تعلم أن الاسكندر أحرق كتاب دينا البالغ اثنا عشر ألف جلد بقرة في اصطغر، وكان قد بقي منه ثلث الصدور وذلك أيضا كله قصص وأحاديث".

وفي الشاهنامه، يذكر أن فصول الأفستا البالغ عددها ألفاً ومئتي فصل، كانت مكتوبة على لوحة من الذهب؛ والعالم الانجليزي وست يذكر بأن الأفستا كان يتكون من ٣٤٥٧٠٠ كلمة لم يبق منها اليوم غير ٨٣٠٠٠ كلمة في الأفستا الحالي، أي أقل من ربع الاصل.

وأجزاء الأفستا خمسة ١ يسنا ٢ ويسبرد ٣ وندیداد ٤ يشتها ٥ خرده اوستا ونحن لايهمنا في هذه العجالة غير جزء يسنا وذلك لصلته الوثيقة ببحثنا هذا.

ان جزء يسنا يتكون من ٧٢فصلاً من بينها ١٧ فصلاً تعرف بكاتها، وتعتبر من أقدم أجزاء الأفستا لان، من المعتمد بأنها من كلام زردشت نفسه، ومعنى كلمة كاتها ومفردها كات، النشيد أوالمنظومة التي تتخلل الشعر، فكلها كتبت بلغة الشعر، ولكن شعراً ليس كالشعر الايراني الحديث، الذي ينظم على أوزان العروض العربية، بل هو أقرب إلى شعر الأقوام الهندوأوروبية، وفصول كاتها تتكون من خمسة أقسام:

١- هنود أو هونيقه يتي.
٢- اشتود أو اشتاقه يتي.
٣- سبينتمد أوسبينتا ميو.
٤- هوخشند أو فوهوخشترا.
٥- هيشتواشت أو فوهيسشتوات.

أما عدد قطع كاتها فهو ٢٣٨ قطعة، وعدد أبياتها ٨٩٦ بيتاً، وكلماتها ٥٥٦٠ كلمة.

تشير الدراسات اللغة الحالية إلى أن هناك تقارباً

لغوياً وصلة وثيقة بين اللغة التي كتبت بها كاتها، واللغة الكردية الحالية، وذلك نجد الفصول البالغة ١٧ فصلاً كتبت باللغة الميدية. يقول العلامة احسان نوري بان كلمة زردشت نفسها هي كلمة كردية أصيلة فهو يقول: "كانوا يسمون زردشت بزرتوشرا سبي تمه، ويأتي بمعنى زردشت بياض الأصل، وهذه الألفاظ التي كانت من لغة قوم زردشت، أي لغة ماد نسبة إلى الميديين، ليست لها فروق أساسية مع اللغة الكردية الحالية..".

زرنوشدا سبي تمه، في اللغة الكردية تعني الشعاع الذهبي للشمس البيضاء.

الكردو الميديا

تدل جميع الدراسات الأنثوغرافية الحالية على أن الأمة الكردية هي من السلالات الميدية، ولعل من أكبر المستشرقين الذين دافعوا عن هذا الرأي هوالعلامة مينورسكي.

ويقول الاستاذ احسان نوري بهذا الصدد: "في الحقيقة مع أن الألفاظ والكلمات الميدية قد اختلطت بالكلمات والألفاظ الطورانية والسامية من جهة، ومرت عليها عصور مختلفة، حيث أحدثت فيها تغييرات كبيرة، لا يمكن نكرانها اواجتنابها من جهة أخرى، ولكنها مع ذلك هي أقرب إلى اللغة الكردية من أية لغة أخرى".

ويتفق الأستاذ ديرك كينين على هذا الرأي أيضاً، يقول: "إن اللغة الكردية متفرعة من اللغة الميدية، حيث يعتبر الميديون أصلا رئيسياً للكرد".

وقد أيد هذا الرأي كثير من المؤلفين العرب أيضاً، نذكر منهم الدكتور محمد السيد غلاب، أستاذ الانثروبولوجيا بجامعة القاهرة، فيقول: "وقد ظلت أرض الجزيرة وشمال العراق تستقبل هجرات البدو الهندية الأوروبية من وسط آسيا، بما تحمله من صفة الشقرة، وهذه المنطقة هي وطن الكرد في الوقت الحاضر، وهم سلالة الميديين القديمة التي ظهرت في الألف الأول قبل الميلاد، وتنشر بينهم صفات الشقرة بشكل واضح، وهم يتحدثون لغة هندية أوروبية، ويحتلون منطقة الحدود المشتركة بين العراق وايران وتركيا.

وهكذا، نتوصل أخيراً إلى نتيجة حتمية، وهي أن أقدم المؤلفات الكردية قاطبة، والتي وجدت حتى الآن، هي الجزء كاتها من كتاب أفستا، الذي كتب في القرن السابع قبل الميلاد، واستناداً إلى أن زردشت نفسه كان ميدياً، وكان يتكلم لغة الميديين، وأن الميديين هم كرد اليوم؛ وقد كتب حول هذا الرأي أيضاً ميجر سيون الحاكم البريطاني، والضليع في اللغة الكردية، فقد كتب في تقريره عن لواء السليمانية مايلي:

"وقد صار من المسلم به، أن زرادشت الذي كان يتكلم اللغة الميدية الأخيرة، قد ولد في شمال مقاطعة ميدية، وهي الآن معروفة بمقاطعة مكري، ولغة زردشت هذه، كما نراها في زند أفستا قريبة جداً من اللهجة المكرية الحالية، بل انها حسبما نذكرها فيما بعد اللغة المكرية بنفسها".

معتقد الكرد

اعتنق الكرد منذ فجر التاريخ الاديان، انهم في بداية التاريخ كانوا يعبدون-مثل الاريين- الطبيعة والشمس والقمر والكواكب والنجوم والمياه والصواعق. فيتركون جثث موتاهم على

الصخور والجبال ليأكلهم الحيوانات والسبع، وبعد هذه المرحلة كانوا يشيعون الجثث ويدفنونها في المقابر على الجبال.

بعد ذلك ظهر (زرادشت) من عائلة (اسبيتمان) التابعة لـ(ماد) في اذربيجان، ودعا الناس الى دين التوحيد، واعتنقها الناس وانتهجوا منهجه.

ان زرادشت هو يازر توشيتره ابن بوروشسب من عائلة (سبيته مه) وحسب قول (هرتمسفلد) فان (سبيتمه) احدى العوائل التابعة لـ(ماد) التي تحكم مدينة (ركا-او ريدا). وكتب (بلينوس) الكبير ٢٣-٢٧م في كتابه (تاريخ الطبيعة) اسم زرادشت باسم (زردشتي مادي). وجاء في كتاب (انجمن اراي ناصري): ان زرادشت ولد في ساحل نهر (شيز) القريب من (تيكان تبه) التابعة لـ(هوشيار)، ثم مضى الى جبل (سبلان) واعلن نبوته هناك ثم مضى الى (ري) ومنها الى عاصمة (لوهراسب وكوشتاسب) واعتنق اهالي هذه المنطقة دينه ورضوا به. ورأى بعض اخر ان زرادشت هو من اهالي نهيرة (ورمي).

وبالنسبة لتاريخ ولادة زرادشت فهناك اختلاف بين المؤرخين، اذ ذهب المؤرخون اليونانيون مثل: ارسطو وافلاطون واكزان تووس، الى ان زرادشت ولد في ٦٥٠٠ عام قبل الميلاد في اذربيجان. لكن المحدثين فندوا هذا الرأي.

وقد ذهب الدكتور (محمد معين) بعد تقصي ودراسة حياة زرادشت الى ان زرادشت ولد قبل ٦٦٠ عاما قبل الميلاد وانعزل عن الناس في عشرينيات عمره، ولما بلغ الثلاثين اوحي اليه انه نبي الله، وقد نزل عليه الوحي في نهيرة ورمي وعلى جبل (سبلاند). وقد مضى الى (بلخ وكوشتاسب) واعتنقوا دينه وذلك عندما كان في اثنين واربعين من عمره، الى ٦١٨ قبل الميلاد. وفي عام ٥٨٣ اي في عمر السابعة والسبعين حدثت حرب بينهم وبين (ارجاسبي طوران) واستشهد زرادشت في هذه الحرب.

وبعد مجيء الاسلام الى النبي محمد (ص)، احتضنه الكرد وانقادوا له، وضحوا بانفسهم واموالهم في سبيله وانتشرت المساجد في كل حدب وصوب كردستان الى الان.

الحياة الاجتماعية للكرد

ان طبيعة كردستان كانت جلبية وذات غابات وشلالات وانهار ووديان. مع ذلك كانت لها اراض صالحة للزراعة والمراعي. كل ذلك سبَّبَ في ان يشتغل الكرد في هذه المجلات.

ما هو ظاهر، ان الكرد شعب رحال منذ القدم فاي ارض اذا كانت صالحة للزراعة او المراعي فاذا بهم يبقون فيها ويأكلون من خيراتها ويأتون أكلها ثم رحلوا الى منطقة اخرى وهكذا. وكانوا يحيكون من اصواف الحيوانات واوبارها واشعارها اثاثا لهم.

ثم بدءوا الحياة في الحضر، وشرعوا يتعلمون ويكتبون ويطورون الفكر والتساؤل والادب والتراث، والكتابة جنبا الى جنب الشعوب الاخرى.

يقول (ميجرسون) في (سياحتنامه): ان الكرد شعب في غاية الشجاعة والنبل، يحبون اللهو واللعب والصيد، ويكرهون العبودية والاضطهاد، وهو ذوو ذكاء وحذاقة، يتعلمون اللغة والصنع ويحبون وطنهم حبا جما ويضحون من اجله بانفسهم. وهم رحماء وسمحاء ويكرمون ضيوفهم، ويحترمون

نساءهم، ويبجل الزوج زوجته، ويستشير بها في جل اموره، والمرأة تعمل جنبا الى جنب زوجته في الحرث والمواشي والتدابير المنزلية والبيدر. ان المرأة الكردية في قمة العفافة واذا فعلت خيانة فيقتلونها. تتزوج الفتاة برغبتها، وشاع بينهم العشق والرقص المختلط. وهذا يدل على ان الكرد شعب مرح وبشوش وواع ونبيه.

الثقافة الكردية في القرن الماضي

من هنا لابد من الاشارة الى اننا نقصد بالثقافة الكردية الثقافة المكتوبة باللغة الكردية، اذ هناك مثقفون كرد كتبوا باللغات العربية والتركية والفارسية وابدعوا بها بحيث صاروا من الرموز الادبية المشار لها بالبنان، كان
هؤلاء مثقفين كردا بحق معبرين فعلا عن الثقافة المحلية مستخدمين الافكار الكردية، كما كانت مادتهم في بناء صورهم الادبية والمعرفية كردية بحتة، ولكننا نعود ونقول اننا نعني هنا بالثقافة الكردية الثقافة المدونة باللغة الكردية وحدها.
تعتبر هذه الثقافة ثقافة حديثة الظهور، بل حديثة التبلور نسبيا اذا قارنّاها بثقافات الشعوب الاخرى المجاورة، أو هكذا يبدو الامر بعد القاء نظرة سطحية، وسواء إن كانت كذلك فعلا أو لا، فهي ثقافة منضوية على نفسها في الوقت الحاضر، غريبة عن اذهان مثقفي الجوار بعض الشيء، غير منفتحة بوجه الثقافات العالمية بالمستوى المطلوب. وهذا الوضع له صلة بشكل أو بآخر بالوضع السياسي السائد في كردستان، فالحكومات التي أمسكت بمقاليد الامور في الدول التي تقسم كردستان فيما بينها منذ ما بعد انهيار الدولة العثمانية، لم تنفك
تحارب الثقافة الكردية كجزء من حربها على القومية الكردية، لأنها تعي باستمرار ان كل تطور ثقافي كردي بإمكانه ان يفتح نافذة بوجه القضية القومية الكردية في المحافل الدولية، وبالتالي سيضر ذلك التطور بأمنها القومي ومصلحتها القومية حسب تعريفها هي للكلمتين على الاقل.
وليس هذا وحده السبب في الوضع المزري الذي تعاني منه الثقافة الكردية حاليا ان صح التعبير، اذ حتى قبل انشطار الدولة العثمانية ونشوء الدول الحديثة في المنطقة، كانت الثقافة الكردية غائبة نوعا ما، لقد اقتصرت الحركة الثقافية الكردية برمتها في بعض القصائد التي نظمها جيل من الشعراء خلال القرن التاسع عشر باللغة الكردية، وقد فعل شعراء قلائل، وحتى قصائد هؤلاء الشعراء الاوائل كانت في معظمها تتمحور حول الحب والتصوف والتغني بالطبيعة ومشاهدها، أي كانت قصائد تعتمد على فن تهذيب القوافي وتعقيد الكلمات والجمل، مع الالتزام بالاوزان المعروفة في الشعر العربي حينذاك، مما يمكّننا من القول ان كل هؤلاء الشعراء مجتمعين لم يتمكنوا من تجاوز المشهد الشعري نحو مشهد ثقافي حقيقي اوسع ولو بقليل.
ولكن وإن لم يكن السبب هو ذاته في الظاهر، الا ان الأمر لا يخرج عن الاضطهاد القومي الذي مورس بحق الكرد طوال التاريخ القريب والبعيد والذي أخر الى ابعد مدى ممكن ظهور ثقافة مكتوبة باللغة الكردية، فمنذ اعتناق دين الاسلام من قبل الكرد، اصبحت لغة

القرآن هي لغة العلوم التي يتلقاها الكردي بما ان العلوم اساسا انحصرت في المسائل المتعلقة بالدين الجديد، هنا يمكن القول بين قوسين ان هناك الكثير من الآراء حول وجود مكتبة كردية موغلة في القدم تعرضت للتطاول ابان الحملات العسكرية القديمة، لكننا لا يمكن أن نبني نظرة تحليلية ونقدية بخصوص مكتبة لم تبق الاّ أخبارها فقط. وكانت هناك بعض المصادر التي كتبت باللغتين الفارسية والتركية يتم تدريسها كذلك في المدارس الدينية في كردستان، من هنا كان يعاب على الكردي الذي يحسب نفسه متعلما أو مثقفا بمفهوم تلكم العصور انه لا يتقن لغة القرآن واللغتين الاخريين اللتين كما قلنا كتبت بهما مصادر علمية قيّمة واساسية. ولكي يبيّن ذلك المثقف درايته بتلك اللغات، صار يكتب بها ويتفنن بمفرداتها ويهتم بخفاياها اكثر من اهتمامه بخفايا لغته الام. وقد اصبح لاحقا تعلم اللغات تلك دون العلوم الدينية هو بحد ذاته من الاهتمامات الجديرة ببذل المساعي.

عموما، يمكن اعتبار مطلع القرن العشرين هو البداية الحقيقية لتبلور المشهد الثقافي الكردي بالمعنى الذي نقصده، حيث تطور مفهوم الشعر قليلا عما كان عليه في القرون السالفة، بحيث اصبح الشاعر يتطرق ولو على مضض لقضايا اجتماعية (كما عند قانع) وفلسفية (كما عند بيره ميَرد) ووطنية وقومية (كما عند بيكس). كما ظهرت الى الوجود الصحافة الكردية التي تشكل جانبا مهما وحيويا من المشهد الثقافي، وبظهورها بدأ جيل من الكتاب المثقفين من غير الشعراء، من كتاب المقالات الصحفية الى محرري الاخبار وكتاب القصة والخواطر، وصولا الى المحللين السياسيين، رغم اللغة البدائية والسطحية التي استخدمت في البداية في هذا المجال. وقد أسس الشعراء الاوائل الذين اشرنا اليهم استخدام اللغة الام في الكتابة بدلا من لغات الشعوب الجارة.

موضوع بحثنا هنا هو المشهد الثقافي الكردي المعاصر، المشهد الذي قلنا بداية انه منضوٍ على ذاته نوعا ما وغريب بعض الشيء عن اذهان مثقفي الجوار، ولكي نحدد تفاصيل هذا المشهد علينا المرور بشيء من الايجاز بالمراحل التي قطعها خلال القرن العشرين، أي منذ بداية تبلوره وظهوره وصولا الى ما هو عليه حاليا.مرت هذه الثقافة خلال القرن العشرين بمراحل متعددة ومختلفة تماما عن بعضها، تلك المراحل تحددت ملامحها حسب الظروف السياسية والاجتماعية المتغيرة باطراد، وكذلك حسب رقي مستوى الانفتاح الثقافي نسبيا بعد كل مرحلة، ولكي نتعرف على تلك المراحل وخصوصيات كل مرحلة منها، علينا أخذ عينات من المشهد الثقافي السائد في كل فترة:

المثقف الواعظ:

كانت الثقافة السائدة في كردستان عشية الحرب العالمية الاولى هي نوعا ما امتداد للنمط الثقافي السائد في القرن التاسع عشر والفترات التي سبقته، حيث ان خريجي المدارس الدينية والجوامع هم من اطلقت عليهم تسمية المثقف، هذا المثقف، مثقف مطلع القرن العشرين له بشكل عام مجموعة من الخصال التي اكتسبها من النمط التعليمي الذي تلقاه في المدارس المذكورة، مضافا لها الخصال التي كونتها لديه الظروف والاحداث التي طغت على الساحة

السياسية في تلك الاثناء، كانحصار معارفه في علوم الدين وما يخص اللغة العربية وربما القليل من اللغتين الفارسية والتركية، وكذلك سطوة نزعة القاء الوعظ والنصائح لديه بما ان الجوامع تخرّج الوعاظ اكثر من تخريجها للباحثين، والتفاؤل الذي تكون لديه لتأثره بالظروف التي فتح عينيه عليها والاحداث التي عاشها حيث استقلال معظم الشعوب التي كانت ترزح تحت نير الدولة العثمانية وظهور الدول القومية على انقاض الامبراطورية العثمانية المنهارة. أي باختصار، كان مثقف مطلع القرن العشرين واعظا متفائلا يتقن اكثر من لغة في اغلب الاحيان الى جانب اللغة الام.

هذا التعريف الموجز لمثقف مطلع القرن العشرين يساعد في معرفة الخطوط العريضة للمشهد الثقافي في تلك الحقبة التاريخية، فحين نعود الى نتاجات الشعراء الذين ذاع صيتهم في تلك الفترة، يمكن ان نقرأ بوضوح تام النصائح التي كانوا يقدمونها للعامة من الناس ممّن لا يفقهون حسب ظنهم (وكان ظنهم في محله الى حد ما)، بين من يدعو الى الاخوة ويرشد الناس الى التعاون والمحبة، ومن يذكّر الجماهير بمصير الأمم التي تناحرت فيما بينها، ومن يهدد بغضب الله الذي ينزل على الامم الفاسدة وغير المنصاعة لأوامره و.. و..الخ.

وبعيدا عن اجواء الشعر، حيث ظهرت كما اسلفنا نشاطات ثقافية اخرى ايضا، نلاحظ ان المقالات الصحفية مثلا في تلك الفترة كانت هي الاخرى برمتها (باستثناء الاخبار المحررة) عبارة عن مجموعة من النصائح والارشادات المثالية، التي توحي وبالاستناد الى الافكار المثالية المقتبسة من التعاليم الدينية الى ان تزكية الروح الخيّرة كفيلة بكسب نصرة الله الى قضايا الشعب، وبالعكس، انصراف الناس الى اللهو والى أي شيء ممّا يثير حفيظة الخالق، سيكون سببا في النكسات القومية، بمعنى ان الطريق الى الحرية والرفاه والاستقلال السياسي يمر من خلال العادات الجيدة والنفوس الخيرة.

وماعدا النمط التعليمي الذي استقى المثقف منه كل معارفه ومعلوماته وافكاره، كان هذا المثقف الواعظ تحت تأثير امرين مرتبطين ببعضهما ارتباطا عضويا، أولهما تبلور الفكر القومي الاستقلالي الذي تحدثنا عنه، في كردستان، وعلى خلفية المستجدات السياسية التي شهدها العالم وظهور الكيانات السياسية الحديثة كما اسلفنا الذكر، والثاني هو ظهور الصحافة التاريخية كتابع للحركة القومية الاستقلالية المتبلورة حديثا، وكمؤثر بفعالية في المشهد الثقافي وكجزء من ذلك المشهد في الوقت ذاته. وكان دور الصحافة يتلخص في جانبين مهمين على الاقل، اولهما اتاحة الفرصة لأول مرة في التاريخ امام المثقفين الكرد لايصال صوتهم ونتاجاتهم الى اوسع القطاعات، وثانيهما نقل اخبار العالم وتمكين المثقف الكردي من الوقوف على ما يحدث خلف الحدود، وقد ادى هذا تدريجيا الى نشوء حلم مشترك يتلخص في أمل حدوث ما يجري في العالم الخارجي في كردستان ايضا.

هكذا يمكن تلخيص الخطوط العامة للمشهد الثقافي الكردي في مطلع القرن العشرين على النحو الآتي:

١-تجاوز المشهد الشعري الاحادي وظهور ابواب اخرى للثقافة، كالصحافة والادب القصصي

لاحقا والتحليل السياسي (في شكله البدائي) و..الخ.

٢-حدوث شيء من التلقيح بين المشهدين الثقافي والسياسي في كردستان لدرجة امتزاج المشهدين ببعضهما لاحقا وكما سنأتي على ذكره، وذلك لحساسية المرحلة وشعور المثقف بأنه وامته واقفان امام فرصة تاريخية نادرة، وكأن به احساسه الداخلي يخبره بأن تلك الفرصة ممكن اضاعتها عن طريق الخطأ.

٣-اعتبار المثقف نفسه ناصحا ومرشدا للعامة من الناس، ووفق هذا التفكير كان لابد من رسم اطار من الالتزامات الاخلاقية وحتى الدينية للمثقف، ليصبح قدوة للأمة، وبالتالي اعتبار تلك الالتزامات من المعايير الاساسية التي يقاس بها المستوى الثقافي.

٤-طغيان لغة التفاؤل في النتاجات الثقافية بالنظر الى الاحداث العالمية التي كانت في مجملها مشجعة للآمال.

تنتهي هذه الحقبة من المشهد الثقافي الكردي عند ارتطام حلم تأسيس الدولة الكردية المستقلة بحائط الواقع السياسي العالمي الحائل دون حدوث ذلك وما تلا ذلك من احداث ومستجدات، وكذلك عند ظهور المدارس الاكاديمية التي ساعدت في ظهور مثقفين جدد اكثر التزاما بالمنهجية واكثر توسعا في المعلومات.

المثقف المناضل (أو المثقف السياسي)

الحقبة التالية تبدأ في الفترة التي سبقت الحرب العالمية الثانية، فعلى المستوى الثقافي البحت، تميزت هذه الحقبة كما اشرنا سابقا بظهور خريجي المدارس الاكاديمية الذين اعتمدوا المنهجية اكثر من اسلافهم، وبتوسع المشهد الثقافي نفسه اكثر فأكثر، حيث ظهور جيل الرواد من الفنانين التشكيليين والمسرحيين والموسيقيين.

كان يمكن لهذا التوسع ولدخول المنهجية في المجال الثقافي ان يؤديا الى القضاء على لغة الوعظ التي كانت سائدة من المرحلة السابقة واستبدالها بلغة انتقادية حيادية، ولكن ظروف كردستان الخاصة والذكريات التي خلفتها الانتكاسة القومية حالتا دون هذا التطور الطبيعي، وبدلا من ذلك بدأ جيل من المثقفين المتأثرين بالانتكاسة القومية وبسقوط مملكة الشيخ الحفيد في السليمانية واخماد الثورة التي اعلنها لاحقا، يفقدون الثقة تدريجيا بالقيادات الدينية والقبلية موجهين لها الانتقادات والاتهامات على اعتبار انها هي المسؤولة عن عدم بلوغ الاهداف القومية المنشودة وعن النكسة القومية وعن المعاناة الجسيمة التي آل اليها وضع الكرد، ومن هذا المنطلق بدأ المثقفون الكرد يفكرون جديا في سحب البساط من تحت اقدام تلك القيادات التقليدية واخذ اماكنها. أي اصبح الامتزاج بين المشهدين الثقافي والسياسي اكثر حدة من الاول، وتحولت لغة الوعظ الى لغة الامر والنهي.

فمعظم الاحزاب والجمعيات السياسية التي تشكلت قبل وابان وبعد الحرب العالمية الثانية هي أحزاب أسسها مثقفون تحولوا الى ساسة ومنظرين نتيجة النكسة، مثال هؤلاء ابراهيم احمد ورفيق حلمي وغيرهما.

وقد امتدت هذه الحقبة الى ما بعد الستينيات من القرن المنصرم واندلاع الثورة المسلحة في

كردستان العراق التي ادت الى تسيّس المشهد الثقافي الكردي اكثر فأكثر، حتى ان الكثير من المثقفين التحقوا بالثوار وتخندقوا في الجبال حاملين سلاح المقاومة والتحدي، بل وصل الامر حدا في بعض الفترات بحيث صار الاخلاص للثورة هو المعيار الوحيد لديهم لقياس ثقافة المثقف، وظهر الى الوجود المثقف البيشمركه من امثال شيركو بيكس ورفيق صابر وعبدالله بشيو من الشعراء وكارزان عمر ومحمد جزا من الموسيقيين وخالد رسول من التشكيليين وغيرهم.

لقد جعلت الثورة المسلحة التي اندلعت في كردستان من الرموز غير المفهومة بسهولة السمة البارزة للخطاب الثقافي في هذه الحقبة، فصارت الاشعار اشبه بألغاز ومتاهات تتعب المتلقي الباحث عن مخرج منها، وحتىَ بعض الشعراء الذين التحقوا بالثورة ولم يعودوا بحاجة الى اخفاء افكارهم آنذاك، قد طغى على نتاجاتهم الطابع البلاغي الثوري وبالتالي افتقرت نتاجاتهم الشعرية الى الصور الفنية الحقيقية التي تسرق فكر المتلقي وتأسر قلبه وتجعله يهرع لانهاء قراءة النص للوقوف على الصورة الاجمالية، اما بعض شعراء المهجر فقد اثرت فيهم الغربة بدورهم وصاروا ينشدون للعودة وحدها في اغلب الاحيان واصبح نتاجهم الشعري في الغالب عبارة عن رثاء للوطن الذي فارقوه مرغمين. وما قيل عن الشعراء هو نفسه بخصوص غيرهم من المثقفين، ولكي نتمكن من تقييم المشهد الثقافي الكردي في تلك الحقبة، ينبغي لنا ان نميز بين ثلاث فئات رئيسية من المثقفين والظروف المحيطة بكل فئة منها.

اولا: مثقفو الساحة:

او كما كان يطلق عليهم في كردستان حينها (مثقفو الظل)، وهم المثقفون الذين آثروا البقاء في كردستان رغم الظروف القاسية ورغم الخوف والذعر اللذين كان وجود الانظمة الاستبدادية يمثلهما لهم.

ان مثقفي هذه الفئة هم اكثر المثقفين لجوءا الى الالغاز والرموز المبهمة، والسبب واضح وبسيط، وهو انهم كانوا يعيشون في كنف السلطات ويحاولون الابداع وهم تحت مراقبة الاجهزة القمعية لتلك السلطات، وفي الحقيقة لم يعانِ هؤلاء المثقفون من بطش الحكومات وحدها، بل من بطش الجماهير ايضا، وما دفع هؤلاء الى هذه الالغاز هو ان العديد منهم قد اتهم بالولاء لتلك الحكومات والوقوف معها في مواجهة التطلعات الشعبية العامة، فاضطر الباقون الى اظهار افكارهم ورغباتهم الحقيقية للمتلقي عسى ان يفهم ما يرمون اليه، وفي الوقت ذاته كان عليهم ان يحترسوا من الرقيب الفكري الذي كان الحكام يسلطونه على كل ابداع فكري، ولا مناص من اللجوء الى الرموز للتوفيق بين طرفي هذه المعادلة الدقيقة والحساسة.

هذا الوضع قد يكون طبيعيا في بعض المجالات الثقافية، كالشعر والفن التشكيلي وحتى الموسيقى والمسرح، ولكن ماذا سيكون حال الصحافة الخبرية والتحليلات السياسية وما الى ذلك من مجالات ثقافية حيوية. فالتحليل لا يتحمل التبطين كما هو حال الشعر على سبيل المثال، ومن هنا يتضح لنا في الوقت ذاته استفاد هؤلاء الشعراء من بعض الامور، اهمها مسألة الانتشار بما ان الصحف والمجلات

والنشرات الادبية الصادرة كانت تساعدهم على نشر نتاجاتهم، فباتوا معروفين لدى المتلقي المحلي اكثر من غيرهم وصارت نتاجاتهم اكثر تداولا من قبل الناقد الادبي الذي له دور مهم في تطور الشعر..

ثانيا: مثقفو الثورة:

وكان يطلق عليهم ايضا (مثقفو الجبل) وهم مجموعة المثقفين الذين التحقوا بصفوف الثورة المسلحة وصاروا ينشدون لها..

هؤلاء لم يعانوا ما عاناه مثقفو الظل من حيث كره الجماهير، بل صاروا بمثابة اناس مقدسين بما انهم رفضوا حسب ظن المتلقي حياة الذل والهوان وآثـروا العيش في شعاب الجبال على قبول الـذل، كما انهم تحـرروا من الرقيب الفكري وصاروا يكتبون ويقولون ما يروق لهم دون خوف او ذعر، ولكنهم عانوا في المقابل من امور اخرى قد اطرت ابداعاتهم ايضا، ويمكن تلخيص اهم تلك الامور في حالتين:

١- محدودية الانتشار حيث الظروف الصعبة التي كانت تحيط باعلام الثورة والافتقار الى الاجهزة الخاصة بالطبع والنشر، فلم تصل نتاجات هؤلاء الى اوساط المتلقين الحقيقيين والى ايـدي النقاد ايضا على صعيد واسـع، وبالتالي كانت نتاجاتهم محصورة في اوساط ضيقة ويتناولها القـراء بسرية تامة كما يتناولون المناشير الحزبية.

٢- طغيان لغة العنف التي تتميز بها الثورات في اشعارهم والابتعاد عن الخيال الرقيق والمرهف الـذي يخص الشعراء والادبـاء والموسيقيين وكذلك التحليل الموضوعي والحيادي الذي يخص الكتاب المحللين، هـذه الحالـة حولت معظم مثقفي الجبل الى سياسيين ثوريين يـروجـون للقتل والانتقام والعنف، وحتى نتاجاتهم الثقافية نراها مقتبسة من الظواهر الخاصة بالحروب والـمواجـهات، فنرى كلمة الدخان مثلا هي اكثر الكلمات الموجودة في شعر شيركو بيكس على سبيل المثال، ونرى التشبيه بين حب المتيم لحبيبته بحب الجندي لبندقيته و..هكذا.

ثالثا/مثقفو المهجر:

يبدو من الوهلة الاولى ان مثقفي المهجر لابد ان يكونوا قد تحرروا من مشاكل كلتا الفئتين السابقتين، وفعلا تلك المشاكل لم يعد لها وجود في نتاجات هؤلاء المثقفين الذين تركوا اوطانهم واقاموا في ارض الغربة، فلا رقيب ولا ثورة، بل والاضافة الى ذلك الاحتكاك المباشر بالادب العالمي والوقوف على آخر التطورات الطارئة على مفهوم الشعر، فصاروا يستفيدون من درايتهم بالآداب العالمية.

ولكن لم يكن هؤلاء بمنأى عن مشاكل متعلقة بنتاجهم الثقافي، فهم قبل كل شيء قد تركوا اوطانهم ويمكن معرفة صعوبة فراق الوطن والعيش في بيئة غريبة بكل ما للكلمة من معنى، من هنا طغت على نتاجهم لغة الرثاء للوطن المهجور، فكان الحزن هو السمة البارزة لثقافة المهجر.

٣- المثقف المتأمل:

وفي نهاية الثمانينيات من القرن المنصرم مرت كردستان بتجارب مريرة، بدءا من حملات الانفال التي شنتها السلطات العراقية ضد قرى وقصبات كردستان، مرورا بتشرد البيشمركه الكرد على الحدود مع ايران وتركيا والقضاء على الثورة المسلحة نوعا ما، وانتهاء بالاقتتال

الداخلي الذي عانى منه ومن نتائجه الوخيمة كل افراد الشعب الكردي والمثقفون من ضمنهم، كل هذه المآسي انهت حقبة المثقف السياسي المناضل واعلنت عن بدء حقبة جديدة من المشهد الثقافي قد تصح تسميته بحقبة المثقف المتأمل السائل عن الحقيقة.

فقد جرب المثقف الكردي طيلة القرن العشرين عجز بعض القادة القبليين ومن بعدهم القادة المثقفين عن تحقيق تطلعات الكرد، وهذه التجربة دفعت به الى الانعزال عن السياسة والبحث عن مشهد ثقافي مستقل لا يمت بصلة الى السياسة وعالم السياسة.

اهم ما يتميز به مثقفو هذه الحقبة عن مثقفي الحقب السابقة هو ان المشهد الثقافي اصبح هذه المرة وبفضلهم ناقدا حقيقيا، يقرأ الاحداث والامور والاشياء بانتقادية تامة غير آبه بالوطنية والقومية وما الى ذلك، فليس الاعداء والمحتلون هم وحدهم الذين هم يجدر بنا نقد سياساتهم وتصرفاتهم، بل العنصر الكردي ايضا، وليست السياسة وحدها هي محور اهتمام المثقف، بل تجاوز المثقف الكردي هذه المرة تلك العقدة السياسية وصار يتأمل في كل الاشياء الموجودة، ناهيك عن ان المثقف الكردي لم يبق ذلك الناقد الواعظ البسيط الذي يتداول الامور بسطحية، بل ذهب يعتمد المنهجية في التحليل معتمدا في ذلك على كم هائل من المعلومات والذخيرة الفكرية الموجودة المقتبسة من الثقافات العالمية المعاصرة.

لقد تجاوز المشهد الثقافي الكردي، متأثرا بالمدارس العالمية المعاصرة، كل المفاهيم التقليدية التي ترسم الاطر للمثقف، ففي حين كان سابقا يشترط في المثقف ان يكون ذا اخلاق حميدة وصفات انسانية كذا وكذا ومحترما بين الناس و.. و.. الخ، اصبحت هذه الامور غير ذي اهمية لاحقا، فيمكن ان يكون هناك شخص غير مهذب وغير محترم وحتى غير ملتزم اخلاقيا، ولكنه مثقف حقيقي له افكاره الخاصة وطريقته الخاصة في التعامل مع الساحة الثقافية.

المخطوطات الكردية

قدم الكرد عبر التاريخ علماء دين جليلين وكان هؤلاء الفوا في مجالات اللغة العربية والعلوم الاسلامية مؤلفات جمة، وخدموا اللغة العربية وتراث العرب خدمة جليلة، فكانت مخطوطاتهم ذات قيمة وبهاء من الناحية العلمية والاكاديمية، وقد انتشرت تلك المخطوطات في جميع بقع العالم.

لكننا هنا نهتم بالمخطوطات التي كتبت باللغة الكردية، كالدواوين الشعرية والدراسات اللغوية... الخ. او تتناول جانبا مهما من حياة الكرد، كما نراه في المؤلف الفريد (شرفنامه) الذي كتب باللغة الفارسية.

وسبب تاليف (شرفنامه) باللغة الفارسية يعود الى ان اللغة الفارسية في تلك الفترات كانت اللغة الرسمية في الدولة العثمانية حالها حال اللغة التركية. والا فمن المفروض ان يؤلفه باللغة التركية لان السلطان العثماني هو الذي طلب منه ان يؤلف هذا التاريخ العظيم.

ان المخطوطات الكردية غالبا عندما وقعت في يد المستشرقين نقلوها الى اوروبا. والمخطوطات التي وقعت في روسيا، كانت محفوظة في

المكتبات الكبيرة مثل المكتبة العامة في سالتيكوف-شيدرين ومكتبة الاستشراق الماثلة في روسيا-لينينكراد-ودار مخطوطات ماربورك-برلين في المانيا ودار المخطوطات الوطنية في باريس ودار المخطوطات البريطانية بلندن ومكتبة الجامعات بلندن واوكسفورد وكامبرج ببريطانيا.

موقع المخطوطات خارج كردستان:

في مدينة سانت بيترسبورك في روسيا:

في هذه المدينة، احتفظت المخطوطات الكردية في مؤسستين علميتين، اولاهما: دار المخطوطات الدولية لـ(ساليتكوف-شدرين). ثانيتهما: دار مخطوطات-معهد الاستشراق الاكاديمي العلمي لمدينة (سانت بيترسبورك).

وفي عام ١٩٥٧ قامت (ماركريت بوريسيفنا) بوصف هذه المخطوطات في مقال لها، ثم تناولتها مرة اخرى عام ١٩٦١ في كتاب مستقل.

المخطوطات الكردية في دار المخطوطات العامة:

كانت مجموعة غزيرة ذات قيمة عالية من المخطوطات محفوظة في قسم المخطوطات العامة بـ(سانت بيترسبورك)، قام بجمعها والحفاظ عليها (الكساندر ديمينتيفج) لقد تم جمع هذه المخطوطات بين اعوام ١٨٥٦-١٨٦٩ عندما كان (جابا) السفير الروسي في ارض روم فترة الدولة العاثمانية. وبطلب من (دورن) بدأ (جابا) عام ١٨٥٦ بتعلم اللغة الكردية وجمع المواد الادبية والفولكورية واللغوية والاثنوغرافية المتعلقة بالكرد، من بينها جمع عدد من المخطوطات، ويذكر ان لـ(ملا محمود البايزيدي) دورا كبيرا في جمع المخطوطات.

يبلغ عدد مخطوطات (جابا) ٥٤ مخطوطة، منها ٤٤ مخطوطة كتبت باللغة الكردية، و٤ مخطوطات بالفارسية، و٣ مخطوطات بالتركية. وقد كتب اغلبها باللهجة الكرمانجية الشمالية، وعدد نزر منها كتب باللهجة الكورانية.

ومن حيث المضمون تنقسم المخطوطات الى هذه الاقسام:

١-الفولكلور والادب الشعبي:

عبارة عن الاغاني التي تتحدث عن الشجاعة وحفلات الزواج واغاني الفتيان والامثال والحكم والنكت واللطائف...الخ. وكذلك بعض القصص الشعبية. ولم تكن المخطوطات كلها حول التراث الكردي، بل هناك مخطوطات حول تراث الشعوب الشرقية الاخرى ترجمت الى اللغة الكردية مثل كتاب (در المجالس).

٢-الادب:

تنقسم المخطوطات التي تتعلق بالادب الى:

أ-ما اصله كردي مثل: مم و زين و نوبهار واحمدي خاني، و مولونامه لملا باتيي و بيت لفقي تيران، وكذلك قلعة دمدم وقولي ئه سبي ره ش لعلي حريري..

ب-ما اصله غير كردي: فقد استطاع الشعراء والادباء الكرد ان يصنعوا منها نتاجا كرديا رفيعا، مثل: شيخي صنعان لـ(فقي تيران) ويوسف وزوليخا لـ(سليمي سليمان و حارث بتليسي)، وليلى ومجنون لـ(حارث بتليسي). وهناك مخطوطة كردية اخرى اعدها ملا محمود البايزيدي وهي ترجمة نتاج تركي الى اللغة الكردية وهي تتكون من ١٠ مجموعات.

٣-المخطوطات اللغوية: اعاد الملا محمود البايزيدي كتابة اغلب هذه المخطوطات، وكان مؤلفوها متاثرين بقواعد اللغة العربية لانهم علماء الدين، وهي:
رساة تحفة النحلان في الزمان كردان و(تەسريفي زمان كوردي) و(صفحەي صبيان) هي الفباء كردي للناشئين. و(العبارة) لملا يونس حلقتيني.
٤-الاثنوغرافيا والتاريخ:
هناك مخطوطتان مهمتان في هذا المنوال، اولاهما: تتناول الحياة الاجتماعية للكرد باسم (عادات ورسومات نامهء اكرادية)، فقد اعاد كتابتها الملا محمود البايزيدي بطلب من (جابا) نشرت من قبل رودينكو.
والثانية: هي ترجمة الجزء الاول من رائعة شرفنامه لشرفخان البتليسي وقد ترجمها من الفارسية الى الكردية الملا محمود البايزيدي.

المخطوطات الكردية في المعهد الاستشراقي

للاكاديمية العلمية في (سانت بيترسبورك) تتميز هذه المخطوطات عن التي سبق ذكرها، بانها كتبت بجميع اللهجات الكردية، مثل: اللهجات الشمالية والجنوبية والكرمانجية واللرية. قدمت هذه المخطوطات من قبل (جابا) ثلاث مخطوطات، والبقية قدمها كل من ق.فيليا مينوف-زيرنوف وب.أ.دورن وف.ف.مينورسكي واخرون. وتنقسم وفق اللهجات الى:
١-اللهجة الكورانية: توجد مخطوطات تتناول القصص الشعرية الكلاسيكية الشهيرة التابعة للادب الكلاسيكي للشرق الاوسط. مثل: اسكندرنامه المترجمة من الفارسية الى اللهجة الكورانية، والقصص الشعرية لميرزا شفيع جامه زيري و...الخ.
٢-اللهجة الجنوبية: مثل مقدمة (كلستان) لسعدي الشيرازي، حيث ترجمت نثرا الى اللهجة الجنوبية.
٣-اللهجة الشمالية: احدى المخطوطات المهمة التي كتبت باللهجة الشمالية تلك المجاميع التي كتبت ١٨٨٩ ثم وقعت في يد المستشرق الالماني (مارتن هارتمان)، وهي عبارة عن عشرة نتاجات تابعة للادب الفولكلوري، اهمها مم وزين او ممي الان.
١-نص مم وزين او ممي الان، قام بجمعها (مارتن مارتمان) مجلة (كوليجي ئەدەبيات-كلية الاداب) العدد ١٦، بغداد، ١٩٧٣، ص٥٦-٩٥.
٢-وفي المؤسسة نفسها توجد مخطوطة اخرى محفوظة هناك، وهي (دەستوري زماني عەرەبي بەكوردي-قواعد اللغة العربية باللغة الكردية) لـ(علي تەرەماخي)، وكان نشرها صحح كثيرا من الاخطاء التي وقع فيها كثير من المؤرخين. قام بنشر هذا النتاج وترتيبه الاستاذ الدكتور معروف خزندار (بغداد، ١٩٧١).
احتفظ هذا المعهد بمخطوطة اخرى، اسمها (كولشەن) كتبت في ١١٩٨هـ/١٧٨٣-١٧٨٤م وهي عبارة عن ٤٥٩ صفحة، احتوت دواوين كثير من الشعراء التابعين للشعوب الشرقية، وقد دون فيها ٩ قطع قصائد كردية باللهجة الشمالية والكورانية واللرية. والقصائد كانت لـ(احمدي خاني، تيفي هكاري، ملا حسن كاشي، الشيخ

حسن الكوراني، كادي شهميري لر).
عدا ذلك، فهناك مخطوطات اخرى مترجمة من اللغات الاخرى الى اللغة الكردية، عبارة عن: الامثال والحكم.
وهناك ايضا مخطوطة اخرى محفوظة في ارشيف (نيكيتين) في المعهد الاستشراقي، وهي عبارة عن قسم غزير من ديوان (عبدالكريم بيك مصباح). لقد اهداه الشاعر اثناء الحرب العالمية الاولى الى (نيكيتين) وكان (نيكيتين) آنذاك سفير روسا في تبريز. وقد نشر هذه القصائد ونظمها ورتبها وحققها الاستاذ الدكتور معروف خزندار عام ١٩٧٠/بغداد.

المخطوطات الكردية في المانيا

في السنوات الاخيرة للقرن التاسع عشر والحرب العالمية الاولى حرصت المانيا لترسيخ دعائمها في اقليم الشرق الاوسط وخصوصا المناطق التابعة للسلطة العثمانية وايران. فاتى الى كردستان علماء المانيون كثيرون امثال: (البروفيسور اوسكارمان-البروفيسور فون لكوك-البروفيسور مارتن هارتمان-البروفيسور ادوارد سخاو-البروفيسور اوكوست بيترمان). واثناء انشغالهم باللغة الكردية وادابها، فقد جكعوا مخطوطات ونقلوها الى المانيا. فاحتفظت بها في مكتبات (برلين-توبينكين-ماربورك).
وقد نشر الدكتور كمال فؤاد عام ١٩٧٠ كتابا وصف فيه هذه المخطوطات بطريقة علمية.
ومن حيث المضمون، فتنقسم الى:
١-القصص الشعرية (المثنوي)، عبارة عن حكايات غرامية والحروب الماثلة في اداب الشعوب الشرق اوسطية، خصوصا الاداب الكردية والفارسية والتركية. اما ان ترجمت هذه الاعمال كما هي او بتصرف. ومنها:
(مةنيجة وبيذةن، شيرين وفةرهاد، خوسرةو وشيرين، رؤستةم وزؤراب، خورشيد وخاوةر، حةيدةر وسنؤبةر، بارام وكطؤلَةنام، ئةسفةنديار ورؤستةم، سةنعان وتةرسا، وةرةقة وطولَشا، يوسف زولةيخا، لةيلا ومةجنون).
٢- الدواوين الشعرية: لقد حفظ قسم كبير من قصائد الشعراء الكرد الكلاسيكيين منها:
(مةلا ثةريَشان-النصف الثاني للقرن الرابع عشر والنصف الاول للقرن الخامس عشر الميلادي)، (شيَخ ئةحمةدي جزيري-القرن الخامس عشر)، (وةداعي-القرن التاسع عشر)، (نالي-١٨٠٠-١٨٥٦)، (سالم ١٨٠٥-١٨٦٩)، (كوردي ١٨١٢-١٨٥٠)، (شيَخ رةزا ١٨٤٢-١٩٠٩)، وةفايي (١٨٤٤-١٩١٩)، ئةحمةدي كوَر (النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين)، حريق(١٨٥٦-١٩٠٩).
وقد ترجم بعض قصائد نالي وكوردي والشيخ رضا ووفائي واحمدي كور الى الفارسية مع ترجمة حياتهم.
٣-حكايات الشجاعة والعبر والنصح:
عبارة عن قسم من الادب الشعبي والادب الكلاسيكي المدون والذي كتب على شكل المثنوي. وقد وجدت فيها نصوص نثرية، وكان مضمونها يتمحور حول:
(اسماعيل نامه، بةري بةيان، بةهمةن وفةرامةرز، بةيتي شيخي صنعان، جةنكنامةي شازادة محمد علي ميرزا مع

كهيا باشا، حاتةمنامة (سيرة حاتم الطائي)، حكايةتي ئيلان شاه، حيكايةتي طوربة ومـووش، داستاني طورط وروبا، سولَتان جومجومة، محمدي حنيفية، منطق الطير، مولودنامة، نـادر نامة، هةفت طونبةد، هةفت ثةيكةر، وةفات نامة و...).

٤-المخطوطات اللغوية:

عـبـارة عـن معاجم نظمت على شاكلة القصائد، مثل (نـوبـار) لاحمـدي خاني، و(احمدي) للشيـخ معروف النودهي. وهناك مخطوطات اخـرى تتناول قواعد اللغة العربية كتبت باللغة الكردية، واخرى عن قواعد اللغة الكردية متأثرة بقواعد اللغة العربية. مثل: تصريف-تركيب-ظروف-لملا يونس هلقتيني.

٥-ثمة مخطوطات تاريخية اخرى، تتناول بالذكر تراجم الرجال، مثل: تاريـخ شةش سـةد و ضـل ويـةك سـالَـي مةملةكةتي كوردستان، شةرحي حالَي عبدالله خاني موكري، نامةي عةشايةري دانيشتواني دةوروبةري سابلآغي موكري..

المخطوطات الكردية في لندن

متحف بريطانيا

بسبب الـرحـالـة والمستشرقين وقـع بعض المخطوطات التي كتبت باللهجة الكورانية في متحف بريطانيا، وبعض منها قدمها المستشرق مينورسكي، بعدما ترك بلاده بسبب حرب اوكتوبر، حيث اتجه صوب باريس ثم جعل لندن موطن عيشه.

تنقسم المخطوطات الماثلة في لندن من حيث المضمون الى قسمين:

١-القصص الشعرية التي كتبت على شاكلة المثنوي. اهمها: (خورشيد و خـاوةر، ليلى ومجـنـون، خـوسـرة و و شـيـريـن، فـةرهـاد و شـيـريـن، بـارام و طـولـةنـام، هةفت خواني رؤستةم، خاوةران، محمد علي مع كهيا باشا، حرب مةلةخ مع ئاتةش مولوج...).

ان محاولة تنقيح اللغة الكردية النقية تعود الى بداية العشرينيات، خصوصا محاولات صحيفة (ثيَشكةوتن) ١٩٢٠-١٩٢٢ التي تصدر في السليمانية.

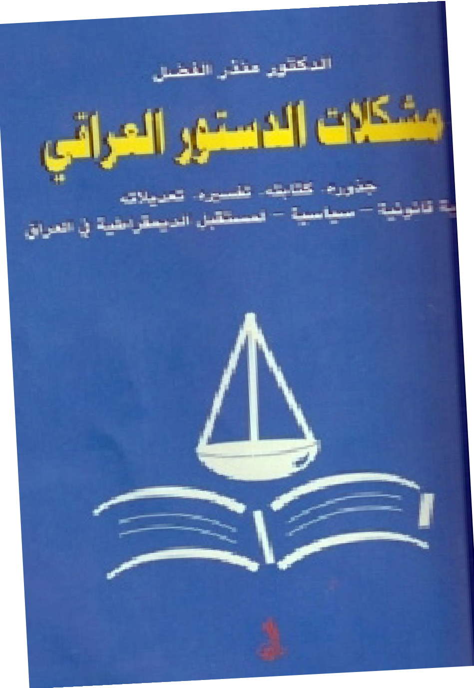
٢-الشعر الكوراني: (ذو مقاطع عشرة)

هذه المخطوطات عبارة عن قصائد نظمت على شاكلة اللهجة الكورانية، تنسب الى شعراء عاشوا قبل ١٧٨٨، منها:

(مةحزوني كاتبي قةسري خوسرةو خاني والي بوة ١٧٥٤-١٧٨٩. شيخ احمـةدي تةختي في ١٦٤٠، محمد قولي سةلمان، ميرزا ابراهيم، مولانا قاسم، يوسف ياسكة، شيخ لوتوللآ. ملا طاهر هةورامي، الياس بيك، ملا فضل الله، حاجي علي محمد بيكي تيلكو، مولانا فةروخي بلنكاني. ملا حافظ فرهاد، رضا بيك، محمد بيك هورامي شيخ يعقوب خان، ايوقيس بيك، مولانا يوسف، شيخ حسني دةرةهـةردي، عبد، عمر نزار شيخ مصطفى تةختي، صوفي علي كواني، شيخ احمد موئي، لالو خوسرةو، شيخ شمسةديني دةرة هةردي، استاذ ميكائيل، خاناي قـوبـادي ١٧٠، ملا مصطفى بيساراني، صيدي هورامي ت١٥٢٠، ملا رحيمي تاوةطوزي، احمد بيك كؤماسي).

مشكلات الدستور العراقي
جذور كتابته، تفسيره، تعديلاته

حكيم نديم الداوودي



صدر للباحث القانوني د. منذر الفضل عن دار آراس للطباعة والنشر في أربيل إقليم كوردستان العراق كتاب جديد بعنوان مشكلات الدستورالعراقي. جذوركتابته، تفسيره، تعديلاته. مع قراءته المعمقة لمشكلات الدستور العراقي عبر رؤيته القانونية، السياسية لمستقبل الديمقراطية في العراق. يقع الكتاب في (٤٨٤) صفحة من القطع المتوسط. عمل الكاتب والباحث د. الفضل كأستاذ ومحاضر في العديد الجامعات العراقية والعربية والأجنبية.وله مؤلفات عدة في مجال القانون والفكر والسياسة الى جانب مشاركته الفعالة والمؤثرة في الكثيرمن المؤتمرات العلنية والسرية مع المعارضة العراقية قبل سقوط النظام السابق. مع حضوره الفاعل كعضو في الجمعية الوطنية عام ٢٠٠٥ ،وفي اللجنة الدستورية المنتخبة عن قائمة التحالف الكوردستاني عن بغداد كشخصية عربية مستقلة. محتوى هذا الكتاب المهم وحسبما جاء في مقدمة طبعته الاولى عبارة عن (تجربة شخصية في الميدان السياسي والقانوني، وإنعكاس للمبادئ والقيم التي تؤمن بها الباحث.

تضمن كتابه أيضاً مجموعة من المقالات التي نشرت له في وسائل الإعلام المختلفة. الى جانب العديد من المحاضرت القانونية القيّمة التي ألقاها المؤلف في عواصم دول العالم البرلمان الاوروبي مثل: لندن والبرلمان الاوربي، السويد، هولندا، الدانمارك، النرويج، فرنسا، وفي جامعة بوزنان في بولندا،وفي واشنطن وناشفل والاردن، وكوردستان، وبغداد .

الى كوردستان

أهدى أستاذنا الباحث د. منذرالفضل كتابه القيّم هذا الى كوردستان أرضاً وشعباً. تلك البقعة المباركة المضمخة بدماء أبنائها وشهدائها الأبرار، الذين رسموا لنا خارطة الديمقراطية والحرية. ولكل من ينشد لمستقبل زاهر، ولحياة مفعمة بالأمن والإستقرار وإحترام القانون ومبادئ حقوق الانسان.

رؤية المؤلف د. الفضل للعراق الجديد ، عراق ما بعد زوال نظام صدام

في العراق الجديد وبعد تغيير خارطة العراق السياسية في ٩ نيسان ٢٠٠٣ وخروج الشعب العراقي بكافة أطيافه وإثنياته من النفق المظلم النفق الذي سده عليه كل منافذ الحياة والتطور والتطلع لأكثر من ثلاثة عقود. تحتمت على خبراء في مجال كتابة الدستور، ورجال الفكر والقانون والرموزالسياسية والدينية ان أن يتدارسوا الوضع العراقي السياسي والدستوري بعد خلاصهم من النظام القمعي الشمولي ، وتعيين شكل ونوع النظام السياسي في العراق الجديد. تضمن كتاب د.الفضل العديد من الأجوبة المُقنعة،والرؤية القانونية، والملاحظات المنطقية على مجمل مشكلات الوضع السياسي والدستوري العراقي. فلخّص رؤاه في الغلاف الاخيرمن كتابه مشكلات الدستور العراقي بهذه السطور.

(إن هذا الكتاب يتناول جانباً من تطورات الوضع العراقي السياسي والدستوري لأن بينهما رابطاً قويا ، إذ لا يمكن فصل السياسة عن الدستور أو القانون، وهو يلقي الضوء على جانب من مشكلات الدستور العراقي منذ من ثلاثة عقود كنتُ شاهداً عليها، ويعود هذا الإهتمام الى أن الدستور والنظام السياسي في العراق يُمثلان قضية أساسية هامة تمّس جوهر السلام والإستقرار والديمقراطية واحترام حقوق الإنسان التي لا يمكن أن تقوم من دون وجود مؤسسات دستورية قائمة على حكم قوة القانون... وأضاف في السطور الأخيرة ، أنه سيستعرض بعض مهازل الحكم في العراق قبل سقوط النظام الفاشي، الى جانب بيان المواقف المخزية والمشينة لبعض خبراء النظام في القانون الدستوري والفروع الأخرى من الذين دعموا وساندوا هذا النظام، لأن هذه المهازل التي تعرض لها ملايين العراقيين لها صلة وطيدة ببناء الدولة وطبيعتها ونمط الحكم في النظام رغم وجود دستور وقوانين من الناحية الشكلية) .

تسمية الباحث د. الفضل كتابه بـ (مشكلات الدستور العراقي)

ذكرد. منذرالفضل أن سبب تسمية كتابه بـ (مشكلات الدستور العراقي). جاءت لجملة من الأسباب، ومن أهم تلك الأسباب التي تضمنتها مقدمة الطبعة الاولى بأن- هناك حقا مشكلات جوهرية فعلية تتعلق أساسا بجذورالدستور العراقي التي تمتد الى مراحل سبقت نفاذ ، ومن ثم ما رافق تطورات كتابته من صراعات قوية بين الكتل السياسية العراقية. وهي ما

تزال قائمة وهناك ثمت مشكلات تتعلق بمسألة تعديله، وربما محاولات الإنقلاب عليه، إضافة الى مشكلات حقيقية أخـرى تخصّ شكلية الكتابة وأخـرى متعلقة بفن الصياغة، ومن بعدها مشكلة التفسير للنصوص الدستورية والجهة المختصة بالتفسير. أمـا فيما يتعلق بقضايا أخرى متعددة التي عالجته الباحث من خلال رؤيته القانونية فهي عديدة ومنها: ما تتعلق بحقوق الكورد في الدستور وتحديدا مشكلة الفدرالية، وقضية عقود النفط والغاز، ومسألة تقاسم الثروة وتوزيعها بصورة عادلة طبقاً لما تقضي به أسس الفيدرالية، والوضع الدستوري لقوات البيشمركة، وحـل قضية كركوك ومعوقات تنفيذ المـادة ١٤٠، ووجود أقليم كوردستان المرتبطة بموضوع المناطق المتنازع عليها). كما أستعرض في ثنايا مقدمة تلك الطبعة جانباً من مهازل الحكم في العراق قبل سقوط النظام الفاشي . وأشـارالى دعم بعضٍ خـبراء النظام في القانون الدستوري. قائلاً (ونشير الى بعض خبراء النظام في القانون الدستوري والفروع الاخرى من الذين دعموا وسانـدوا هـذا النظام، لأن هـذه المهازل التي تعرض لها ملايين العراقيين لها صلة وطيدة ببناء الدولة وطبيعتها ونمط الحكم في النظام رغـم وجـود دسـتـوروقـوانـين مـن الناحية الشكلية. ولابـدّ هنا من التذكيربما تعرضت له النخب العلمية والثقافية والأكاديمية من الإهانة بطرق مختلفة، فقد كانت تُساق مثل القطعان الى معسكرات الجيش الشعبي بدلاً من أن تمنح الفرص العلمية لتطويروتحديث معلوماتها لخدمة العراق، وكان أساتذة الجامعات والمسؤولون في الدولة يتعرضون الى إجراءات مهينة مثل إلزامهم بقياس الـوزن السنوي لكل شخص والتجسس عليهم وإجبارهم على حمل السلاح بحجة الدفاع عن الوطن! وإشغالهم بأمور تتعلق بمستلزمات المعيشة اليومية والعناء في الحصول على الحصص اليومية، والقيام بالخفارات الليلية ذات الطابع العسكري في الكليات وأماكن العمل، وغيرها من الأساليب التي لم يقم بها حتى النظام النازي في المانيا ولا الفاشية في إيطاليا).

وأحتوى الكتاب حسب فهرس الكتاب على أربعة اقسام ـ وكل قسم ضم عدة فصول، وكل فصل الى مباحث متعددة بالإضافة الى العديد من الملاحق المهمة المثبتة في نهاية الكتاب، مع موجز لمحتوى الكتاب باللغة الانكليزية، وصـفـحـات خـاصـة بـالـصـور الفوتوغرافية لمحاضرات ونشاطات الباحث في بعض المؤتمرات والندوات التي تناولت مستقبل العراق وحقوق الشعب الكوردي.

تناول القسم الاول: تطورات كتابة وصياغة الدستور، وجاء موضوع أحداث سبقت كتابة الدستور في مقدمة الفصل الاول، وتوزع الفصل على مباحث عدة. خصص المبحث الاول لفترة المعارضة العراقية والثاني تناول جانباً من المشكلات المتعلقة بالقانون والقضاء والمؤسسة العسكرية خلال فترة حكم النظام العراقي المباد. والمبحث الثالث حمل في ثناياه موضوع لجنة الخبراء ومؤتمر لندن. أما الفصل الثاني تناول بشكل تفصيلي مراحل كتابة الدستور(ما بعد سقوط النظام الدكتاتوري). وفي المبحث الاول منه تم دراسـة فـترة سلطة الإئتلاف المؤقتة، والمبحث الثاني فخصّصه الباحث لفترة الحكم الوطني ٢٠٠٥ . والفصل الثالث تناول موضوع ،القصور في الدستور العراقي لعام ٢٠٠٥ . وفي القسم الثاني الذي ضم (١٢) فصلا والذ يّعد من أطول أقسام الكتاب من حيث شمولية وسعة مواضيع فصوله. تطرق الفصل

الاول بعمق لمسألة إجتثاث البعث والبعثيين وفقاً للدستور، وبيان لآلية تطهير العراق من فكر البعث، أما الفصل الثاني تناول وعبرست صفحات تعريف العضو في حزب البعث، وماهية ذلك التطهير، مع كيفية التعامل مع قضية تطهيرالمجتمع والدولة من فكرالبعث. وشمل الفصل الثالث على تعريف خطورة النهج العنصري من حيث تهديده للديمقراطية (النهج العنصري خطر يهدد الديمقراطية). والفصل الرابع تناول جريمة الكراهية من حيث المعنى والإصطلاح ،والطبيعة القانونية والمسؤولية الجنائية المترتبة لجريمة الكراهية، من حيث توافرأركانها الشرعية والمادية والمعنوية، ودورالمجتمع الدولي في مكافحة ترويج ثقافة كراهية الشعوب في العالم. وحول دور المحكمة الإتحادية ومدى إلزام قرارتها حول تفسيرنصوص الدستورهذا الموضوع تم دراسته في الفصل الخامس وتحت عنوان(المحكمة الإتحادية وتفسير نصوص الدستور. والفصل السادس حمل عنوانا مستقلاً لتفسير الدستور حول تولي الطالباني منصب رئاسة الجمهورية، بإعتباره منصباً سيادياً مهماً في الدولة. أما الفصل السابع فجاء تحت عنوان إقصاء المكونات الصغيرة إنتهاك جديد للدستورالعراقي. والعراق كما هو معروف للجميع بلد متعدد القوميات والاديان والمذاهب منذ القدم والتعددية حسب رؤية الباحث في هذا الفصل هو مصدر قوة وليست ضعفاً للعراق . تناول الفصل الثامن قضية حرية الدين أو المعتقد في العراق وجاء تحت العنوان الرئيس (حرية الدين أو المعتقد في العراق بين التطرف والإعتدال) بإعتبارها من المواضيع الحساسة والحيوية التي لها صلة وطيدة مع حقوق الانسان وبناء قيم الديمقراطية. والفصل التاسع حمل عنواناً مثيرا للإنتباه ألاوهو (الفراغ الدستوري يمنع رفع العلم العراقي) فخصّصه الباحث للقائه الواسع مع مندوب إذاعة العراق الحر في ١٩ كانون٢ ٢٠٠٢ لمناقشة مشروع الدستورالذي طرحه قبيل مؤتمر المعارضة العراقية الذي تم عقده في لندن في ديسمبر٢٠٠٢. أما متى أصبح الدستورالعراقي نافذاً فيمكن للقارئ معرفة تلك التفاصيل في متابعته للفصل العاشرمن الكتاب. وفي الفصل الحادي عشر يتساءل الكاتب هل إن الحواروالمصالحة الوطنية تعني المزيد من الانتهاكات للدستورالعراقي؟، وكان سؤاله المطروح في الفصل المذكورهو -مصالحة وطنية أم انتهاكات دستورية -؟. وفي الفصل الثاني عشروهوالفصل الأخيرمن القسم الثاني تساءل الباحث عن الجديد في قرار مجلس الشيوخ الأمريكي بالقول- ما الجديد في قرار مجلس الشيوخ الامريكي-؟

أما القسم الثالث فأستعرض فيه الحقوق المشروعة للكورد في ضوء الدستورالعراقي الجديد. جاء تحت عنوان - حقوق الكورد في الدستور- توزع القسم على أربعة فصول: الفصل الاول عنيَ بمستقبل صناعة النفط والغاز في العراق الإتحادي . والفصل الثاني تم تخصيصه للرد القانوني والدستوري لتصريحات بعض المسؤولين العراقيين من الحكومة، ومن مجلس النواب حول عقود النفط المبرمة من قبل حكومة إقليم كوردستان. وجاء عنوانه بصيغة إستفهامية عنيفة، لماذا الطعن بعقود النفط والغازفي كوردستان؟. مع رد الباحث في الفصل الثالث على تصريحات بعض المسؤولين العراقيين غير الدستورية) مؤكدا على دستورية العقود المبرمة بأن (عقود النفط لحكومة إقليم كوردستان صحيحة وفقاً للدستور العراقي. عقود شرعية وصحيحة

وموافقة للدستور الفيدرالي ولقانون النفط والغاز لأقليم كوردستان رقم ٢٢ لسنة ٢٠٠٧ .أما الفصل الرابع فضم أجوبة الباحث القانونية على تساؤلات مراسل مجلة الصوت الآخرحول حل قضية كركوك. فجاء العنوان مبهرا حيث أشار الى أن حل قضية كركوك وفق المادة ١٤٠ يرسّخ جسور المحبة والتعايش والواقع إن تطبيق تلك المادة هي خارطة طريق والحل الأمثل لقضية كركوك اذا تمت تطبيقها وفق الآليات التي حددته الدستور.مؤكداً بأن كركوك قضية عراقية لا تحل إلاّ وفقاً للدستور ويجب إحترام نصوصه من قبل الجميع.

والفصل الخامس ركزعلى أهمية الحل الوطني لقضية كركوك والحذرمن مخاطر تدويلها، مع ذكر تفاصيل مهمة حول التسلسل التاريخي للأحداث، وبيان الحل الوطني لتلك القضية وفق الدستور العراقي. وكما أشار أيضاً في الفصل ذاته الى موقف مجموعة حل الازمات الدولية قائلاً (وأما موقف مجموعة حل الأزمات الدولية تلك المنظمة غيرالحكومية والمستقلة لبحث المشكلات الساخنة ومحاولة إيجاد الحلول لها بتقديم توصيات الى صناع القرارسواء في مجلس الأمن الدولي أم الى واشنطن أم الى الأطراف ذات الشأن في القضية موضوع البحث، ورؤية أغلب الأحزاب والقوى الوطنية التركمانية مع تفعيل المادة- ١٤٠- من الدستوروتكمن الحل الصائب لحل المشكلات التي نصت عليها المادة، عدا الجبهة التركمانية المغردة بصوتها النشاز خارج الحل الوطني للمشكلة، كونها جهة مرتبطة بتركيا وهي الجهة الوحيدة تبدي رأيها في رفض تطبيق المادة وبيان رأيها المغايربعكس الأحزاب والقوى الوطنية التركمانية. وتباين موقف الاحزاب والحركات العراقية من قضية كركوك والمناطق المتنازع عليها.

أما الفصل السادس فتحدث عن الحل الدستوري لكركوك وبطلان قانون الانتخابات، مع التركيزعلى محورين أساسين الأول: المادة-٢٤- صناعة فاشلة من الجبهة التركمانية.

والثاني : حق الكورد بضم كركوك لكوردستان.

والفصل السابع تناول موضوع (جيش كورستان والدستور الاتحادي) في إطار تعدد أشكال الدول الإتحادية. ولخص الباحث تلك الفكرة في العراق الجديد بأن (العراق الجديد هو دولة إتحادية ونظام الحكم فيها جمهوري نيابي ديمقراطي وفق المادة (١) من الدستورالعراقي الجديد الذي أصبح نافذا من ٢٠ مايس ٢٠٠٦. وهو تاريخ تشكيل الحكومة العراقية المنتخبة حسب المادة (١٤٤) منه. وأوضح الباحث في هذا المبحث أيضاً مفهوم الفيدرالية بأن(شكل الدولة صار مُركّباً من إقليمين فأكثر، وان العراق لم يعُد من الدول البسيطة كما يُسمى في القانون الدولي. وهذا التركيب لشكل الدولة لم يقم بالقوة وأنما على أساس طوعي وإختياري) ويعني بمعنى أدق الشراكة (بين جميع القوميات وأتباع الديانات والمكونات في الحُكم وصنع القرار، وفي توزيع العادل للثروات الطبيعية، وفي جميع الفرص وبخلاف ذلك يكون هناك خرق للدستوروإنتهاك للقوانين). فوجود الفيدرالية بلا ديمقراطية لا يمكن تصورها وكما أشار الباحث الى ذلك (لا يمكن تصور وجود شكل فيدرالي لدولة ما بلا ديمقراطية، ولا يمكن تصوروجود نظام شمولي أو ديكتاتوري في دولة إتحادية، لأن الدكتاتورية والديمقراطية نقيضان لا يجتمعان. كما لاتعني أيضاً الديمقراطية (حكم الأغلبية وأنما حُكم الجميع ومشاركة الكل دون أي حرمانٍ لقوميةٍ أو دِينٍ أو طائفة أو مكوّن مهما كان كبيراً أو

صغيراً لأن البشرَ متساوونَ ولا يجوز التمييز بينهم بسبب الجنس أو القومية أو اللون أو الدِين أو المعتقد).

أصداء حديث رئيس إقليم كوردستان مسعود بارزاني وتفسيرات الِفكر الشوفيني.

أثارحديث السيد رئيس إقليم كوردستان مسعود بارزاني، وفقاً لما نقلته وكالة الصحافة الفرنسية عن إتجاه الأقليم لتأسيس جيش كوردستان تكون نواته قوات البيشمركة، ردود أفعال متباينة ومختلفة داخل العراق. فقد بيّن السيد رئيس الأقليم بأن بعد إنتخابات برلمان كوردستان (أتخذنا القرار النهائي أن يكون للأقليم جيشٌ خاص به، فهذه الخطوة إحدى مطالب شعبنا، كما أنها إحدى أمنياتي القديمة أن أرى يوماً ما جيش كوردستان الموحد. وذكر الباحث وعلى لسان رئيس الأقليم بضرورة مساعدة وخبرة القوات الأمريكية لتوحيد جيش كوردستان وأساسه قوات البيشمركة لدى إستقباله يوم (٢١ ١١ ٢٠٠٩) في منتجع صلاح الدين نائب القائد العام للقوات الأمريكية في العراق الجنرال باربير القائد المُكلف بعملية نقل المسؤولية الأمنية والدفاعية الى العراقيين ومبعوث التدريب التابع لحلف شمال الاطلسي.

كما بيّن الباحث د. منذر الوضع الدستوري والتكييف القانوني لقوات البيشمركة وفق المادة (١١٧) أولاً من الدستور والتي جاء فيها (يقر هذا الدستور عند نفاذه إقليم كوردستان وسلطاته القائمة إقليما إتحاديا . وطبقاً للفقرة خامساً من ثانياً من المادة (١٢١) : فان (حكومة الأقليم تختّص بكل ما تتطلبه إدارة الأقليم وبوجه خاص إنشاء وتنظيم قوى الأمن الداخلي للأقليم والأمن وحرس الأقليم). ردا على تعقيب السيد (على الدباغ) الناطق الرسمي للحكومة العراقية في تعليق له على تصريح رئيس الأقليم حيث ردّ في تعقيبه على تصريح السيد مسعود بارزاني وكأنه لم يطلع بصورة تفصيلية على مواد الدستور العراقي أو تعمد القفز على المادة (١١٧) الدستورية ويتعجب المرء من تصريحات وتحاليل بعض المحللين السياسيين والناطقين الرسميين من هنا وهناك. وكأنهم نسوا او تناسوا اساس ومفهوم الفيدرالية في العراق وكما أشار الباحث د. الفضل وبالتفصيل الى شكل تلك الدولة الإتحادية- بأن(شكل الدولة صار مُركّباً من إقليمين فأكثر، وان العراق لم يعُد من الدول البسيطة كما يُسمى في القانون الدولي. وهذا التركيب لشكل الدولة لم يقم بالقوة، وأنما على أساس طوعي وإختياري) ويعني بمعنى أدق الشراكة (بين جميع القوميات وأتباع الديانات والمكونات في الحُكم وصنع القرار، وفي توزيع العادل للثروات الطبيعية، وفي جميع الفرص وبخلاف ذلك يكون هناك خرق للدستوروإنتهاك للقوانين). وكيف بالسيد الدباغ يردّ على تصريحات رئيس أقليم كوردستان بأنهم قبلوا بالفيدرالية وكأنهم منحوها كهبةٍ أو مَنية من عندهم للمكونات الأساسية في العراق الفيدرالي ، وليست مقابل بحار من دماء ضحايا قرابين الحرية والديمقراطية. وها هو يصرح (لا بد أن نفصل بين الحُلم الذي يرواد البعض بتشكيل دولة كوردية حرمت إتفاقية سايكس بيكو من وجودها، وبين واقع قبلنا به وتعاهدنا عليه من خلال الإتفاق على الدستورالعراقي). وفي حديث متصل بالموضوع صرح السيد الدباغ لصحيفة الشرق الأوسط بأن (الدستور العراقي لا يسمح بوجود جيشين ، وهذا متفق عليه، ويجب العمل والسعي من أجل تقوية المؤسسات الإتحادية التي هي ضمانة للجميع ولا

نسمح بوجود قوات محلية تهدد أمن العراق، مشيراً الى أن السيد مسعود بارزاني هو جزءٌ من الدولة ويعرف أن الدستورلا يسمح بوجود جيش ثان في العراق ولا أتصور أنه (بارزاني) يريد أن يفرضَ أمراً واقعا). والسيد على الدباغ وحسب رأي الباحث بدا من خلال ردّه الرسمي (قد أساءَ فهم مضمون تصريح السيد رئيس الأقليم مع الطرف الأمريكي، وبما أنه قد تم توحيد الإدارتين الكورديتين في حكومة واحدة في الأقليم فمن الطبيعي أن يتم توحيد قوات البيشمركة في قوة واحدة وتكون نواة لقوات حرس الأقليم أو جيش كوردستان وفقاً للدستور. وكشف الباحثأيضا بأن السيد علي الدباغ ليس وحده الذي أعلن عن رأي الحكومة الرسمي برفض تصريح رئيس الأقليم بل صدر من بعده تصريحات عدة من قبل الكتّاب والشخصيات العشائرية وبعض أعضاء مجلس النواب التي تكشف بجلاء عن نهج عنصري وشوفيني وعن رؤية تلك الأطراف تجاه الحقوق القومية للشعب الكوردي، ومحاولة التراجع عن الفيدرالية والرجوع الى الحكم المركزي وإعادة البعث الفاشي وحكم العراق من العرب في مناصب سيادية وغير سيادية وعن سياسة التمييز ضد الكورد. حيث إن الخطر لا يكمن في توحيد قوات البيشمركة والتي تعمل على نشرالأمان الذي ينعم به الأقليم حالياً وجعلها قوة تحرس الأقليم الذي هو جزءٌ من العراق الإتحادي وفقاً للدستور. وأنما الخطر الحقيقي هو في العقليات العربية الشوفينية التي تحاول دوماً إلغاء دورالكورد والتشكيك بنواياهم ومحاولات إرجاع الماضي. كذلك إن الخطرَ هو في وجود التكفيريين والإرهابيين الذين ينشرون الفوضى والتخلف والخراب ويدمرون العراق. وركز د. منذر على أن الخطر الأكبرعلى أمن العراق ليس في توحيد قوات البيشمركة، وأنما يتمثل في (ظهور مليشيات لا يحكمها قانون بل يمنعها الدستورفقاً (للفقرة ب من المادة ٩) لأن المليشيات مجاميعٌ مسلحة تسعى لتحقيق أغراض سياسية أو مادية ومثال ذلك ما يسمى بمليشيات - الصحوات- إضافة الى ذلك الدعوات الخطيرة التي نسمعها لتشكيل إمارات عربية داخل العراق مثل(إمارة شمّر) التي ينادي بها الشيخ فوازالجربا. وتصريحات أحد الضباط السابقين في جيش صدام حسين وهو (أحمد ابو ريشة) السيئة ضد الكورد وكوردستان وهو الذي يُمجّد الحروب التي شنها صدام ضد إيران والكويت ويعتبروها مشروعةً ضمن مقاساته الفكرية الشوفينية ، وتصريحات (حميد الهايس) بإزالة كركوك من الخارطة إذا سيطرَ عليها الكورد كذلك تصريحات (صالح المطلق، وأسامة النجيفي) الغادرة ضد كوردستان فضلاً عن وجود أمراء حرب جُدد مثل(أميرالأنبار) و(أمير القاعدة) وغيرهم . فهولاء هم الخطر الحقيقي على أمن العراق ومستقبله الديمقراطي وليست قوات البيشمركة التي لم يتلوّث تاريخها المشرف الطويل بأي عمل إرهابي منذ تأسيسها حتى اليوم).

أما القسم الرابع والأخيرمن كتاب مشكلات الدستور العراقي جاء تحت عنوان(تعديلات الدستور العراقي) فطرح الباحث فيه عدة مواضيع حساسة وفي غاية من الأهمية مع قراءة وافية لرؤيته الدستورية والقانونية في أربعة فصول. الفصل الاول حمل العنوان الآتي (تعديل الدستور وحقوق الانسان). (أثارت كلمة السيد رئيس الوزراء نوري المالكي التي ألقاها أثناء حضوره في (٨ نوفمبر ٢٠٠٨) مؤتمرالنخب والكفاءات العراقية مخاوف كبيرة لدي أطراف متعددة حريصة على بناء

الديمقراطية والعراق التعددي الإتحادي. وردت في كلمته محاور عدة تكررت في خطاباته في مناسبات كثيرة وأصبحت تُثير القلق على تجربة العراق الجديد في ظل مرحلة يجري فيها تنظيم العلاقة بين قوات التحالف والحكومة العراقية) وذكر الباحث ثمانية محاور رئيسية ومنها :

١- إن الدستور كتب وسط اجواء كان فيها استعجال بلغت المحاصصة ذروتها.

٢ - بسبب المخاوف من الماضي وضعت نصوص الدستور بصورة قيّدت سلطات المركز في الحاضر والمستقبل .

٣ - يجب ان لا تكون اللامركزية هي الدكتاتورية وما يخشى منه ان تكون الفيدرالية تصادر الدولة .

٤ - وجود حيرة من النصوص الدستورية (الغائمة) وغير الواضحة .

٥ - ان هناك تجاوزات من طرف الاقليم والمحافظات في النظام الفيدرالي ولابدّ ان تكون حكومة المركز قوية .

٦ - إن حصر صلاحيات الحكومة الاتحادية وفتح باب الصلاحيات للاقليم والمحافظات غير صحيح والأصل أن تكون الصلاحيات الواسعة للحكومة الاتحادية والاستثناء للمحافظات والأقاليم .

٧ - وجود أن يكون الأمن مركزياً بيد الحكومة الاتحادية فقط وإنّ السيادة مسؤولة عنها حكومة المركز. ٨ – أن يجري تعديل الدستور وفقاً لهذه المفاهيم .

بعد عرض الباحث لأهم المحاورالمفاهيم التي وردت في كلمة السيد نوري المالكي،ابدى إستغرابه وقلفه الكبيرمن تلك المفاهيم التي ستؤثر سلباً على مستقبل العملية الديمقراطية في العراق الجديد. (إن طرح مثل هذه المفاهيم في أكثر من خطاب وفي اوقات مختلفة يعتبر إرتداداً عن اتفاق الأحزاب والكتل والشخصيات السياسية التي ناضلت طويلاً لإسقاط الدكتاتورية وساهمت في بناء العراق الجديد . وقد تبع هذه التصريحات عمل استفزازي آخروهو تشكيل مجالس الاسناد في كركوك من العشائر العربية والجبهة التركمانية بينما خارطة الطريق لنص المادة ١٤٠ لم تطبّق بعد من تطبيع وإحصاء وإستفتاء .) ويرى د. منذر انه ليس من (الحكمة والصواب أن يتم تشكيل مثل هذه المجالس في مدينة مثل كركوك ذات الحساسية المفرطة لا سيّما وأن هناك تلكؤٌ وتقصيرٌ في تنفيذ المادة ١٤٠ وفي دعم اللجنة الخاصة بتطبيقها رغم إلتزام السيد المالكي بإحترام نص المادة المذكورة من خلال الفقرة ٢٢ من برنامج حكومته. كما ان مجموعة حل الأزمات الدولية نبّهت الحكومة الإتحادية الى مخاطر الحرب الأهلية في كركوك مما يجعل تسليح العرب والجبهة التركمانية في مثل هذه الظروف تشجيعاً لإشعال فتنة الحرب الأهلية).

أما عن أشكال الدولة والسلطة السياسية، استطاع الباحث ومن خلال خبرته الطويلة في مجال القانون وبأسلوبه السهل المتنع من معالجة أشكال وأنواع الدولة وبيان كيانها القانوني والسياسي بأن(هناك أشكال عَدة للدولة ومنها الدولة المستقلة ذات السيادة ووفقاً لقواعد القانون الدولي فان إحدى أشكال الدول المستقلة ذات السيادة هي الدولة البسيطة (المركزة). حيث تتولى إدارتها سلطة سياسية واحدة وتتكون من إقليم واحد ويكون نظامها جمهورياً أو ملكياً. وتنحصركل السلطات بيد الحكومة المركزية. وهذه السلطة السياسية الواحدة تتألف من أعضاء يختص كل عضو بوظيفة يحددها الدستور، وقد يوجد

فيها قوميات متعددة أو قومية واحدة. وغالباً ما تكون الدولة البسيطة ذات أرضية خصبة لظهورالديكتاتورية أو الحكم الشمولي ، وربما لسيطرة الحزب الواحد والزعيم الواحد).

والنوع الثاني للدول المستقلة ذات السيادة هي (الدولة الفيدرالية (الإتحادية). وقد تنشأ من إندماج دول عدة في كيان قانوني وسياسي واحد، أو تكون دولة واحدة تتوزع الى إقليمين أو أكثر ضمن ضوابط يحددها الدستور فتتوزع السلطات أي تنقسم المشاركة السياسية وتتوزع الثروات بين الأقاليم بصورة عادلة وفقاً لمبدأ الفصل بين السلطات. وقد ذهب أيضاً أستاذنا د. محمد سامي عبد الحميد أستاذ القانون الدولي في كلية الحقوق جامعة الأسكندرية وفي كتابه أصول القانون الدولي العام (ج١ص١٦٧-١٦٨)في تعريفه للإتحاد الفيدرالي أو الدولة الفيدالية الى نفس آرأء أستاذنا د. منذربأن(الدولة الفيدرالية دولة مركبة بالمعنى الدقيق لهذا الإصطلاح، تتكون من عدة وحدات إقليمية شبيهة بالدول تتمّيز كل منها بإستئثارها بجانب من إختصاصات السيادة الداخلية لا يشاركها فيه سواها). وأشار د. عبد الحميد في هامش موضوعه الاتحاد الفيدرالي إختصاصات السيادة الخارجية في الدولة الفيدرالية وجاء فيه (اذا كان الأصل هو إستئثار الدولة الفيدرالية وحدها بكافة إختصاصات السيادة الخارجية، إلا أن البعض من الدساتير الفيدرالية قد تنص على منح الدويلات – كلها أو بعضها- إختصاص إبرام المعاهدات غير السياسية تحت إشراف معين من جانب الإتحا . كما قد ينص في دساتير فيدرالية أخرى على منح الدويلات، أو البعض منها، حق تبادل التمثيل الدبلوماسي مع دول معينة أو مع كافة الدول).

وذهب الباحث د.الفضل في كتابه بالنسبة لمسألة السيادة الى نفس رأي د. عبد الحميد إن السيادة في مثل تلك الدول تكون (موزعة بين السيادة الخارجية والسيادة الداخلية. فللأقليم مثلاً سيادة على حدوده الداخلية. ويحق لرئيس الأقليم ،ورئيس حكومة الأقليم ممارسة بعض مظاهر السيادة الخارجية أيضا. وهو ما ذهب إليه الدستور العراقي لعام ٢٠٠٥. وهذا يعني وجود شخصية قانونية واحدة للدولة. والدستورهو الذي يحدد علاقات المركزمع الأليم أو الأقاليم والمحافظات، ويُحتكم الى المحكمة الإتحادية العليا عند وجود خلاف حول بنود الدستور) . وبيّن أيضاً أن الإتحادية قد تكون (إتحادا ُمركباً أو إتحاداً بسيطاً. وأيا كان نوع أو شكل الدولة الاتحادية فان هناك تلازماً وطيداً بين الدولة الفيدرالية والديمقراطية بسبب المشاركة الواسعة للجميع في الحكم وفي الثروات التي توزع بصورة عادلة). والنوع الثالث للدول المستقلة فهي (الدولة الكونفدرالية. وخير مثال هو الإتحاد الأوروبي المؤلّف من دول متعددة تنظمها معاهدة. ويمكن أن يكون لها دستور واحد على مستوى الإتحاد وعُملة واحدة وعلم واحد وغيرذلك ولكنها تحتفظ بإستقلاليتها وتستطيع الخروج متى ما تشاء من الإتحاد. الى جانب هذه الدول كاملة السيادة هناك شكل آخر من الدول وهي الدول ناقصة السيادة مثل الدول التابعة والدول المحمية والأقاليم الواقعة تحت الإنتداب أوالوصاية وغيرها). ونوه د. منذر الى أن إقليم كوردستان هو إقليمٌ إتحادي وفق المادة (١٧٩) من الدستور العراقي وهي من أهم النصوص الدستورية التي أقّرت بفيدرالية إقليم كوردستان ومؤسساته الدستورية. وأن(يكون له دستوريحدد هيكل سلطات الأقليم

التشريعية والتنفيذية والقضائية وآليات العلاقة بين السلطات الاتحادية وسلطات الاقليم، وإنّ أي نزاع ينشأ بين السلطتين فإنّ المحكمة العليا هي المرجعية في الفصل بالنزاع). وحول كيفية العلاقة بين المركز والأقليم والمحافظات، بَين الباحث وبجلاء كيفية تنظيم تلك العلاقة في ضوء الدستور العراقي العراقي الجديد ,الذي صوّت علية أغلبية الشعب العراقي في ٢٠٠٥ والذي أصبح نافذ المفعول في ٢٠ أيار ٢٠٠٦. (إنّ تنظيم العلاقة بين الحكومة الإتحادية وحكومة الأقليم والحكومات المحلية في المحافظات يُحدّدها الدستور بإعتباره هو المرجعية التي يرجع اليه الجميع ويحتكم لنصوصه عند وجود أي خلاف. وإنْ حصلَ تعارضٌ في الإجتهادات أو غموض في النص الدستوري فإنّ المحكمة الإتحادية هي التي تقوم بتفسيرالنص وليس أي طرف حزبي أو ديني أو حكومي آخر. أما إذا كان النص الدستوري واضحاً فإنّ القاعدة العامة في علم القانون والفقه الإسلامي تقضي بعدم جواز تفسيرالنص الواضح. حيث أن نصوص الدستور العراقي جاءت واضحة في مجال تنظيم سلطات المركز وصلاحيات إقليم كوردستان والمحافظات غير المنتظمة في إقليم، وبالتالي فأن أي اجتهاد مع وجود النص الدستوري لا أهمية له وفقاً للقاعدة القانونية الواردة في المادة (٢) من القانون المدني العراقي النافذ التي تنص على " لا مساغ للإجتهاد في مورد النص ". وبناء على ما تقدّم فإن الأصل في النظام الإتحادي أن تكون سلطات المركز محددة، وصلاحيات الأقليم أو الأقاليم والمحافظات غير المنتظمة في إقليم تكون واسعة، لأنها أقرب الى مصالح المواطنين وليس العكس، وإلاّ لماذا سُمي بالنظام الفيدرالي؟. لأن في الدول ذات الأنطمة الفيدرالية لا يمكن للفيدرالية والمركزية أن تجتمعان (فالفيدرالية والمركزية نقيضان لا يجتمعان ، كما إن العودة للحكم المركزي الذي ينادي به بعض من السياسيين العراقيين غيرممكن بعد هذه التضحيات الطويلة والمعاناة من تجارب الماضي الذي لن يعود. نحن كّنا وما نزال مع كامل حقوق الشعب الكوردي، لذلك نقف ضد أي تعديل يمس هذه الحقوق أو ينتقص منها لأنها ليست منحة أو هبة من أحد ، بل هي ثمرة صراع مرير مع الدكتاتورية). لأن (الدولة تكون قوية اذا كانت تحكمها ضوابط دستورية وتمارس صلاحياتها دون إهدار لحقوق الإسان ولا تُشّكل مصدراً للإستبداد، وأن قوة المركز لا يجوز أن تكون على حساب صلاحيات الأقاليم والمحافظات طبقاً للأسس الفيدرالية). وختم د. منذر مبحثه بالعبارة البليغة الآتيه (أنّ هناك سوء فهم عند الكثيرين بين اللآمركزية الإدارية والفيدرالية، هذا بالإضافة الى وجود ضعف في الثقافة الدستورية والقانونية لدى كثير من المسؤولين العراقيين وقد تبيّن هذا من تصريحاتهم التي " لا تُميّز بينَ الدستور والقانون " .

أما الفصل الثاني من القسم الثاني بحث في تفاصيل محاولة بعض الأراف الإنقلاب على الدستور عبر أربعة محاور وهي:

١ - مرحلة إعداد الدستور .٢ – وضوح موقف الكورد من التعديلات الدستورية .٣ – تحالفات الاضداد للانقلاب على الدستور .٤ – تصريحات السيد المالكي المتناقضة ومجالس الاسناد في كركوك .

بالنسبة لمحور مرحلة إعداد الدستور فجاء فيه (أنه في مايس من عام ٢٠٠٥ بدأت مرحلة إعداد كتابة الدستور العراقي بعد إنتخاب لجنة من

مختلف الاحزاب والشخصيات والكتل السياسية بلغ عدد (٥٥) عضواً ومن ثم إشترك فيها فيما بعد (٢٥) عضواً من العرب السُنّة ما بين عضو ومستشار من خارج الجمعية الوطنية العراقية لأنهم في الأصل كانوا من المقاطعين للعملية السياسية. وقد جرت نقاشات طويلة ومعقدة بين أعضاء اللجنة كانت تشوبها إنفعالات أحياناً الى جانب الهدوء في أحيان أخرى بسبب أهمية المواضيع المطروحة وغرابة طروحات بعض أعضاء اللجنة مثل تخوين مَن يَحمل أكثر من جواز سفر والعودة للحكم المركزي بحجة إنّ الفيدرالية تقسيمٌ للعراق.. والتمييز بين عراقيي الداخل والخارج، وتغييب حقوق المكونات الصغيرة ومصادرة حقوق الكورد والتضييق على مؤسساتهم التي بنوها عبر سنوات طوال وناضلوا من أجلها كثيراً أو إعتبار الشريعة الاسلامية المصدرالوحيد للتشريع في العراق).

وبّين الباحث في نفس المحور أنه ليس من الممكن الحديث عن جميع (تطورات كتابة الدستور في هذه السطور بما يكشف عن عقليات البعض التي لا تصلح لشغل أي موقع في العراق الجديد إلاّ أنه ما يتعلق الأمر بما يثار من ضرورة تعديل الدستور وإرتفاع هذه الأصوات الآن بكل قوة فانه يمكن القول بأن هناك نقاط متعددة تحتاج الى التعديل في الدستور) وبالنسبة لرأي الباحث أنه مع تعديل بعض النقاط وليس ضد التعديل من غيرمعرفة حدود أوغاية وهدف إجراء ذلك التعديل فنحن(لسنا ضد هذا التعديل ولكن ما هي حدود التعديل؟. وما الذي يراد تعديله؟. وما هو الهدف من وراء ذلك؟. وهل يجري التعديل حسب آليات الدستور أم بطريقة الإنقلاب عليه؟).

وكشف أيضاً في جانب آخر بأنه كان من أوائل المتحفظين على بعض نصوص الدستور بعد الإنتهاء من كتابته وبخاصة (ما يتعلق منها بطريقة كتابة الدستور وفي ضعف قواعد حقوق الانسان والديمقراطية وحقوق المرأة فيه، وهذا التحفظ مازال موجوداً حرصاً منّا على بناء العراق الفيدرالي والتعددي الديمقراطي الذي يجب أن يقوع على حكم المؤسسات وسيادة القانون بحيث يخضع الجميع له، حكاماً ومحكومين، لقطع دابرالفساد وتقديم مصلحة العراق على مصالح الاشخاص ... إلاّ إن إرتفاع الأصوات لتعديل الدستورمن بعض الأطراف، وكما هو واضح ليس من أجل بناء هذه الأسس الجديدة سالفة الذكر وإنما الغاية منه العودة للحكم المركزي والتراجع عن كثير من المبادئ الجوهرية التي تمس صميم الدولة العراقية ونظام الحكم فيها، والطعن بحقوق ومكتسبات شعب كوردستان التي بأحترامها سيتحقق الإستقرار للعراق).

وبالنسبة لوضوح موقف الكورد من التعديلات الدستورية خصص الباحث محوراً خاصا لذلك الموقف وتحت عنوان (وضوح موقف الكورد من التعديلات الدستورية) وجاء فيه بأن موقف (الكورد من التعديلات الدستورية واضح، وهم لا ينكرون ضرورة إجراء بعض التعديلات على الدستوربما يعزز بناء الديمقراطية ومؤسسات الدولة الإتحادية القائمة على مشاركة الجميع في السلطة والثروات ، شريطة أن تجري هذه التعديلات وفقاً للإجراءات التي حددها الدستور، ومن خلال متابعة مواقف الكورد تبّين أنهم من أكثر الأطراف المشاركة في العملية السياسية وضوحاً في التمسك بالدستوروإحترام نصوصه وعدم التراجع عن مستحقات النضال المشترك المعروفة والتي ناضلت من أجلها القوى الوطنية العراقية) . وبّين الباحث وبوضوح

موقف الكورد بأنهم يعتبرون التراجع عن أسس الدستور ومنها (الفيدرالية والتوزيع العادل للثروات وهوية العراق وإحترام حقوق الإنسان وحقوق المرأة وحقوق شعب كوردستان وغيرها من القواعد المتفق عليها هو بمثابة إنقلاب على الدستورويلاقي الرفض المؤكد منهم ويدعمهم في ذلك قوى وطنية عراقية أخرى مناصرة للديمقراطية). وكشف الباحث نقطة أخرى ومهمة إضافةً الى مواقف السياسين الكورد الواضحة، موقف السيد رئيس إقليم كوردستان حول عدم قبوله لأي تعديل يضّر بحقوق الشعب الكوردي أثناء لقائه مع سيادته في مايس ٢٠٠٦ في القصر الرئاسي في مصيف صلاح الدين عندما تحدثا معا عن قضية الدستور والنصوص القابلة للتعديل وعن حقوق شعب كوردستان التي تضمنها الدستور وقد أصر السيد مسعود بارزاني في ذلك اللقاء بأن (أي تعديل يضر بحقوق شعب كوردستان لن نقبل به). وكررذات الموقف بعد عودته من زيارة له الى الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا في مؤتمر الصحفي في مطار هولير بأن (الكورد لن يسمحوا بإجراء تعديلات دستورية تمس مصالح الشعب الكوردي أو تُقلّل من صلاحيات إقليم كوردستان). وفي نفس المحور نقل لنا الباحث موقف بعض الأطراف من العرب العنصريين وتنكرهم على الكورد الحقوق المكتسبة بموجب الدستور وقلق الكورد من وجود عقليات عربية عنصرية أو دينية متطرفة تتحّين الفُرص للسيطرة على الحكم ومحاولة إرجاع النظام المركزي، وإرجاع عجلة الماضي حتى الى ما قبل إتفاقية آذار عام ١٩٧٠ ومنهم موقف صالح المطلق الذي كشف عن موقفه لإحدى الفضائيات عندما سُئل عن موضوع تعديل الدستور فأجاب(نحن سنعدل الدستور ونلغي الفيدرالية ونعيد هوية العراق العربية، وإن كوردستان هي مصطلح غريب ودخيل على المجتمع العراقي، فكوردستان موجودة في مهاباد ، وأما في العراق فلا يوجد سوى شمال العراق). وختم الباحث المحور الثاني المتعلق بموقف الكورد بإستغراب مؤثر وتساؤل كبير (أية كارثة ستلحق بالعراق فيما لو قفزَ أصحاب هذه العقليات المنغلقة الى السلطة في العراق؟).

وماذا عن تحالفات الأضداد للانقلاب على الدستور

وفي المحورالثالث تطرق الباحث الى أهم الطروحات التي تمخضت عنها تحالفات الأضداد للإنقلاب على الدستور.

(تجري منذ فترة نشاطات محمومة لبعض الأطراف السياسية للعرب السُنة والشيعة لتعديل الدستور النافذ وإفراغه من محتواه وتجريده من حقوق الشعب الكوردي وبعض المكتسبات التي تحققت عبر صراع طويل معروفة للقاصي والداني. وكجزء من هذا النشاط عُقدت في عمان عاصمة المملكة الأردنية الهاشمية ندوة للأيام ٢٩-٣٠ آب ٢٠٠٨ ضّمت شخصيات سياسية وأكاديمية عراقية منهم غسان العطية وخلف العليان وفالح الفياض (ممثل د.الجعفري) وظافرالعاني وممثل صالح المطلق وبعض أتباع الحزب الإسلامي وشخصيات عربية سنية وكذلك بعض بقايا البعث والعروبيين من المتواجدين في الأردن بالإضافة الى أرشد الزيباري وغيرهم ، وللأسف لم يكن هناك أي حضور للتحالف الكوردستاني في هذه الندوة حيث جرى نقاض طويل ضمن محاور متعددة حول قضية تعديل الدستور وفقا لما شاهدته على قناة فضائية الجزيرة المباشر. فان إجماع

الرأي بين هذه الجماعات دار حول محاور مهمة وخطيرة ... ويبدو أنها ستكون برنامج عمل للتحالف السياسي الجديد لعام ٢٠٠٩). ونذكر للقراء الأفاضل ملخصاً لما جرى في تلك الندوة من طروحات ومنها :

١ - إتفاق المجتمعين في الندوة على ما أطلق عليه من وقف التمدد الكوردي وتعطيل تنفيذ المادة ١٤٠ الخاصة بالمناطق المتنازع عليها .

٢ – رفض تام لمصطلح المناطق المتنازع عليها بحجة أنه يدخل في مجال النزاع بين الدول وليس في القضايا الوطنية الداخلية .

٣ – الإتفاق على تعديل نص المادة ١١٢ المتعلق بتوزيع الثروة وعدم السماح للأقاليم بإستثمار النفط والغاز من طرفها وحصرها بيد المركز فقط كما جرى التركيزأيضا على (عدم شرعية عقود النفط والغاز التي أبرمتها حكومة إقليم كوردستان) .

٤ – إلغاء نص المادة ١١٥ المتعلق بصلاحيات الأقاليم .

٥ – إلغاء نص المادة ١٢١ المتعلق بصلاحيات الأقاليم وعلوية قانون الأقليم على القانون الفيدرالي وإعتماد المبدأ المعاكس تماماً وهو علوية القانون الاتحادي على قانون الأقليم لأنه ينسجم مع الحكم المركزي الذي يسعى اليه التكتل السياسي الجديد بحجة حماية مصالح الوطن .

٦ – تعديل نص المادة ٤ وبخاصة ما يتعلق باللغات – فقرة رابعاً ، والمقصود بها هو منع اللغة الفارسية أن تكون ضمن اللغات في أية منطقة أو مدرسة أو مدينة وهو ما ينسجم مع الرؤية العروبية المتطرفة .

٧ – العودة للنص على هوية العراق العربية وإعتبار العراق جزء من الأمة العربية .

٨ – التراجع عن مبدأ الفيدرالية وإيجاد وضع خاص لكوردستان يتحدد في إدارة المحافظات الثلاثة فقط وهي : دهوك وأربيل والسليمانية (حدود ١٩- ٣ – ٢٠٠٣).

٩ – تحديد صلاحيات رئيس الأقليم وجعلها محددة وضيقة وتعديل المادة (١٢٠) من الدستور.

١٠ – تغييرديباجة الدستوربما ينسجم مع الإتجاه العروبي .

١١ – إعتماد المشاركة في السلطة على أساس معيار الكفاءة والوطنية والتكنوقراط من خلال إلغاء برنامج المحاصصة الطائفية .

١٢ – إتفاق الآراء على أن كركوك (مدينة عراقية) ويجب أنْ تتبع المركز وأنّ على الكورد التنازل عن مطالبهم بحجة إنّ الزمان إختلف والظروف تغيرت..! وإنّ الشراكة تتطلب تنازلات من الكورد .

١٣ – إن الكورد يُنّفذون سياسة أمريكية لتقسيم العراق والسيطرة على حقول نفط كركوك وهذه السيطرة تدخل ضمن بوادر السلام بين سوريا وإسرائيل وبالتالي سيكون هناك إحياء لخط أنابيب حيف. (رأي كمال السامرائي).

وبعد بيان أهم تلك الطروحات والأفكارالتي تبنتها الندوة،علّقَ الباحث على إنسجام تلك الطروحات والآراء مع فكر القوى العنصرية وسياسة النظام السابق وينادي بها المتشددون العروبيون وأتباع مدرسة ولاية الفقيه أيضاً مؤكداً على أنه ومعه قد استمعوا الى هذه الطروحات أبان عملهم في لجنة الدستور عام ٢٠٠٥. وهي تمثل (مصدر الخطرعلى الديمقراطية والفيدرالية وحقوق الإنسان، وتدفع بإتجاه الدكتاتورية التي ناضل أغلبية العراقيين ضدها من أجل السلام،لا بل إن جميع مؤتمرات المعارضة العراقية التي حضرتها قبل

سقوط النظام الدكتاتوري كانت تؤكد على القيم الموجودة الآن في الدستور . وهنا نتساءل ما الذي أستجدّ حتى تتغير مواقف بعض حلفاء الأمس للكورد، وهم الذين كانوا وقوداً لحروب صدام وضحية من ضحاياه ؟).

المحور الرابع: تصريحات السيد المالكي المتناقضة ومجالس الإسناد في كركوك .

وفقاً لتصريحات السيد رئيس الـوزراء نوري المالكي المتعددة فإنه يُعبّر بصورة متناقضة عن رؤيته للدستو، فهو يقول عن الدستورعام ٢٠٠٦. وفي الذكرى السنوية الأولى للتصويت عليه أنه أي الدستور " أرقى الدساتير في العالم لأنه يُكرس مفاهيم الحرية والديمقراطية وإحترام حقوق الإنسان وبناء مؤسسات الدولة وسيادة القانون" إلاّ أنه يعود ويتراجع عن رأيه هذا في كلمته يوم ٨ – ١١ – ٢٠٠٨ أمام المشاركين في مؤتمرالنخب والكفاءات العراقية قائلاً بأنالدستور" كُتبَ في ظل أجواء الإستعجال والخوف من الماضي ووضعت فيه قيود على سلطات المركز ويخشى أن تصادر الفدرالية الدولة ... الخ مما يوجب تعديله وإعادة السلطة المركزية للحكم وتقييد صلاحيات الأقاليم والمحافظات غير المنتظمة في إقليم لتقوية حكم المركز لأنها تمارس دوراً دكتاتورياً وتجاوزات يجب وقفه " ويشير الباحث أيضاً الى أن السيد المالكي كان هو أحد الأعضاء في لجنة كتابة الدستور، وساهم في نقاشات كثيرة عند إعداد كتابة نصوصه، وحين طرح الدستور للتصويت نال موافقة أغلبية أصوات العراقيين ونجح في هذا التصويت، وبقيت الحاجة الى تعديل بعض نصوصه وشكلت في مجلس النواب لجنة للتعديل طبقاً لنص المادة ١٤٣ من الدستور. ونوّه الباحث في نهاية هذا المحورعلى مخاطرتصريحات السيد المالكي المتناقضة ودعوته لتشكيل مجالس الإسناد في كركوك بأن دعوات(السيد المالكي لتشكيل ما يسمى بمجالس الإسناد في كركوك وفي المناطق المتنازع عليها من العشائر العربية والتركمانية والعشائر الكوردية التي كانت تسمى بالجحوش في زمن النظام السابق وتسليحها تُشكّل مصدراً خصباً لإشعال نار الحرب الاهلية لأنها فتنة كبيرة. إضافة الى إن هذه البادرة الخطيرة من السيد المالكي تتناقض مع بناء دولة القانون والمجتمع المدني، فهي خطوة بإتجاه عسكرة الدولة والمجتمع بالإستناد الى قوة العشائر والمجاميع المسلحة على حساب هيبة الدولة المدنية التي يسود فيها القانون، إضافة لكونها خرق واضح للدستور العراقي). وفي ختام المحور تمنى د. الفضل من دولة السيد رئيس الوزراء أنْ يُنفذ تعهداته (نتمنى من دولة السيد رئيس الوزراء أنْ يَنفذ تعداته وفقرات برنامجه الذي طرحه عند إستلامه للسلطة في عام ٢٠٠٦. وأنْ لايخسرأصدقاءه وشركاءه الكورد وهم القوة المناضلة التي أسهمت في إسقاط الدكتاتورية التي قضت على خيرة شباب العراق، وأنْ يتذكر جيداً ما قدّمه شعب كوردستان له ولحزب الدعوة من دعم مالي وعسكري ومعنوي أثناء النضال المشترك في مقاومة الدكتاتورية من ربوع كوردستان) .

تناول الفصل الثالث أحكام تعديل الدستور لجمهورية العراق الاتحادي . حيث أشار الباحث في هذا الفصل الى جوانب مهمة من تلك الاحكام المتعلقة بتعديل الدستور لجمهورية العراق الاتحادي وجاء فيه (وعلى أثر المفاوضات بين الأحزاب والشخصيات العراقية السياسية المشاركة في السلطة مع تكتلات سياسية من العرب السنة الذين قاطعوا العملية السياسية ةبهدف إشراكهم في إدارة العراق الجديد تم

التوصل يوم ١٣ إيلول من عام ٢٠٠٥ الى تعديل بعض الفقرات وإضافة فقرات أخرى الى مسودة الدستور قبل عرضها على الاستفتاء العام على العراقيين الذي تم في إكتوبر ٢٠٠٥ وكان من بين الفقرات المضافة هي نص المادة ١٤٣ المتعلقة بتعديل بعض مواد الدستور لاحقاً وفقاً الى آليات دستورية كشرط للإشتراك في العملية السياسية حيث تضمن النص على قيام مجلس النواب بتشكيل لجنة برلمانية مؤقتة مهمتها تقديم تقرير الى المجلس خلال مدة لا تتجاوز أربعة أشهر يتضمن توصية بالتعديلات الضرورية التي يمكن إجراؤها على الدستور وعلى أن تحل اللجنة بعد البت في مقترحاتها . كما نصت المادة ١٢٢ من الدستور على طريق آخر إعتيادي لتعديل الدستور).

وخلص الباحث في موضوع أحكام تعديل الدستور الى بيان أحكامه وشروط تعديله على النحو التالي مبيّنا حالتين مهمتين وهي : الحالة المؤقتة لتعديل الدستور وفقاً لتقريراللجنة المؤقتة لمجلس النواب. ونقتبس منها أهم نقاط الإتلاف التي أثيرت من بعض التكتلات السياسية من العرب السنة، مع توضيح لشروط وآليات تعديل الدستورمنها المتعلقة بالمواد والمبادئ المعترض عليها من بعض العرب السنة . (وفقاً لما إستمعته (الباحث) وما فهمته من قراءة طروحات هذه التكتلات والأطراف من بعض العرب السنة إبان مشاركاتي في إعداد كتابة مسودة الدستور كعضو منتخب من الجمعية الوطنية فيمكن تلخيص هذه الإعتراضات على النحو التالي :

١ – يعتقدون بأن الفيدرالية سوف تقسّم العراق ، وإن هذا التقسيم يدخل ضمن دائرة الحرام السياسي عندهم ولهذا فإنهم يذهبون الى أنه لا بُدّ من العودة الى الحكم المركزي ويستثنون من ذلك الكورد الذين لهم وضع خاص محصورفي محافظات السليمانية وأربيل ودهوك فقط. ويقرون بأن لهم على هذه المحافظات حكماً ذاتياً لا مركزياً تابعاً للمركز في بغداد .

٢ – رفض قاطع لفيدرالية الوسط والجنوب، حيث يعترض هؤلاء على نصوص عديدة منها ما ورد في المادتين هما المادة (١١٤) والمادة (١١٥). تنص المادة (١١٤) على أن (يسّن مجلس النواب في مدةٍ لا تتجاوزستة أشهرمن تاريخ أول جلسة له، قانوناً يحدد الإجراءات التنفيذية الخاصة بتكوين الأقاليم بالأغلبية البسيطة للأعضاء الحاضرين). والمادة (١١٥) تنص على (يحق لكل محافظة أو أكثر، تكوين إقليم بناءاً على طلب بالإستفتاء عليه ، يقدّم بإحدى الطريقتين :

أولاً . طلب من ثلث الأعضاء في كل مجلس من مجالس المحافظات التي تروم تكون الأقليمٍ .

ثانياً . طلب من عُشر الناخبين في كل محافظةٍ من المحافظات التي تروم تكوين الأقليم .

٣ – تصّر هذه التكتلات (جبهة التوافق وجبهة الحوار الوطني وآخرون) على أنّ مدينة كركوك عراقية ويرفضون إجراء التطبيع بإعادة العرب الى مناطقهم التي قدِموا منها ويرفضون إعادة المدن والأقضية والنواحي التي فصلها النظام السابق عن كوردستان مثل خانقين وسنجار ومخمور وغيرها.

٤ – يَرون بضرورة تعديل أو إلغاء طريقة توزيع الثروات بين الأقاليم وإعتراضات ضد سلطات الأقاليم الواردة في الباب الخامس من الدستور.

٦ – إجتثاث البعث، حيث يعتقدون أن ليس كل من إنتمى الى حزب البعث هو مجرم ولا ُبدّ من إلغاء قانون إجتثاث البعث والتمييز بين البعث الصدامي وحزب البعث ومحاكمة الأشخاص الذين إرتكبوا جرائم فقط وتأهيل

الآخرين ودمجهم في المجتمع. ولهذا هم يرون بضرورة حذف نص المادة (٧) من الدستور التي نصت على مايلي " أولاً : يحضر كل كيان أو نهج يتبنى العنصرية أو الإرهاب أو التكفير أو التطهير الطائفي، أو يُحّرض أو يُمهّد أو ُيروّج أو يُبرر له، وبخاصة البعث الصدامي في العراق ورمـوزه، وتحت أي مسمى كـان، ولا يجوز أن يكون ذلك ضمن التعددية السياسية في العراق، وُينظم ذلك بقانون.

ثانياً – تلتزم الدولة بمحاربة الإرهاب بجميع أشكاله، وتعمل على حماية أراضيها مِن أن تكون مقراً أو مَمراً أو ساحةً لنشاطه.

٧- هوية العراق العربية ، حيث يرى هؤلاء بأنّ العراق بلد عربي وأنّ هوية العراق يجب أن تبقى عربية ومن هنا يجب أنْ يكون الرئيس عربياً ووزير الخارجية عربياً.

٨- حل المليشيات وبسط سلطة الدولة وهم يعتبرون أنّ قوات البيشمركة من المليشيات أيضاً.

٩- رفض أزدواجية الجنسية.

١٠ – برمجة أزدواجية الجنسية.

١١ – البعض منهم يريد تطبيق الشريعة الإسـلامـيـة بحـذافـيرهـا بمـا فيها الجـرائـم والعقوبات مثل جرائم الحـدود والقِصاص والتعزير ومعاقبة الزاني بالرجم والحجارة وغيرها ويرى بإدخالها في الدستور.

١٢ – يريدون تمجيد دور ما يُسمى بالمقاومة ضد المحتل.

بعد عرض تلك الإعتراضات التي أبدتها بعض التكتلات والأراف السياسية من العرب السُنة. بيّن الباحث في كتابه موقفه الصريح وموقف جميع القوى السياسية المؤيدة بعدم تعديل أي نص جوهري في الدستور مثل تعطيل الفيدرالية أو منع إقامة أقاليم جديدة وفقاً للدستورلأنّ أي تعديل للدستور يجب أن ينال أغلبية مطلقة من الأصوات وهي (١٣٨) صوتاً بينما تُشكّل قائمة الإئتلاف الموحد التي تريد الفيدرالية وحُكم الأقاليم وبخاصة فيدرالية الجنوب مع قائمة التحالف الكوردستاني أغلبية مطلقة في الأصوات في مجلس النواب وتُشكّل صمّام الأمان لمنع أي تعديل في أحكام الدستور يضّربمصالح الأغلبية المطلقة للعراقيين، وهم العرب الشيعة والكورد وكذلك العرب السُنّة ال علمانيين.

أما بالنسية للحالة الثانية فهي : آليات تعديل الدستور وفقاً للمادة (١٤٢) من الدستور، فنصت المادة على ما يلي " أولاً- يُشكّل مجلس النواب في بداية عمله لجنة من أعضائه تكون ممثلة للمكونات الرئيسية في المجتمع العراقي مهمتها تقديم تقريرالى مجلس النواب، خلال مدة لا تتجاوزأربعة أشهر، يتضمن توصية بالتعديلات الضرورية التي يمكن إجراؤها على الدستور، وتحل اللجنة بعد البّت في مقترحاتها " وفي ضوء تلك المـادة من الدستورإنعقدت الجلسة الاولى لمجلس النواب في ١٦ مارس ٢٠٠٦. وشكّلت أول لجنة للنظرفي النظام الداخلي للمجلس ومن المتوقع أنْ يقوم المجلس بتشكيل لجنة مؤقتة طبقاً للدستور لتقديم تقريرللمجلس يتضمن توصية بالتعديلات الضرورية التي يمكن إجراؤها ويكون التقريرمُقدماً خلال فترة لا تتجاوز أربعة أشهر ولا يمكن تعديل الدستور إلاّ توفرت الشروط التالية وهي :

١- يجب أن تعرض التعديلات على مجلس الـنـواب دفـعـة واحــدة للتصويت عليها .

٢- لا تقرهذه التعديلات إلاّ بموافقة أغلبية مطلقة لعدد أعضاء المجلس أي أن ينال التعديل ما لا يقل عن ١٣٨ صوتاً.

٣- طرح المواد المعدلة للاستفتاء الشعبي خلال شهرين من تاريخ إقرارالتعديل في مجلس

النــواب. ٤- أنْ ينجح الإستفتاء على المواد المعدلة بموافقة أغلبية المصوّتين وإذا لم يرفضه ثلثا المصَوتين في ٣ محافظات أو أكثر.

وحول الاشكاليات التي تظهرفي حالة تعديل الدستور وبعد الإنتهاء من تفعيل أحكام المادة المذكورة، وُيصارالى تطبيق الحالة الإعتيادية. فأشارالباحث الى إشكاليتين أساسيتين عند تفعيل أحكام المـادة (١٤٢) من الدستوروهي مايلي:

١ – ما الحُكم إذا مرت فترة ٤ أشهر ولم تُشكّل لجنة تعديل الدستور؟. فهل يُصار الى تعديل المادة السالفة الذكروتمدد الفترة الى فترة زمنية جديدة أم إنّ الفترة تسقط وبالتالي تمضي ولا يصار الى تعديل الدستور؟. لأن تشكيل اللجنة المؤقتة ينتظرإقرار النظام الداخلي لمجلس النواب أولاً، إذ أن لجنة لا يُمكن تشكيلها في بداية المجلس.

٢ – إن عملية تمديد مدة تعديل الدستور تتطلب تعديل الدستور بطلب من مجلس الرئاسة ومجلس الوزراء معاً أو خُمس أعضاء مجلس النواب، كذلك لأبدّ من موافقة مجلس النواب على تعديل مدة عمل لجنة التعديل وهو يحتاج الى موافقة ثلثي عدد أعضاء مجلس النواب بينما يحتاج تعديل لجنة التعديل الى أغلبية مطلقة، فضلاً عن موافقة الشعب في إستفتاء عام ومصادقة مجلس الرئاسة خلال ٧ أيام.

أما تعديل الدستور وفقاً للحالة الإعتيادية، فوضّح الباحث تلك الحالة بأن (الدستورالعراقي قد حدّد الطريق الإعتيادي لتعديله. إذ بإنتهاء أعمال اللجنة المؤقتة يسري الطريق الإعتيادي في تعديل الدستور، وهو أسلوب ليسَ سهلاً إذ إنّ الدستور العراقي الذي صار نافذاً منذ ٢٠ مايس ٢٠٠٦ يعدّ من الدساتير التي تُسمى في الفقه الدستوري بالدساتير الجامدة بسبب الآليات الصعبة في إجراء أي تعديل على الدستور .

الموقف السياسي من تعديل الدستور

تطرق الباحث في هذا المبحث الى مواقف الكتل السياسية من تعديل الدستور حين بيّن بجلاء مواقف كل من التحالف الكوردستاني، وموقف الإتلاف الموحد، موقف جبهة التوافق العراقية.

١ – موقف التحالف الكوردستاني : يتمثل موقف التحالف الكوردستاني مـن تعديل الدستورسواء بالطريق الأول (اللجنة المؤقتة) أم بالطريق الثاني الإعتيادي مفاده إنّ أي تعديل للدستور يَضرّ أو ينتقص من حقوق شعب كوردستان لنْ يمرفي مجلس النواب ومن المستحيل القبول به وبخاصة أي تعديل يمّس ثوابت شعب كوردستان ومن أهمها الفيدرالية وتطبيق أحكام المادة (١٤٠) من الدستوربتفعيل المـادة (٥٨)المتعلقة حول تطبيع الأوضـاع في كركوك في مراحلها الثلاثة (التطبيع والإحصاء والإسـتـفـتـاء) وإعــادة المـنـاطـق المستقطعة مـن حــدود كـوردســتــان ومـوضـوع سلطات الأقاليم وتوزيع الثروات والموقف من قوات البيشمركة وتسلّم المناصب السيادية وغيرها من المواد الدستورية الحيوية كالحريات العامة والديمقراطية وحقوق الانسان .

٢ – موقف الإئتلاف الموّحد: إنّ موقف هذه القائمة التي تضم مجموعة من الأحزاب الشيعية الدينية والسياسية والشخصيات المستقلة كما إنها من أكبر القوائم عدداً في المقاعد في مجلس النواب، وتشترك مع التحالف الكوردستاني في ثوابت عديدة مثل الفيدرالية وتوزيع الثروات وغيرها وهي أيضاً تعارض إجراء تعديلات على الدستور تمس حقوق أغلبية العراقيين وهم العرب الشيعة من خلال التصريحات والمواقف

الواضحة والمعلنة.
٣ – موقف جبهة التوافق العراقية : يتمثل موقف الجبهة من خلال موقعها على الأنترنت حيث ترى الجبهة ما يلي إنّ (مسودَة الدستور الحالية لا تُلبّي المصالح الوطنية للعراقيين وفيها من الثغرات والنواقص ورداءة الصياغة الكثيرمما يستدعي إعادة النظر بكامل المسوّدة من أجل أن تأتي مُلبيةً لتطلعات العراقيين في بناء حاضر ومستقبل بلدهم).
من المواضيع المهمة التي ضمته القسم الرابع هو تعويض العراقيين المتضررين من حروب وجرائم النظام البائد. وقد أولى الباحث في هذا الفصل إهتماما كبيراً بمسألة تعويض العراقيين المتضررين وتناولته عبر أربعة محاور:
المحور الاول : قصور نص المادة ١٣٢ من الد ستور.
بين عامي ٢٠٠١ – ٢٠٠٢ وضمن إطار جهود المعارضة العراقية ضد النظام الدكتاتوري جرت حوارات ومن ثم توصيات في لجنة بناء الديمقراطية التي سميت بـ
Report on : The transition to democracy in Iraq مرحلة ما بعد سقوط النظام مباشرة وكان من بين هذه التوصيات والاقتراحات المطروحة من قبل الباحث حينذاك هي (سحب جميع قطع السلاح من يد المواطنين لقاء مغريات مادية، وإصدار قوانين تعوّض ضحايا النظام الذين تعرضوا للحروب والجرائم من النظام السابق ولا سيّما الكورد والشيعة بإعتبارهم من أكثر المتضررين من سياسات النظام الإجرامية، وضبط الحدود الدولية لكي لا يُعطى أي مجال لتسلل الأفراد وتجّار السلاح ومنع التدخل الإقليمي وتخريب النظام الجديد. ومن الطبيعي إن هذه الأمور تقع في البداية على كاهل سلطة التحالف التي تشكلت من الإدارة الإمريكية غير أنّ هذا لم يحصل، ولم تصغ سلطة التحالف ولا الحاكم المدني بريمرلمثل هذه التوصيات المهمة التي كان من الممكن أنْ تُجنب العراقيين الكثيرمن المشكلات التي عرقلت بناء السِلم الاهلي والإستقرار والأمن، وفسحت المجال للنهب والسلب والسرقات والفساد وللإرهاب أنْ ينشط في العراق بسبب إهمال هذه التوصيات ولأسباب كثيرة قادة الى الفوضى والإرتباك.
وأيضا من بين تلك التوصيات المهمة المطروحة هي محاكمة المسؤولين العراقيين عن الجرائم الدولية والحروب العبثية، وكجزاء لقيام المسؤولية القانونية وجوب تعويض الكورد جراء حروب وجرائم النظام البائد ضدهم، وكذلك العراقيين من أبناء الوسط والجنوب الذين تضرروا كثيراً من سياسات النظام الع دوانية.
أقترح الباحث في مسودة مشروعه للدستور والمقدمة الى لجنة الخبراء العراقيين في عام ٢٠٠٣ والذي أقر فيما بعد في مؤتمرالمعارضة العراقية المنعقد في ديسمبر عام ٢٠٠٢ مايلي : " المادة الثامنة والاربعون : يؤسس صندوق لتعويض جميع العراقيين المتضررين من النظام السابق لتعويض كل من تضرر في ماله أو جسده أو كيانه الإعتباري سواء ممن كان عراقياً وأسقطت عنه الجنسية العراقية أو العراقي الذي أكتسب جنسية أخرى أو من المهجرين والمهاجرين أو ورثة الضحايا أو غيرهم وفقاً لقانون خاص " وكانت غاية النص هو تعويض جميع العراقيين المتضررين من حروب وجرائم النظام السابق من خلال تخصيص نسبة من عائدات النفط توضع في صندوق خاص يُسمّى صندوق التعويضات للعراقيين، لأن هذا التعويض سيؤدي الى

تخفيف الإحتقان ومنع الثأروالإنتقام داخل المجتمع ووقف الأعمال العشوائية في الإقتصاص من أتباع النظام السابق ممن إرتكب الجرائم أو ساهم وشارك فيها. إن َصرف هذه التعويضات من الصندوق المذكور سيسهم في تنظيف البيئة من آثار الحروب سواء من ملايين من الألغام المزروعة أم من اليورانيوم المنضب الذي يُسبّب في موت المئات من العراقيين بمرض السرطان، وكذلك سيسهم في تأمين الحقوق الأساسية للمتضررين من ضحايا النظام وآثار حروبه من ناحية توفير حق السكن والحق في الخدمات الصحية والحق في التعليم والخدمات الأساسية الأخرى التي يعاني منها كثيراً أبناء الوسط والجنوب، وكذلك كوردستان" ، وفي مكان آخر وفي نفس المحور أشار الباحث الى أنه قد طرح في عام ٢٠٠٥ رؤيته القانونية مرة ثانية في اللجنة الدستورية أثناء كتابة الدستور العراقي، وحسب رأي الباحث إنّ مقترحه تلك لم يلقَ حماساً من أغلب الأعضاء بحجة إنّ هذا المقترح المقدم (سوف يحمل خزينة الدولة مبالغ كبيرة، وكأن تعويض الضحايا ليس من الواجبات الأساسية والدستورية للدولة، وليس إنتصاراً للعدالة! وكأن المليارات التي نهبت بعد سقوط النظام بسبب الفساد المالي والإداري والأخلاقي ليست هي السبب الأول في هدر خزينة الدولة !.. وهذه إحدى المشكلات التي واجهناها في اللجنة الدستورية بسبب وجود أعضاء يجهلون أبسط قواعد علم القانون والثقافة القانونية ، وجاءت بهم المحاصصات الطائفية والحزبية الكارثية. ومن الغريب إنّ هؤلاء الأعضاء الذين وقفوا ضد فكرة تعويض المتضررين أو التزموا الصمت حيالها كانوا هم من المنتمين الى تلك الشريحة المتضررة من الوسط والجنوب). وقد أستعيض عن مقترحه المذكور والمنصف لحقوق الضحايا بمادة (١٣٢) التي استقرت في الدستور العراقي الحالي، وهي مادة تشوبها الكثيرمن النواقص وتعتريها الثغرات القانونية وقصوردستوري واضح ولا تعالج جميع حقوق الضحايا التي إنتهكت جراء حروب وجرائم النظام السابق. ولأهمية الموضوع ذكر الباحث د. الفضل نص المادة (١٣٢) من الدستور العراقي لعام ٢٠٠٥ مع بيان ملاحظاته القانونية وبيان قصورها الدستوري. حيث نصّت المادة على : أولاً : تكفل الدولة رعاية ذوي الشهداء والسجناء السياسين والمتضررين من الممارسات التعسفية للنظام الدكتاتوري المباد. ثانياً : تكفل الدولة تعويض أُسر الشهداء والمصابين نتيجة الأعمال الإرهابية.

ثالثاً: يُنظم ما ورد في البندين (أولاً)و(ثانياً) من هذه المادة بقانون.

وبالنسبة لملاحظات الباحث القانونية على النص المذكور فهي :

أولاً- ورد في النص عبارة عامة مرنة ليست وافية بالغرض وهي (رعاية الدولة لذوي الشهداء والسجناء السياسيين من الممارسات التعسفية للنظام الدكتاتوري المباد). والسؤال هنا : هل إن ضحايا النظام المذكورمن حروبه وجرائمه تكفي لهم (الرعاية) فقط. ثم ما هو المقصود بهذه الرعاية دستورياً وقانونياً وما هي حدودها ؟. وهل إنّ ما أرتكبه النظام المقبورهي مجرد ممارسات تعسفية كما ورد في النص الدستوري المذكورأعلاه ؟. أم هي (جرائم دولية خطيرة، كجرائم الحرب والجرائم ضد السِلم والجرائم ضد الإنسانية)؟. وهل إنّ ضحايا النظام هم فقط من الفئة المحصورة في الفقرة أولاً، أي ذوي الشهداء والسجناء

السياسيين والمتضررين من الممارسات التعسف ية؟.

ثانياً – جاء في النص المذكور بأنّ الدولة تكفل تعويض أسر الشهداء والمصابين نتيجة الأعمال الإرهابية. وهذا النص كما هو واضح يخص ضحايا الأعمال الإرهابية بعد نفاذ الدستور. وهي فقرة وإن كانت جيدة ، إلاّ أنها لا علاقة لها بحقوق ضحايا النظام البائد من الكورد وأبناء الوسط والجنوب وغيرهم من العراقيين، وهم مئات الآلاف من الذين تعرضوا الى حروب وجرائم ذلك النظام .

ثالثاُ – إنّ هذه المادة (١٣٢) فيها نقص وقصور دستوري واضح ، فهي لم تعالج مشكلات جوهرية سواء في كوردستان أو في الوسط والجنوب . ويتمثل هذا النقص في إغفال الأضرار البليغة الناجمة عن حروب وجرائم النظام السابق وأعماله العدوانية داخل العراق وضد العراقيين كافة والمتمثلة في : الأنفالات، والقبور الجماعية التي مازالت تكتشف الى هذا اليوم، والتلوث البيئي، وملايين من الألغام المزروعة وبقايا اليورانيوم المنضب من جرائم وحروب نظام صدام، وتجفيف الأهوار، وتدمير البساتين وملايين الأشجار المُثمرة والنخيل. فضلاً عن الأضرار الناجمة عن استعمال الأسلحة الكيمياوية المُحرمة دولياً وقصف العتبات المقدسة. وهنا وجّه الباحث سؤاله المجدي على أعضاء اللجنة الدستورية متسائلاً : ألا يستحق ضحايا هذه الجرائم البشعة والحروب الكارثية تخصيص نسبة من ميزانية الدولة (المهدورة) لجبر الأضراروتعويض المتضررين تعويضاً منصفاً يُطفئ نار الثأر والإنتقام ويحقق العدالة ويفتح الأبواب أمام السِّلم والإستقرار في العراق الإتحادي. لكل ذلك أقترح الباحث تعديل نصوص تلك المادة بإضافة فقرتين جديدتين إحداهما تخص تعويض اقليم كوردستان، والأخرى تتعلق بتعويض ضحايا حروب النظام البائد وجرائمه ضد أبناء الوسط والجنوب .

المحور الثاني : التعويض عن أضرار كوردستان.

وحول آليات التعويض عن أضرار كوردستان، ولضمان كامل التعويضات عن الأضرار التي وقعت على الاشخاص وعلى الممتلكات المنقولة وغير المنقولة. خصّص الباحث هذا المحور ليبين رأيه مع رؤيته القانونية وفق النص الدستوري الذي يعطي الحق للمتضررين بالتعويضات عن جرائم النظام السابق، وآثار حروبه على العراقيين. حيث أشارالى المأساة الكبيرة التي تعرضها كوردستان في عهد النظام السابق (تعرضت كوردستان الى سلسلة من الجرائم الخطيرة من النظام البائد، ودارت عليها معارك ضارية لقمع الثورة الكوردية بقيادة البارزاني الخالد منذ عام ١٩٦١ وتكللت بالنصر بفعل تضحيات البيشمركة الابطال. ولاحظت أنّ كثيراً من الدول والشخصيات المعنوية والطبيعية التي تضررت بسبب غزو نظام صدام لدولة الكويت حصلت كلياً أو جزئياً على تعويضات عن هذه الأضرار طبقاً لقرارات مجلس الأمن الدولي (رقم ٦٩٢ ، في ٢٠ مايو ١٩٩١ وقرار رقم ٧٠٥ صدر في ١٥ اغسطس ١٩٩١ وقرار رقم ٧٧٨ صدر في ٢ اكتوبر ١٩٩٢ وآلية صرف مبالغ التعويضات وإرتباطها بقرار مجلس الأمن رقم (٩٨٦). فعلى سبيل المثال فان دولة الكويت وعشرات الآلاف من الشركات والأفراد من الفلسطينيين والأردنيين وغيرهم الذين إدعوا بحصول الضرر لهم بسبب العدوان على دولة الكويت قد حصلوا على تعويضات سخية ، وما تزال دولة الكويت تستلم التعويضات حتى اليوم).

وبالنسبة لمتضرري الحرب العراقية الإيرانية فبيّن الباحث رأيه قائلاً (فيما يخُصّ المتضررين من الحرب العراقية- الإيرانية فانها تحتاج الى سلسلة من الإجراءات القانونية تقوم بها جهات دولية محايدة وبتكليف من الأمم المتحدة لتحديد الطرف الذي بدأ العدوان والحرب أولا ًوتسبّب في إدامتها لثمان سنوات ومن ثم يصدر قرارمن مجلس الأمن الدولي في هذا الشأن بعد أن تقدم اللجنة القانونية والفنية المحايدة التي تُشكّل لهذا الغرض تقريرها الى الجهة المختصة في المجلس المذكور. لأن قرار إيقاف الحرب رقم ٥٩٨ لسنة ١٩٨٨ لم يتضمن هذا الموضوع (من بدأ الحرب والتعويضات)، وانما يتعلق هذا القرار بترسيم الحدود ووقف الحرب ومسائل فنية أخرى لاعلاقة لها بموضوع التعويضات للطرف المعتدى عليه وللمتظررين من هذه الحرب من الشخصيات المعنوية والطبيعية).

وأكد الباحث أيضاًعلى الآثار الكارثية والمأساوية البليغة التي تركتها تلك الحرب الضروس على الطرفين معاً وعلى عدم جوازإطلاق التصريحات العدائية من قبل الجانب الإيراني (لايجوزمطلقاً للمسؤولين الإيرانيين إطلاق التصريحات العدائية والإستفزازية للمطالبة بالتعويضات عن الحرب المذكورة من طرف واحد، لأن هذا الموقف يخالف قواعد القانون الدولي ويضّر بالعلاقات بين البلدين الجارين ويثير الفتن ويُحرّض على نبش الأحقاد وهو يؤذي الجميع، كما أنه ليس من حق أي مسؤول عراقي أنْ يُصرح بحق إيران في التعويضات لأنه موقف باطل ينتهك الدستوروالقانون ولأن الفيصل في هذا الموضوع المُعقد والمتشابك هو مجلس الأمن الدولي).

ثم انتقل الباحث الى كيفية حصول إقليم كوردستان على التعويضات عن الأضرار التي لحقت به (أما إقليم كوردستان، فالبرغم من أنه لا يحتاج الى قرار من مجلس الأمن الدولي للحصول على التعويضات عن الأضرار التي لحق به، إذ يكفي فقط النص في الدستورالعراقي- ضمن التعديلات الدستورية الجديدة – على حق الأقليم في التعويضات أو صدور قانون من مجلس النواب العراقي بهذا الخصوص لكونه إقليماً ضمن الدولة العراقية الإتحادية، فلم يحصل حتى الآن على هذه الحقوق المشروعة عن جرائم النظام البائد التي أرتكبت ضد شعبه، وتمثلت في أنفلة مئات الآلاف من السكان المدنيين الكورد وبضمنهم (٨) آلاف من البارزانيين، والآلاف من الكورد الفيليين، وفي تدمير (٤٥٠٠) قرية، وإستعمال السلاح المُحرّم دولياً في مناطق متعددة من كوردستان ومنها في حلبجة، فضلاً عن زراعة ملايين الألغام التي تسبّبت في أضرارجسدية وإقتصادية بالغة... كما أنّ نظام البعث البائد أستعمل سياسة الأرض المحروقة في كوردستان، وقام بالإغتيالات والإخفاء القسري ضد كثيرين من الكورد الساكنين داخل وخارج إقليم كوردستان، كما حصل في بغداد ومناطق أخرى من العراق وخاصة ضد الكورد الفيليين مما يستوجب تعويض المتضررين عن الأضرار في الأرواح والممتلكات).

وعن المسؤولية القانونية وتوافرأركانها الثلاثة في وجوب تعويض ضحايا جرائم النظام البائد. بيّن الباحث تلك المسؤولية (من الناحية القانونية، تكون هناك مسؤولية قانونية إذا توفرت أركانها، الخطأ والضرر والعلاقة السببية، وبالتالي يستوجب التعويض للمتضرركجزاء على قيام المسؤولية، وإنّ الأضرار الكبيرة والخطيرة التي حصلت لكوردستان، شعباً وأرضاً، لا تسقط بمرورالزمان لأنها جرائم إبادة

وجرائم حرب وكذلك جرائم ضد الإنسانية، وجميعها تُسمّى قانوناً بـ (الجرائم الدولية) ضد شعب كوردستان. وقد إعترف بذلك صراحةً كل من المحكمة الجنائية العراقية العليا ومجلس النواب ومجلس الرئاسة. ولذلك كله وجب تحقيق العدالة وتعويض المتضررين من هذه الجرائم .

وأما لملاحظته القانونية على نص المادة (١٣٢) فأشارالى أنّ تلك المادة (لم تنص على التعويضات عن جرائم النظام السابق وآثارالحروب في كوردستان وباقي مناطق العراق وأغفلتها، وأنما نصّت فقط على كفالة الدولة لرعاية ذوي الشهداء والسجناء السياسيين والمتضررين من الممارسات التعسفية للنظام الدكتاتوري البائد، وعن الأعمال الإرهابية التي حصلت وتحصل بعد سقوط النظام. وإنّ عبارة الممارسات التعسفية في المادة الدستورية أعلاه غير دقيقة من الناحية القانونية وقد تؤدي الى ضياع حقوق المتضررين، لأن معنى (التعسف) يختلف عن مفهوم (الجريمة) في علم القانون. والممارسات التعسفية الواردة في النص تعني أنّ نظام البعث وحكم صدام كان له الحق في ممارسة القمع وإرتكاب أي فعل ضار ضد المواطنين لكنه تجاوز الحدود المسموح بها..!!؟ والحال إنّ هذا النظام الفاشي الدموي لم يتصرف كذلك وأرتكب جرائم عمدية خطيرة جداً وأشعل الحروب الداخلية والخارجية فاقت حدود التصور وتجاوزت كل المقاييس والأعراف وأعتبرت مِن أبشع الجرائم ولهذا جرى تصنيفها ضمن الجرائم الدولية وبالرجوع الى قانون العقوبات العراقي رقم ١١ لسنة ١٩٦٩ المعدل وقانون المحكمة الجنائية العليا رقم ١٠ لسنة ٢٠٠٥ والإتفاقيات الدولية ذات الصلة بتنظيم أحكام الجرائم الدولية وعدم تقادم هذه الجرائم ومنها إتفاقية منع جريمة إبادة الأجناس والمعاقبة عليها لسنة ١٩٤٨ وإتفاقية عدم تقادم جرائم الحرب والجرائم المرتكبة ضد الإنسانية النافذة في ١١- ١١ من عام ١٩٧٠ وقواعد القانون الجنائي الدولي، يمكن تحديد مفهوم الجريمة العادية والجريمة السياسية وتمييزها عن الجريمة الدولية) .

وهنا يعود الباحث مُجدّدا في طرح سؤاله ومستفسراً في نفس السؤال عن وجود النص الدستوري : أين النص الدستوري الذي يعطي الحق للمتضررين بالتعويضات عن جرائم النظام السابق وآثار حروبه على العراقيين؟. وبالنظرلصدور بعض أحكام المحكمة الجنائية العراقية العليا في بعض القضايا المرفوعة أمامها بهذا الشأن ... فأنه وجب تعويض المتضررين مادياً ومعنوياً لتحقيق العدالة ورفع الحيف والظلم عنهم. كما نعتقد بجوازالجمع بين حق المتضرر في التعويض عن الضرر من جرائم النظام السابق وحقه في التعويض عن الضرر طبقا لقانون تعويض المتضررين جراء العمليات الحربية والأخطاء العسكرية والعمليات الإرهابية النافذ. أو أي قانون آخر، وعلى سبيل المثال إنّ المتضرر من جرائم النظام السابق قد يتعرض الى عمل إرهابي فيكون من حقه الجمع بين الإثنين لأنّ لكلٍ منها أساس قانوني يختلف عن آخر).

المحور الثالث تعويض المتضررين في الوسط والجنوب

تناول الباحث في هذا المحور تعويض المتضررين في الوسط والجنوب مع تقديم مقترحه لتعديل نص المادة (١٣٢) من الدستور. وجاء فيه (من المعلوم للجميع، إنّ مناطق الوسط والجنوب من العراق والتي تضُمَ في غالبيتها

العظمى العرب الشيعة. تعرضت طيلة أربعة عقود من حكم نظام صدام المباد الى الإهمال والتهميش والى سياسة التمييزالطائفي. وقد برزت هذه السياسة الظالمة بكل وضوح منذ صعود الطاغية صدام الى الموقع الأول عام ١٩٧٩ ومن ثم خلال الحرب العراقية – الإيرانية وما تبعها من العدوان على دولة الكويت وعقب قَمع الإنتفاضة ورفع شعارات - لا شيعة بعد اليوم - ولغاية سقوط النظام الدكتاتوري في نيسان ٢٠٠٣. ويتمثل جرائم النظام المقبوروحروبه الكارثية في مناطق الوسط والجنوب في المقابر الجماعية التي أكتشفت وصارت تظهر للعيان يوماً بعد يوم سواء التي ضمَت رفاة المعارضين لهذه الحروب أو ممن شاركوا في الإنتفاضة الباسلة عقب وقف إطلاق النار في عاصفة الصحراء عام ١٩٩١، أو من ضحايا سياسة الإخفاء القسري والتعذيب والإعدامات العشوائية، وتكفي الإشارة هنا الى قيام فرق الموت التابعة للمقبور قصي بإعدام ٢٠٠٠ من أبناء الوسط والجنوب في سجن أبو غريب في يوم واحد ممن شاركوا في هذه الإنتفاضة، وذلك ضمن الحملة المعروفة بتنظيف السجون دونَ مبرر قانوني ولا وازع أخلاقي أو إنساني. وقام نظام البعث بضرب العتبات المقدسة بالصواريخ وقمع الثواروقصف الأهداف المدنية والسكان كما عملا في كربلاء والنجف ومناطق أخرى ... وهذه كلها هي أضرارٌ تعرضت لها مناطق الوسط والجنوب من العراق بسبب الحروب وجرائم النظام البائد. وهؤلاء المتضررين وإن قام البعض القليل منهم لحد الآن برفع الدعاوى أمام القضاء، فإنّ حجم الأضرار وكُثرة عدد المصابين بالضرر وتنوع الأضرارهي فوق طاقات وإمكانيات القضاء العراقي ... كما إنّ هناك قضايا أخرى مهمة لم تنظر من القضاء العراقي وخاصة ما يتعلق منها بتطهيرالبيئة من الألغام واليورانيوم المُنضّب وتجفيف الأهواروغيرها، فضلاً أنّ القضاء العراقي أستقّرفي أحكامه على مبدأ الحكم بتعويضات زهيدة لمن أصابه الضرر لاتتناسب مع حجم وعمق هذه الأرار. وإنّ هذه الأضرار باقية حتى الآن دون خطوات جدّية لإصلاحها، إذ ما يزال مئات الآلاف من الضحايا وذويهم بلا تعويض أو حصلوا على تعويض زهيد رغم مرور سنوات على سقوط النظام الدتاتوري، ويجب أنْ تتحمل خزينة الدولة العراقية نفقات التعويضات عن جرائم النظام السابق وعن الحروب وآثارها في هذه المناطق) . وأما بخصوص حقوق الكورد الفيليين في الوسط والجنوب، فلم يشر نص المادة الدستورية صراحة على حقوقهم. فأشار الباحث الى وجوب الإشارة الى تلك الشريحة المظلومة بالقول (وفيما يخص حقوق الكورد الفيليين المقيمين في الوسط والجنوب قبل تهجيرهم فيجب النص صراحة على حقوقهم في التعويض عن الأضرار التي لحقت بهم، وهم يستحقون التعويض عن الضرر كل حسب محل إقامته السابقة قبل تهجيره لأن هناك من المتضررين ممن لم يكن من مواطني إقليم كوردستان فيكون حقه في التعويض من صندوق التعويضات المخصصة لأبناء الوسط والجنوب، كما هو الحال لمن كان ساكناً في بغداد أو ديالى أو الكوت مثلاً ... ولا يمكن إعتبارالأعمال التي إرتكبها النظام السابق بأي حال من الأحوال من الممارسات التعسفية وفقاً لما جاء في نص المادة (١٣٢) من الدستور بل هي من صنف الجرائم الدولية العمدية الخطيرة التي توجب العقاب على كل شخص إرتكب أو ساهم أو شارك أومهّد أوحرّض على هذه الجرائم والحُكم بالتعويض

العادل للمتضرر. وبناءً عليه فإننا نعتقد أن قواعد العدالة توجب إنصاف الضحايا في الوسط والجنوب ومعالجة الأضرار الناتجة عن هذه الجرائم والحروب من خلال إضافة فقرة الى المادة (١٣٢) من الدستور (الى جانب الفقرة الخاصة بكوردستان) تنص على تخصيص نسبة ٥٪ من العائدات النفطية تصرف طبقاً لقانون يصدرعن مجلس النواب يتولى عملية تعويض الأضراروالتفاصيل المتعلقة بالموضوع . وتطرق الباحث في نفس الموضوع الى مسألة شمول الصندوق المقترح للشرائح الأخرى الذين تضرروا وتعرضوا للأذى بأن هذا الصندوق المقترح (يجب أنْ يشمل أيضاً كل عراقي متضررمن أبناء كوردستان والوسط والجنوب وبضمنهم الكورد الفيليون والتركمان والكلدان والآشوريون والسريان والصابئة المندائيون والايزيدون وغيرهم).

وبالنسبة لمقترح الباحث د. الفضل أقترح أن يكون نص المادة (١٣٢) من الدستور على الشكل التالي : المادة- (١٣٢): أولاً تكفل الدولة رعاية ذوي الشهداء والسجناء السياسيين والمتضررين من جرائم النظام الدكتاتوري المباد .

ثانياً : تكفل الدولة تعويض أسر الشهداء والمصابين نتيجة الأعمال الإرهابية.

ثالثاً : أ- تُخصَص نسبة من عائدات النفط لا تزيد عن ٥٪ منها الى صندوق تعويضات كوردستان، وذلك عن جرائم وآثار حروب النظام البائد، ولمدة ٣٠ عاماً. وهذه النسبة لا تدخل ضمن نسبة الـ ١٧٪ من حصة إقليم كوردستان المقررة حالياً .

ب - تُخصص نسبة من عائدات النفط لا تزيد عن ٥٪ منها الى صندوق تعويضات المتضررين في الوسط والجنوب، وذلك عن جرائم وآثار حروب النظام البائد ولمدة ٣٠ عاما.

رابعاً : يُنظّم ما ورد في البنود (أولاً) و(ثانياً) و(ثالثاً) من هذه المادة بقانون خاص لكل منها.

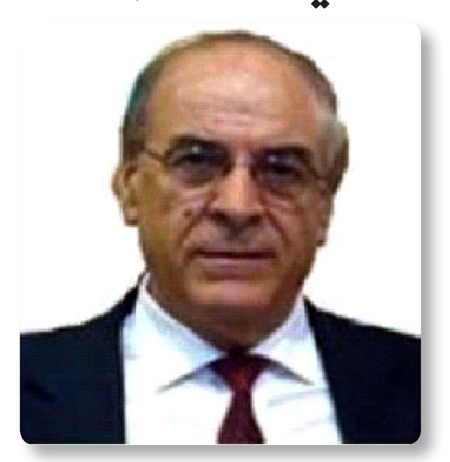
ونتوقف هنا عند عبارة بليغة جاءت في ديباجة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان تؤكد على ان من الضروري أن يتولى القانون حماية حقوق الإنسان لكي لا يضطر المرء آخر الأمر الى التمرد على الإستبداد والظلم .

وعاد الباحث ونشر نص مقترحه، مقترح مشروع القانون المتكون من عشر مواد، فخصص المادة الأولى منه لتعريف المصطلاحات الواردة فيه مثل : المتضرر، الألغام، القرى، الصندوق، الوزارات، المؤسسات، النظام البائد. مع ذكر الأسباب الموجبة في تشريع هذا القانون وجاءت فيها (تنفيذاً لأحكام المادة(١٣٢) من الدستور، وحيث أنّ كوردستان تعرضت الى سلسلة من الحرب والهجمات العدوانية المنظمة من النظام الدكتاتوري البائد (البعث- صدام) وطيلة من أربعة عقود ... وبالنظر لصدور بعض أحكام المحكمة الجنائية العليا في بعض القضايا المرفوعة أمامها بهذا الشأن ولوجود متضررين آخرين وأضرارأخرى كثيرة، ولإقرارمجلس النواب العراقي ومجلس الرئاسة بحصول جرائم الإبادة ضد الكورد وكوردستان. وبالنظر لتضرر كوردستان، شعباً وأرضاً، مِنْ زرع ملايين الألغام من النظام البائد والتي ما تزال مدفونة تحت الأرض، فضلاً عن الأضرارالبيئية التي ما تزال آثارها قائمة حتى الآن، وما يتطلب ذلك من جهود فنية كبيرة وتكاليف باهضة لإزالة هذه الألغام وآثار التلوث وإعادة الإعتبار وإصلاح الأضرار وتعويض المتضررين مادياً ومعنوياً ، فقد شُرّعَ هذا ال قانون.

وأما الصفحات الأخيرة من الكتاب التي تبدأ من الصفحة (٢٧٧) الى نهاية الصفحة (٤٧٩)

خصصته الباحث لنشرمجموعة من الملاحق والـتي تبلغ أعـدادهـا (٨ مـلـحق). وهـي في نظرنا تبدو مهمة جـداً للقارئ وللباحث القانوني أيضاً لكي يطّلع على أدق التفاصيل المتعلقة بالقوانين والنصوص ومقترحات وأسمـاء أعضاء لجنة كتابة الدستور، وعلى رد حكومة إقليم كوردستان على تصريحات رئيس وزراء الحكومة. والى هنا لم يبق لدينا أية إضافة أخرى سوى أن نقر بداهة بأهمية محتوى ومضمون الكتاب وأن نقول لمؤلفه أستاذنا القديرد. الفضل أنـك حرثت لهمَة وطاقة استثنائية في بحر العديد من المشاكل الدستورية والقانونية، واختزلت في مساحات محدّدة للقارئ فصولاً كثيرة من تاريخ العراق السياسي الماضي والحاضر وزرعت إضمامةندية مـن زهـورالـتـآخـي والـتـلاحـم المـصـيري بين موزاييك الطيف العراقي. وحاولت بكل تأنّي أن تفتح بمفاتيح معرفتك القانونية الكبيرة بعضاً من مغاليق دهاليزالسياسة المضطربة وعبرقُدرتك المَيزة في رسم خارطة كبيرة للأخوة العراقية المستديمة وحرص الخيّرين منهم ومن خلال تلاحمهم الصادق في ضمان مستقبل العراق اّتحادي الفيدرالي وحصانة دستوره الجديد، وفي ظل ذلك الدستورسوف يعيش العراق بجميع مكوناته المتآخية حياة مستقرة آمنة ومستقبلاً أكثرإزدهاراًعندما يحظى الجميع بإحترام القانون وعدم خرق الـدسـتـور. وعـنـدذاك تنحسرأعمال العنف والإقـصـاء والتهميش وعـدم تكرارالويلات والمآسي في حياة العراقيين مرة أخرى. ونشهد على أنّ الباحث د. الفضل أستطاع في كتابه هذا أن يفصل بكفاءة ومقدرة أكاديمية ممتازة في مواضيع قانونية ودسـتـوريـة وسياسية معقدة وأن يتوفق في تحليله ورؤيته لمستقبل الديمقراطية والحرية في العراق، وتشخيصه الموفق للعديد من الخلل والعيوب والثغرات التي رافقت وشابت مراحل كتابة الدستورالعراقي. بعد قراءة الكتاب قراءة تفصيلية ومتئنية مع تحليل كل فصول كتابه القيم،ورغم رصدنا لبعض الأخـطـاء المطبعية القليلة في بعض صفحات الكتاب، والـذي يبدع في إختصاصه مـاذا يجب على المـرء أن يقول لصاحب ذلك الإبـداع غيركلمة الثناء على جهوده القيّمة، ولحرصه الأمين ولصبره الجميل في نقل أدق تفاصيل الحراك السياسي والقانوني التي دارت وراء الكواليس بين جميع الأطراف السياسية واللجان المختصصة في كتابة الدستورالعراقي الجديد وفق رؤية موضوعية بعيدة عن روح المجاملة أوالقفزعلى أهمية الكثير من الحقائق التاريخية والسياسية والأجتماعية، ولروحه المثابرة في الكتابة والتأليف وإغنائه المكتبة القانونية بكتبه القانونية المميزة في الطرح والمحتوى، وببحوثه الرصينة التي أصبحت من المصادر المعتمدة لدى الكثيرمن طلبة القانون والمتخصصين في مجال القانون المدني. ولا نعتقد أنّ أي باحث مُجدّ في مجال القانون سيستغنيعن كتب د.الفضل، وبالأخص الباحثين في الدساتير العراقية ومنها الدستورالجديد وسيعدّ مرجعاً موثوقاً لكل من يريد التوسع في دراسة مراحل كتابة الدستورالعراقي الجديد، أوعن الصراع والإرتـبـاك الـذي نشب بين القوى الوطنية العراقية والإدارة الأمريكية في العراق والمتمثلة بالحاكم الجاهل بـول بريمروحسب وصف الباحث له بعد ٩ نيسان ٢٠٠٣. لعدم معرفته شيء عن العراق سوى معلومات بسيطة.

أسباب الاحتضان الروسي للنظام السوري



بقلم: خورشيد شوزي

العلاقات الروسية - الإيرانية

العلاقات بين الإمبراطورية الروسية وبلاد فارس بدأت رسمياً منذ العام ١٥٩٢، في عهد الإمبراطورية الصفوية، والدافع الرئيسي وراء هذه العلاقات كانت الجارة المشتركة عدوة الطرفين - الإمبراطورية العثمانية، ومنذ ذلك الحين شهدت العلاقات المتبادلة بينهما المد والجزر حتى منتصف القرن الثامن عشر، حيث شهدت الدولة الصفوية اضطرابات داخلية عندما سعت القوى الغربية المتنافسة إلى وضع موطئ قدم ثابت لها في المنطقة، وخاصة في الجنوب والجنوب الشرقي من بلاد فارس، وتركت لها حرية التحرك في الشمال لفرض هيمنتها، ولكنها واجهت تحدياً من جارتها الشمالية روسيا القيصرية.

واضطر الشاه أمام إفلاس الديوان الملكي التوقيع على معاهدة "جولستان" عام ١٨١٣، تلتها معاهدة Turkmanchay"" مع الإمبراطورية الروسية التي تقدمت باتجاه الجنوب(آسيا الوسطى) مناطق النفوذ الإيراني، واحتلت الجيوش الروسية ساحل آرال في ١٨٤٩، وطشقند في ١٨٦٤، وبخارى في ١٨٦٧، وسمرقند في ١٨٦٨، وفي نهاية المطاف جاءت معاهدة Akhal التي أجبرت إيران على التنازل عن خوارزم.

بحلول نهاية القرن ١٩، هيمنت الإمبراطورية الروسية على آسيا الوسطى، واحتلت تبريز و قزوين، والحكومة المركزية في طهران فقدت حتى سلطة اختيار وزرائها بنفسها بدون موافقة القنصلية البريطانية والروسية.

لكن العلاقات بين الطرفين تأزمت كثيراً

إثر القصف الروسي لمسجد Goharshad في ١٩١١، وقصف الجمعية الوطنية الفارسية، مما أدى إلى زيادة المشاعر المناهضة لروسيا في جميع أنحاء إيران، ومع نجاح ثورة أكتوبر ١٩١٧ تغيرت العلاقات بين الطرفين، وسيطر البريطانيون على أجندات الحكم في إيران بعد الحرب العالمية الأولى في مواجهة المد الشيوعي الآتي من الاتحاد السوفييتي الناشئ.

في عام ١٩٤١ وأثناء الحرب العالمية الثانية ، قام الاتحاد السوفييتي وبريطانيا العظمى باحتلال إيران، مع أنها كانت دولة محايدة، وفي يوليو ١٩٤٥ أقرت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي بدء العمل التحضيري لتشكيل منطقة أذربيجان وطنية مستقلة ذات صلاحيات واسعة داخل الدولة الإيرانية، ودعم الحركة الانفصالية الكوردية في كوردستان إيران، والحركات الانفصالية في مقاطعات أخرى مثل خراسان، ونتيجة لذلك قامت جمهوريتان أعلنتا الانفصال عن إيران، وهما:

جمهوريتا أذربيجان وكردستان في أواخر العام ١٩٤٥ وأوائل العام ١٩٤٦، فعندما وضعت الحرب أوزارها، بدأ الاتحاد السوفييتي في إخلاء المناطق التي يحتلها على الجبهة الغربية الإيرانية، والتي تشتمل على أذربيجان وكردستان، منتهكاً بذلك اتفاقات يالطا، والسبب أن الاتحاد السوفييتي قد رأى الاستفادة من الحركات الانفصالية التي تهز استقرار المنطقة، فقام بتشجيعها، متوافقة بالتالي مع تطلعات شعوبها في التخلص من الاحتلال الإيراني، وقد كان الكرد يحضرون أنفسهم لمثل هذه الخطوة منذ العام ١٩٤٤ مع بداية تأسيس الحزب الديمقراطي الكردستاني بزعامة "القاضي محمد" الزعيم الديني والشعبي لمهاباد، واشتمل برنامج الحزب، على حصول الشعب الكردي على الحكم الذاتي داخل حدود إيران، وان تصبح اللغة الكردية، اللغة الرسمية، وأن تدار الشئون الاجتماعية والإدارية، بوساطة الكرد أنفسهم، وبعد شهر واحد، تشكل حزب أذربيجان الديمقراطي، وتبنى برنامجاً مشابهاً تقريباً لبرنامج الحزب الديمقراطي الكردستاني، وفى ١٩٤٦/٠١/٢٢، وتحت حماية القوات السوفيتية، تم إعلان جمهوريتي أذربيجان وكردستان الديمقراطيتين المستقلتين، ولكنهما سقطتا في ديسمبر ١٩٤٦ عندما تخاذل الاتحاد السوفييتي بزعامة الدكتاتور ستالين، وانسحب الجيش الأحمر من الجمهوريتين تحت ضغط لندن وواشنطن، ودخلت قوات الشاه مهاباد وتبريز، ومارست سياسة قمع ثقافي وإداري لم يسبق له مثيل، { اقتيد القائد الفذ قاضي محمد أسيراً إلى طهران بعد انتهاء المعركة، وحوكم، وصدر بحقه حكم الإعدام، وتم تنفيذ الحكم يوم ١٩٤٧/٠٣/٣٠م، في ساحة جوار جرا (chwar cira) الساحة التي أعلن منها إعلان الاستقلال وقيام الجمهورية } ثم قامت بتقسيم كردستان إلى أربعة مناطق: المنطقة الشمالية والشرقية أدمجت في أذربيجان الغربية، والمنطقة الجنوبية ضمت إلى إدارات كرمنشاه وإيلام، ولم يتبق سوى المنطقة الوسطى التي بقيت من الجمهورية باسم كردستان، وتدفقت قوات الجيش الإمبراطوري على هذه المنطقة، وخضع السكان لرقابة السلطات العسكرية، ومنعت اللغة الكردية، وتحمل إقليم أذربيجان نفس المصير.

نلاحظ أن الهيمنة الأميركية على الساحة السياسية الإيرانية بدأت بنهاية الحرب العالمية الثانية، فتحركت الولايات المتحدة

باتجاه عقد صفقات مع الطاغية ستالين، تخلى بموجبها عن دعم الاتحاد السوفييتي للجمهوريات الفتية المستقلة، وبذلك فسح المجال أمام جيش الشاه المدعوم من الجيش البريطاني للقضاء على هاتين الجمهوريتين، وارتكاب أبشع الفظائع بحق سكانها.

ومما سبق نستنتج بأن روسيا لم تكن صديقا دائماً لإيران في أي وقت مضى، بل على العكس، كانت في بعض المراحل أحد مصادر تهديد الأمن القومي الإيراني، خصوصاً في القرنين ١٨ و١٩، وخلال الحربين العالميتين الأولى والثانية.

ولكن في نهاية الثمانينات، ونتيجة تعرض القوات المسلحة الإيرانية للدمار إثر الحرب العراقية - الإيرانية، وفي ظروف العولمة في العالم، واتجاه الدول نحو وضع مصالحها الاقتصادية فوق أية اعتبارات أخرى، سياسية كانت أو إنسانية، اتجهت إيران إلى روسيا من أجل إعادة بناء قواتها المسلحة، ووقّع الجانبان عام ١٩٩١على صفقات ضخمة من الأسلحة تتراوح قيمتها ما بين ٣ - ٥ مليارات دولار (دبابات، وطائرات، وعربات مدرعة، وأجهزة رادار، وغواصات هجومية)، كما أن الصفقة اشتملت على اتفاق للتعاون في المجال النووي، يقوم الروس بمقتضاه باستكمال محطة نووية إيرانية في منطقة (بوشهر)، وهذا التعاون يوفر لإيران احتياجاتها من المفاعلات النووية كبيرة الحجم، من دون الاقتصار على المفاعلات البحثية صغيرة الحجم.

وفي نوفمبر ١٩٩٤ أعلنت إيران أن روسيا أقرت اتفاقية بمبلغ يقارب مليار دولار لإكمال مفاعل بوشهر، وجرى التوقيع الفعلي على الاتفاقية في ١٩٩٥/٠١/٠٨، وأرسلت الحكومة الروسية شحنات ضخمة من المواد اللازمة للمفاعل مع مئة وخمسين فنياً و ألفي عامل روسي، مع تدريب خمس مئة فني إيراني حسب الاتفاق.

غير أن التعاون العسكري بينهما شهد تراجعاً ملحوظاً ابتداء من العام ١٩٩٦، بعد توقيع روسيا وأمريكا على اتفاقية تمتنع روسيا بموجبها تزويد إيران بأية أسلحة أو تعزيز التعاون العسكري معها، في مقابل دعم أمريكا والدول الغربية لاقتصادها، وهو الاتفاق الذي عرف باتفاق " جور- ميردين"، ولكن مع أواخر التسعينيات، وفي ضوء التردي الواضح الذي شهده الاقتصاد الروسي، والأوضاع الاقتصادية المتردية المتزامنة مع كساد تجارة السلاح الروسية، نظراً للفساد الإداري، وإفلاس عدد كبير من مصانعها ومؤسساتها، وفي ضوء الميراث الروسي من الاتحاد السوفييتي للترسانة العسكرية الهائلة للأسلحة التقليدية، وأسلحة الدمار الشامل بكل أنواعها، فضلاً عن بنية مؤسسية وعلمية وتكنولوجية ضخمة لصناعة وتطوير السلاح، وكذلك، ومنذ اعتلاء فلاديمير بوتين سدة الحكم في روسيا سواء في الرئاسة أو رئاسة الوزراء، فقد لجأت الإدارة الروسية إلى دبلوماسية صفقات التسليح لإنقاذ اقتصادها، بتدشين علاقات التعاون العسكري والإستراتيجي مع القوى الإقليمية، والدول والمناطق التي تعد سوقاً رائجة للسلاح في العالم، باعتبارها وسيلة لترميم علاقات روسيا مع تلك القوي الإقليمية من ناحية، واكتساب شركاء وأصدقاء جدد في مناطق عديدة وهامة على مستوى العالم من ناحية أخرى، وهو ما وضح جلياً من خلال الزيارات التي قام بها الرئيس بوتين، أو كبار المسئولين في الحكومة الروسية إلى دول عدة مثل الصين، والهند، وكوريا الشمالية، وكوبا،

واليابان، وإيران.
لذلك فقد شهدت علاقات التعاون الروسية - الإيرانية منذ بداية العام ٢٠٠١ تطوراً عالياً إثر الزيارة التي قام بها وزير الدفاع الروسي لطهران، وأسفرت عن تعاون تسليحي في مختلف المجالات، ومن بينها زيادة التعاون النووي، واكتسبت الزيارة أهمية كبرى، كونها جاءت عقب قيام موسكو في منتصف شهر ديسمبر ٢٠٠٠ بإلغاء اتفاقيتها مع الولايات المتحدة المبرمة في أواخر العام ١٩٩٥ بشأن عدم بيع روسيا لإيران أسلحة غير تقليدية، وبذلك فتح الباب أمام التعاون بين روسيا وإيران في مجالات تطوير الصواريخ الباليستية والطاقة النووية.
وتشير التقديرات الأمريكية والغربية إلى أن البرنامج النووي الإيراني في تطور، وأنه بالإضافة إلى محطة بوشهر قامت إيران بشراء مفاعل آخر من نوع (V ٢١٣ VVIR ٤٤٠)، ومفاعل آخر كبير الحجم للبحوث، وبما ما مجموع خمسة مفاعلات كبيرة لكل منها طاقة ١٣٠٠ ميجاوات، وأن سعي إيران السابق لدى الاتحاد السوفييتي لشراء مواد انشطارية، ومواد عالية التخصيب، والحصول على خدمات مصممي الأسلحة النووية السوفييت، قد أثمر بعد انهياره في تضمين إتفاقيتهم مع روسيا الوريثة بنوداً سرية لبيعهم محطة للطرد المركزي خاصة بعملية تخصيب اليورانيوم المستنفذ، والتي تعتبر مكوناً محورياً بالغ الأهمية في عملية إنتاج السلاح النووي، وهذه البنود السرية كانت مبعث القلق لدى أمريكا والدول الغربية.
لذلك فإن الجانب الإيراني برر التعاون النووي بينهم وبين روسيا، بأن تكنولوجيا القوة الطاردة المركزية، وغيرها من التكنولوجيا الخاصة بالتخصيب ليست لإنتاج الأسلحة النووية، وإنما لبناء عشرة منشآت رئيسية للطاقة النووية، بغرض تأمين ٢٠٪ من طاقتها الكهربائية بواسطة المولدات النووية.
إن دوافع هذا التعاون على الجانب الروسي يكمن في مسألتين: الأولى اقتصادية، حيث العوائد المالية الضخمة والنفط بأسعار أخفض من السوق الرسمية، والثانية سياسية، حيث اتجهت السياسة الخارجية الروسية إلى استعادة العديد من مواقع النفوذ القديمة التي كان يتمتع بها الاتحاد السوفيتي السابق، وبالذات في منطقتي الشرق الأوسط، وآسيا الوسطى، مما سيمكنها من امتلاك مكانة أكبر على الساحة الدولية.
علاوة على الدافعين السابقين فإن التوجه الروسي تعبير واضح عن الإحباط في مسألتين: الأولى، ضآلة حجم المساعدات الاقتصادية الأمريكية والغربية المقدمة إليها طيلة السنوات الماضية، والثانية، الموقف الأمريكي من مسألة بناء شبكة الدفاع الصاروخي المضاد للصواريخ الباليستية بالقرب من حدودها، حيث بات التخطيط العسكري الروسي يولي أهمية كبرى في مواجهة هذه المسألة.
أما على الجانب الإيراني، فإن تنشيط علاقات التعاون الشامل مع روسيا يعتبر واحداً من بدائل قليلة للغاية متاحة أمام السياسة الإيرانية التي ارتكزت على التدخل في شؤون دول الشرق الأوسط، وغيرها من بلدان العالم، لتصدير نظامها إلى هذه الدول، فجوبهت هذه السياسة الإيرانية بحملة دولية هدفت إلى عزلها، ومنع التعامل معها من قِبل كافة القوى المؤثرة في المجتمع الدولي، وعلى الرغم من أن هذه الحملة لم تحقق نجاحاً كبيراً على الصعيد الاقتصادي، إلا أنها كانت فعالة

ومؤثرة على الصعيد العسكري، حيث امتنعت معظم الدول المالكة للتكنولوجيات العسكرية المتقدمة عن توقيع صفقات تسليحية مع إيران.

ولذلك فإن التقارب الروسي - الإيراني يشكل مصلحة أكيدة لإيران، ليس من الناحية التسليحية فقط، وإنما من الناحية السياسية أيضاً، حيث أن رفض روسيا بامتداد حلف الأطلسي شرقا ليضم دول آسيا الوسطى والقوقاز يوافق مصالحها، وخاصة إزاء الدول الست التي استقلت عن الاتحاد السوفيتي السابق، وأصبحت مجاورة لها، فهذه الدول تعج بالمشاكل العرقية والسياسية، الأمر الذي يبرز أهمية روسيا كشريك استراتيجي بالنسبة لإيران يمكن لها الاستعانة به في مواجهة التوترات والتهديدات التي قد تتفجر في مثل هذه المنطقة الحساسة.

كما أن التقارب الروسي - الإيراني بكل أبعاده، يشكل تهديداً مباشراً للمصالح الأمريكية في تلك المناطق الحساسة لها من ناحيتين: أولاهما، إمكانية قيام روسيا وإيران بتكوين تحالف استراتيجي تضمان إليه الصين والهند وكوريا الشمالية، بغية اقتسام ثروات تلك المناطق مع تحجيم النفوذ الأمريكي بها، وثانيهما، القلق من تزويد إيران بأسلحة الدمار الشامل، فضلاً عن التكنولوجيا العسكرية المتطورة.

لذلك لجأت أمريكا إلى سياسة الحصار، وفرض العقوبات ضد روسيا والدول التي تتورط في عمليات تصدير أسلحة أو تكنولوجيا عسكرية متقدمة لإيران، وفرضت عقوبات على أكثر من عشرين معهداً وجامعة عسكرية وعلمية روسية تتعاون مع إيران في المجالات العسكرية والتكنولوجيا الخاصة بصناعة الأسلحة والمعدات الحربية، كما صادق مجلسي النواب والشيوخ الأمريكيين على مشروع قانون يهدف إلى فرض عقوبات على روسيا أو أية دولة أخرى تساعد إيران على تطوير أو تصنيع أسلحة الدمار الشامل، والتي قوبلت من الطرفين الروسي والإيراني بالرفض، ولم ترضخا للسياسة العقابية الأمريكية، وأكدا على تنفيذ كل التزاماتهما المتبادلة.

العلاقات الروسية - التركية

العلاقات بين الإمبراطوريتين الروسية والعثمانية بدأت بشكل واضح في عام ١٤٩٢، عندما بعث إيفان الثالث حاكم روسيا، برسالة إلى السلطان العثماني بيازيد الثاني، حول مسائل التجارة البحرية بين الجانبين. وبعد أكثر من مئتي عام افتتحت سفارة للإمبراطورية الروسية بالقسطنطينية في عام ١٧٠١، وابتدأت العلاقات الدبلوماسية بين تركيا وروسيا السوفيتية في عام ١٩٢٠، وفي ١٩٢٣ أقيمت علاقات دبلوماسية كاملة بين تركيا والاتحاد السوفيتي، واعترفت تركيا في ١٩٩١ بروسيا الاتحادية كوارثة لحقوق الاتحاد السوفيتي.

عقدت بين روسيا وتركيا ما يزيد عن ٦٠ معاهدة تخص التعاون في المجالات المختلفة، وضمن أهم الاتفاقيات المعقودة في السنوات الأخيرة معاهدة "أسس العلاقات" عام ١٩٩٢، وخطة الأعمال الخاصة بتطوير التعاون بين روسيا وتركيا في القارة الأوراسية عام ٢٠٠١، واتفاقية التعاون العسكري عام ٢٠٠٢، والبيان السياسي المشترك حول تعميق الصداقة والشراكة عام ٢٠٠٤، وأصبح البروتوكول الخاص بانتهاء المباحثات الثنائية حول دخول السلع والخدمات الروسية للأسواق التركية في إطار عملية انضمام روسيا إلى منظمة التجارة

العالمية في ابريل ٢٠٠٥ في أنقرة موضع التنفيذ، وأصبح إنجازاً هاماً في تطور العلاقات الروسية التركية، وأصبحت منتجعات تركيا من أفضل الأماكن لاستجمام المواطنين الروس، وقد زار تركيا في عام ٢٠٠٨ عدد قياسي من السواح الروس بلغ ٢,٧ مليون شخص.

ويجري في السنوات الأخيرة الحوار السياسي النشط بين البلدين على المستوى الأعلى، ومنذ زيارة بدجورني وزير الخارجية السوفياتي لأنقرة عام ١٩٧٢، لم يقم أي مسؤول روسي بزيارة أنقرة إلا فلاديمير بوتين، فقد قام بعدة زيارات إلى تركيا، كرئيس لروسيا أو كرئيس لوزرائها، ما بين ٢٠٠٤ و٢٠٠٩، بدأها بزيارة أنقرة في ٢٠٠٤، ثم شارك في مراسم افتتاح خط أنابيب الغاز "السيل الأزرق" عام ٢٠٠٥، وحضر القمة التاسعة لمنظمة التعاون الاقتصادي بين دول البحر الأسود التي انعقدت في مدينة سمسون التركية في عام ٢٠٠٧، وفي ٢٠٠٩ عقد مع الجانب التركي اتفاقيات في مجالات النفط، والغاز، والطاقة النووية، والمجال النووي، وبناء محطة كهرذرية في تركيا، بالإضافة إلى اتفاقية حول الإنذار السريع عن الحوادث النووية.

أما الرئيس الروسي دميتري مدفيديف فقد التقى الرئيس التركي عبد الله غل في ٢٠٠٨، وذلك في إطار الاحتفالات بمناسبة حلول الذكرى العاشرة لمدينة آستانا الكازاخستانية، وزار تركيا في ٢٠١٠، واستحدث مع رئيس الوزراء التركي طيب أردوغان مجلساً للتعاون على مستوى قيادة البلدين، مهمته تطوير العلاقات الإستراتيجية بينهما، وتنسيق تطبيق المشاريع الكبرى في مجال التعاون السياسي، والاقتصادي، والثقافي، كما وقعا اتفاقية حول الإلغاء المتبادل لتأشيرات السفر.

أما الزيارات التركية لروسيا فكانت بدايتها في عام ٢٠٠٦، من الرئيس التركي أحمد نجدت سيزر، واحتلت مواضيع التعاون في مجال الطاقة، والبناء، والاستثمارات، والتعامل مع القضايا العالمية والإقليمية، مركز الصدارة في المباحثات بينه وبين الرئيس الروسي، وقام رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان بزيارات عدة إلى روسيا، وفي ٢٠٠٨ تقدم بمبادرة إنشاء "منطقة الاستقرار والتعاون في القوقاز"، وعقدت مجموعة العمل الرفيعة المستوى جلستها الرابعة بأنقرة، وناقشت مسائل التعاون، ولاسيما في البلقان، والتسوية القبرصية، والأوضاع في أفغانستان، والعراق، ومنطقة البحر الأسود، ومنطقة ما وراء القوقاز، ووسط آسيا.

هناك تفاهم روسي - تركي حول أمن البحر الأسود والمضايق والممرات البحرية التركية، مروراً بالتفاهم من أجل التعاون في مجالات النفط والغاز ومجالات التجارة الحرة، وانتهاءً بمجالات العمل السياسي الإقليمي، وخصوصاً ملفات منطقة القوقاز، وأسيا الوسطى، والبلقان.

وأثناء الأزمة الروسية - الجورجية شعرت تركيا بقلق كبير عندما حملتها روسيا مسؤولية عبور السفن الحربية التابعة للناتو لمضيقي البوسفور والدردنيل اللذين يربطان البحر المتوسط بالبحر الأسود، ورغم اعتراض تركيا في بداية الأمر على عبور هذه السفن لعلمها بأن ذلك سيعرضها لغضب روسي هي في غنى عنه، فإنها في النهاية لم تتمكن من مقاومة الضغط الأميركي لكونها عضواً في الحلف.

لقد وجهت روسيا عبر الجنرال أناتولي نوغوفيشن نائب رئيس هيئة الأركان

الـروسـي، تحـذيـراً قاسياً إلى تـركيا، حيث قـال: " إن البحر الأسـود يغلي بالسفن الحربية، و اتفاقية مونـترو(*) للمضايق لا تسمح لدولة من خارج حوض البحر الأسود بإدخال سفينة حربية إلى البحر الأسود تزيد حمولتها الإجمالية عن ٤٥ ألف طن، على أن تكون المدة الأقصى لبقائها ٢١ يوماً.. ونحن حالياً بانتظار انتهاء هذه المدة، وإذا لم تخرج سفن الناتو من البحر الأسود في الوقت المحدد فإن تركيا ستكون أول المسؤولين عن ذلك.. وأوضـح بأن سفن الناتو محملة بأكثر من ١٠٠ صاروخ "توماهوك" مجنحة ذات رؤوس الـنـوويـة، تستطيع الـوصـول حتى مدينة سان بطرسبورغ على سواحل البلطيق، وإلى القوقاز، لهذا من الطبيعي جداً أن نستفسر عن أسباب وجود هذه القوى.

فرضت روسيا معوقات جمركية على دخول عشرات الآلاف من الشاحنات التركية للأراضي الروسية تزامناً مع التوتر بين روسيا والناتو بسبب الصراع الروسي - الجورجي، والرد المتسرع لوزير التجارة الخارجية التركي كورشـاد تـوزمـان باتخاذ إجـراءات عقابية مماثلة ضد روسـيـا ارتـطـم بحائط مجلس الـوزراء الـتركي، لأنـه علم أن بـوادر شقاق محتمل مع روسيا سيؤثر على حجم التجارة الكبير بين البلدين، فرفض المصادقة على مثل هذه الإجراءات.

إن مصالح تركيا في روسيا أكبر بكثير من مصالح روسيا في تركيا، بدليل ارتفاع أصوات المتعهدين الأتـراك ورجـال الأعـمـال الذين حـذروا من مخاطر تعرض بعض البضائع التركية للتلف جراء تأخير تسليمها للموردين، فضلاً عن الغرامات التي تصل ألف يورو عن كل شاحنة لكل يوم تأخير.

لقد بررت روسيا موقفها بتفتيش الشاحنات التركية بأنه جاء تنفيذا لقانون جمركي جديد، وهو تبرير لم يقنع بالتأكيد حكومة أنقرة التي استشفت منه دوافع أخطر، مع أنها ترى أن موقفها من الأزمة القوقازية كان سليماً محايداً ومتوازناً، حيث أنها كانت على مسافة واحـدة بين طرفي النزاع العسكري روسيا وجورجيا، إذ رغم أنها أعلنت دعمها لوحدة الأراضـي الجورجية، فإنها لم تدن العمليات العسكرية الروسية صراحة.

في ٢٠١٠ قام الرئيس التركي عبد الله غول بزيارة موسكو، والأبعاد الاقتصادية المعلنة لزيارة الرئيس التركي واضحة، أما أبعادها السياسية فهي الأهـم، حيث تأتي الزيارة في وقـت وصلت فيه العلاقـات التركية - الإسرائيلية إلى مستوى عـال من التوتر، وتبادل الانتقادات العلنية والصريحة، والأزمة المفتعلة من قبل الأتراك ليس بسبب أسطول الحرية كما بدا ظاهرياً، وإنما لتغطية هدفين آخرين: أولهما، التغطية على نشر أجـزاء من الدرع الصاروخية للناتو على أراضيها، وثانيهما، لصرف الانتباه عن مأزق التعامل مع تطورات الأزمة السورية، مما فسح المجال ظاهرياً أمام نسف إستراتيجية واشنطن - تل أبيب في إفشال أية مجهودات تركية - روسية على طريق بناء الشراكة الإستراتيجية.

لذلك فإن العلاقات بين روسيا والناتو، والوضع المتعلق بالبرنامج النووي الإيراني، وأحداث الشرق الأوسط، والاستقرار في البلقان، والوضع في آسيا الوسطى، والتسوية القبرصية، والتوتر الروسي - الأميركي، من أكثر القضايا المؤثرة على السياسة التركية الـتي تحـاول الظهور كدولة حياد وثقة في المنطقة، وهي تحاول أن تثبت حياديتها أمام أطراف الصراع من

جهة، وتكثيف دبلوماسيتها الوقائية من جهة أخرى، وتجميع دول الجوار الإقليمي تحت مظلة التفاهم، ووضع التصورات المشتركة من أجل حفظ الاستقرار في المنطقة عموماً.

وأمام هذه المعضلة والمعادلة الصعبة، فإن وقوف تركيا إلى جانب موسكو قد يعزز فرصها في أن تصبح مضخة لتدفقات النفط القادمة من آسيا الوسطى وبحر قزوين وروسيا وكازاخستان، إلا أن ذلك بالمقابل قد يضعها في مواجهة الاستهداف الأميركي لها، وإذا كانت واشنطن غير قادرة لحد الآن على مسامحة تركيا لخذلانها إياها في العراق عندما رفضت مرور جنودها، فكيف لها أن تغفر لها خذلانها أمام روسيا، والذي قد يؤدي بالنتيجة إلى تعاظم النفوذ الروسي ومعه الإيراني في المنطقة.

وبالتالي فإن واشنطن لن تتوانى في استخدام كل أسلحتها الدولية ضد تركيا، وهي كثيرة، وتتمثل في تحريك المياه الراكدة لتقويض استقرار تركيا، لكن الورقة الأكبر والمصيرية لدى تركيا تبقى بالتأكيد على الصعيد الأوروبي، حيث أن الولايات المتحدة قادرة على نسف كل طموحات تركيا وعرقلة دخولها إلى الاتحاد الأوروبي، خصوصاً أن الدول الأقوى في الاتحاد - مثل فرنسا وألمانيا والنمسا- تعارض العضوية التركية.

ومن هنا يبدو أن أنقرة في موقف لا تحسد عليه، وكل الخيارات المتاحة أمامها ستكون مؤلمة، لهذا يبقى الخيار العقلاني الأفضل بالنسبة لأنقرة في الوقت الحالي هو المراهنة على تكثيف الدبلوماسية الوقائية لمنع توسع دائرة الصراع، إلى جانب صياغة حلول سريعة لتفادي التورط في صراع هي في غنى عنه.

نشرت صحيفة "كوميرسانت" مقالاً تناول شكل العلاقات التركية الروسية في ظل الأزمة بين النظام السوري وتركيا، مشيرة إلى أن موقف رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان من الأزمة السورية سوف يكون له عواقبه الوخيمة على العلاقات بين أنقرة وموسكو، بعد أن تبين أنهما على طرفي نقيض.

وأشارت الصحيفة وفقاً لآراء بعض الخبراء إلى أن أية إجراءات حاسمة من طرف أنقرة قد تسبب مشكلة في علاقاتها مع موسكو، التي لا زالت تدعم الرئيس السوري. لاسيما في ظل تصريحات الرئيس عبد الله جول المتشددة، ومن بينها مقابلة أجرتها معه صحيفة الجارديان البريطانية قال فيها: "إن سوريا في مأزق، والتغيير لا بد منه. أما الخطة(الأولى - المراقبين) التي اقترحتها جامعة الدول العربية للخروج من الأزمة، فلم تعدد قابلة للتنفيذ، لأن النظام اختار طريقاً آخر، ونحن لم نعد نثق به".

وتضيف الصحيفة: الجهود الحثيثة التي تبذلها تركيا للإطاحة بنظام الأسد قد تسفر عن عواقب وخيمة لجهة علاقاتها مع موسكو، رغماً عن أنه كان ينظر إلى الإسلاميين الذين يديرون دفة الحكم في أنقرة كحلفاء محتملين لموسكو، بل وشركاء سياسيين تقريباً، واستشهدت الصحيفة بموقف مدير معهد الأبحاث السياسية سيرغي ماركوف: إن مصلحة أنقرة مفهومة، فهي تريد موقع الريادة في المنطقة، وإقامة نظام صديق لها في دمشق، فهذا من شأنه أن يساعد على حل المسألة الكردية على سبيل المثال... وتابعت الصحيفة: إن كافة تصرفات السلطات التركية الأخيرة، في ليبيا وسوريا وأثناء زيارة أوردغان إلى مصر، ترمي إلى هدف واحد، هو تعزيز

مساعي أنقرة المتطلعة لدور الزعيم الإقليمي، وتعمل تركيا بنشاط على طرح نموذجها الاجتماعي - السياسي القائم على الجمع بين الإسلام المعتدل والحداثة العلمانية.
وروسيا، يهمها في سوريا عدة أمور، منها أمران هامان، وهما: المحافظة على قاعدتها البحرية العسكرية في طرطوس، وتجنب الرحيل من المنطقة برحيل النظام، ولذلك فالنزاع الحالي بين الأسد وأردوغان لا ينبغي لموسكو أن تقف إلى جانب أي من الطرفين، بل أن تحافظ على العلاقات معهما كليهما، وهذا الموقف قد يساعد روسيا في المستقبل إذا قدر لها أن تلعب دور الوسيط بينهما.
وهذا ما أثبته مدفيديف في تصريحاته عن الجهود الروسية الرامية إلى إطلاق الحوار بين الأطراف السورية، ودعم الإصلاحات الديموقراطية هناك بناء على طلب من أردوغان، ولذلك أجرى الروس محادثات مع النظام السوري قام بها وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف ومدير هيئة الاستخبارات الخارجية ميخائيل فرادكوف.

العلاقات الروسية - السورية

افتتحت قنصلية روسية في دمشق في أواخر القرن الثامن عشر، أثناء الحكم العثماني لبلاد الشام، وبعد مرور ١٠٠ عام، قامت بفتح قنصلية لها في ميناء اللاذقية.
وفي القرن الماضي، فإن العلاقات بين الدولة السورية في ظل الاحتلال الفرنسي والاتحاد السوفييتي بدأت في العام ١٩٢٥ بتأسيس "جمعية العلاقات الثقافية" بين الطرفين، وتطورت هذه العلاقات في العام ١٩٤٤ إثر اعتراف الاتحاد السوفييتي بسوريا كدولة مستقلة حديثاً، وإصراره بالرغم من مقاومة بريطانيا وغيرها من الدول الغربية، على إدراج الدولة السورية في قائمة الدول المؤسسة لهيئة الأمم المتحدة، وقام الاتحاد السوفيتي بصفته عضواً دائماً لمجلس الأمن الدولي عام١٩٤٦ ، بتأييد مطلب سورية بسحب القوات البريطانية والفرنسية من أراضيها، وكانت هذه بداية إقامة علاقات دبلوماسية بين الطرفين.
يعتبر العام ١٩٥٥ مدخلاً للعلاقات السوفيتية - العربية ، مروراً بأحداث حلف بغداد، ومؤتمر باندونغ، ومن ثم الموقف السوفيتي من العدوان الثلاثي على مصر، ولكن العلاقات السوفييتية - السورية لم تتطور بشكل ملحوظ إلا بعد استيلاء حزب البعث على مقاليد السلطة في سوريا العام ١٩٦٣، فأقيم مركز الدعم المادي التقني للأسطول البحري السوفييتي في ميناء طرطوس السوري، وأبرمت اتفاقيات لتنفيذ مشاريع كبيرة في سوريا بمساعدة الاتحاد السوفييتي السابق بلغ عددها أكثر من ستين مشروعاً، ومن هذه المشاريع سد الفرات الذي حصلت سورية بموجبه على قرض بمبلغ ١٢٠ مليون روبل عام ١٩٦٦، كما شهدت الاتفاقيات اللاحقة مشاريع لبناء مصانع مختلفة.
اضطر السوفييت بعد طردهم من مصر في العام ١٩٧١ من قبل الرئيس أنور السادات، اضطروا إلى البحث عن بدائل أخرى في الشرق الأوسط، وأفضل البدائل أمامهم كانت العراق وسوريا، اللتان كانتا ترزحان تحت حكم أعتى دكتاتورين هما "صدام حسين وحافظ الأسد"، فتدفق السلاح إلى هذين البلدين، وبالإضافة إلى الدعم العسكري قدمت القيادة السوفياتية دعماً سياسياً لسوريا والعراق في المحافل الدولية.
واستناداً لاتفاقية التعاون الاقتصادي الفني

الموقعة في ١٩٧٢، تعهد الاتحـاد السوفييتي بتقديم قرض قدره ٢٥ مليون روبل لتمويل مشاريع النفط، وتسوية قيمة التجهيزات والمواد وقطع التبديل المشتراة منها، كما أدى التعاون إلى تجهيز سوريا بشبكة من السكك الحديدية، فأنشئت خطوط حديدية بلغ طولها أكثر من ١٥٠٠كـم، وقامت الحكومة السورية بشراء قاطرات الديزل والعربات الخاصة بنقل المسافرين، وعربات الشحن من الاتحاد السوفييتي.

استمر ازدياد وتنامي حجم التبادل التجاري بين البلدين بوتائر عالية، ووصلت قيمة الـصـادرات السورية إلى روسـيـا في العامين ١٩٨٩ و ١٩٩٠ أكثر من مليار و٤٠٠ مليون جنيه إسترليني، وكانت السلع السورية من مـواد نسيجية، ومنتجات مـواد التجميل، والكونسروة بأنواعها، وغيرها من المواد الأولية والمصنعة تغزو الأسواق الروسية، وغيرها من دول الرابطة المستقلة.

وفي عام ١٩٩٩ زار سورية أيغور ايفانوف وزير الخارجية الروسي آنذاك، قابلها زيارة وزير الخارجية السوري آنـذاك فـاروق الشرع إلى موسكو بعد فترة قصيرة، وكانت تمهيداً لزيارة الرئيس حافظ الأسد إلى موسكو في يوليو/ تموز من العام ١٩٩٩، فارتفعت صادرات روسيا إلى سوريا من ٩٥ مليون دولار عام ٢٠٠٠ إلى ١٣٨ مليون دولار عام ٢٠٠٢ ، في حين ارتفعت صادرات سورية إلى روسيا من ١١ مليون دولار إلى ١٦ مليون دولار، بنفس الفترة.

انخفض الدعم الروسي في التسعينيات في عهدي الرئيسين غورباتشوف ويلتسين، ولكنه عاد في عهد الرئيس بوتين بوتيرة عالية، وابتدأ بإعادة افتتاح القاعدة البحرية الروسية في ميناء طرطوس، وعقد الصفقات العسكرية، وتقديم خبراء عسكريين، وأسلحة، وتجديد عتاد الجيش السوري، ونتيجة لتوريد الأسلحة وغيرها من السلع بكميات كبيرة إلى سوريا، فإن المديونية السورية لروسيا تجاوزت مبلغ ١٣ مليار دولار.

أما الرئيس بشار الأسد فقد زار موسكو في العامين ٢٠٠٥ و ٢٠٠٦ لحل مسائل المديونية السورية، وفي عام ٢٠٠٥ وقعت بين البلدين اتفاقية مبدئية يتم بموجبها شطب ٧٣ ٪ مـن الـديـون الـسـوريـة، آخـذاً بالحسبان أن المبلغ المتبقي وقدره ٢,١١ مليار دولار سيتم صرفه لتنفيذ العقود الروسية، ونفذت هذه الاتفاقية خلال الزيارة الثالثة للأسد الابن في أغسطس عام ٢٠٠٨ في عهد الرئيس الروسي دميتري مدفيديف.

وعلى الرغم من العديد من المصالح المشتركة، فـإن العلاقات السورية الروسية لم تكن متقاربة على الدوام خلال فترة رئاسة بوتين، ولكن أثناء زيارة الرئيس السوري بشار الأسد إلى روسـيـا عـام ٢٠٠٥، تحسنت العلاقات الروسية السورية بصورة ملحوظة، لدرجة أن روسيا وافقت على أن تبيع أنظمة صواريخ جو دفاعية متقدمة إلى سوريا، وتم عقد اتفاقيات ضخمة ومشاريع كبيرة زاد على ١٠٠ مشروع تجاري واقتصادي، وتم بموجب هذه الزيارة شطب ٧٣ ٪ أي ٩,٨ مليار دولار من صافي ديون سوريا لروسيا، والبالغة ١٣,٤ مليون دولار.

قام الرئيس مدفيدف في عام ٢٠١٠ بزيارة رسمية إلى سـوريـة، حيث أعلن أن روسيا وسـوريـة اتفقتا على تعزيز "الـشـراكـة الإستراتيجية"بين البلدين، وأشـار إلى أن العلاقات التجارية - الاقتصادية في حالة

صعود".
الضغط الأمريكي-الأوربي على سوريا ، وعزلتها عن العالم الغربي، وإحساسها بفقدان الأمن زاد من رغبتها في تقوية علاقتها مع موسكو، مما جعلها تعطي الأسلحة الروسية وشركات النفط الروسية امتيازات للدخول إلى سوريا، وقد لا تكون روسيا مستعدة أو قادرة على الدفاع عن سوريا، إلا أن موسكو لا تريد أن تتحسن علاقات سوريا مع الغرب أو أن تعقد سلاماً مع إسرائيل، لأنه في هذه الحالة سيكون على الشركات الروسية أن تتنافس مع الغربية في الاقتصاد السوري، وهذا شيء غير مرغوب بالنسبة لها، ومن ناحية أخرى، لا ترغب روسيا بوجود نظام غير مرغوب من قبلها يصل إلى السلطة في دمشق، لأن روسيا في هذه الحالة سوف تفقد بالتأكيد أي عقود أو استثمارات أو امتيازات أخرى حصلت عليها من النظام الحالي.

إذن الوضع الحالي في سوريا هو الأنسب بالنسبة لبوتين من أجل الحفاظ على المصالح الروسية القائمة، وفي دمشق يمكنك أن تسمع ديبلوماسيين روساً، وأصحاب مراكز ضغط عديدين يصرحون بأن "سوريا هي آخر منفذ ونقطة تأثير لروسيا في منطقة الشرق الأوسط"، وأن الصناعة العسكرية الروسية بحاجة إلى السوق السورية، ولكن ما مدى أهمية السوق السورية لتجارة الأسلحة الروسية؟، وخصوصاً عند المقارنة مع مبيعات الأسلحة الروسية إلى الصين والهند وفنزويلا، والتي تشكل أكثر من ثلثي شحنات الأسلحة الروسية.

لذا فإن تعزيز العلاقة مع سوريا حاجة روسية لمصالحها في المنطقة، بقدر ما هو حاجة سورية ملحة في دعم سياستها العدوانية تجاه شعبها المنتفض ضد الاستبداد والظلم والقهر والفساد .. إذن الوضع الحالي في سوريا هو الأنسب بالنسبة لروسيا من أجل الحفاظ على مصالحها القائمة.

الدولة التركية سعت، وما زالت، لضمان موطئ قدم رئيسي لها في الترتيبات السياسية، والتوازنات الإقليمية في المنطقة، وهي تحاول الترويج لنموذجها "الديني العلماني" بدعم من السياسة البراغماتية للرئيس الأمريكي "أوباما" باعتباره الأنسب، وبدا ذلك جلياً في جولة رئيس وزرائها أردوغان إلى كل من مصر وتونس وليبيا في سبتمبر٢٠١١.

ولذلك سعت إلى التحكم بزمام الأمور في المنطقة، وبالتالي فرض هيمنتها وإرادتها على أي قرار يتعلق بمنطقة الشرق الأوسط،، وبداية هذه الخطوات كانت من خلال المواقف المتعلقة بانتقاد إسرائيل، وقرار الموافقة على نشر أجزاء من الدرع الصاروخية على الأراضي التركية جاء متزامنا مع الضجة التي أحدثها التوتر التركي الإسرائيلي للتغطية على الموضوع، ورغم ارتياح إيران للتوتر الحاصل في العلاقات التركية الإسرائيلية، فإنها رأت أن الأزمة المفتعلة من قبل الأتراك ليس بسبب أسطول الحرية، وإنما لتغطية هدفين آخرين: أولهما، التغطية على نشر أجزاء من الدرع الصاروخية على أراضيها، وثانيهما، لصرف الانتباه عن مأزق التعامل مع تطورات الأزمة السورية، من خلال التهديدات الجوفاء للنظام السوري بالتوقف عن استخدام آلة القمع تجاه المحتجين، وعجزها عن اتخاذ موقف حاسم يهدد طموحاتها في لعب دور إقليمي مميز في المنطقة.

والسياسة التركية قابلتها إيران بتهديدات مباشرة على لسان وزير دفاعها، حيث قال

"إن أي اعتداء على إيـران من أي جهة في المنطقة والعالم سيواجه برد مدمر".
لكن التهديد الأكبر جاء على لسان مستشار الشؤون العسكرية للمرشد الأعلى الإيراني، حيث قال: إن تركيا ارتكبت ثلاثة أخطاء إستراتيجية في المنطقة، هي: نشر أجزاء من الدرع الصاروخية على أراضيها، والتعاون مع الولايات المتحدة وإسرائيل لزعزعة الاستقرار في سوريا، ومحاولتها الترويج للإسلام العلماني في مصر خلال زيارة أردوغان للقاهرة، وإذا لم تسارع إلى تصحيح أخطائها فإنها تجازف بفقدان شراكتها الاقتصادية مع إيران.
ولكن في حقيقة الأمر فإن الخيارات المتاحة لإيران للتعامل مع الخطوات التركية عملياً لا تسمح لها بخسارة هذه العلاقات، لأنها تعتبر تركيا حليفاً استراتيجياً، والأمثلة الداعمة لهذه الفكرة كثيرة، منها:
- تقليص الضغوط الدولية، كما حدث في مايو ٢٠١٠عندما وقعت مع تركيا والبرازيل على "الاتفاق النووي"، والذي هدف لتسوية سلمية لأزمة الملف النووي الإيراني.
- امتناع تركيا عن تأييد قرار مجلس الأمن رقم ١٩٢٩ في يونيو ٢٠١٠، والذي فرض عقوبات واسعة على إيـران بسبب عـدم استجابتها لمطالب وقف عمليات تخصيب اليورانيوم، مع العلم أنها التزمت بتطبيق بنود القرار فيما بعد.
- بفعل هبوب ريـاح التغيير الربيعية على بعض الدول العربية، وامتدادها إلى حليفتها الرئيس سوريا، فإنها غير مستعدة إلى فقدان حليفها الاستراتيجي أيضاً، وخاصة شراكتها الاقتصادية بعد أن وصـل حجم التبادل التجاري بينهما من ١٥ -١٠ مليار دولار مع توقعات بارتفاعه، في ظل الحصار الاقتصادي الغربي لها.
- الحفاظ على الاتفاقات الأمنية المبرمة بين الطرفين في مواجهة أي مطالب كوردية من أي نوع، فضلاً عن التنسيق والتعاون القائم بينهما منذ أمد بعيد في مواجهة حزب العمال الكردستاني(ب ك ك)، وحزب الحياة الحرة (بيجاك).
والعلاقات التركية الإيرانية السورية التي سادها التوتر لمدة سبعة عقود تقريباً، تغيرت بشكل كلي عقب حرب العراق ٢٠٠٣، ودخلت تركيا في علاقات مع سوريا وإيران، اللتين ارتبطتا معاً بتحالف استراتيجي قوي، وخاصة بعد استيلاء الأسد الابن على السلطة في سوريا، في وقت كانت أمريكا تحاول عزل هذين البلدين، وتقاسمت الدول الثلاث، تصور الخطر المشترك من إمكانية إنشاء دولة كردية، تدعم النزعات الانفصالية بين أقلياتها الكردية، ولهذا وقعت الدول الثلاث سلسلة من الاتفاقات الأمنية لمنع قيام دولة كردية، وحتى إقليم فيدرالي.

وكـان سيرغي ماركوف مدير معهد الأبحاث السياسية في روسيا قد صرح: إن مصلحة أنقرة مفهومة، فهي تريد موقع الريادة في المنطقة، وإقامة نظام صديق لها في دمشق، فهذا من شأنه أن يساعد على حل المسألة الكردية على سبيل المـثـال... وتابعت الصحيفة: إن كافة تصرفات السلطات التركية الأخـيرة، في ليبيا وسوريا وأثناء زيارة أوردغان إلى مصر، ترمي إلى هـدف واحـد، هو تعزيز مساعي أنقرة المتطلعة لدور الزعيم الإقليمي، وتعمل تركيا بنشاط على طرح نموذجها الاجتماعي - السياسي القائم على الجمع بين الإسلام المعتدل والحداثة العلمانية.
ونـظـراً لـتـشـابـك الـعـلاقـات الاقـتـصـاديـة

والتجارية والسياسية - الروسية الإيرانية التركية السورية - فإن روسيا، وبضغط رئيسي من إيران، وموافقة ضمنية من تركيا، تمارس للآن سياسة ترمي إلى دعم نظام الأسد، وتتخذ موقفاً مضاداً لأي قرار لعزله على الصعيد الدولي أو رحيله، وحتى أن وزير الخارجية الروسي أصبح يتكلم نيابة عن مسؤولي النظام، كما أن الرئيس الروسي ميدفيديف أكد على ضرورة مواصلة البحث عن أساليب متفق عليها لدعم تسوية الأزمة من قبل السوريين أنفسهم، دون أي تدخل خارجي، مع احترام السيادة السورية، وذلك في محافل دولية مختلفة، بما فيها مجلس الأمن للأمم المتحدة.
وروسيا، يهمها في سوريا عدة أمور، منها أمران هامان، وهما: المحافظة على قاعدتها البحرية العسكرية في طرطوس، وتجنب الرحيل من المنطقة برحيل النظام، ولذلك فالنزاع الحالي بين الأسد وأردوغان لا ينبغي لموسكو أن تقف إلى جانب أي من الطرفين، بل أن تحافظ على العلاقات معهما كليهما، وهذا الموقف قد يساعد روسيا في المستقبل إذا قدر لها أن تلعب دور الوسيط بينهما.
وهذا ما أثبته مدفيديف في تصريحاته عن الجهود الروسية الرامية إلى إطلاق الحوار بين الأطراف السورية، ودعم الإصلاحات الديموقراطية هناك بناء على طلب من أردوغان، ولذلك أجرى الروس محادثات مع النظام السوري قام بها وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف ومدير هيئة الاستخبارات الخارجية ميخائيل فرادكوف.
وأكد مدفيديف أن روسيا والصين انطلقتا من هذه الاعتبارات عندما لجأتا لحق النقض خلال التصويت الأخير في مجلس الأمن حول مشروع القرار بشأن سورية الذي لم يسمح بتقييم الوضع في هذا البلد بطريقة موضوعية، وتوجيه رسالة متزنة لأطراف النزاع.
وآخر المستجدات هي دعوة وزير الخارجية الروسي إلى حضور الجلسة الافتتاحية للجامعة العربية، وألقى كلمة نيابة عن النظام السوري، قال فيها "يقول البعض إن لدينا مصالح معينة.. ولكننا لم نشن حرباً استعمارية في منطقتكم، وحجم علاقتنا التجارية مع الدول المشار إليها أقل من علاقتنا مع دول أخرى، ونحن لا نسعى للاستفادة الاقتصادية" وقال "إذا اتفقنا جميعاً على ذلك فلن نخوض في قضية من يقع عليه اللوم في الأزمة، ولكن المهمة الملحة هي إنهاء العنف أياً كان مصدره".
يبدو أن السيد لافروف نسي بل يتناسى من الذي استخدم العنف والقتل المنهج، واستخدم الطائرات والدبابات التي تحرث في خيلاء شوارع المدن والبلدات والقرى السورية، وتدكها بقذائف انشطارية، والشبيحة بمرافقة الكتائب الأسدية ينهبون البيوت والمحلات، ويغتصبون الحرائر، ويقتلون الأطفال.. إنهم يقتلون ولا يكتفون بالقتل، بل يلجؤون للتمثيل بالجثث، ويرسلونها مشوهة إلى أهلهم، وهم يجرحون، ولا يسمح للجرحى بالاستشفاء، بل يقتلونهم في المستشفيات، ويقتلعون حناجرهم التي غنت للثورة، ويكسرون أصابعهم التي رسموا بها صورهم، ويجعلون من أجساد الأطفال منافض لحمية، ويبترون أعضائهم التناسلية.. فالسيد لافروف تعامى عن ذكر الحقائق التي نبهه إليها الشيخ حمد، والأمير سعود الفيصل في كلمتيهما:
الشيخ حمد انتقد بحدة الموقف الروسي، وقال: "هناك إبادة ممنهجة من قبل الحكومة السورية في ظل حديثنا الآن عن وقف إطلاق

النار" و "بعد ما تم من قتل لا يمكن أن نقبل فقط بوقف إطلاق النار" و"لا نريد أن يكافأ احد بهذه الطريقة" وتابع "هناك قتل ممنهج تم من قبل النظام للشعب السوري" و "أن من أطلق عليهم النظام عصابات مسلحة هي مجموعات شكلت في الأشهر الثلاثة الأخيرة دفاعاً عن النفس بعد قتل الشعب السوري بدم بارد".

أما الأمير سعود الفيصل فقد قال "الموقف المتراخي والمتخاذل من قبل الدول التي أفشلت قرار مجلس الأمن وصوتت ضد قرار الجمعية العامة في ما يتعلق بالشأن السوري منح النظام السوري الرخصة للتمادي في الممارسات الوحشية ضد الشعب السوري دون شفقة أو رحمة" و " أن بعضاً ممن عبروا عن مساندتهم للمبادرة العربية لمعالجة الأزمة في سوريا اختاروا أن يجهضوها عندما جرى طرحها أمام مجلس الأمن لتسجيل موقف اقل ما يقال عنه انه يستهين بأرواح ودماء المواطنين الأبرياء في أنحاء مختلفة من سوريا".

لكن المؤتمر الصحفي المشترك بين لافروف والشيخ حمد جاء مخيباً للآمال، حيث نص اتفاق تسوية الأزمة السورية بين روسيا والجامعة العربية على خمسة أسس، هي:

- وقف العنف من أي مصدر كان
- إنشاء آلية رقابة محايدة
- لا تدخل خارجي
- إتاحة المساعدات الإنسانية لجميع السوريين بدون إعاقة
- الدعم الكامل لجهود الموفد الدولي كوفي أنان إلى سوريا استناداً إلى المرجعيات التي قبلتها الأمم المتحدة والجامعة العربية.

صحيح أن هناك تدخلاً مباشراً ودعماً للنظام من روسيا والصين وإيران و وحزب اللات و... وميوعة في المواقف الأمريكية والأوربية والتركية، ولكن بعد سقوط حاجز الخوف، فإن إستراتيجية البقاء لدى النظام سقطت، وهو يريد أن يستعيدها بأي ثمن، وأن الموقف الروسي لن يستمر طويلاً وراء ما يلاقيه من ضغوط دولية كبيرة ومقاطعة عربية واسعة النطاق، كما أن الروس معروفون بخذلانهم لحلفائهم في آخر المطاف، وسيفعلونها مع نظام الأسد بكل تأكيد، وبدايته كانت بالاتفاق مع الجامعة العربية بالدعوة إلى رحيل الأسد.. لكن الشعب السوري لا يراهن على هذه المواقف، وقد تجاوزها، فهو بصدد صنع الحدث بسواعد أبنائه الشرفاء، والله معهم وناصرهم، لأنهم مظلومون مقهورون.

(*)اتفاقية مونترو: وقعت اتفاقية مونترو في سويسرا عام ١٩٣٦ بمشاركة الاتحاد السوفياتي وتركيا وبريطانيا وفرنسا واليونان وبلغاريا ورومانيا ويوغسلافيا واليابان وأستراليا وغيرها، وتعتبر الاتفاقية وثيقة دولية تحدد نظام المرور عبر مضايق البحر الأسود، ونصت الاتفاقية على حرية المرور عبر المضايق للسفن التجارية في أوقات السلم والحرب، وسمحت بمرور السفن الحربية لدول حوض البحر الأسود بدون أي تحديد، أما السفن الحربية التابعة لدول من خارج حوض البحر الأسود، فسمحت بأن تكون سفناً سطحية وخفيفة ومساعدة، بحيث لا يزيد عدد المجموعة عن تسع سفن مارة عبر المضيق في آن واحد، وبحمولة إجمالية لا تتجاوز ١٥ ألف طن، أما الحمولة الإجمالية لكافة السفن التابعة للدول الواقعة خارج حوض البحر الأسود فتحدد بـ ٣٠ ألف طن، وقد تزيد حتى ٤٥ ألفاً، كما تحدد الفترة القصوى لتواجد هذه السفن الأجنبية في حوض البحر الأسود بثلاثة أسابيع.

الكرد وحق تقرير المصير

د. كاميران حاج عبدو
الترجمة عن الكردية: مكسيم عيسى

بعد أن عقد المجلس الوطني الكردي في سوريا مؤتمره التأسيسي في ٢٦,١٠,٢٠١١ وأقر حل القضية الكردية في سوريا وفق مبدأ حق تقرير المصير ضمن إطار دولة ديمقراطية تعددية ذات نظام سياسي لامركزي، عبّر الكثيرون عن آرائهم ووجهات نظرهم المختلفة حول هذا الطرح. إذ رفض الكثيرون ذلك، وهناك من عبر عن استيائه من هذا القرار مقابل من أيده وسانده. لذلك أرتأيت أنا أيضاً إبداء رأيي ووجهة نظري حول هذا الموضوع مساهمة مني في النقاش والحوار بغية خدمة مصلحة أمتنا الكردية.

حق القوميات / الشعوب في تقرير مصيرها

تعود جذور مبدأ حق تقرير المصير إلى القرن السابع عشر. ففي عام ١٦٥٩ ألف الفيلسوف جون آموس كومينيوس- Johann Amos Comenius كتابه (رفاهية الشعب- Gentis Felicitas). في هذا الكتاب يعرَف كومينيوس الشعب ويحدد ١٨ شرطاً لتحقيق الرفاهية، من بينها الحكم المستمد من الشعب. وفي القرن الثامن عشر سمّي مبدأ حق تقرير المصير بسيادة الشعب. نشر الفيلسوف الفرنسي المعروف جان جاك روسو عام ١٧٦٢ كتابه: (العقد الاجتماعي) جاء فيه تعريف حق تقرير المصير على أنه سيادة الشعب. هذه الفكرة (سيادة الشعب) انتصرت من خلال الثورة الفرنسية واستقلال أمريكا على الفكر الأرستقراطي (حكم السلالة او العائلة) السائد آنذاك.

فكرة حق تقرير المصير تم اعتمادها بهذه التسمية في عام ١٩١٤ من قبل لينين، قائد الثورة الشيوعية في روسيا وطبقت بعد انتصار ثورة اكتوبر عام ١٩١٧. كما أن الرئيس الأمريكي ودرو ويلسون أقر هذا المبدأ ضمن مبادئه الأربعة عشر للسلام.

بعد الحرب العالمية الثانية اكتسب مبدأ حق تقرير المصير قوة قانونية ودولية بوروده في ميثاق منظمة الامم المتحدة الصادر عام ١٩٤٥ وفي العديد من وثائقها وقراراتها. ورغم ذكر هذا المبدأ أكثر من مرة في الميثاق، إلا أن الأهم برأيي هو تضمينه الفقرة الثانية من المادة الأولى في الفصل الأول لميثاق الأمم المتحدة ضمن أهداف المنظمة الدولية.

في عام ١٩٦٦ أصبح من الضروري أن يكون هناك دعم دولي لمبدأ حق تقرير المصير، لذلك تم تثبيته في العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية، والعهد الدولي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. وقد أصبح اليوم

مبدأ حق تقرير المصير من المبادي الأساسية في القانون الدولي، حيث يرد في العديد من المواثيق والمعاهدات والقرارات الدولية، لعل أهمها:

١)) ميثاق الأمم المتحدة، حيث ورد في المادة الأولي من الفصل الأول للميثاق ضمن أهداف الأمم المتحدة. كما وأعيد ذكر حق تقرير المصير في المواد التالية أيضا (٥٥ و ٧٣ و ٧٦) من ميثاق الأمم المتحدة.

(٢) في اجتماعها الثامن اتخذت لجنة حقوق الإنسان للأمم المتحدة بتاريخ ٢٧,٠٦,١٩٥٢ قرارا تاريخيا فيما يخص هذا المبدأ حيث جاء فيه: (لكل شعب أو قومية الحق في تقرير مصيره وتحقيق تنميته من النواحي السياسية والاجتماعية والثقافية بحرية.

٣)) القرار رقم ١٥١٤ الصادر عن الأمم المتحدة بتاريخ ١٤,١٢,١٩٦٠ الذي سمي حينها بـ (إعلان منح الاستقلال للبلدان والشعوب المستعمرة). هذا الإعلان جاء فيه : (لجميع الشعوب الحق في تقرير مصيرها، ولها بمقتضى هذا الحق أن تحدد بحرية مركزها السياسي وتسعى بحرية إلى تحقيق تنميتها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية .(

٤)) القرار رقم ٢٦٢٦ الصادر عن الأمم المتحدة بتاريخ ٢٤,١٠,١٩٧٠ والذي سمي حينها بـ (إعلان مبادئ القانون الدولي) والذي يوضح بأن مبدأي: المساواة في الحقوق وحق تقرير المصير للشعوب، أساسيان في القانون الدولي.

٥)) البند الأول من العهدين الدوليين لحقوق الإنسان يوضحان بأن لكل شعب الحق في تقرير مصيره. و بهذا الحق يمكن لكل شعب تحديد مركزه السياسي وتطوره الإقتصادي والاجتماعي والثقافي بحرية.

كتب كثيرون حول مبدأ حق تقرير المصير، منهم جيان بدرخان من المركز الكردي للدراسات والاستشارات القانونية –ياسا- الذي أعد بحثاً عن حق تقرير المصير(http:// www.arras.yasa-online.org/reports/YASA-Special-report.pdf). لذلك لن أتطرق إلى ذلك وأكرره هنا، فقط أريد التذكير بأن حق تقرير المصير يعني سيادة الشعب على أرضه، واختياره لشكل إدارة أموره السياسية والإقتصادية بحرية. وهذا يعني إما إقامة دولة مستقلة أو الاتحاد الاختياري مع شعب أو شعوب أخرى مع مراعاة المصلحة العامة لكل الأطراف، وكذلك مراعاة المصالح والحريات الفردية للمواطنين.

ما هو الشعب؟ ومن هو؟

قبل الدخول في تفاصيل الموضوع أي: ,,الكرد وحق تقرير المصير,, من الضروري أن نذكر بتعريف الشعب. هناك آراء مختلفة في هذا المجال، لكن هناك قواسم مشتركة كثيرة بينها. فبالعودة إلى بيان اجتماع فقهاء القانون الدولي الذي انعقد في باريس بتاريخ ٢٧-٢٨ من أكتوبر عام ١٩٨٩ نجد بأنه حتى: تعرّف مجتمع أو جماعة على أنها شعب يجب أن تتوفر فيها الخصائص التالية:

- الامتداد التاريخي المشترك.
- الخصوصية الإثنية.
- الثقافة المشتركة.
- وحدة اللغة
- جغرافية مشتركة.
- حياة اقتصادية مشتركة.
- ديانة مشتركة (يمكن توفرها، لكنها ليست شرطا).
- إرادة قومية مشتركة (أي شعور تلك الجماعة

بأنها شعب).
- وجود تنظيمات ووسائل لحماية وتطوير خصوصيات ذلك المجتمع.
مما لاشك فيه هو أن الشعب الكردي واحد من أقدم شعوب منطقة الشرق الأوسط، ورغم توفر كل شروط الأمة لديه، فإنه مازال محروما حتى الآن من دولة خاصة به ومن أي إطار سياسي يحمي وجوده وخصوصياته و يضمن تطوره.
الشعب الكردي الذي يعيش على أرض آبائه وأجداده منذ آلاف السنين لعب دورا كبيراً في بناء وتقدم حضارة المنطقة، وهو يمتلك كافة مقومات الشعب/ الامة من تاريخ ولغة وأرض وتراث وإرادة مشتركة. ووفق كل المعاهدات والمواثيق الدولية ومبادئ القانون الدولي، له الحق في تقرير مصيره ومستقبله بحرية على أرضه التاريخية، وفق ما هو منصوص عليه في القانون الدولي. وهذا يعني بأنه كغيره من شعوب العالم له الحق حتى في دولة مستقلة وموحدة.
لنترك هذا جانبا و نأتي إلى الوضع الحالي للشعب الكردي الموزع بين أربع دول. ففي كل دولة بات الشعب الكردي –بتعداده- أقلية قومية. والسؤال هنا: إذا كان من حيث المبدأ للشعب الكردي الحق في تقرير مصيره كباقي الشعوب، لتوفر كافة المقومات لديه وفق القانون الدولي، فما هي حقوقه في كل دولة بحدودها الحالية التي وضعت دون إرادته؟
للإجابة على هذا السؤال بشكل واضح لابد من العودة إلى بعض التعريفات والقوانين والوثائق والمواثيق الدولية المرتبطة بقضايا الشعوب والأقليات القومية، وفي البداية يجب تناول:
- تعريف الأقليات القومية في القانون الدولي.
- حقوق الشعوب والأقليات القومية في القانون الدولي.
كما هو معروف تم تقسيم الشعب الكردي وأرضه التاريخية بعد الحرب العالمية الأولى بين أربع دول، ثلاثة منها (سوريا والعراق وتركيا) تأسست آنذاك. وفي الوقت الذي كان يشكل فيه الأكثرية على أرضه كردستان، بات في كل من تلك الدول الأربعة (تركيا وإيران والعراق وسوريا) أقلية من حيث العدد. والسؤال هو: هل يعرّف الكرد في تلك الدول وفق القانون الدولي بأنهم شعب أم أقلية؟ و إن كانوا أقلية، فما هي ميّزات وخصائص تلك الأقلية؟
في عهد عصبة الأمم تم تعريف الأقلية بالشكل التالي: "جماعة من مواطني دولة، يشترك أفرادها في الاثنية أو الدين أو اللغة التي تميزهم عن بقية السكان" ويتضامن هؤلاء مع بعضهم للحفاظ على خصائصهم المميزة. والأقلية نوعان:
- ١ مواطنو دولة أجنبية، ٢- مواطنو الدولة نفسها أي التي يقيمون فيها.
بالرغم من وجود أكثر من تعريف للأقلية في عهد عصبة الأمم لكن جميعها تتفق على المبادئ التالية: ١) اللغة المشتركة، ٢) الثقافة المشتركة، ٣) المصير التاريخي المشترك.
وهذا يدل على أنه منذ عهد عصبة الأمم كانت الأقلية تعرّف كشعب أو قومية لكنها بلا دولة.
بعد التوضيحات الآنفة الذكر يمكن تصنيف الأقليات ضمن ثلاث مجموعات: أقلية دينية وأقلية لغوية وأقلية عرقية وهي تعرف اليوم بالأقلية القومية أوالإثنية.
بالعودة إلى القوانين والمواثيق والمعاهدات الدولية المختلفة نرى بأن الأقلية القومية تعرّف بالشكل التالي: الأقلية القومية تعرّف عن نفسها من خلال خصوصياتها العرقية، أي

بمعنى البيولوجية والجينية الظاهرة، وأيضا من خلال خصوصياتها الإثنية، بمعنى الثقافية والتاريخية. و للأقلية القومية عنصر آخر وهو الشعور والوجدان المشترك والإرادة السياسية للاستقلال. حسب هذا التعريف نجد بأن الأقلية القومية (العرقية – الإثنية) مطابقة تمام لمفهوم الشعب. من جهة أخرى يقول أستاذ القانون الدولي الألماني، كاي هايلبرونر Kay Heilbronner، بأن الأقلية التي تعيش كأكثرية ضمن إطار جغرافي على أرض محددة ولها ارتباط تاريخي بتلك الأرض، عندها تكون تلك الأقلية شعبا. ويؤكد الخبير في لجنة حقوق الإنسان كريستيسكو Cristesco على أن وجود علاقة تاريخية مع الأرض يعد شرطا أساسيا بالنسبة للشعب.

لذلك تكتسب الأقلية القومية (العرقية – الإثنية) صفة الشعب، وما يميزها اليوم عن الأقليات الأخرى هو حقها في تقرير المصير.

تم التطرق إلى حقوق الأقليات في العديد من المواثيق والاتفاقيات الدولية. لكن أهم هذه المواثيق هي العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية (المادة ٢٧) والميثاق الأوربي لحقوق الإنسان. و لكن الأهم في موضوعنا هذا هو أنه لا يوجد فرق بين الأقلية القومية والشعب في الحقوق الدستورية.

من الممكن أن يقال بأن الكرد بتعدادهم الحالي في الدول التي تتقاسم كردستان يعتبرون أقليات، وعليه فإن حقوقهم تقتصر على حماية وجودهم ولغتهم وثقافتهم ومساواتهم مع الآخرين، وألا يكونوا ضحية للتمييز. نعم... هذا كلام جميل، ولكن ضمن أي من الأقليات يصنف الكرد؟

كما ذكرت سابقا بأن الكرد ومنذ آلاف السنين يعيشون على أرضهم التاريخية ولهم لغتهم وثقافتهم وتاريخهم ووجدانهم المشترك، وهم يفتخرون بذلك. علاوة على أن الكرد يشلكون في أجزاء كردستان الأربعة أكثرية وهم يعيشون على أرضهم التاريخية منذ ما قبل تأسيس الدول الأربع التي تتقاسمهم، لذلك يتمتعون بصفة شعب. وبالرغم من أنهم بتعدادهم الحالي في تلك الدول الأربعة يشلكون أقلية - إذا تم اعتبارهم أقلية- لكنهم أقلية قومية تعيش على أرضها التاريخية. ومهما كان من الصعب للبعض الاعتراف بالكرد كشعب، فإن الكرد حتى بهذا المفهوم (الأقلية القومية) يتمتعون بصفة الشعب وحسب الإيضاحات التي ذكرتها في البداية، لهم الحق في تقرير مصيرهم.

و هنا يتم التأكيد على أن الشعب الكردي الذي له الحق في تقرير مصيره على أرض كردستان، فإنه يملك الحق ذاته داخل كل دولة تضم جزءا من كردستان. و لهذا الحق (حق تقرير المصير) معنيان فقط:

١- الاتحاد الاختياري مع الشعوب الأخرى التي تعيش في تلك البلدان الأربعة.

٢- الاستقلال وبناء دولة كردستانية مستقلة.

في الوقت الحالي لا تطالب حركة التحرر الكردية في أي جزء من أجزاء كردستان الأربعة بالانفصال وتشكيل دولة مستقلة، بالرغم من أن ذلك حق شرعي للكرد. إذ أنها تطالب بحل القضية الكردية ضمن إطار الحدود الحالية في المنطقة. رئيس إقليم كردستان العراق، مسعود البارزاني، يقول: "لم نطالب بدولة كردية. أقول مرة أخرى لم نطالب بذلك، ليس لأننا لا نرى أن تأسيس دولة كردية حق لنا، وليس لأننا لا نريد ذلك، وإنما لأننا لا نراه أمراً واقعيا. هناك وضع راهن، فلو رفعنا هذا الشعار الآن

قد لا يكون ممكنا. ليس لدينا القوة اللازمة لتحقيق هذا المطلب وليس هناك من يساندنا أيضاً. وقد تكون أضرار هذا المطلب أكثر من فوائده على شعبنا. نحن طالبنا بحقوق الكرد من خلال حل فيدرالي أقره برلمان منتخب يمثل إرادة الشعب الكردي. وهؤلاء الذين هم ضد إقامة دولة كردية هم أحرار في رأيهم، هذا حقنا ولكننا لم نطالب به".

حتى لو طالب الكرد بالإنفصال فهذا حق شرعي وقانوني لهم، لأنهم حينها سينفصلون عن دول لم تتعامل معهم سلطاتها بغير لغة القتل والاضطهاد والحرمان من الحقوق، دول لا شراكة معها سوى هذه الحدود المصطنعة والدين الإسلامي.

بالعودة إلى مبادئ حركة التحرر القومي الكردية نجد بأنها لم تطالب بغير اتحاد اختياري حر، ولم تطالب بأكثر من الفيدرالية في الوقت الراهن. لذلك يشكل الكرد عنصرًا من عناصر وحدة تلك الدول، وكل من لا يرى هذه الحقيقة أو لا يدعم تمتع الكرد بهذا الحق، فإنه يقوض أسس الوحدة والحياة المشتركة. ولهذا فإن كل من يقف عائقا أمام طريق اكتساب الكرد لحقوقهم المشروعة، يهدد وحدة تلك البلدان وليس الكرد هم من يهددونها. فالطورانيون الترك والشوفينيون من العرب والرجعيون الفرس الذين يقفون في وجه مطالب الكرد، يعقدون اجتماعات مشتركة ويضعون خطوطا حمراء أمام إرادة ومطالب الشعب الكردي، ولا يتركون فرصة للعيش المشترك والاتحاد الاختياري، وبهذا يهددون السلام والاستقرار في الدول التي يعيش فيها الكرد ومنطقة الشرق الأوسط برمتها.

الشعب الكردي في سوريا وحق تقرير المصير

هنا أريد أن اقف عند قرار المجلس الوطني الكردي في سوريا، الذي يمثل الشعب الكردي في سوريا والذي يضم العديد من التنظيمات والتنسيقيات الشبابية والشخصيات المستقلة وغالبية الأحزاب الكردية ما عدا حزب الاتحاد الديمقراطي PYD/ PKK، حيث رأى المجلس في مؤتمره التأسيسي بتاريخ ٢٦,١٠,٢٠١١ حل القضية الكردية في سوريا على النحو التالي: "بناء دولة ديمقراطية تعددية برلمانية علمانية وعلى أساس اللامركزية السياسية يقرر فيها الشعب الكردي مصيره ضمن إطار وحدة البلاد".

و هذا يعني بأن المجلس الوطني الكردي قد أقر الاتحاد الاختياري وليس الانفصال عن سوريا وعبارة (ضمن إطار وحدة البلاد) واضحة جدا. لذلك يمككنا القول بأن مطلب المجلس الوطني الكردي واضح جدًا ويتوافق مع المواثيق والمعاهدات الدولية والقانون الدولي. ولكن هناك العديد من الشخصيات والمثقفين والسياسيين من بينهم كرد أيضا يقولون:

١) حق تقرير المصير يعني الانفصال، وعندما نقول في إطار وحدة البلاد فإننا نناقض أنفسنا!

٢) الكرد في سوريا أقلية، ولذلك ليس لهم الحق في تقرير المصير!

٣) والبعض يقول إن المناطق الكردية في سوريا منفصلة ولا تشكل وحدة جغرافية، وبالتالي ليس لنا أن نطالب بحق تقرير المصير.

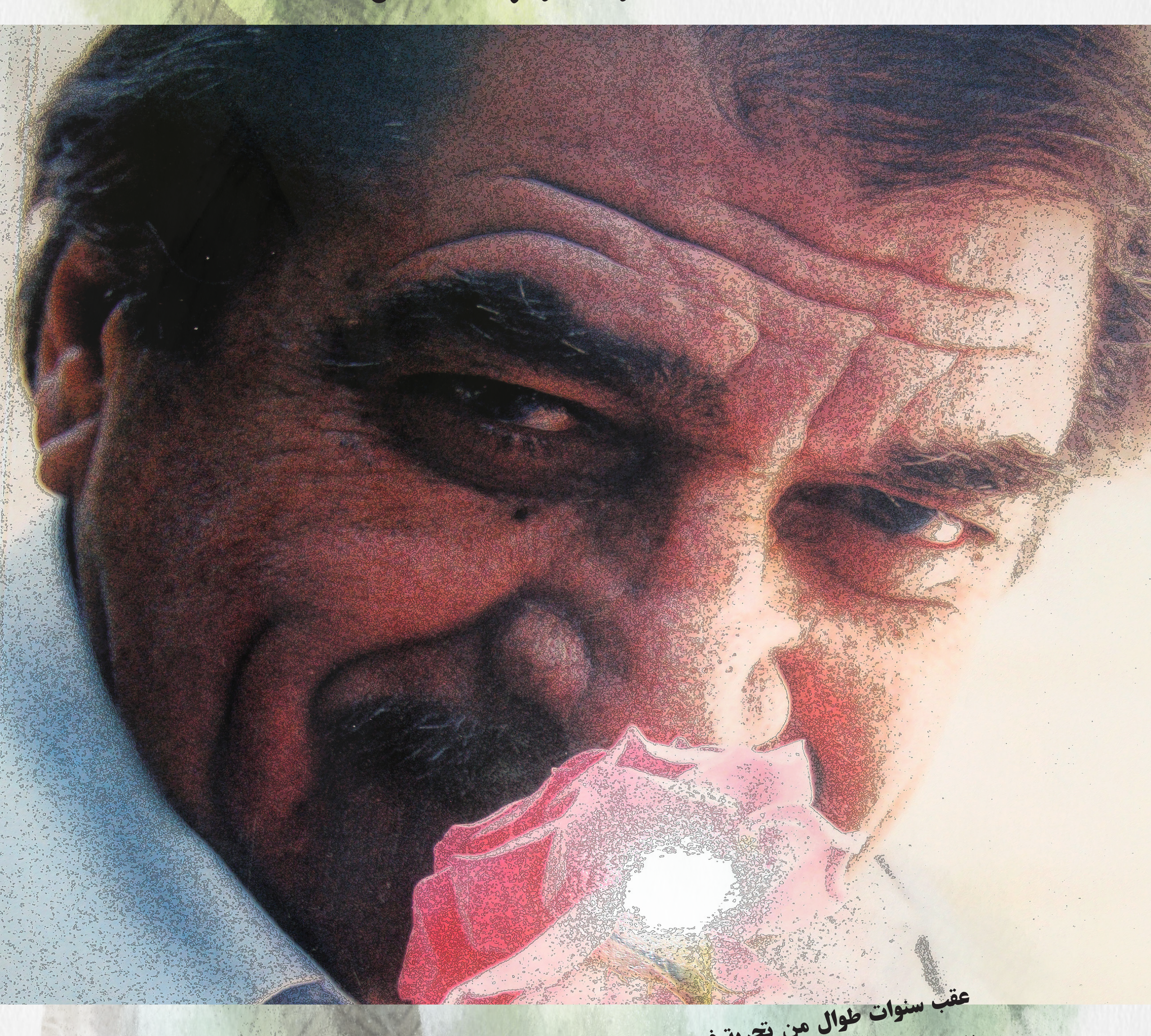
لن أتوقف مطولاً عند النقطتين الأولى والثانية، حيث الرد عليهما ورد فيما ذكر أعلاه، لكن أود القول بأنه هؤلاء ينسون بأن حق تقرير المصير يتضمن أيضا حق الاتحاد الاختياري وليس حق الانفصال وإقامة دولة مستقلة فقط. كما أنهم ينسون بأننا في سوريا حتى لو تم اعتبارنا

أقلية، فنحن أقلية قومية، و التي لا تختلف بالفهم القانوني عن الشعب، ولنا بموجب ذلك الحق بتقرير المصير كباقي الشعوب.
بالنسبة للنقطة الثالثة أقول بأن هناك دولاً مستقلة كثيرة لا تشكل أراضيها وحدة جغرافية. أي أن مقاطعات أو مناطق من تلك الدول منفصلة جغرافيا عنها، والتي تدعى باللاتينية Exclavis وتعني بالعربية (المعزول). و هناك أمثلة كثيرة على ذلك، نذكر منها:
- أرض دولة فلسطين المؤلفة من مقاطعتين منفصلتين (الضفة الغربية وقطاع غزة).
- الولايات المتحدة الأمريكية (ولاية آلاسكا).
- روسيا (مقاطعة كالييننغراد- Kaliningrad المنفصلة جغرافيا عن روسيا).
- إيطاليا (مدينة كامبيون دي إيطاليا- Campione d'Italia داخل سويسرا).
- كرواتيا (دوبروفنيك-نيرتفا -Dubrovnik Neretva، وهي مقاطقة كرواتية منفصلة عنها جغرافيا).
- ألمانيا (بوزينغن أم هوخ راين- Büsingen am Hochrhein، وهي مدينة ألمانية داخل سويسرا).
بالتأكيد هناك العشرات من الدول بهذا الشكل في مختلف القارات (آسيا وأوربا وأمريكا وأفريقيا) لا مجال لذكرها جميعا هنا.
وعلى مستوى الدولة الواحدة توجد مقاطعات وولايات فيدرالية ومناطق حكم ذاتي غير متصلة ببعضها جغرافيا. هنا أيضا سأذكر بعض الأمثلة حول ولايات فيدرالية أو مناطق ذات حكم ذاتي، تتبعها مناطق منفصلة عنها جغرافياً، مثل:
- ولاية بريمن- Bremen في ألمانيا التي تتبعها مدينة بريمرهافنBremerhaven- وتبعد عنها ٦٤ كيلو متراً. أي أن هذه الولاية الاتحادية بحد ذاتها منقسمة إلى قسمين.
- ولاية هيسين - Hessen في ألمانيا أيضاً تتبعها منطقة أوبرلاودن باخ Ober-Laudenbach الواقعة في ولاية ألمانية أخرى (بادن فورتمبيرغ- Baden- Württemberg). وبالمقابل يوجد داخل منطقة أوبرلاودن باخ جزء من مقاطعة بادن فورتمبيرغ أيضا.
أيضا في النمسا توجد منطقة بهذا الشكل، إذ أن الجزء المسمى أوست تيرول Osttirol جزء من ولاية تيرول الفيدرالية ولكنه غير متصل معه جغرافيا.
- وفي سويسرا الفيدرالية أيضا هناك الكثير من الأقاليم الفيدرالية (كانتونات) غير المتصلة جغرافيا. ولكي لا أقوم بتعدادها كلها. انظروا إلى خارطة سويسرا المؤلفة من ٢٦ كانتوناً.
في الختام لهؤلاء الذين يدّعون بأن حق تقرير المصير حق رجعي وغير عصري وهو كلام كبير وحمل ثقيل يصعب حمله أو أنه حق مشروع ولكن ليس للكرد، أقول لهم: إن حق تقرير المصير يتمتع اليوم بقيمة وأهمية وشرعية أكبر من أي وقت مضى. و قد ورد في البند الأول من العهدين الدوليين لحقوق الإنسان كأساس لحقوق الانسان. وماذا عسانا أن نقول أكثر من ذلك؟

المراجع:
١- نوفك مانفريد: العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية و البروتوكول الاختياري الملحق، CCPR-Kommentar، ستراسبورغ ١٩٨٩ ، الصحفة ٥٢٥
٢- مسعود البرزاني، حديث أمام المجلس الوطني في كردستان، أربيل، آذار ٢٠٠٢

ملف

الشاعر شيركو بيكەس



عقب سنوات طوال من تجربة فريدة مبدعة، غيرت خارطة الشعر الكردي الحديث، وأعادت رسم معالمها بأنامل ابداعية وتحديثية. سنين تخللتها حياة الجبل الدانية من أنصار التحرر، والمنافي البعيدة عن الوطن ولكن دانية دوماً من نبضه.. فقد ارتأت مجلة (سردم العربي) ان تخصص هذا الملف لـ(شيركو بيكس) من أجل اطلاع المثقفين العرب على تجربته الرائدة في الشعر والرؤيا والحياة.

نَصْنَصَةُ التَّأْرِيخِ أَمْ أَرْخَنَةُ النَّص؟

شيركو بيكس

فاعل النص الشعر ومنتج المجتمع الشعري



دانا احمد مصطفى

النص، وفاعل النص، والمسطور لأجلهم، هذا الثالوث من مفصليات أو موجدات النص.. إزاء أي حقل كان موجهاً هذا النص.. النص كإطار مادي مستحوذ ومستعمر للعالم الخارجي، كمواد أولية لخلقه وتشكله، وفاعل النص ذلك المنظم والمنسق والمرتب لشتات المفرادات المبعثرة والمستسلبة للعالم الخارجي ضمن نصوص مؤطرة ومحددة، والمتلقي باعتباره اجهزة استقبال جاذبة لمفهوم النص، والمفعول فيهم ذلك النص كوحدات جغرافية واخلاقية وعرقية وسياسية أي جامعة آثرة ومؤثرة.. هذه الاقطاب الاربعة ربما تشتمل فيها كل قطب من ارتباطات وتجادلات وتأثرات مع المحيط الداخلي للنص ذاته والعالم الخارجي المطوق المحاصر للنص نفسه يجب اخذه في الاعتبار عند قراءة وتقييمات أي نص، بمعنى آخر تشريح النص ونوايا فاعل النص وخصوصيات المتلقي، تشريحا موضوعيا مواليا للعلمية ومتعاطفا مع العمل الاكاديمي المألوف، ولا نعني بعلمنة الشعر في هذا السياق تفريغه من مضامينه وتجلياته المتعالية على الحدود والقيود ومن ثم جعله معادلة رياضية بل نقصد بها التحقيق والتمحيص الموضوعي والاجتماعي الولد له.. وهو يعني بالضرورة انصياع النص وانصياع الناص لمؤثرات ومحددات ومعاناة وتقهقرات وتأوهات ومناوشات المتلقي، من ثقافية وسياسية ومعرفية واثنية..

والخطاب الشعري في المجتمع الكردي بكل مفاعله الثقافية وافرازاته التوقانية ومدلولاته الاجتماعية يعتبر ثكنات او محميات اجتماعية نفسية فلسفية عرفانية رافضة محتجة، حصينة ومسورة أو هزيلة مفككة، حسب جدارة وقابلية هذا الخطاب الشعري بوجه التيارات الغازية المستجدة والقاهرة التي تلوح بسحقه واكتساحه ان هو عجز عن المواجهة والانتفاض عليه، أو محاورته والتفاوض معه ان قدر له البقاء والصمود المعقول لوقف تغلغله القاهر، والخطاب الشعري أيا كان معقله النفسي والفكري والثقافي والاجتماعي سواء أكان مهاجِما أم مهاجَما يمكن ترسيم الحدود والتمايز بينهما بالخصال والنعات التي تمظهر كلا منهما..فالشعر والشاعرية يتفاقمان ويتضخمان بل يتعقد بشأنه ايجاد الاليات الكفيلة بسرد مدلولاته وتفهم مغزياته المبطونة داخل المخزون الشعري للشاعر المتشابك هو بعجاب من الداخل، حيث تتواجد دائما وابدا المحفزات والمحرضات الداعمة والدافعة والمعقدة لأي كاتب شعري وتتزامن او لا تتزامن وتغيب ضمن السياقات والنتاجات الفعلية التي نظمها هذا الشاعر، فمن خلال التمعن والتمحيص الفعلي لمفاصل النص الشعري كاملة يستخلص، ولكن من غير حسم نهائي أو فهم مطلق، اهم المحركات والمنشطات بقطبيه الطبيعي والكسبي التي زكت ورجت في بواطن الكاتب رغبة الاستشعار، وضخمت في أفقه الشعري المدلولات والمعاني الجلل التي تنطويها عملية الاستشعار تلك، والشعر ايضا كان ولا يزال مثلا يمثل الاصلح والاجدر من بين جميع الاسلحة التي اختارها الانسان للتعبير عما يكتويه من الداخل، وما يفرمه من الخارج، فهو دثار المقهورين من امثالنا، نحن الشعب الكردي المغلوب على امره، فالشعر كان خالتنا المهوسة، وقناتنا الفضائية المفضلة المهمشة لتجسيد رؤانا واحلام يقظتنا على مر التاريخ.

وشعرنا شعر الغزل الروحاني، الممتزج بعطاءات الاجساد الحرة، المتعالي على النسبية، وتسام على الذات العابرة واللدغات الفاقدة القاتلة للروح الشعرية النافذة المتسربة...

ومن هذه المنطلقات، وانطلاقا من تلكم المنعطفات التي شهدها شعرنا، وخاضها شعراؤنا، يولد هذا هذا المولود الشعري في مخاض، مخاض شاعر عايش عشتنا، وساير قافلتنا، وقادها، وعاين بؤسنا وعذبنا وجسده، وتعمق في الماضي البعيد الغابر وسرد اقصوصاته، وربط وعقد هذا الماضي المخنوق برباط برباط وعقال من البصيرة والعزم الراسخ بحاضرنا.. شاعرنا في الملحمة الشعرية النافذة هو الشاعر المجيد شيركو بيكس.

هذه المقطوعات من قصيدة روائية تعد من اروع ما كتبه هذا الشاعر المبدع ولكن ليس الوحيد، فللشاعر تاريخه الشعري المشهود في الساحة الشعرية الكردستانية، ولكن هذا العمل استثناء من بين اعماله. ان القارئ الذي يطالع على الشعر الكردي من خلال هذا العمل يلفي ان الشعر الكردي شهد تطورات ومنعطفات عظمى باحتكاكه المتحفظ بالحداثة الشعرية التي من جهة لم تهمل الموروث الثقافي والخصوصيات التاريخية الثقافية الايجابية لامتنا الكردية، ومن جهة اخرى حقل وهذب من فضاءاته الدلالية رابطا به بما يشهده الادب الشعري في الساحة الشعرية العالية من تطورات ومستجدات.. فهو أي شيركو بيكس وازن بين الخصوصيات المعقولة للقومية الكردية

وبين لغة الشعر العصرية المتنامية الشفرات والاملاءات..

سبق ان قلنا ان القراءة الموفقة لأي نتاج ادبي يجب ان تأخذ في حسبانها جملة العناصر التي قولبت هذا المنتج في شكله المشهود وساهمت في تكوينه.

النص الشعري من جهة ككلمات ووحدات مكتظة متحاذية، عامل النص باعتباره كائنا مشاعرا يحفز في الداخل المبطون بتعريض من الخراج او من الداخل ذاته، مع عدم اهمال المتلقي، وهو عناصر المجتمع المحيطون بكاتب النص الشعري.

هذه العناصر الثلاثة التي تتشابك وتتداخل احيانا الى حد يكون مستعصيا فيه تفكيكها عن بعض او فصل عنصر من العناصر الاخرى، فالنص الشعري يتخلق اما بتحريض من الذات الشعرية للشاعر بمنأى عن المنفثات المحيطة او يكون بتحريض تلك الدوافع، وخالق النص هو، هو الذي تترى على جوارحه النص الشعري والمتلقي هو اولا المؤثرون او المؤثرات اذا كانت كونية طبيعية، على تفجير المخزون الشعري للشاعر، اذا النص يؤثر في خالق النص وهو يخلق النص بتحريض المصاغ لهم.. وهكذا نجد ان هناك جدلية او أخذ ورد او تاثير وتأثر بين المفاصل الثلاثة ولكن في المحصلة تكون ولادة النص الشعري بمعزل عن فاعله مجرد عدم من اساسه.

الشعر والتنفيس الباطني

ربما البحث في كواليس النفس الانسانية الشاعرة واخراج او استنباط واستلهام الدوافع والمورطات التي دفعت الشاعر الى اعتناق الشعر وخلقه من العدم يكون عملا جد صعبا ان لم يكن مستعصيا، فالنفس الانسانية جد معقد ومتداخل لذلك لما لقول بالاستنتاج الاحادي المطلق حول الظاهرة الشعرية في الذات الشعرية يكون عبثا وغير ذات جدوى، فالذي تراه الدافع الاولي والمنطلقي لشعرية شاعر ما قد يكون هو العكس تماما، لذلك ينبغي في هكذا تمحيصات، فحص النتاجات والاعمال الشعرية التي ابدعه ذلك الشاعر المجيد، وشيركو بيكس كونه شاعرا ومن الشعراء الافاحل هو شاعر من الطراز المعقد الصعب النفوذ الى مقاصده ومغزياته الشعرية ولكن بصورة عامة يشترك جميع الشعراء في هيجانات شعرية، بمقدورنا القول ان التنفيس عمل يختزنه الداخل، وما يعتريه هذا الداخل من مفعلات ومؤثرات نفسية وروحية ووجدانية لامتناهية، هو الدافع والمحرض البدائي الذي يحرض الانسان الشاعر الى صناعة الشعر.. أي تفريغ ما في الموجود الذاتي للشاعر من مشاعر واحاسيس وخواطر، فهو اذا يصنع الشعر لان عدم فعله وخلقه يقتله من الداخل. فكونه شاعرا بالكلمات جاء نتيجة لكونه شاعرا بالنفس.

الشعر سام، والجبل مقدس
الطبيعة رائعة
ولكن الاسمى من الشعر
والاكثر قدسية من الجبل القمم
والاكثر جمالا من الطبيعة بكثير
هو تضحية الانسان
ممارسة الاغتراب من داخل الممارسة

ممارسة الاغتراب عند شيركو بيكس الشاعر من داخل ممارسته ومحاورته الشعر يعتلي مستويات متباينة ومميزة، فهو من خلال الشعر يجسد اقصوصة الحيرة الانسانية المتلفقة بالشك

والارتياب.. منذ ان قدر وفرض عليه الوجود الكوني المشهود، فهو يعتصر كبده وذهنه وفكره وقلمه الما واملا لما تتحدث به الحياة، ومظاهرها ولحظاتها وعذاباتها وحلاوتها ومرارتها وعبثيتها وجديتها.. ومنطقيتها ولامنطقيتها من سؤال الى ألف سؤال مؤديا به الى اجابات مشكوك في مصداقيتها، بل تزيده هذه المساءلات والتساؤلات الكونية والفلسفية والاجتماعية الما وشكا قد تؤدي بحايته.. ولكنه يجد النجاة في شعريته، فهو في اضعف الايمان من كلماته المهذبة يخفف من بطش تلك الشكوك ويسكن به المه الملم به حتى العظام.

الرب أكبر أم انت؟
الرب أكبر أم الجبل
هل بامكانك ان تأخذني اليه
اين يقع مدخل السماء؟

كانت الاجوبة تفرز اسئلة أخرى...!
لم يملك اي من الاجوبة مفتاحا
فهي من ضحايا عمليات الشك والتشكيك في معظم الحقائق التي اضحت في اذهان العامة بديهات، ولكن يتميز بايجاده الحل في الشعر، وربما في فضاءاته الشعرية المترامية التي ربما قد اقنعته بفلسفة ما لحياة الانسان.

صرت هاجس نقارة خشب الكون
انا منذ البداية
جعلت من من رحلتي في ثنايا الشك والقلق مضربا بالبحث..

لكن مواصلته البحث عن ايجاد حل تخفف من حمله الاثقال لن يتوانى، فهو باحث شاعر ماهر يتلاعب بالكلمات التائقة الى سماوات اللاشياء المطلقة التي تبدو وكأنها مستحيلة الوصول الى كنهها وفهم سرها.

كنت طفلا متأملا في جبروت جبل الخوف والذهول
كنت طفلا اقرأ احلام الغاية
اشم الاشعاعات المشانقة بعيني
العب مع اصابع الليل..
كتبت في دفتر الثلج اولى قصائدي

اذا الظنون تراوده اينما رحل، والشكوك تلاحقه كفيما غادر، وحيثما استوطن، والشعور بخيبة الامل من نواميس الطبيعة الكونية والانسانية والاجتماعية يدفعه متحررا من كل القيود والحدود صانعا وخالقا بذلك اسطورته الفلسفية المتعالية على كل الاملاءات الظالمة الجائرة التي تحاول الطبيعة فرضها على الوجود:
انا لعنة الهية
انا ثلاثة مسامير منبوتة
بعد ذاك كنت تتوقع داخل ذاتك
كنت سحرا داخل سحر
كان اكتئابك اكبر منك

والحصيلة يبدو انه ستكون النهاية المؤملة بالخلاص من هذا الاكتئاب الكبير الذي ادخله غياهيب الشك والاحتيار.
من يومها صرت مهدا لسؤال مذعور
نهرا مخدوعا..
ملحوظة: المقاطع اخذتها من ترجمتنا لـ(الصليب والثعبان ويوميات شاعر).

شيركو بيكس:
تجربة أساسية للشعرية الكردية



لقمان محمود

شهدت كتابات شيركو بيكه س في الأعـوام الأخـيرة، ازدهـاراً وانتشاراً واسعاً، تخطّت – وبقوة – الحدود القومية. ولعلّ صدور دواوين هذا الشاعر في لبنان وسوريا ومصر وألمانيا والسويد، دليل على أنه ليس شاعراً للكرد فقط، بل شاعراً للإنسانية جمعاء، لما لهذه الكتابات الشعرية من استبدال لعناصر الظلم والقهر والاستعباد، بعناصر الحرية والعدالة والمـسـاواة، مـن خـلال صـوت شعري متفرد ورافـض ومتمرد منذ الستينيات من القرن الماضي وحتى تاريخه.

وفي هذا الجديد المعنون ب "كتاب القلادة"، يسعى شـيركـو بيكه س إلى كشف الغامض والمستتر، في مأساة المرأة في المجتمع الكردي، عبر دفع الأشياء إلى حدود الرمز، في سبيل تحرير المعنى من قناعه، وذلك باستدراج اللغة إلى رعشتها الأولى.

فالوعي بالمرأة هو وعي بالواقع الاجتماعي، وبـذلـك يكون بيكه س قـد نجـح في ايصال أشد الأفكار واقعية وسوداوية بأكثر الاشكال

رمزية وابتعاداً عن المنطق، وهنا يكمن نجاح هذا الكتاب الصادر عن منشورات الجمل، بترجمة الشاعر هيوا عزيز، ومراجعة الروائي والمسرحي الراحل محيي الدين زنكنه، ومن تقديم الشاعر شوقي عبد الأمير.

إنّ بيكه س في هذا الكتاب، يمتلك قدرة فائقة على إدارة نصه الطويل، من خلال فكرة شعرية قوية قادرة على الايحاء، وعلى توليد حقل دلالي شاسع، وذلك باستلهام الطاقات الكامنة في النثر، لرفع القصيدة والنثر معاً، في حركة جدلية تؤمن بأهمية النثر كمنجم تعبيري مجاور للشعر، وليس باعتباره بديلاً، وفي ذلك يقول شيركو بيكه س:

إن هذا النص لا يندرج ضمن الجنس الشعري الخالص، بل جنس هجين يجمع في كيانه ما هو شعري وغير شعري في آن واحد، ويتأسس أسلوبياً على تجنيس أشكال وعناصر عدّتها المعايير النقدية القديمة من غير المتجانسات. فكما تجمع القلائد الاحجار الكريمة المتباعدة، فإن "كتاب القلادة" يجمع خرزاً من عناصر جمالية إنفرط عقدها إثر الحدود التي وضعها النقد بين الاجناس والانواع الفنية.

إذ يعتمد "كتاب القلادة" على ربط الأشياء الحقيقية بمغزاها الوهمي، بالاستناد على توليد مسارات جديدة في قوة الفكرة، من خلال وعي تام وإدراك عميق في ملامسة الواقع. فالقلادة – في هذا الكتاب – راوية تروي قصتها منذ أن كانت حجراً أنثى في البحر:

أنا قلادة من سلالة الإناث
زرقاء الجسد، خضراء العينين
أنا من أهل البحار
يعود جذرنا من جهة الأم إلى أحلام المرجان
ومن جهة الأب إلى قبائل اللؤلؤ،
ولدتُ أنا في مدينة الاسماك
وقابلتي كانت سلطعونة
يروون أن جدتي
كانت تقصّ الحكايات على حوريات البحر
أمواجاً هادرة لا تغفو أبداً.

لو عاينّا هذا المقطع من كلام "القلادة" نصل إلى نتيجة مفادها أن شيركو بيكه س – في هذا الكتاب – قد صنع أسطورته وخلقه. بحيث لم يعد هناك فارق يمكن ملاحظته بين الواقع والخيال، في أرض لا تزال مزروعة بأنقاض النساء وبأنقاضٍ جراحها.

وتأسيساً على ما ذهبتُ إليه نقرأ:

-الكلمة أنثى والممحاة ذكر
-النوافذ أنثى والستائر ذكر
-المياه أنثى والسد ذكر
-البسمة أنثى والتجهم ذكر
-الثلج أنثى والاعصار ذكر
-الشارع أنثى والجدار ذكر
-النار ذكر والرماد أنثى
-الجبل ذكر والوديان إناث
-السيارات ذكر والمرائب أنثى
-السيجارة ذكر ومنفضة السيجارة أنثى
-النصوص ذكر والهوامش أنثى
-الابرة ذكر والخيط أنثى
-الزلزال ذكر والدمار أنثى
-الحياة ذكر والموت أنثى.

هذه "المفارقات" في منطقها اللامفاجئ، عمّق تجربة بيكه س الابداعية، وذلك بتحريك كل الاشياء، وكل الأدوات، وكل الأفكار، لتدمير الأبعاد المألوفة التي تحكم رؤيتنا المباشرة إلى

"القلادة" التي هي – بالأساس – رمز لذاكرة المرأة الكردية.

ومن هذه النقطة تحديداً سألقي بقعة ضوء على الولادة الثانية لهذه القلادة:

عندما حللتُ على الارض
ولامستني أشعة الشمس للمرة الأولى
طال بريقي رويداً رويداً نواظر بضعة رجال
وعندما أدركوا أنني حجارة مؤنثة كريمة
ابتسمت شواربهم
فحملوني بالاحضان وقبلوني
ثم عزلوني عن الاحجار الذكور
من جديد ولدتُ، صرتُ قلادة امرأة.

حسب هذه المعلومات المقتطعة من سيرة "القلادة"، ومن دفتر مذكراتها، نعرف أنها قد سافرت برفقة جمع من القلادات من الجنوب إلى الشمال لتستقر أخيراً في واجهة محل " الزهرة الجبلية" لصاحبها "بيستون كاكه ويس". حيث تشتريها فتاة كردية ثرية، تعمل مدرسة للغة الكردية، اسمها (أرخوان)، وهي مغرمة بشاب وتكتب الشعر أحياناً، ولها من العمر خمسة وثلاثون عاماً.

عند هذه المحطة الأخيرة تبدأ " القلادة" في سرد حكاية (أرخوان) وحكاية أخواتها من القلادات. ففي الصفحة (٤٤) نقرأ:

ذات مساء مسحتني الآنسة الرقيقة بمنديلها حبة تلو أخرى، وضعتني حول رقبتها أمام المرآة الجدارية، مع القرط والخواتم ووردة طوق الشعر وسوارين، ثم غادرنا معاً، وعند الباب حيث "فرشاة الحلاقة"، الاب ذو الشعر المنفوش، انتصب أمامها ورغوة الصابون على شاربه قائلاً لها بغضب: عودي مسرعة قبل المغيب أتفهمين؟!

وفي الصفحة (٤٨) نقرأ:

على مقربة من ورود الرياحين في الحديقة الكبيرة صادفتنا امرأة في عمر سيدتنا، وهي ترتدي فستاناً وردي اللون، فتعانقتا فجأة، وتعانقتُ أنا أيضاً مع قلادة تلك الآنسة وتبادلنا القبلات...السيدتان تبادلتا أطراف الحديث من الأعلى، ونحن من الاسفل.. فقلت للقلادة الأخرى:

-إنه يوم رائع للتجوال.. أليس كذلك؟!

-أجل إنه يوم جميل، وكان سيغدو أجمل لو تشابكت أذرعنا مع أذرع من نحب.. انه حلم .. ترى هل سيتحقق يوماً؟!

-البارحة رُجمت بالحجارة فتاة قلادة عاشقة، وولد خاتم مغرم بها.

أما في الصفحة (١١٤) فنقرأ:

لقد شارف هذا القسم من مذكراتي على الانتهاء، لكن المذكرات التي تخلو من أنفاس قلادات الأنفال، وخصوصاً قلادات مناطق "كرمسير"، لن تصبح مذكرات.. أنا أشعر الآن وكأن جميع قلادات الأنفال تحيط بي، فأريد الكتابة بمداد آلامهن.

يكشف لنا هذه النماذج المختارة، عن نشوء كتابة جديدة مغايرة ومضادة للسائد، في أنساقه ووظائفه، وفي طريقة توظيف العناصر والتقنيات المستمدة من أجناس وفنون أخرى كالسرد والحوار والمشهدية في المسرح. ورغم ذلك – والكلام للشاعر شوقي عبد الأمير – فإنّ هذا الكتاب يمكن أن يقرأ كديوان – بقصائد متنوعة الأداء مثل أحجار قلادة يجمعها خيط

شفاف رهيف قوي هو الجذر الشعري لشيركو بيكه س.

وأخيراً، وعبر قراءة شمولية، نجد أنّ (كتاب القلادة) ليس سوى صرخة شيركو بيكه س الحقيقية من أجل تحرير المرأة الكردية، التي هي الأمل والحياة لهذا المجتمع.

هذا بالنسبة إلى (كتاب القلادة)، أما بالنسبة إلى (دورق الألوان)، فأنّ خبرة شيركو بيكه س الشعرية، تتقدم بقدرة فائقة على تحويل اللون إلى مادة شعرية، و ذلك بوعي إبداعي، و إدراك عميق لجوهر اللون، من خلال مزج خصائص " الرؤيا" بخصائص " الرؤية"، بحيث تتمكن اللغة من إمتصاص الخصائص الفيزيائية للألوان، و ترجمتها إلى خصائص تخييلية مرتبطة بوظائف الشعر و اللغة أساساً، للنفاذ إلى القضية الشعرية.

و ما من شك في أن الألوان بجوانبها الواقعية و التخييلية، تساهم في صناعة الظواهر الإجرائية للعمليات الإستكشافية اللغوية، التي تفضي – بشكل ما- إلى مقابسات يولدها لغزها الخفي المنضوي في دوائر الإيقاع اللوني، ضمن سياق لا يبدو فيه انه قد جاء في غير موضعه.

إذ إن الحواس البشرية لها قابلية فذة على تمييز ما لا يقل عن سبعة ملايين من الألوان المحتملة، التي تفترض أن الطبيعة في سياقات عملها التقليدية تقدمها لمدركاتنا و أحاسيسنا و إستجاباتنا على شكل خبرات جاهزة و مهيأة و قابلة للتفاعل.

و على الرغم من هذه "القابلية" فإن اللون في (دورق الألوان) يعتبر ألواناً مختلفة الأسماء، لكنها متشابهة الأهداف، و يعود السبب في ذلك إلى تجربة شيركو بيكه س الشعرية، التي تجاوزت بشموليتها ما هو خاص إلى ما هو عام، و ما هو فردي إلى ما هو إنساني.

حيث تتمحور هذه التجربة بكل مواضيعها بين الإنساني و السياسي و الأدبي، كمحاولة جادة للتنقيب في مفردات الإنسان الكردي و حياته.

و لا غرابة إذا قلنا، أن هذه المجموعة من أكثر المجموعات الشعرية خوضاً في الذاكرة، و من أكثرها إستكشافاً لحياة الشاعر و لحياة الآخرين، بسبب قدرتها على تكسير الحدود بين الواقعي و الإسطوري.

إذ إن النتاج الشعري، لهذا الشاعر العظيم حافل بالإشارات الأسطورية، التي تدخل تلقائياً في مضمون الذاكرة الجمعية المتأثرة برواسب مسبقة.

إ نها إمتداد لفطرة الإنسان الكردي المتيم بأفق جديد، يغيب عنه القهر الأبدي. لذلك يمكننا القول، أن (دورق الألوان) بمثابة جرح بجانب جرح، حياة بجانب حياة، ألم بجانب ألم، حزن بجانب حزن، أمل بجانب أمل، حلم بجانب حلم، و لون – الألوان بجانب شيركو بيكه س:

لون...لون...لون... فألوان
صادفتني شجرة، حين صادفت لوناً
"فاتسعت رؤياي بُعداً"
دخل طائران في قصيدتي،
حين صادفت لونين
" فاتسع أفقان حسرةً لتحليقي"
و حين صادفت ثلاثة ألوان
انفتحت ثلاثة شبابيك على خيالي
" عندها أمست الألوان المعروضة تلك
المثلث المتلألئ لحبي و هيجاني".

و عند تعرّفي على أربعة ألوان، و بعدها خمسة

جعلت من أربعة كتب و أربع إسطوانات
معارف لعينيّ و قدميّ
و أذني، فيدي... إلخ...إلخ...وإلخ.

إن أهم ما يطرحه هذا المقطع، هو الحفر في مكونات الأنا بشكل كلي، عبر مرجعية لونية، و ما يحيط بها من أشواق الذات التي تحتوي العالم كله. فأينما وجد " اللون" غاب " الظلام".
هذا العناق بين الشعر و اللون، عناقٌ بين الرؤيا و الحلم. و في اقصى حالات هذا العناق – العشق، يتم " تجميع " الألوان دفعة واحدة في دورق الألوان:

إلا أن الألوان كلها
عرفتني بحديقة برمتها
فأدخلتُ إلى عالم قصيدتي ألف طير
و صببت في أذني ألف لحن،
حينها أصبحت الأرض كلها موكباً لرؤياي
و دورقاً لألواني.. فاتسع خيالي فضاءً
عندها حاورت من جانبي
القارات السوداء و الصفراء فالبيضاء
ثم الحمراء... واحدة بعد أخرى.

إنها عوالم شيركو بيكه س الإنسانية المفعمة بالجمال الناتج عن قصيدة لا تخطىء الإبداع. فالقصيدة – الديوان، تتحرك – بكل وعي – من تجربة شخصية متميزة، إلى تجربة كلية إنسانية.
و هذا ما حصل أيضاً في مجموعة " الكرسي" ، التي إنتهت بجلوس الحرية على العرش – الكرسي. و بذلك إستطاع الشاعر ان يخرج – الكرسي- من الزمن الزائل، إلى الزمن الخالد.
أما في (دورق الألوان) فيتم هذا الاكتشاف من خلال الألوان:

لقد صارت حكاية اللون حكاية بصري
إذ تقرءان البعض على حدة
لقد صارت طفولة اللون طفولة كلماتي
إذ تمطران في البعض
و تدونان البعض على حدة
لقد صار اللون، بشجاعته و صيحته وثورته،
و كأنه والدي
إذ يُعتقل، ويقيد
فينتفض دون أن ينحني أمام العواصف.
لقد صار اللون، بدموعه و ثيابه
و كأنه والدتي
إذ يصبح وردة في مزهرية متكسرة
لأرملة متشحة بالسواد.

كإشارة غير مباشرة لامتداد أزمنة العنف و الوحشية، في عمق و تفاصيل حياة الشاعر، القادمة من علاقته بكوابيس الوالدين، وصولاً إلى الفجائعية المتكررة بالأحزان و المآسي – سأحاول ربط هذا المقطع بألم الانسان المدافع عن قيم الحرية والكرامة، انطلاقاً من حمولة الحقيقة، بإعتبار والد الشاعر هو الشاعر المعروف فائق بيكه س (١٩٠٥- ١٩٤٨) الذي أصبح راسخ الجذور في الحياة الثقافية و النضالية لدى الكرد.
ومن هذا المنطلق، و من هذا الألم، يعكس شيركو بيكه س واقعاً اجتماعياً و انسانياً أكبر من الحقيقة. حيث يمكننا أن نتلمس ذلك في قوله:

لا تجعلني لوناً يرثيك
لأن الرثاء جف تماماً في لوني
بعدما شاهدت لون الأنفال.

لا تجعلني لونا يأخذ من الراحة قسطاً
لأن الراحة هجرتني تماماً
بعدما شاهدت
الهجرة الجماعية لبني قومي!

صار بامكاننا النظر إلى (دورق الألـوان) من خلال ذاكرة شيركو بيكه س المحيطة بكل لون. فللأنفال لون، للثورة لون، للحب لون، للنضال لون، للعبقرية لون، للانعزال لون، للموت لون، وللكلمة لون.
هذا بالإضافة إلى ألوان أخرى، كالألوان الناصعة و الذابلـة والملطخة. ناهيك عـن "الألـوان الجبانة"، و المتمثلة بالكفيفة و الصماء و البكماء. أو الألـوان الشابة، كاللون الأخضر، والأحمر، و الأصفر.
وهذه الألوان (الأخضر و الأحمر و الاصفر) هي ألـوان العلم الـكردي، المولود منذ مئات السنين، ورغم ذلك ما زال شاباً. يقول شيركو بيكه س:

في دورق ألواننا
تحبس الألوان
و على معانيها تطل عين واحدة!

في دورق ألواننا
تكون الألوان الخضراء
و الحمراء والصفراء البراقة
من نصيب الأشجار الشابة
والقصائد الشابة
ومن نصيب الأنغام
التي ترقص في مقتبل عمرها.

يشرع بيكه س في هذا الاستخدام اللوني، بخلق سيولة شعرية و دلالية و رمزية في نسيج القصيدة، استجابة للعاطفة القومية التي تكتسب ألـوان شعريتها من خصوصية هذا العلم. وبذلك انعكست هذه الألـوان – بكل أناقتها – على الأداء العام للصورة الشعرية.
و بموازاة كل هذه الألوان الموجودة في (دورق الالوان)، و المشفوعة بمقتربات عدة، سأقف على اللون الشعري لشيركو بيكه س، باعتباره لونْ جديد ونادر:

في نيّتي
أن أغيّر لون الشعر
إلى لون لم تدركه اللغة بعد
ولم تحلق في فضائه كلمة بعد
ولم تحلم به ورقة شجرة بعد!
و إلا
لن أكتب الشعر أبداً
أما الألوان القديمة المشبعة
فأتركها لشعراء المصبغة!

تمنح هذه الصورة بعداً لونياً جديداً، لتقوية المعنى الابداعي، وذلك عبر الانتقال من صفة " إعتبارية " إلى أخـرى، لخلق لغة جديدة تستطيع استعادة استقلالية المخيلة. و كأن الشاعر يـوزع انفعالات الألـوان على صمتها الجمالي، بما يتناسب مع تشكيل قيمة الحقيقة للشعر.
فالشاعر، ومنذ مجموعته الشعرية المعروفة ب "مضيق الفراشات"، في عام ١٩٩٢، وهو يؤسس في كل مجموعة جديدة لأنموذج شعري شديد الخصوصية.

قصيدة الومضة
في التشكيل الشعري الحكائي

محمد صابر عبيد

تعدّ ((قصيدة الومضة)) إحدى أهمّ التشكيلات الشعرية التي تندرج في إطار النوع الشعري الموصوف بالقصيدة القصيرة أو القصيدة المركّزة، وتمتاز هذه القصيدة بشبكة من المواصفات التي تؤكّد نوعيتها وخصوصيتها، لعلّ في مقدّمتها الاختزال الحكائي العالي الذي تذهب القصيدة فيه إلى بلورة الحكاية الشعرية التي غالباً ما تظهر عليها القصيدة، داخل تشكيل اختزالي عالٍ يجعل منها بؤرة مشعّة ذات طاقة تنوير (ومْضيّ) مهيمن.

وتتسّمُ قصيدة الومضة بإحكام التشكيل الشعري، إذ لا يمكن أن تجد أيّة ثغرة محتملة داخل معمارية التشكيل يمكن أن تخلخل هندسة البناء فيه، بل ثمة تماسك وتضافر عالي المستوى بين الوحدات والعبارات والجمل والصياغات، وتتمظهر هذه السمة بإدارة سرعة التحولات الشعرية التي تحدث بين أجزاء القصيدة وعناصر تشكيلها، وهي عادةً ما تكون تحولات سريعة مدهشة تجتهد في إثارة المكامن الشعرية الفعلية وتشغيلها بأعلى طاقة وكفاءة ممكنة، إذ يعتمد الشغل الشعري الفعلي على نحت الدوال من دون زيادات على النحو الذي تبدو فيه القصيدة الومضة وكأنها قصيدة ممنحتة ببراعة بلا زوائد.

تشتغل قصيدة الومضة على تفعيل حساسية البؤرة الشعرية بوصفها قصيدة بؤرية بالأساس، إذ هي تعمل على استثمار طاقات البؤرة وإمكاناتها وطبيعتها التكثيفية والتركيزية العالية، ومن منطقة التشكيل البؤري يبدأ استخدام الانعكاس المرآوي للصورة المكثّفة الماثلة في مكامن البؤرة الشعرية للقصيدة، وهذا الانعكاس يمثل أحد أبرز معالم هذه القصيدة بحيث تتجه فاعلية التشكيل الشعري فيها نحو الصورة المرآويّة التي يتشظى انعكاسها الصوري على أوجه كثيرة، ومن هذه الأوجه تتألف الصورة الشعرية الكلية للقصيدة.

وعلى صعيد البنية الحكائية التي تتميز بها هذه القصيدة فإنها تشتغل في هذا الإطار على حساسية السرد المشدود بقوّة في باطن الصورة الشعرية ومحتواها، وهو ما ينتج نوعاً من التصوير المتماسك في ظاهر الصورة الشعرية، على النحو الذي يحقق تمازجاً كفوءاً بين السرد الشعري المشدود في الداخل والتماسك التصويري الذي يقدّمه خطاب القصيدة في الظاهر،

بأسلوبية تعبير كثيفة ومركّزة وذات طبيعة (ومْضيّة) تقود إلى بناء تشكيليّ تنشدّ فيه العناصر إلى بعضها وتسند بعضها باتجاه صيغة مثلى من التماسك والصيرورة.

إنّ المساحة الكتابية الضيّقة التي تعتمدها قصيدة الومضة لا تسمح باستظهار كلّي ولافت للشخصية الشعرية وإبراز معالمها ومظاهرها، ولاسيما تلك القصيدة التي تعتمد الشخصية الشعرية أساساً لبنائها، وتقوم هذه القصيدة أيضاً على تموّج إيقاعي مع تموّج فكري في صوغ موسيقى الومضة، وعلى الاختـزال في عتبة العنونة والعتبات الأخـرى، ومـن ثـمّ تسريع الدخول إلى المتن لغوياً وصورياً وتشكيلياً.

تمثّل قصيدة الومضة المسافة الحادّة بين الظهور والغياب، إذ هي مسافة الحلم والتخيّل والحضور وتوكيد الرؤية الشعرية الخاصة بهذه القصيدة، وفي ستراتيجية التشكّل الشعري تكون قصيدة الومضة هي ما يتبقى عالقاً في المتخيّل البصري إلى حين حتى يتمّ تمثّله في طبقة التصوّر الذهني، على النحو الذي يتحقق فيه أكبر طاقة تماسك وتفاعل وتضافر بين البصري والذهني داخـل حساسية قصوى للتمثّل والتمظهر والتخيّل.

فالصدى الضوئي على هذا الأساس ينطبع في المتخيل البصري كما تُلتقط الصورة ويتم استظهارها داخـل عمليات ذهنية تحميضية تنتهي إلى إنتاج الصورة، ويكون إنتاج الصورة هو أول مرحلة من مراحل إنتاج القصيدة العام.

يحفل شعر شيركو بيكه س بنماذج عديدة من قصيدة الومضة، تسعى هذه القراءة الإجرائية إلى تمثّل صيغ التشكيل في قصيدة الومضة عند الشاعر.

في قصيدته الموسومة بـ ((الزرّ)) يسعى الشاعر نحو تشخيص الجبل، ورسم بورتريه خاص به تتركز فيه ومضية القصيدة:

هذا الجبل مركّب بصورة
يبدو وكأنه رجل طويل القامة
يحسّ بالبرد طوال العام
يرتدي معطفاً طويلاً وضيّقاً
يصل إلى الكعب
ويربط معطفه
بأربعة أزرار من الصخور العملاقة
هذا الجبل مركّب بشكل
شهد اليوم قصف الأفق
كنت قلقاً على هذا الرجل
وحين لاحظته في النهاية
كان كما هو
واقفاً على رجليه
زر واحد من معطفه فقط
انزلق من محلّه (١)

الجبل الرجل يظهر في مصوّرة الراوي الشعري الرائي بشكل مستقيم تتمظهر فيه كلّ ملامحه وبهاء تشكيله، وثمة تأثيث ملازم للصورة يقوم على هندسة عالية في وضع اللمسات المطلوبة لتشييد الصورة كما يجب أن تكون، وتعطي الافتتاحية الاستهلالية للقصيدة ((هذا الجبل مركّب بصورة/يبدو وكأنه رجل طويل القامة)) رؤية بصرية تشبيهية بالغة التركيز والتكثيف، ولعلّ صفة ((مـركّـب)) نقلت الـصـورة من حدودها البصرية المرئية إلى حدودها التخييلية الرمزية، التي ظلّت تشتغل في القصيدة حتى نهايتها.

الانعطافة الومضيّة الجوهريّة في القصيدة ظهرت حين تـكـررت صـورة الافتتاحية الاستهلالية ((هـذا الجبل مركّب بشكل/شهد اليوم قصف

الأفـق))، إذ تحدُث هنا حالة التوتّر السردي في حكاية القصيدة، فـ ((قصف الأفق)) حوّل المسار الحكائي من حالة الوصف والتصوير والتشكيل إلى حالة التدافع الحَدَثي بدخول جملة ((شهد اليوم قصف الأفق))، وقد تهدد موقع التصوير والوصف والتشبيه الشعري المثالي، على النحو الذي جعل الـراوي الشعري كلّي العلم يتدخّل بوصفه شخصية جديدة في محرق الحدث الشعري ((كنت قلقاً على هذا الرجل))، بعد أن تحوّل الجبل على يديه من شبيه بالرجل ((يبدو وكأنه رجل طويل القامة)) إلى ((هذا الرجل))، ويتحوّل على أساسه الوصف إلى سرد شعري يختتم به الراوي الشعري حكايته الشعرية ((وحـين لاحظته في النهاية/كان كما هو/واقفاً على رجليه/زر واحد من معطفه فقط /انزلق من محلّه))، ليجيب على أسئلة الرمز الشعري التي تحيل على ثبات الجبل برمزيته الطبيعية والإنسانية أمام قصف الأفق مهما كانت قوته وجبروته.

إنّ البورتريه المرسوم للجبل لم يتوقف عند حافة التصوير الثابت لوجه محايد في تشكيله الصوري المرسوم، بل استندت الرؤية التصويرية فيه إلى فعالية الومضة الشعرية التي تنبثق من نقطة توتّر تذهب بالصورة إلى بؤرة الحكي، وهي تعمل على شدّ أجـزاء الصورة الشعرية وتماسكها حول فاعلية الومضة المؤلّفة للتشكيل العام المنتج لهوية القصيدة ونموذج خطابها.

أما قصيدة ((معاً)) فإنها تشتغل على حساسية شعرية مختلفة في تشكيل القصيدة الومضة، وذلك باعتمادها على هندسة التشكيل في توزيع شخصيات القصيدة وترتيب أدوارهـا داخل الهيلكيلة العامة لحكايتها:

في إحدى الأمسيات
جلس ضرير وأصمّ وأبكم
معاً لبضع ساعات
على مقعد في إحدى الحدائق
بانتصاب واعتدال مبتسمين
كان الضرير يرى بعين الأصمّ
والأصمّ يرى ويسمع بأذن الأبكم
والأبكم يفهم
من حركات شفاه الاثنين
وكان الثلاثة معاً وفي الوقت ذاته
يشمّون عبق الزهور (٢)

تقدّم القصيدة شخصياتها بتوصيف مباشر ومختصر وملتئم لا يحتاج إلى مزيد من التفاصيل ((جلس ضرير وأصمّ وأبكم))، باستخدام ظهير زمني مؤلّف من طبقتين، الأولى حكائية غير محددة ((في إحدى الأمسيات))، والثانية حكائية محددة ((معاً لبضع ساعات))، وظهير مكاني محدد ((على مقعد في إحدى الحدائق))، ضمن حالة شبه مثالية تفي بمتطلبات الزمن والمكان الحكائيين ((بانتصاب واعتدال مبتسمين)) على النحو الذي بدا وكأن الفضاء الاستهلالي للقصيدة متكامل ويمكن على نحو ما الاكتفاء به صورياً.

غير أنّ طبيعة التدخّل الحكائي الهندسي الذي باشره الراوي الشعري كلي العلم في تحريك الشخصيات لتقوم بأدوارها، انتقل بالقصيدة من حالة الثبات إلى حالة الحركة محققاً فعالية الطاقة الومضية الـتي أضـاءت محـرق الحدث الشعري ((كـان الضرير يـرى بعين الأصـمّ/ والأصمّ يرى ويسمع بأذن الأبكم/والأبكم يفهم/ من حركات شفاه الاثنين))، على النحو الذي اندمجت فيه الشخصيات الثلاث الناقصة في شخصية واحدة متكاملة دحرت هذا النقص،

وتهيأت لممارسة حية طبيعية سويّة ((وكان الثلاثة معاً وفي الوقت ذاته/يشمّون عبق الزهور))، تجيب على سؤال عتبة العنوان ((معاً)) بوفاء كامل.
تأخذ قصيدة الومضة عند شيركو بيكه س شكلاً آخر في قصيدته ((هنا)) التي لا تحقق ومضيتها المؤلفة لحكايتها إلا في خاتمة القصيدة:

هنا هذه الليلة
الجبل شاعر
والشجرة قلم
والسهل صفحة
والنهر سطر
والحجر نقطة
وأنا علامة التعجّب (٣)

يتمركز الفضاء الزمكاني منذ أول سطر شعري في القصيدة بوصفه حاضنة لاستقبال حصول الومضة الشعرية ((هنا هذه الليلة))، ومن ثمّ تنشطر صورة القصيدة بين يديّ الراوي الذاتي الشعري على شطرين متقابلين ومتوازيين، وبهذا التقابل والتوازي تتألّف حكاية القصيدة ويُنجز تشكيلها على النحو الآتي:

الجبل ــــــــــــــــــ
ــــــــ شاعر
والشجرة ــــــــــــــــــ
ــــــــ قلم
والسهل ــــــــــــــــــ
ــــــــ صفحة
والنهر ــــــــــــــــــ
ــــــــ سطر
والحجر ــــــــــــــــــ
ــــــــ نقطة

إنّ عمل دوال الطبيعة الصوريّة المتحايثة ((الجبل/الشجرة/السهل/النهر/الحجر)) بتشكيلها وانسجامها وتفاعلها وتصاديها الطبيعي، تنتج وضعاً طبيعياً تقليدياً ومألوفاً ومعروفاً على صعيد التلقّي البصري البسيط، لكنّها حين تتمثّل أدوات التأليف الشعري لتكوّن قصيدة في شبكة دوال الكتابة ((شاعر/قلم/صفحة/سطر/نقطة))، فإنها تنتقل من طبيعيتها وتقليديتها ومألوفيتها على صعيد التلقي البصري إلى فضاء متخيّل ورقي، في مقابلة صورية جدليّة، غير أن لحظة الومضة الشعرية في جوهر الحكاية الشعرية لا تتحقق إلا في السطر الأخير من القصيدة ((وأنا علامة التعجّب))، ذلك أنّ أنا الراوي الشعري الذاتي تعلن عن حضورها في معترك التشكيل الشعري بتصريح الضمير الأنوي الدال ((أنا))، ثم يأتي التعريف الومضي المُفارِق ((علامة التعجّب)) كي تتمّ الإجابة على سؤال التوصل بين الفضاءين، فضاء دوال الطبيعة وفضاء دوال التأليف الشعري.
إذاً تتألّق حساسية الومضة الشعرية في الدخول المباغت لـ (أنا) الراوي الشعري وهو يربط ربطاً تعجبياً بين الفضاءين المتقابلين وهما يؤلّفان حكاية القصيدة، إذ من دون هذا التدخّل الشعري الدرامي الفاعل يبقى التشكيل الشعري في القصيدة بلا روح، فالجملة الاختتامية ((أنا علامة التعجّب)) عبأت القصيدة بالروح وحققت فاعليتها الومضيّة المطلوبة، حيث عززت جوهر الحكاية واستكملت فضاء التشك يل.
تبقى حساسية التوازي مظهراً متقدّماً من مظاهر تشكيل ((قصيدة الومضة)) بالاعتماد

على فضاء الحكاية الشعرية كما هي الحال في قصيدة ((الذوبان))، التي منذ عتبة عنوانها تَعِد بملامح التحوّل الحكائي من حال إلى حال:

حينما مضيتِ..
بقي عندي مقعدك
وزهرة
وقدحك
جعلت الأول عرشاً لقصيدتي
غرست الثاني في ساحل روحي
وأفعمت الثالث
بقبلة هذا الفم
حملته لأشربه منه
رأيت نفسي ذائبة فيه (٤)

وتتعزز فاعلية الرؤية الحكائية على نحو أكثر تركيزاً في الجملة الشعرية الاستهلالية الأولى في القصيدة ((حينما مضيتِ..))، وقد حققت فعل المغادرة بوجود فاعل شعري مُغادِر ((هي)) وآخر مُغادَر ((أنا الشاعر الراوي))، وبينهما ما يمكن تخيّله من تشكيل حكاية محتملة قبل الدخول في تفاصيل المتن الشعري في القصيدة بعد السطر الأوَل.

تبدأ الحكاية الشعرية بتأليف تشكيلها على يد الراوي الشعري الذاتي في (مكانية) المتبقي من حالة مغادرة ((هي)) وما تركته من دوال تفاصيلية تدلّ وتحيل عليها ((بقي عندي/ مقعدك/وزهرة /وقدحك))، وهي الأدوات التي استخدمها الراوي الشعري الذاتي (الشاعر) في بناء حكاية القصيدة وتشييد هيكلها الشعري وصولاً إلى تحقيق (ومضيتها).

الإجـراء الأول الـذي يقترحه الـراوي الشعري الذاتي (الفاعل) في هذا السياق هو ((جعلت الأول عرشاً لقصيدتي)) الذي هو ((مقعدك))، بحيث أثّث المكان المتبقي منها بقصيدته فانتمى إليه انتماءً وجدانياً وعاطفياً كلياً، ونقل المكان (مقعدك) مـن صفته الجزئية المحـدودة إلى صفة كلية غير محدودة حين جعل منه عرشاً لقصيدته، يحيل على مملكةٍ ملكتُها القصيدة، في فعالية تشكيلية تتضمن الحكي وتختزنه وتوحي به.

الإجراء الثاني الذي يقترحه الراوي الشعري الذاتي هو ((غرست الثاني في ساحل روحي)) الذي هو ((زهـرة))، وحمّله الفضاء الوجداني والعاطفي على نحو أكثر انتماءً إلى الروح حين صرّح بالتشكيل المكاني المتخيّل (ساحل روحي)، وهنا تحوّلت الزهرة من شكل خارجي مألوف إلى كيان تشكيلي يختزن حكاية ما توحي بها دوال الصورة الشعرية .

أمـا الإجــراء الـثـالـث الــذي يقترحه الــراوي الشعري الذاتي في التعامل مع التفصيل الثالث الذي تـركته ((هـي)) في محيط القصيدة فهو ((وأفـعـمـت الثالث/بقبلة هـذا الفم/حملته لأشربه منه/رأيت نفسي ذائبة فيه))، إذ يتشكّل الإجراء الثالث بوصفه إجراءً اختتامياً عليه أن يتحمّل عبء التشكيل الشعري بأكمله كي ينهض بواجبه الشعري الحكائي المتكامل، على النحو الذي بدا فيه الإجراء الثالث بصيغة حكائية متكاملة تنتمي في حالة إلى مجمل التشكيل الحكائي القادم من الإجرائين السابقين، وتستقلّ في الحالة الأخـرى بكونها الحكائي المتبلور في صياغة شعرية ينفتح فيها الـراوي الشعري الذاتي (الفاعل) على حساسية بالغة التمثّل والانـدمـاج والتماهي، بحيث تنتهي إلى حالة ((الذوبان)) كي تفي بمتطلبات عتبة العنوان أيضاً، في دورة شعرية تبدأ فيها الومضة من

عتبة العنوان وتنتهي عند آخر نشاط شعري تنهض به خاتمة القصيدة.

تقترح قصيدة ((طلب)) ذات الطبيعة الومضيّة مجموعة من الدوال المؤنسنة في السبيل إلى تشكيل حكاية تنشد هدفاً موحَداً، ينتهي الاقتراح بتدخّل أنا الراوي الشعري الذاتي ليقود نهاية الحكاية الشعرية ويحقق طاقتها الومضية العالية:

طالبتْ غرفةٌ ما بمصباح
والمصباحُ طالب بمنضدة
والمنضدةُ بدفتر
والدفترُ طالب بقلم
والقلمُ بيد وأنامل
وطالبت الأناملُ
بالحرية (٥)

تبدأ الدوال المكانية المؤنسنة من الحاوي المكاني الأكبر في القصيدة ((الغرفة)) التي تطالب بـ ((مصباح)) من أجل أن تنير ظلمتها وتتحرر من سوادها، و ((المصباح)) من أجل أن يقوم بمهمته في الإضاءة والتنوير كما يجب فهو بحاجة إلى مرتكز مكاني يقيم عليه ويؤدي فعله منه ((منضدة))، وهذا المرتكز المكاني يتطلّع إلى وجود ((دفتر)) عليه حتى يوفّر للحكاية القادمة سبيل تحقق الفعل المطلوب، وبما أنّ ((دفتر)) لا معنى له من غير وجود ((قلم)) يبعث الحياة الكتابية في أوراقه فإن مطالبته به مشروعة، ولا بدّ طبعاً للقلم من فاعل يحسن استخدامه كي ينتج ما تتطلّع إليه القصيدة من حكاية شعرية منتظرة، وهو ما يفسّره طلبه بـ ((يد وأنامل)) ليكون في وسع القلم أن يتحرّك على أوراق الدفتر ويكتب حكايته.

حتى ما قبل لحظة الإقفال الشعرية القادمة في خاتمة القصيدة فإن الطلبات اللولبية المتموّجة على هذا النحو التشكيلي الجدلي المتدرّج ((طالبت غرفة ———— بمصباح ———— ———— بمنضدة ———— بدفتر —— ———— بقلم ———— بيد وأنامل)) تنتهي إلى وضعية منطقية مألوفة، لكنّ المفارقة الشعري المدهشة التي تحقق شعرية الومضة تحصل في الجملة الشعرية الاختتامية التي تنتهي فيها الحكاية الشعرية ((وطالبت الأنامل/ بالحرية))، إذ يتدخّل الراوي الشعري أيضاً تدخّلاً حاسماً بتقمّصه صورة (الأنامل) وتقنّعه بها كي يخلخل منطقة الصورة الشعرية وينقلها إلى فضاء التشكيل، في حساسية انفتاح شعرية عالية الدلالة، على النحو الذي تتسرّب فيه قيمة المعنى الشعري إلى كلّ أرجاء القصيدة، فتتخلى كل حركاتها السابقة عن منطقيتها وتتلوّن بألوان الدلالة الشعرية الجديدة التي حققتها ومضية دخول (الأنامل) بوصفها التمثيلي لأنا الشاعر الراوي إلى ميدان العمل الشعري مطالبة ((بالحرية))، إذ ينتقل التشكيل من الحال الشعرية التي تحققها شبكة الدوال العاملة ميدانياً في فضاء القصيدة، إلى الحال الرمزية التي تكشف عن معاناة الحكاية الشعرية في الافتقار إلى الحرية، وهنا تتحقق ومضيّة القصيدة داخل إطار الحركات الطلبية لدوال التشكيل المتعاقبة فيها.

الهوامش:

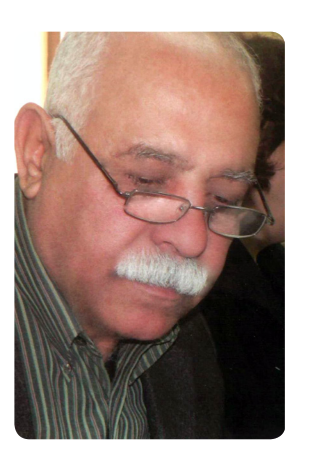
(١) شيركو بيكه س، أنت سحابة ... فأمطرك، مختارات شعرية، ترجمة وتقديم دانا أحمد، السليمانية، ٢٠٠٤: ١٥٥.

(٢) م . ن: ١٥٨. (٣) م . ن: ٣٣٧. (٤) م . ن: ٣٣٩.

(٥) م . ن: ٣٧١.

انبهارات :

بشاعرية شيركو بيكه س



حسب الله يحيى

في الشعر ، كما في الابداع عموماً ، يشغل الخيال مساحة واسعة واساسية في اي نص .. واذا ماتوجه الابداع نحو الواقع ، ونقله على وفق ظاهره ، عد فوتغرافياً وتقريرياً ومباشراً .. اما اذا استقى عوالمه من الماضي ومن الوثائق وصفحات التاريخ ، فأنه يضطر الى اعتماد مرجعية ملتحمة به ، ومجسدة له ، ومتفاعلة معه ومن ثم لابد ان يشكل رؤية جديدة لعوالمه .

اما الجدة في الابداع فأنها تجاوز ملحوظ لما هو قائم على الثوابت والقواعد والاصول المعروفة والمتداولة .. لايقصد هدمها عشوائياً ، والتنكر لوجودها كلياً ، وانما بالنظر الى المتداول نظرة مغايرة ، قد لا تشكل انتباهة الكثيرين ، ولاتحدد موقفاً لهم ازاءها .

هذه النظرة وعلى وفق ماتمثله من ابعاد وآفاق .. هي التي تشكل رؤيتها الجديدة وموقفها المتميز .. وهذا ما نلحظه بوضوح تام في قصائد الشاعر الكوردي : شيركوبيكه س .

وبدءاً من سيرة حياته ، تبين انه كان عضواً في اول برلمان كوردي عام ١٩٩٢ ، واصبح اول وزير للثقافة في حكومة كوردستان .

الا ان يقظة الابداع التي اختزنتها ، كانت اقوى بكثير من الموقع الوظيفي المرموق والبارز الذي شغله بكفاءة عالية وانتخابات ديمقراطية سليمة ؛ لذلك قدم استقالته من منصبه بعد اقل من عام على استيزاره ، انطلاقاً من وعيه وارادته التي وجدت ان السياسة الديمقراطية .. باتت تنتهك ، وليس بوسعه ان يشارك في هذه الانتهاكات ..

كان الوعي السياسي والحس الجمالي للاشياء .. اعمق واغنى واكثر هيمنة على عوالم الشاعر الوزير شيركو بيكه س .

من هنا ترك الحقيبة الوزارية لمن هو مفتون بها وحريص عليها ، وتوجه الى شاغل آخر فتنه وارق حياته وملأ عليه كيانه ، وهو تأسيس مؤسسة سردم للطباعة والنشر عام ١٩٩٨ في السليمانية والانطلاق من خلالها الى نشر اعماله الشعرية بالكوردية والعربية والانصراف كلياً الى تنشيط حركة النشر الكوردستانية واصدار مجلة (سردم) بالكوردية والعربية .. وقد تحولت

هذه المؤسسة سريعاً الى ان تكون اهم منبر ثقافي ومعرفي ليس في كوردستان فحسب ، وانما في العراق عموماً .. حتى غدت وزارة الثقافة في موقع ثان لمؤسسة (سردم) .

ومثل هذا الموقف لا يعد عابراً في حياة الشاعر شيركو ، وانما هو جزء اساسي من مكونه الذاتي وتشكيله المعرفي وطريقة تعامله مع الاشياء على وفق فهم يقظ ورؤية شعرية يقظة نلحظها في سائر قصائده .

ومع ان " انبهارات " مختارات شعرية ترجمها الى العربية الاساتذة . جلال زنكابادي ، آزاد برزنجي ، د. شاهوسعيد ، مصطفى صالح كريم ، نوزاد احمد اسود ..

والحقت بهذه المختارات نصوص اخرى باللغة الكوردية .. الا انها يمكن ان توجز التجربة الابداعية الثرة التي امتلك ناصيتها شاعر مكتنز بالرؤى ، منشغل بالعوالم المحيطة به ، مهووس بالحياة الجديدة التي يبتكرها في شعره وحياته معاً .. حتى ليجد قارئه عدم القدرة على تجزئة قصيدته .. مثلما لا قدرة لنا على تجزئة الانسان ذاته .. ففي القصيدة الاولى (الزمن) نقرأ :

"هو راقد في القبر ، ولكن ساعة يده في معصم شخص آخر

هو راقد في قبره ، ولكن معطفه يرتديه رجل آخر

هو نائم الى الابد ، ولكن ساعته مستيقظة

هو لن يقوم ثانية ، ولكن معطفه الان ، يطوف في شوارع المدينة

ومن زاوية زر احدى العيون ، يرنو الى بيته القديم "

ان الرقود هذا لا ينفصل عن حركة الحياة ، التي يجسدها الشاعر في حركة عقارب الساعة ونبضها المتحرك ، وفي دفء المعطف والتجوال به يرصد ومن خلال زر في هذا المعطف حركة عالم يقظ .. وبيت قديم يعد شاهداً على وجود نابه لانسان ينتمي اليه ويرنو الى استعادة صورته وذاكرة انتماء اليه بوصفه وطناً دائم الحضور فينا .

ومثلما لايتجزأ الانسان ، لايتجزأ الوطن ، ومن ثم لاتتجزأ قصيدة ملتحمة بالانسان والوطن .

وفي عشرين كلمة تشكلها قصيدة (القداسة) التي جاء فيها :

" اينما كانوا .. جميع القادة السياسيين في العالم ، ومعهم اسودهم وفيلهم وجيادهم الا يضاهون عنزة (غاندي) الضامرة ، حباً وجمالاً وقداسة " فيتبين انم شيركو بيكه س ينتقي كلماته ، كما لو انه ينتقي لآلئ، وكل لؤلؤة لا بد ان يكون لها الموقع الملائم لوجودها ، والا انتفت قيمتها ، لذلك يلجأ الشاعر الى الدقة في اختيار اللؤلؤة المناسبة الموحية التي تشكل حضورها الحي في قلادة اللؤلؤة القصيدة .. نحتاج اليه وننتمي الى قيمه ومبادئه ، بدلاً من تلك العوالم التي تشهد قوتها الغاشمة على بسطاء الناس .

شيركو .. هنا يبادل المواقع والمراكز السياسية – التي شغل احدها – بجزء ضئيل من سمة غاندي وزهده مجسداً في كائن يتحمل به ويعيش من خيراته بدلاً عن كل العوالم الفخمة المحيطة بالسياسيين ف كل مكان .

وينظر الشاعر في قصيدة (تماثلان) نظرة مختلفة تماماً عن النظرات المحيطة بالتماثلين فهو يراهما على وفق هذه الصور :

"التمثال الاول ، لرجل من القضبان والكونكريت والثاني ، لأمرأة من الورد والشلال .

(كان الرجل قد احرق ، بطن المرأة ثلاث مرات) حينما جاء الزلزال ، تصدع التمثال الاول ، وانفجر جسده وتناثرت شظاياه ، ولكن .. لا الورد مسه شيء ، ولا الشلال " .

ان القوة والصرامة والقوة التي يشكلها تمثال رجل مجبول بهذه الصفات ، لم تفلح كلها النيل من كائنين ناعمين فاعلين يجسدهما الشاعر بالورد والشلال فالورد ابهى واعذب ، والشلال فتنة لا تنضب .

وفي قصيدة (الموت) نقرأ مخيلة شيركو بيكه س التي تبوح بالآتي:
عندما ماتت ورقة شجرة/ مات احد حروفي.
وعندما مات نبع الجبل/ ماتت كلمة من كلماتي/ وحين ماتت حديقة من حدائق رؤياي/ ماتت جملة.
ولكن/ ياصبية السنوات العشر/ ياصبية قرية(هه له دن) وعندما قتلوك/ ماتت عشر من قصائدي / دفعة واحدة.
وتتبين هنا عمق وتأثير عملية القتل في كيان شاعر مثل شيركو الذي يعد للحرف قيمته، وللكلمة عافيتها وللجملة حياتها.. فكيف اذا تجسدت هذه (القيمة والعافية والحياة) بمقتل صبية قروية في العاشرة من عمرها؟
الشاعر هنا يعد اثمن ما عنده (القصيدة) وقد مات عشر منها، كما لو انها عشر من ابنائه الحميمين الى عقله وقلبه وروحه.
وفي ضربة موجعة مفاجئة، وصورة انسانية دافقة يقدم لنا شيركو قصيدته الاثيرة (جوارب): (خارج الغرفة/ كان يرد (كانون) يلسع وجه الريح بقوة/ داخل الغرفة/كانت تجلس لوحدها/ والاطفال الصغار/ كانوا نائمين كالخراف/ زوجها غائب/ انه الآن عشق يجري خلف الجبل/ كانت جالسة لوحدها/ ورأسها مائلة في حضنها، كالصفصاف الحزين.
انها جالسة لوحدها، تحوك لزوجها الغائب جوارب، من صوف الخروف الوحيد، وقد تنتهي في منتصف الليل من الحياكة، ولكن.. آه..، انها لا تعرف، ان زوجها وحين تصله فردتا الجوارب، سيكتفي بواحدة منهما / للقدم اليسرى فقط، آه .. انها لا تعرف))
الزوجة الوحيدة هنا لا تنام كما اطفالها الذين ينامون على بكارة الاشياء ونقائها،انها يقظة تحوك جورباً لزوجها الذي تترقب عودته.. فيما المجهول يرسم لها المأساة مجسدة بالزوج الذي يعود بقدم واحدة فقدها في حرب اجرامية.. ليظل الجورب الذي حاكته من نصيب هذا المجهول- الفجيعة..
الشاعر يرسم آمالاً كباراً لحب عميق يترقب، فيما الترقب يحمل معه مأساة.. هي مأساتنا جميعاً.. انموذجها هذه المرأة التي قدم صورتها الينا شاعر .. نبضه انساني، وهاجسه خشية من قادم مملوء بالدم والدموع.
وفي ابلغ واعمق هذه المختارات تقف قصيدة (معاً) استثناء متميزاً يعلن عن وجوده بطريقة تحمل مخيلة باذخة بالثراء الحي.
(كان الوقت مساء/ وفي احدى الحدائق/ وعلى مقاعد متجاورة/ جلس ضرير وأصم وأبكم/ كان الضرير يرى بعين الاصم/ والاصم يسمع بأذن الأبكم/ والأبكم يفهم من حركات/ شفاه الأثنين/ وكان الثلاثة، وفي وقت واحد يشمون رائحة الزهور معاً!))
هنا يجتمع في رأس الشاعر (الضرير والاصم والابكم) يلتحمون ببعضهم يكملون حضورهم، ويأنسون الى هذا الفقدان الذي يعاني منه كل واحد منهم.. الا انهم يتوحدون في استقبال الحياة.. وهم يشمون عطر الزهور.
شيركو .. يضع التفاؤل بالحياة في حيوات تعاني وتفتقد الى السواء مع الحيوات الانسانية الاخرى، الا ان الشاعر الحميمي يجعلها تستبشر حضورها وسعادتها واشراقة اوقاتها في زهور يطيب لطيبها اولئك الثلاثة الذين يكملون بعضهم .

ونتقل الى (اللصوص) التي جسد فيها الشاعر ارادة الطبيعة وهي تسرق:
(على مرأى من السماء، سرقوا الغيم/ وعلى مرأى من الغيم، سرقوا الريح، وعلى مرأى من الريح، سرقوا المطر المدرار، على مرأى من المطر، سرقوا الثرى ، وفي الثرى ، دفنوا العيون التي، شهدت اللصوص!) شيركو هنا.. يضع (السماء والغيم والريح والمطر والثرى) شهود عيان على جريمة سرقة العيون التي يفترض فيها ان تكون هي الشاهد الحقيقي على عملية السرقة.. لكن اللصوص استأثروا بالاشياء كلها وجمعوها في عيون راصدة.. شهدت كل شيء .. لكن اللصوص دفنوها.. فمن بقي ليشهد؟!
ومثلما نظر شيركو بيكه س الى (عنزة غاندي) في قصيدة (القداسة) نظرة ثاقبة، يعود من جديد في قصيدة (حكمة) مؤكداً:
(ثمة اشياء كثيرة، ينخرها الصدأ، يلفها النسيان، فتموت، مثل التاج والصولجان والعرش، ثمة اشياء اخرى كثيرة، لا تهترئ، ولا يلفها النسيان، ولا تموت ابداً، مثل قبعة (شارلي شابلن) وعصاه وحذائه)
ذلك ان الاشياء لا تقاس بضخامتها وموقعها، وانما تقاس بالمؤثرات التي تتركها في الآخرين.. لذلك تجد شابلن دائم الحضور ليس لوحده حسب، وأنما معه ادواته: قبعته وعصاه وحذاؤه، حية كذلك بوصفها عصية على النسيان بسبب ما تركته من حضور لا يبلى ولا يشيخ ولا يموت.
وفي منظور نادر، وانتباهة ذكية، نرى الشاعر يكشف عن الصراعات السياسية التي تريد ان تفترس بعضها البعض الآخر.. من دون الحرص على الانسان بوصفه الحقيقة الأزلية التي لا يقف عندها هذا الجمع من السياسيين الذين جسدهم شيركو في قصيدته: (ما يحدث في الغابة):
حين حل الظلام/ فكر الاسد في عرينه..، كيف سيكون بمقدوري، غداً، أن انقضى، على النمر الذي يجاورني. وكان النمر يفكر ايضاً: كيف يكون بمقدوره ان يقتنص ثعلباً ويسلخ جلده. وكان الثعلب، يفكر بدوره: كيف سيبلغ العش على شجر الجوز، ليلتهم فراخ الطائر.
لكن الطائر كان يفكر لوحده: كيف سيكون بمقدوره ان يلم شمل الصيادين والطيور وكل حيوانات الغابة؟! كيف سيكون بقدوره؟!)
شيركو .. يفكر جلياً بوحدة قوى السلام والخير والتقدم.. لتكون بمواجهة القوى الوحشية التي تريد ان تستأثر بالوجود لوحدها في حياة ظلامية يدينها الشاعر ويكشف عن جرائمها واحقادها وسلبياتها.. ضمن توجه انساني عميق يجسده الشاعر في جميع قصائده التي يختمها بهذه القصيدة المختارة بامتياز والتي تحمل عنوان (مفتاح): (في اقاصي الدنيا، ابكت كارثة مفتاحاً ضائعاً، لانهم لم يبحثوا عنه بل حطموا باب المدينة عنوة).
وهذا يعني ان الكارثة تكمن في هذه القوى التي تهدم مدينة بكاملها بدلاً من البحث عن مفتاح يؤمن سلامتها ويحفظ امنها... ومثل هذه الصورة تتمثل بصياد يحرق غابة من اجل اصطياد ثعلب مفتون بجمال جلده!
ان شيركو بيكه س، شاعر قد من خيال بوسع المدى الذي يحول كل الاشياء الى عوالم حية جديرة بالانتباه واليقظة.. ذلك ان شاعراً موجزاً من طراز رفيع، ومن جواهري يصوغ قلائد شعره بمثقال من الذرات الثمينة التي تجعلنا في موقع الحرص والانتباه ..
والاعجاب الكلي بشاعرية تتفرد بحضورها وصورها وعوالمها..

*انبهارات- مختارات شعرية بـ(الكوردية والعربية)- دار سردم – السليمانية٢٠٠٨.

دراسة مقارنة
تراجيديا الشاعر والشعر السردي
(شيركو بيكه س ومحمود درويش)

يوسف يوسف

بصرف النظر عن سنة كتابة قصيدة (ملحمة مامه ياره) (١) للشاعر الكردي شيركو بيكه س ، وسنة كتابة قصيدة (سرحان يشرب القهوة في الكافتيريا)(٢) للشاعر الفلسطيني محمود درويش ، وأيهما سبق الآخر في نشر قصيدته ، فإن مركز الثقل الدلالي في هذين النصين الشعريين اللذين تمت صياغتهما على وفق مبدأ التداخل بين فنون الابداع الكتابية ، واستفادتها من بعضها ، إنما يتجه نحو شخصيتين واقعيتين بدلالة ما يفضي إليه العنوانان – العتبتان اللتان لا بدّ من المرور عبرهما إلى المعنى .

إن هاتين الشخصيتين : مامه ياره ، وسرحان ، لم يأتيا إلى ورق الكتابة على وفق ما نعرفه من طبع الشاعر في التخيل ، وإنما هما بسبب المنزلة التي وصل إليها كل واحد منهما في حياته : الأول في واقعه الكردي ، والثاني في واقعه الفلسطيني ، قد استدعيا إليهما شاعرين يعدّان من بين الأفضل الذين في مقدورهم التعبير عن عذابات شعبيهما كل واحد منهما بطريقته ، مع ما يعنيه هذا من القدرة كذلك على ربط هذه العذابات بعضها بالبعض الآخر ، ودفعها من ثم لتتجاوز حدود المحلية الضيقة إلى فضاء الانسانية الأوسع ، وهي السمة المشتركة بين النصين . وليس هذا الذي نقوله محض افتراء على الواقع ، أو مجرد اختلاق تجود به مخيلة في مقدورها التهويل والتضخيم ، فمحمود درويش مثلا عندما كتب قصيدته الشهيرة (الهندي الأحمر) التي هي الأخرى من الشعر السردي ، سرعان ما تلقى تعقيبا من السيد(مايك هولي إيغل) ، أحد آخر الهنود الحمر الناجين من مذابح البروتستانت الشنيعة في التاريخ ، والتي راح ضحيتها من بني قومه في حدود المائة وعشرين مليونا على امتداد سنوات الابادة التي هي عمر ما صارت تعرف باسم الولايات المتحدة الأمريكية : مرحبا يا صديقي منير

(يقصد منير العكش صاحب مجلة جسور التي تصدر في ولاية ميرلاند الأمريكية باللغتين العربية والانجليزية ، والتي نشر فيها كل من التعقيب والقصيدة) . لقد قرأت قصيدة الشاعر الفلسطيني محمود درويش (الهندي الأحمر) ، فأرجوك أن تقول له بأن لا يصدق الرسالة المنحولة على لسان زعيمنا سياتل الذي رفض بيع أراضينا للمهاجرين البيض على الرغم من كونها الدافع وراء كتابة القصيدة ، وعند ذلك فإنه سوف يكون شاعر الهنود المفضل ، بل ولربما يكون شاعرهم الأهم .

إن مثال درويش هذا الذي نقدمه مع الهندي

الأحمـر ، هو نفسه ما يمكن أن يكون عليه مثال شيركو بيكه س مع أي فلسطيني سرقت أرضه منه كمثل ما سرقت أراضي الهنود الحمر وأراضـي الكرد ، ففي وسعه القول : مرحبا شيركو بيكه س . لقد اختصرت في ملحمة (مامه ياره) التي هي كردية الوجع والعذاب، ملاحم الهنود الحمر جميعهم ، سواء أولئك الذين عاشوا منهم في أمريكا قـارة المجاهل والابادات المريرة المرعبة ، أو أولئك الذين نحن منهم كذلك في فلسطين وكردستان ، فتحية إليك واحـدا من أهـم شعرائنا الذين واكبوا حياتنا المليئة بالحفر والحفريات كليهما معا : الاولى التي تعترض طرقنا النيسمية المملوءة بالغيلان والسعالي ، والأخـرى الـتي يتركها الجـلادون والمحققون في أجسادنا التي يودون إقتلاع أرواحنا منها .

وثمة هنا مما يجب التأكيد عليه قبل البدء بهذه الدراسة ، اثنان من المصطلحات الهامة مما يجب التفريق بينهما . فأما المصطلح الأول الذي تدور الدراسات فيه عادة في داخل الأدب القومي الواحد ، بين منتجين أو أكثر ، فإنه مصطلح الموازنة ، كمثل ما يمكن أن تكون الموازنة بين شيركو بيكه س ولطيف هلمت الشاعر الكردي الآخـر ، أو بين محمود درويـش وبـدر شاكر السياب الشاعر العربي الآخر . وأما المصطلح الثاني الذي تدور الدراسات فيه بين منتجين أو أكثر مـن قوميتين ولغتين مختلفتين ، فإنه المقارنة ، كأن نقوم بالمقارنة بين شيركو ودرويـش اللذين لكل واحد منهما لغته التي يكتب بها وقوميته ، أي هويته المختلفة عن هوية الآخر وكما سيجري في هذه الدراسة . وتأسيسا على هذا الفهم يأتي القول بأن هذه الدراسة من الأدب المقارن ، الذي من مجالاته كما نعرف : الأسلوبية المقارنة ، البلاغة المقارنة ، وأبنية المخيال وسوى هذا مما يتناوله النقاد عادة في دراساتهم ، دون أن يغيب عن أذهاننا أنه في المتاح من الأحكام القول بإمكانية إخراج دراسات بعينها من دائرة الأدب المقارن ، كمثل ما فعل محمد غنيمي هلال من إخراج المقارنة بين المعري وملتون الشاعر الانجليزي مثلا من دائرة الأدب المقارن ، رغم ما يجمع بينهما من فقدان البصر وتأثيره في شعرهما ، ورغم ما عندهما من آراء دينية متطرفة ، والقول بأن تشابه آرائهما ، وظروفهما أو مكانتهما الاجتماعية ليست لها قيمة تاريخية ، على اعتبار أنه ليست بينهما صلة توالد وتفاعل تأثير وأثر (٣) .

وبمعنى آخـر ، فإنه ما دامـت هـذه الدراسة تحقق شرط الانتماء للنوع المقارن من الأدب : اختلاف اللغة أو اختلاف القومية ، أحدهما أو كليهما معا ، فإنها أصبحت كذلك ، واحدة من الدراسات المقارنة . ومن أجل أن تكون لها جدوى ، فإنها سوف تتوخى تحقيق ما يضع كاتبها في خانة المثقف النقدي الذي غايته تجاوز كل أشكال الأسيجة الدوغمائية والأيديولوجية التي تحول النصّ – أي نصّ، إلى مجرد أيقونة تأخذ قداستها بـدون وجـود سبب حقيقي . وهي أيضا وفي محاولتها لتحقيق ما سبق ، سوف تسعى إلى مقارنة بعيدة عن الانفعال العاطفي بين شاعرين ، للكشف عما بينهما من أوجه الشبه والاختلاف ، بعد أن تكون قد وضعت في حسابها أنها أمام قامتين عاليتين ، ليس من شأن إحداهما أن تأخذ النصيحة من القامة الأخرى ، ذلك أن المفاضلة سوف تضيّع الكثير على الاثنين في الوقت نفسه ، مثلما قد تفقد هذين النصين الكثير من مقوماتهما الجمالية . إن هذا وذاك ، ليس بذي قيمة أمام قضيتين فيهما من التراجيديا والأحـزان ، ما يجعلنا

ننأى بأنفسنا عن كل ما يمكن أن يضرّ بهما ، وبالشعبين اللذين جاء كل من درويش وشيركو لتجسيد ما عندهما من التراجيديات الواقعية في قصيدة سردية ودرامية قوامها الحفر في الأعماق ، والاجابة على أسئلة وجودية ذات طابع جوهري وليست ثانوية ، وهذه ميزة الشاعر الهارب من مجرد الكلام العابر إلى الكلام الآخر الذي يستطيع أن يؤسس له قواعد في الوجدان ، كمثل الذي نراه في هذين النصين ، وهما يبحثان عن نسق دلالي يكاد يتشابه في مادة المأساة ، وبما يذكرنا بقول ل(إزرا باوند) مفاده : على معشر الشعراء المحدثين الاعتقاد بأن لديهم القدرة على أن يأتي كل منهم بهيلين خاصة به ، ذلك لأن هيلين الأسطورة ليست هي الوحيدة التي لا يتكرر وجودها (٤) . إن ما يذهب إليه باوند ، إنما يعني قطعا بأن هيلين ليست حكرا على طروادة ، وأن في مقدور أي شاعر أن يأتي بهلين أخرى ، وبملحمة ثانية ، تتلاقى مع الملحمة الأم ، أو قد تختلف عنها . وهذا هو مغزى التذكر ، الذي يقودنا قطعا إلى القول بأن القصيدة السردية شأن شعري لا يتحدد بشاعر معين ، ومثل هذا أيضا ، فإن التراجيديا ليست حكرا على شاعر ما ، وأنها يمكن أن تنفجر تعبيريا هنا وهناك .

وإذا كان شأن الشاعر محمود درويش كما يقول محمد شاهين كمثل شأن كبار الشعراء المحدثين أمثال إليوت وباوند وأودن ولاركن ، حيث ان وظيفة الخطابة عند أولئك الشعراء تصبح إثارة بعيدا عن التكرار وعن التجريد ، وعن الاستطراد والتفاصيل التي تمزق أوصال الموضوع وتحل محلها مسرحة الحدث(٥) ، فإن شأن شيركو بيكه س هو الآخر كمثل شأن هؤلاء فيما ذهب إليه شاهين من شأن درويش مقارنة بهم ، وهو أيضا كمثل شأن شعراء عرب كبار من أمثال السياب والبياتي وأدونيس وقباني وغيرهم ، وحيث وظيفة الخطاب الشعري عنده وعندهم تنأى عن المألوف من الأقوال والأفكار ، وتبحث عن الجديد الذي يحقق هدفه في التميز ، ليس على مستوى الشعر الكردي وحده ، وإنما على مستويات شعرية أخرى مجاورة للكرد وبعيدة عنهم ، إن في رومانسياته الجميلة ، أو في ملاحمه وقصائده الدرامية الطويلة كمثل ما نرى في (أنشودتان جبليتان) و(الصليب والثعبان والشاعر) ، اللتين تكشفان عن طول باع ، وعلو قامة سوف نبخسها حقها إذا ما رأيناها أقل من غيرها من القامات علوا وارتفاعا ، في منجزها الشعري الذي يعتبر إحدى خزائن الكرد النفيسة ، الجاذبة للأنظار والهوى والانحياز حتى ، وهذه واحدة من غايات الشاعر الثوري، الذي جعل وطنه مرتعه الذي فيه يحيا ، وكذلك كفنه الذي به يتدثر عند مماته .

ليست غاية هذه الدراسة أن تخلق شعرا ، وإنما هي سوف تحاول أن تخلق تاريخا وفلسفة بشكل ما ، بإظهار ما في حياة الكرد والفلسطينيين من المآسي والمرارات ، التي من خلالها يكون فجر وتكون حياة . وهذا هو دور الناقد التاريخي الذي نتمناه لأنفسنا .

إن اللغة الشعرية ، وكذلك الصور الشعرية ، وغيرها مما يرتبط بالخطاب الشعري ، أمور ضرورية ليس في مقدور الناقد تجاوزها وعدم الالتفات إليها . لكن مما يلا يقل أهمية عنها في اعتقادنا ، البحث عن أفضل السبل التي تجعل الشاعر فاعلا اجتماعيا ، مثلما هي اللغة فاعل اجتماعي ، في أفضل التعريفات التي قدمها علماؤها لها . وإذ ننأى بهذه الدراسة عن الهدف الذي يتمثل بخلق الشعر ، فذلك لأنه ليس من شان الشاعر خصوصا إذا ما كان في مثل المنزلة التي وصل إليها الشاعران شيركو ودرويش أن

يتلقى التلميحات والنصائح من أي كان ، مهما كانت منزلة هذا الساعي إلى النصح والارشاد رفيعة ، وهي المنزلة التي لا نزعمها لأنفسنا ، ولا نعتقد بأن أيا كان في مقدوره أن يزعمها لنفسه ، إذا ما ارتفعت عنده وتيرة الرغبة بالحرص على الحديث عن النص الشعري الذي يتناوله بضرورة فحصه من داخله وليس على وفق النظرة المطلة من الخارج ، والآتي صاحبها بأحكام نقدية مؤيقنة ومقدسة كمثل ما يصار إلى تقديس أوثان الفكر وسواها من الأوثان . وفي صريح العبارة فإنه وعلى الرغم من أنه قد يظهر عكس هذا الأمر ، فإننا لا نسعى إلى ترجيح كفة أي من القصيدتين على كفة الأخرى ، وإنما الهدف الكشف عن الكيفية التي يحرر بها كل من شيركو ودرويش الكلمات مما يسميها ميشيل فوكو المضامين الصامتة التي ترتهنها ، وتطويع الكلام وتسييله من الداخل بحيث يمكن الواحد منهما من تمثيل دينامية الحياة (٦) .

العنوان – عتبة العبور إلى الداخل

===================

تحمل القصيدتان اسمي بطليهما : الكردي مامه ياره الذي يسقط في نهاية صراع مرير مع العثمانيين ، الذين جاءوا لاحتلال أرضه كردستان ، والفلسطيني سرحان الذي يتهم بقتل الرئيس الأمريكي جون كندي . والشخصيتان وكما سبقت الاشارة واقعيتان ، ولهما في الوجدان الجماعي لدى كل من الكرد والفلسطينيين حضور قوي ، لربما كان من بين الأسباب التي دفعت كلا من شيركو بيكه س ومحمود درويش للبحث كل واحد منهما على حدة ، عن معادله الفني ، الذي سوف يحاول أن يستنفد من خلاله غايته في تقديم واحدة من التراجيديات المريرة ، وإن كان ما نراه من هذه التراجيديا في (ملحمة مامه ياره) أشدّ قسوة وأكثر مدعاة للوقوف أمامها واستكناه دواخلها . وهي أشدّ سطوعا مما في (سرحان يشرب القهوة في الكافتيريا) . ولأن العنوان في موقعه الابتدائي من النص أقرب ما يكون إلى العتبة التي يتم العبور من فوقها إلى داخل البيت أو سواه من الأبنية ، فإن اختيار اسمي البطلين ووضعهما في العنوانين، لم يأت اعتباطا ، ولا هو مما يخلو من السبب الفلسفي – فلسفة العنوان . وهما في صورة ظهور الواحد منهما أمامنا على هذا النحو ، كأنما من أجل أن يقترح الشاعران علينا من خلالهما مدخلا إلى القراءة التي يتوخيانها للوصول إلى فهم دقيق يمكننا تحقيقه ، مع ما يضاف إلى هذا من الرغبة في جعلهما بؤرتين ، كل واحدة منهما في النصّ الذي تظهر فيه ، تجتمع فيها وحولها مختلف المتون الشعرية ، ومثل هذا مختلف خيوط الصراع الذي يحتدم بين كل واحدة منهما وعلى انفراد ، وبين عدوين مفترضين ، أحدهما العدو العثماني ، والآخر العدو الصهيوني ، وبحسب الطريقة التي يقررها الشاعران .

صحيح أن القصيدتين تتشابهان في تضمين اسمي البطلين في عنوانيهما ، إلا أنه بالقدر الذي يوحي فيه عنوان قصيدة درويش بحالة من الاسترخاء التي يمر البطل بها بعد مهمة صعبة وقاسية ، وذلك بدلالة المكان – الكافتيريا الذي يفصل في الغالب بين حالتين من حالات الانسان إحداهما لا تخلو من المنغصات والمتاعب ، والأخرى بعكس ذلك ، تخلو من كل ما سبق ، فإن مامه ياره (الذي هو العم ياره) عند شيركو، يعيش حياة أقل ما يمكن أن توصف به ، بأنها مأساوية، وذات طابع ملحمي من طراز فريد بحسب ما يفضي إليه النسيج الشعري .

ومن هنا ولكي ينجح شيركو في التعبير عن هذه الحالة المأساوية ، فقد تأسست عتبة النصّ عنده وبحسب هندسته اللغوية لها ، بعد استخدامه مصطلح الملحمة ، من حيث كون هذا المصطلح يشير إلى صيغة في التعبير الفني ، الدالات فيها إلى التراجيديا كثيرة ومتنوعة ، وربطها بمامه ياره الذي سوف يتوحد صوته مع صوت شعبه ، وكذلك مأساته التي ستكون شاملة .

سوف لن ننسى ونحن نشير إلى التشابه في قيام الشاعرين بتضمين العنوانين اسمي البطلين : مامه ياره وسرحان ، أنهما وكل واحد منهما بطريقته ، يحاولان من خلال هاتين الشخصيتين ، الاجابة على سؤال الحياة والموت الذي يلاحقهما كشاعرين ينتميان إلى شعبين مناضلين عليهما مصارعة خصومهما . إنه واحد من الأسئلة المهيمنة في النصين وليس السؤال الوحيد . سؤال حياة وموت كل من مامه ياره وسرحان ، اللذين لا يتم النظر إليهما شعريا في معزل عن الصراع الذي يخوضه الشعبان : الكردي والفلسطيني ، وبالتالي فهوسؤال حياة وموت جميع الكرد والفلسطينيين على حدّ سواء . ومما نلاحظه أن كلا الشاعرين يحاولان معادلة القصيدة بقوة الخصم الذي يواجهه هذا البطل وذاك : مامه ياره وسرحان . وإذا كان درويش يعمل على معادلتها بقوة الغارة الجوية التي يقوم بها الطيران المعادي لسرحان ، لتكون بالتالي قادرة على الصعق هي الأخرى ، فإن شيركو يحاول معادلتها بقوة طائر العقاب الذي لا تغمض عيناه (الرمز الدال إلى القائد العسكري التركي الذي يدور الصراع بينه وبين مامه ياره) . ومن هنا أيضا فإن تجهيز مسرح الأحداث ، وبروز كل من نجيب باشا عند شيركو ، والمحقق عند درويش ، أصبح يحتم على الشاعرين وجوب تضمين العنوان هذين الاسمين : مامه ياره وسرحان .

بهذه الاشارات نرى أنفسنا أمام الصنعة في الشعر . وإذا كانت القصيدتان تؤكدان على الاستمرارية ، وعلى عدم توقف الصراع حتى لوابتعد كل من سرحان ومامه ياره عن مسرح الأحداث ، فإنهما إنما تؤكدان بأن كاتبيهما ليسا بصدد تأكيد وظيفة الشعر الذي يكتبانه في حياة شعبيهما فقط ، وإنما بصدد البحث عن نوعيته : القصيدة السردية الدرامية والملحمية في آن . ذلك أنه ليس من المهم أن يكتب الشاعر قصيدة ، وإنما الأهم أن يسأل نفسه ، وعلى غرار ما سأل كل من شيركو ودرويش نفسيهما : ماذا أكتب ؟ إنه إذن الوعي في أفضل تجلياته ، ما يدفعهما لاستخدام هذا النوع من الشعر السردي بكل ما فيه من القدرة على إبراز أقسى التراجيديات مرارة .

البنية وقنوات النصّ :

=========

تبقى الحقيقة في مختلف صورها حاضرة في النصّين ، بدلالة أن الشاعرين لا يقدمان الصورة بالأبيض وحده (المقصود تقديم الصورة الايجابية للبطل أو للشعب وحدها وصرف النظر عن كل ما هو سلبي في حياتهما) ، وإنما بوجود الأسود إلى جانبه إن اقتضت الضرورة الأخلاقية ذلك ، يقول شيركو :

من شرارة المؤامرة اندلع اللهيب ، وكأنها سقطت
بين العشب
المتيبس
في سهل في أواخر صيف
صارت تسري بسرعة
بين معسكر فرسان (بابان)
وأبناء عمومة احمد باشا انفسهم
ذبحوا ظبي العهد والوفا

سقط دم العهد قطرة قطرة
من بين شوارب ولحى المتقطرين خجلا
انطفات مشاعل كرّ الفرسان (يقصد خيانة احمد باشا وسواه ،
وتخليهم عن ماما ياره وتركه
بمفرده في ساحة القتال مع
العثمانيين).
ويقول درويش في الصفحة السوداء :
وما القدس والمدن الضائعة
سوى ناقة تمتطيها البداوة
إلى السلطة الجائعة
وما القدس والمدن الضائعة
سوى منبر للخطابة
ومستودع للكآبة (يقصد خيانة العرب لسرحان وتخليهم عنه)

ومما ينبغي لفت الانتباه إليه ، أنه ما دامت الحقيقة هي غاية الاثنين ، فإن البنية وقنوات النصّ التي يجري فيها النصّ الشعري ، سوف تخدم هذه الغاية ، ومن هنا نرى في الموجودات داخل ميداني الصراع في كل من القصيدتين ما يحمل القارئ لرؤية هذا الأمر . فهذه الموجودات عند شيركو هي : مامه ياره (البطل الكردي وحامل راية القتال ضد المحتلين) ، نجيب باشا(القائد العسكري العثماني الذي جاء لاحتلال المكان الكردي الذي يمارس الجرائم فيه) ، عدد من الأصدقاء ممن يحاربون إلى جانب مامه ياره من فرسان بابان ، ومثلهم أرض كردستان التي تحارب مع البطل هي الأخرى ، وعدد من الخونة وفي مقدمتهم أحمد باشا البابائي الذي تغريه العملة العثمانية فيتنازل عن شرفه الوطني من أجل الحصول عليها . وهي عند درويش : سرحان البطل الفلسطيني الذي يتهم بقتل الرئيس الأمريكي جون كندي ، المحقق قاتل سرحان ، وعدد من الأصدقاء والأعداء كذلك . وإذا كان شيركو قد اهتم بالمسميات الكردية فجعلها من بين أبرز مفردات البنية اللغوية للملحمة التي كتبها ، فإن درويش لم يعرها مثل هذا الاهتمام ، ولربما انحصر الأمر بالاشارة إلى مرج بن عامر لا غير . إن شيركو بصورة عامة ، ومثله الشعراء الكرد عموما ، يظهرون وباستمرار تشبثا بالمكان واحتفاء، قل أن نرى ما يماثلهما في أي من أشعار الأقوام الأخرى ، بما فيها تلك التي احتلت أراضيها . وإلى هذا ومن أجل التقريب ، فقد أحصينا اسماء عشرين مكانا كرديا في الملحمة ومنها : جبل بوتان ، جبل شاهو ، جبل كويزه ، ضفة سيروان ، جبل به مو ، كويه ، شهرزور ، وبيره مه كرون ..

لا نريد الذهاب بعيدا نحو تفاصيل ربما يثقل الاهتمام بها كاهل النقد فينحرف به إلى ما لا يفيد هذه الدراسة المقارنة كثيرا ، ولكن مما ينبغي ذكره حول البنية هنا ، أن الاثنين : شيركو ودرويش يبتعدان عن البساطة في النص الشعري ، ويذهبان إلى فضاءات يمكننا اعتبارها مما يهتم به النصّ الحداثي ، الذي يحرص صاحبه على تقديم أفضل تقنيات اللغة الشعرية . وهما في استخدامهما السرد القصصي ، يحافظان على ما في هذا السرد من التدرجات الدرامية التي يتصاعد فيها الصراع حتى يبلغ أقصى مدياته . صحيح أنه لربما تحدث انقطاعات في مجريات هذا السرد ، إلا أنها ليست مما يقطع دابر العلاقة التي تم إحداثها في القارئ ، ولا هي بالمؤثرة سلبا على زمن التوصيل على وفق قواعد نظريات التوصيل المعروفة . ويقينا فإن مثل هذه الانقطاعات إذا ما وقعت ، فإنما من أجل إثراء النصّ ، وعلى غرار ما نراه من قطع في هذا السرد عند درويش حينما يقول (هم يحرثون

طفولتنا ويصكون أسلحة من اساطير أعلامهم لا تغني ، وأعلامنا تجهض الرعد ، نقصفهم بالحروف السمينة : ض.ط.ص. ق . ع ، ثم نقول انتصرنا) . إنه القطع الذي يتم الذهاب فيه إلى الواقع العربي ، أحد أهم عوامل إجهاض ثورة سرحان .

إن تقنية السرد واضحة تماما في القصيدتين . ومثلما في كثير غيرهما من النصوص ، فإن حركة الدراما فيهما أشبه ما تكون بالدائرية . إننا على سبيل التوضيح إذا ما توقفنا أمام قصيدة شيركو ، فسوف نطل من خلال سطورها الاولى على ما استقرّ في وجدان الكرد الجماعي من المعتقدات حول استمرارية بقاء الشهيد في وسط الشعب الكردي وعدم رحيله عنه بمصرعه في ساحات الوغى . وهذه البداية- المعتقد الجماعي ، سوف تكون هي نفسها بداية مامه ياره بعد استشهاده هو الآخر ، وإن كان ظهوره وبحسب ما تحملنا إليه القصيدة سيختلف عن ظهور – عودة كل من (كاكه مه م) و(بريموك) الشخصيتان الأخريان في الملحمة . تقول البداية في الملحمة :

يرون (كاكه مه م)
ينزل بتمهل
من هودج غيمة بيضاء منخفضة
ويقف
في بيدر شقائق النعمان فوق تلة
يبحث بعينيه
إنه عائد يبحث عن (خاتو زين)

وتقول بداية ظهور – عودة مامه ياره :

إنهم يرون
مامه ياره فارسا كئيبا وهو عائد
يبحث بعينيه
المفعمتين بالسؤال
يعدو بحصانه في ضفة سيروان ذهابا وإيابا

هكذا ومن بين ما يمكن أن نلاحظه كذلك ، أن الأمل بالانتصار وبفجر جديد عند مامه ياره – الشاعر شيركو ، يقابله أمل بالانتصار وبفجر جديد عند سرحان – الشاعر درويش . وكلاهما لا يعتريه اليأس أيا كانت درجته التي يمكن أن يظهر فيها . يقول درويش :

وسرحان يحمل أرصفة ونوادي ومكتب حجز التذاكر
سرحان يعرف أكثر من لغة وفتاة ، ويحمل تأشيرة
لدخول المحيط وتأشيرة للخروج ، ولكن سرحان قطرة دم تفتش عن جبهة نزفتها ، وسرحان قطرة دم تفتش عن جبهة نسيتها وأين

ولربما يقول البعض بأن السردية في قصيدة درويش قد حكمت على سرحان بالنفي من وطنه ، إلا أنه بقي فيه . وإذا كان الحكم قد صدر حتى بحرمانه من الهوية ، إلا أنه لم يتنازل عنها (وماذا حدث ؟ أنت لا تعرف اليوم ، لا لون ، لا صوت ، لا طعم ، لا شكل ، يولد سرحان ، يكبر سرحان) . وكمثل ما حدث مع سرحان ، فإذا كانت السردية في قصيدة شيركو قد حكمت على مامه ياره بالسقوط شهيدا بعد معارك ضارية مع نجيب باشا ، إلا أنه وقد كان في مقدوره فعل ذلك لم يرحل عن أرضه ، وبقي في وسط شعبه حتى اللحظات الأخيرة ، لا بل إنه علاقته بهذا الشعب لم تنقطع بعد أن دفن في التلة التي صارت مقبرة تحمل اسمه :

أيا (مامه ياره)
أيها التاريخ المقوقع
لثغر الأوجاع
يقرأ شعاع الفجر

من خلال مغرب عينيك
تصلنا رائحة البارود
حتى الآن
من خلال جرح جسدك العتيق
إنه صهيل جوادك الأصهب
يصهل فوق رؤوسنا
من ذلك العلو
يوميا

صحيح أن سرحان قد طرد من أرضه في مجرى الصراع ، وأن مامه ياره قد سقط شهيدا ، إلا أن الصراع في الحالتين لم يتوقف ، بدلالة الكثير مما تلمح إليه القصيدتان من استمرارية هذا الصراع وعدم استعداد أي من البطلين لمفاوضة العدو والاذعان لشروطه . ولننظر إلى إجابات كل من مامه ياره وسرحان على أسئلة نجيب باشا ، والمحقق ، ففيها الكثير مما يغني ذائقة الباحث عن التواصل وعدم التوقف .

في الحالة الاولى – مامه ياره يقول الحوار بين الاثنين المتحاربين :
- إذن أنت (مامه ياره)
⋆ نعم أنا (مامه ياره)
- أي إبليس
دخل إلى عبّك (صدرك)
أي جربوع من بلاد الكفر
كان يحفر في أعماقك
كيف كنت تواجه بمفردك
زوبعة بحر السلطان
وعرين اللهب ؟
⋆ إن من يغتال الزهور والرغيف والماء
لهو إبليس بعينه
أنا لم أكن بمفردي
كان معي بلوط الجبل
وقصائد (نالي) (أحد أهم الشعراء الكرد)
لم أكن بمفردي

في الحالة الثانية ـ سرحان
ـ ما اسمك ؟
ـ نسيت
- واسم أبيك ؟
- نسيت
- وأمك ؟
ـ نسيت

ومما نلاحظه أن بطلي القصيدتين وبدل الخضوع والاذعان لشروط السجان التي عادة ما تكون مهينة وبهدف سحق مختلف أشكال المقاومة عند هذا السجين وذاك ، فإنهما في مواقفها السلوكية المتتالية ، يكشفان عن تبرم كبير بالاستسلام ، واستعداد أكبر لمواصلة الصراع . نقرأ في ملحمة شيركو :

أيا (مامه ياره)
يا شرارة محبوسة
داخل قفص ليلتنا هذه
لا تنطفئ
حين ترفِ عيناك
ينتشر الظلام خلفك
لا تنطفئ
حين تشتعل عيناك
يشعر العقاب (يقصد الجنرال العثماني نجيب باشا)
أن ريشه يحترق
وسهام الخوف
تستأصل ضحكته ليلة البارحة
من جذورها

ونقرأ في قصيدة سرحان التالي :

نعرف .. لكن كل القيود القديمة
تصير أساور ورد
تصير بكارة
في المنافي الجديدة

يعول السرد في القصيدتين كثيرا على الإيحاء . وهذه واحدة من أهم خصائص الشعر قوي الجذب ، وهو بغير هذه الصفة سوف يتحول إلى مجموعة شعارات يلقيها الشاعر ويمضي ، ربما بدون أن يدرك بأن مهمته قد انتهت بانتهاء عملية الكتابة ذاتها ، وليس بانتهاء قراءة القصيدة والفراغ منها . إن كلا من شيركو ودرويش أقام فوق ورق الكتابة ما يظنه البناء الأقدر من سواه على إيصال الثيمات الفكرية التي يريد إرسالها إلى القارئ . ولقد عرضا بسلاسة منقطعة النظير اثنتين من القضايا التي ما تزال تشغل أذهان الناس في مختلف الأمكنة ، هناك بهذا المعنى خصمان يتصارعان : أحدهما القوي بالسلاح والمكر والحيلة ، والثاني الضعيف بالسلاح إذا ما قورنت قوة سلاحه بما لدى الخصم من القوة ، ولكنه القوي بالارادة . يقول درويش وبما يبين هذا :

قال : اذهبوا ، فذهبنا
إلى الأمهات اللواتي تزوجن أعداءنا
وكن ينادين شيئا شبيها بأسمائنا
فيأتي الصدى حرسا
ينادين قمحا
فيأتي الصدى حرسا

ويقول شيركو على لسان مامه ياره :
أناديكم
أقذف
من هذا المكان
بصخرة صرختي
إلى داخل برك قلوبكم ، الهادئة والساكنة
سيقتلكم هذا الصمت
إن لم تقتلوه
ستذبحكم أنثى الغول تلك
إن لم تذبحوها

إن كلا من سرحان ومامه ياره يبحث عن تربة صالحة ليزرع فيها أحلامه ، بعد أن شاهدا الخيانة بعيونهما . هذه التربة هي ما ستوحدهما مع شعبيهما ، وتجعلهما يتشابهان إلى حد كبير في التعبير عما يجيش في أعماقهما . ولم يكن عبثا بالتالي التقاء الشاعرين عند مفردة " الأكمام" لتكون منها الدالة إلى الموت والانبعاث كليهما معا . يقول درويش :

ويكتب سرحان شيئا على (كم) معطفه ثم تهرب
ذاكرة من ملف الجريمة ..تهرب ، تأخذ
منقار طائر
وتأكل حبة من قمح مرج بن عامر

ويقول شيركو :
وتظل الصيحات وصهيل الحصان
تدوي وسط الضباب
يلف مامه ياره (أكمامه)
ويضرب بقدميه مهماز الحصان
يشتعل كما نوروز

إنه البحث عن عنقاء وفجر جديد . سرحان مع الغيمة والريح وعلى هذا النحو :

تمزق غيما وترسله في اتجاه الرياح . وماذا ؟ هنالك
غيم شديد الخصوبة .. لا بدّ من تربة صالحة
أتذهب صيحاتنا عبثا
ولا بدّ من أن تظهر العنقاء
كل يوم نموت ، وتحترق الخطوات وتولد عنقاء

ناقصة ، ثم نحيا لنقتل ثانية

ويكون عند شيركو على هذا النحو :

أيا مامه ياره المتروك بمفردك
داخل الجمرة
ها هم فرسان الترك
وقد وصلوا فوق مدافعك
نزيف جراح كتفك
وذراعك فاح وجلي
يرسم الورود
على (أكمامك)
نحن نراك حين ترفعها
وأنت تقود الدبكة المقامة على موتك
تصبح قامتك مرآة
وترسل ضوء أحمر صوب الجبل
تأتي وتذهب
تلبس الموت
بقامة القمة

هكذا فإن مفردة (الأكمام) التي ينمو الورد فوقها عند شيركو ويكتب درويش فوقها بالقلم، تحمل القصيدتين إلى تماثل من نوع مدهش ، ولعلها ذائقة الشعر التي جمعت الشاعرين عند منهل واحد يطلان عليه من ذات الزاوية . وإذا كان سرحان قد غادر أرضه ، فإن مامه ياره لم يفارقها . ولقد حافظ بعكس سرحان على هويته الكردية ، ليس فقط من خلال ما يوقظه شيركو في بناء قصيدته من موروث أغاني (اللاوك) و(الهورة) و(القه تار) ، وإنما من خلال البطل ذاته ، وهو يحمل رؤوس أولاده المذبوحة كذلك ، ويواجه شعبه :
ياره الآن
وجع مقوس الظهر
إحدى ذكرياته تمسك بالعصا
وتلف أزقة وأسواق وشوارع المدينة
لاهثة
ويصطحب معه
رؤوس أولاده المذبوحة
محدقا في أعينهم
الجاحظة
يقف ياره فجأة
أمام مدخل مسجد مولانا
يقف ويعتلي منصة ويوجه شمسه
صوب ظلام دواخل هؤلاء القوم
ويقول لهم :
أناديكم

إن كلا من شيركو الشاعر الكردي ، ودرويش الشاعر الفلسطيني ، يحاول البحث عن الطرس الخاص الذي يصبّ فيه مختلف ما تفور به نفسه من الأحلام والمشاعر، وهما يعيشان مآسي شعبيهما كل بطريقته . لكن مما يثيرنا ويلفت الانتباه في الطريقة التي يسلكها شيركو ، أنه بهدف البحث عن جذر تستقوي القصيدة به وتعلو كشجرة ، استحضاره من موروثه الكردي ما يفيد في تخصيب القصيدة ـ الملحمة ، شخصا كان هذا الموروث ، أو موقفا أو عقيدة وطقسا وما سوى ذلك . وسوى هذا فإن شيركو يعد من بين أبرز وأهم أولئك الشعراء الذين لا يخفون احتفاءهم بالأمكنة التي ينتمون إليها ، وتتخذها قصائدهم فضاءات لها . إنه لا يغيّب الأرض بمسمياتها الكردية ، التي يرى بأن الصراع مع المحتل إنما من أجلها وبسببها . إنها ملحمة تم تأثيثها بكل ما هو كردي ، وعلى هذا النحو الذي أحصينا فيه أسماء عشرين مكانا ، وأسماء اثني عشر شخصا ، ومثل ذلك سبعة أسماء مما تفيد الاشارة إلى الموروث . وبمعنى آخر فإن المناخ

العام في الملحمة كردي بامتياز ، وكذا فضاؤها الذي تتحرك فيه أحداث ملحمة مامه ياره ـ الصرخة الكردية التي لن تخبو ما دام هناك سلطان عثماني أو سواه ممن يقتاتون من أوجاع الكرد وعذاباتهم ، أو كما يقول شيركو في واحد من أجمل مقاطع الملحمة قوة وتركيزا وإيحاء :

توضأ السلطان بدماء
الأطفال الرضّع للكورد ، وزوجة السلطان
كحلت عينيها
بسواد رماد عظام (حبيبة) و (شه م)
العاشقتين

أخيرا : فإن للشعر مذاق ، وللنثر مذاق آخر . وإن لغة الشعر تختلف حتما عن لغة النثر ، وإن تداخلت الاثنتان . وإذا كان الكثيرون من النقاد يقولون بوجود بعدين للغة فيما يتعلق بالاستخدام والتداول : الاستخدام الاشاري ، والاستخدام الانفعالي (٧) ، فإن القصيدتين تميلان إلى استخدام النوع الاشاري أكثر من ميلهما إلى النوع الثاني الذي تعلو نبرته في مقاطع بعينها وبالذات عند درويش . ولربما وقع هذا بسبب ما فيهما من التراجيديا وأحزانها . إن الولولات والصيحات وبصرف النظر عن شدتها أو حدتها ، لا يمكن أن توقف مجزرة ، والقول الفصل يبقى للسيف . إن الأنهار الكبيرة تصمت دوما ، فيما الجداول الصغيرة تثرثر باستمرار ، والقصيدتان على هذا النحو من الأنهار الكبيرة إذا صحت المقاربة . ولعله مما يجدر قوله ، أن الاثنين : شيركو ودرويش يترفعان باللغة عن أن تكون نفعية ، تماما وكترفع مامه ياره على كل أموال السلطان وهباته التي لم تستطع أن تعمي سوى عيون الخونة ممن يفضحهم . يترفعان بها على وفق قول سارتر وهو يتحدث عن شروط الشاعر الكبير .

ونستطيع القول أخيرا : بأن هاتين القصيدتين السرديتين ، يقع الكثير من مقاطعهما في خانة طريقة التعبير السينمائي ، من حيث أنهما كمثل السينما تحلمان ، وترفضان التمويه ، وتهتمان بالتفصيلات الفيزيائية ، التي يبدو اهتمام شيركو بها أشد مدعاة للدهشة ، وهما سوى ذلك تهتمان بالإيقاع ، وهي اهتمامات جميعها ترتقي بالقصيدتين إلى المكانتين المرموقتين بين غيرهما مما قدمت أسفار الشعوب المقاومة .

الهوامش :
====
(١) أنظر / شيركو بيكه س / أنت سحابة .. فأمطرك (مختارات شعرية)
ترجمة وتقديم / دانا أحمد مصطفى / السليمانية ٢٠٠٤
(٢) محمود درويش / الديوان ـ المجلد الأول ـ دار العودة ـ بيروت ١٩٩٤
(٣) عن / محمود طرشونة / مدخل إلى الأدب المقارن / دار الشؤون الثقافية
العامة / بغداد ١٩٨٧ ص١٤
محمد شاهين / الأدب والأسطورة / المؤسسة العربية للدراسات والنشر /
١٩٩٦ ص٨٥
(٥) شاهين / نفسه ص٨٧
(٦) ميشيل فوكو / الكلمات والأشياء / مركز الانماء العربي / بيروت ١٩٨٩
ص٢٥٤
(٧) د. عبدالرحيم مراشده / شعرية اللغة في الشعر العربي المعاصر / مجلة
أفكار ٢٧٠/ ٢٠١١



مطر الشعر من الجنوب مختـــارات شعـريـة ل (شيركو بيكه س) باللغة التركية

الترجمة عن التركية: دلشا يوسف

صدر حديثا مختارات شعرية للشاعر الكردي الكبير شيركو بيكه س باللغة التركية، عن دار "به لكه" للطباعة والنشر في إسطنبول، بترجمة مشتركة من سيروان رحيم و آزاد ديلاور و بكر شواني.

يتضمن الديوان مختارات شعرية منتقاة من ستة دواوين شعرية للشاعر شيركو بيكه س. كتب المترجم سيروان رحيم المقدمة للديوان، والـتي جـاءت تحت عنوان " الشاعر الذي إستلهم كلماته من قاموس الطبيعة"، حيث إفتتح مقدمته بأبيات من قصيدة للشاعر، منشورة في ديوانه المعروف " الصليب و الثعبان، و يوميات شاعر":

أنا أدوّن
عجز اللسان
من أجل تخفيف عجزي
كما أفعل ذلك
بدافع حبي للشعر و لشعبي

و بعد ذلك يغوص سيروان رحيم في حياة و عالم شيركو بيكه س، ليلخص للقارئ التركي- الذي يتعرّف لأول مرة بنتاجات الشاعر من خلال هذه المختارات- سيرة حياة الشاعر و المراحل التي مرَت بها في عالمه الإبداعي ، إلى جانب التعريف بأعماله الشعرية و الأدبية.

حيث يقول:

يعيش شيركو بيكه س منذ (٥٠) عاما مع الكلمات و الشعر، و قدم الكثير و ما يزال في سبيل الإلتحام أكثر مع حبه للشعر و لشعبه.

لقد وصل شيركو بيكه س و بدون منازع

إلى هدفه المنشود، في ميادين الأدب و الفن. إن كل من يقرأ قصائده، يشعر بالوله و العشق، و يحصل على لذة لا متناهية، و يخرج في نزهة مع الطبيعة الخلابة. لأن الشاعر يستقي كلماته من قاموس الطبيعة و يلونها بألوانها الشفافة، لذا بإمكاننا القول، أن قصائد شيركو بيكه س تعتبر بمثابة "قاموس للطبيعة". فهو يعيش في إلتحام دائم مع الطبيعة و مكوناتها المختلفة، يدفع الإنسان إلى التفكير و التأمل لدرجة الذهول، و كأنه يمنح الروح و النفَس للطبيعة.

شيركو بيكس هو إبن الشاعر الكبير فائق بيكه س، ترعرع في كنف عائلة مهتمة بالشعر. فوالده فائق بيكه س كان من كبار شعراء الكرد في بدايات القرن العشرين، قضى قسماً كبيراً من حياته كمعلم في مناطق عديدة بكردستان. و كان والده في تنقل دائم، لذا فتح الشاعر شيركو بيكه س عيونه على طبيعة كردستان الخلابة، و هذا الجانب من حياته، منحه عشق الطبيعة و جعل منه ممثلا راقياً للطبيعة.

ولد شيركو بيكه س في ٢ أيار ١٩٤٠، من أم تدعى (شفيقة) و من أب يدعى فائق بيكهَ س.

ترعرع الشاعر شيركو بيكه س في منزل وصفه هو بنفسه، على أن مصابيحه كانت تضيء بالشعر.

شب الشاعر على قصائد و أناشيد والده فائق بيكه س. فقد كتب والده أناشيد وطنية في حب الوطن، و ما تزال قصائده و أناشيده تـدّرس في المناهج الدراسية في كردستان. حيث كانت لقصائده و لمكتبته المنزلية التأثير الكبير على شيركو بيكه س الابن. و رغم فقدان الشاعر لوالده و هو في الثامنة من عمره، لكنه ترك أثراً بالغاً على حياة الشاعر. بعد فقدان شيركو لوالده، لعبت والدته، السيدة "شفيقة" دوراً كبيراً في حياته. حيث إنها وهبته عشق اللغة الكردية، من خلال الحكايات و الأمثال الشعبية التي كانت ترويها له.

و يروي شيركو بيكه س بعض مآثر والدته قائلا:

"كانت والدتي تغني لي، فأنا لم أنسَ أغانيها أبداً. لقد عشقت اللغة الكردية من خلال القصائد و الأغاني و الأمثال التي كانت ترويها لي".

كتب شيركو بيكه س قصيدته الأولى في عام ١٩٥٧، و نشرها في صحيفة (زين) التي كانت تصدر في بغداد. و نشر أول ديوان له بعنوان (ضياء القصائد) في بغداد عام ١٩٦٨.

تأثر الشاعر في بداياته بقصائد الشاعرين كوران و هه ردي، و بعد ذلك، أي بعد إصداره لديوانه الشعري (باللهيب أرتوي) في عام ١٩٧٣ ، إستطاع أن يبدع أسلوبه الخاص في الكتابة.

في عام ١٩٧٠ شارك مع مجموعة من الشعراء الكرد المعروفين أمثال: حسين عارف و جلال ميرزا كريم و كاكه مم بوتاني في تأسيس حركة (روانكه- المرصد) للشعر الحديث، و كانت تهدف هذه الحركة إلى رفع مستوى الأدب الكردي و اللغة الكردية ، و إلحاقهما بركب الحداثة الشعرية. و بالفعل لعبت هذه الحركة دورا فعّالاً في تقدم اللغة و الأدب الكرديين.

تعرض الشاعر شيركو بيكه س في مسيرة حياته للنفي إلى جنوب العراق، و ذلك عقب إخفاق الثورة الكردية في عام ١٩٧٥. و بعد مرور أربعة أعوام على المنفى أي في عام ١٩٧٩،عاد إلى مدينته - مدينة السليمانية. و في فترة تواجده في المنفى، أصدر مجموعته الشعرية

الثانية و هي بعنوان (الشفق). وهنا تجدر الاشارة إلى أن الشاعر قد سجل بمجموعته الشعرية (الهجرة) و التي صدرت عام ١٩٨٤، منعطفا جديدا في مسيرته الشعرية.

بدأ الشاعر شيركو بيكه س بكتابة البوسترات الشعرية في اواسط السبعينيات من القرن الماضي، حيث فتحت هذه القصائد آفاقا جديدة أمام الشعر، حيث كانت – هذه البوسترات- عبارة عن قصائد قصيرة و لكنها كانت تحمل صورا مكثفة و معاني كبيرة، و تحمل بنفس الوقت بصمة و روح الشاعر.

دخل شيركو بيكه س إلى عالم الأدب من خلال الأدب العربي، و هو عاشق لقصائد الشاعر (والت ويتمان) (١٨١٩-١٨٩٢)، و لكنه ، رغم كتابة الشعر، فانه يقرأ الرواية أكثر.

أصدر الشاعرمجموعة قصص شعرية، تحت عنوان (النهر) عام ١٩٨٣، و هذه المجموعة عبارة عن قصص كتبت بإسلوب شعري جديد، و بذلك قد فتح شيركو بيكس أفقا آخر في الأدب السردي الكردي.

كتب شيركو بيكه س قصائد كثيرة عن الثورة و المقاومة في فترة تواجده بين صفوف(البيشمركه) في الأعوام (١٩٨٠-١٩٨٨). رغم أنه كان قد شارك في صفوف البيشمركه قبل ذلك بكثير، وتحديداً في عام ١٩٦٥، أي حينما كان عمره (٢٥) عاماً. كما عمل لفترة في إذاعة الثورة.

إضطر شيركو بيكه س إلى الهجرة لخارج الوطن في عام ١٩٨٦، نتيجة الضغوطات الشديدة و حملات الإبادة العرقية المفروضة على الشعب الكردي من قبل النظام الدكتاتوري. حيث أقام في السويد، و حصل هناك على جائزة (توخولسكي) الأدبية.

أما بالنسبة لمجموعته الشعرية "مضيق الفراشات" التي صدرت عام ١٩٩١ ، فقد استطاعت وبكل جدارة تسجيل قفزة نوعية في الشعر الكردي، حيث تم تقييمها من قبل الكثير من النقاد، اللذين اعتبروها بمثابة ثورة لغوية في الأدب الكردي، و بذلك دخلت هذه المجموعة قائمة كتاب العصر في الأدب الكردي.

تلت هذه المجموعة الشعرية القيّمة، مجموعات أخرى أكثر قوة و رصانة، مثل (الصليب و الثعبان و يوميات شاعر) ، (سفر الروائح)، (دورق الألوان)، (مقبرة الفوانيس)، (نشيد الحجارة)، (الكرسي) و (كتاب القلادة).

أسس الشاعر شيركو بيكه س مع بعض أصدقائه مؤسسة سردم للطباعة و النشر في عام (١٩٩٨)، و التي لعبت دورا نشطا في إصدار و طبع الإبداعات الأدبية.

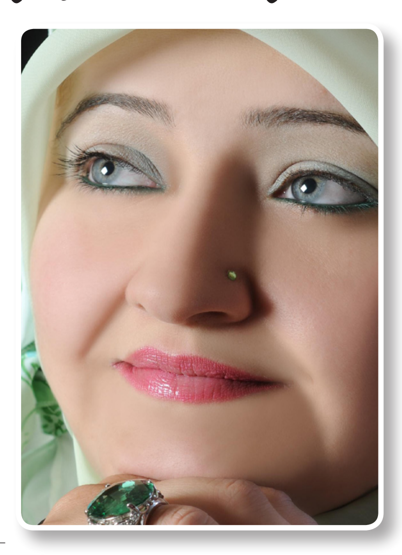
صدر للشاعر حتى الآن (٤١) كتابا، بين الشعر و القصة و المسرح. و تم ترجمة أعماله إلى لغات عالمية عديدة، منها: الإنكليزية، الفرنسية، الإيطالية، الألمانية، الهولندية،البولونية، العربية، الفارسية و التركية.

و يعتبر شيركو بيكه س إيقونة في الأدب الكردي، حيث إستطاع أن يغني المكتبة الكردية بأعمال عظيمة، فقد كان لهذا المبدع الدور البارز في إدخال الحداثة في الأدب الكردي في القرنين العشرين و الحادي و العشرين.

و ما يزال الشاعر ماضياً في عطائه و إبداعه، يلهمه في ذلك حبه و إخلاصه لقضية شعبه و وطنه.

و نحن بدورنا نشعر بالغبطة و الفخر، لأننا وفقنا في ترجمة مختارات من قصائده إلى اللغة التركية، و التي تشكل القليل مما صدر للشاعر، حيث صدرت أعماله الكاملة في ثمانية مجلدات فخمة، في العاصمة السويدية ستوكهولم.

الرؤية والتشكيل عبر الومضة الشّعريّة في قصيدة «سبعون نافذة متجوّلة لشيركو بيكس»



د. سناء الشعلان/الأردن

قصيدة الومضة بناء معماريّ يختزل الكون:
يقدّم شيركو بيكس في قصيدته "سبعون نافذة متجولة" رؤيته للحياة والإنسان والصّراع والوجود من خلال توليفة معماريّة شعريّة تُختزل في لعبة الشّكل عبر قصيدة الومضة التي تبني معمارها من خلال قطع فسيفسائيّة تقدّم كلّ واحدة منها إضاءة على مشهد من مشاهد الحياة ليخلص إلى تقديم تصّوره الكامل عن هذه الحياة بما فيها من إشكالات ومعضلات،وهو بذلك يستطيع بمهارة نادرة أن يخلق من الأجزاء كلاً متماسكاً،وأن يصنع من المتنافر متشابهاً قابلاً للقسمة على كلّ الأجزاء،وهو في الوقت نفسه يقدّم مغامرة شكليّة تقدّم الفكرة الملحميّة عبر تقنية جديدة،وهي شكل القصيدة الومضة التي تفصّل لتجمل،وتختصر لتسهب،وترمّز لتفهم،وهذه التشكيلات تبلغ سبعين ومضة شعريّة مفتوحة على كلّ المشاهد الحياتيّة والكونيّة والجماليّة والفكريّة التي يعاينها شيركو في قصيدته،ولعلّ الرّقم سبعون هو البوابة لفكّ ترميزات هذه القصيدة،فسبعون هي امتداد للرقم سبعة،وهو رقم يستدعيه شيركو ليستثمر ظلاله الأسطوريّة والفكريّة والدينيّة؛ فالعدد سبعة من أهم الأعداد في

المعتقدات والأساطير، وله علاقة وثيقة بطلاسم السّحر؛ لأنّ هذا العدد كان عدد التمام. والكثير من مظاهر الكون وطقوس العبادة سبعة، فالسموات سبع، والأرضون سبع، والجبال سبع، والبحار سبع، وعمر الدنيا سبعة آلاف، والأيام سبعة، والكواكب سبعة، وهي السيّارة، والطواف بالبيت سبعة أشواط، والسعي بين الصفا والمروة سبعة، ورمي الجمار سبعة، وأبواب جهنم سبعة، ودركاتها سبعة، وامتحان (يوسف) عليه السلام في السجن سبع سنين، وتفسيره لحلم ملك مصر، كان سبع سنين "وقال الملكُ إنّي أرى سبع بقراتٍ سمان"(٢)، وكرامة النبي (محمد) كانت في سبعٍ مثانٍ "ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم"(٣) وعن "رقم سبعة يتفرّع رقم خمسة عشر وهو عدد السموات السبع والأرضين السبع مع المركز، وعدد أيام الشهر القمري سبعة مضروبة في أربعة، ومدّة الحمل أربعون أسبوعاً، وكذا من الأرقام سبعون وسبعمائة وسبعة آلاف، وقديماً قالوا "الدنيا سبعة أيام كلّ يوم ألف سنة"(٤)

ومن هذا المنظور الأسطوريّ للرقم سبعة،نستطيع أن نزعم أنّ النّوافذ السبعين هي مساحة فكريّة ونفسيّة ووجوديّة وجغرافيّة تتسع لكلّ الكون،وتعرضه عبر ومضات مختارة؛إذ إنّ البلاغة في هذا الموقف تكون بالإيجاز والتكثيف والتلميح؛لأنّ التفصيل والبوح يتعذّر في هذا المقام المتسع للرؤية والتأويلات والفهوم،وبذلك يترك لذاته ابتداء وللمتلقي ثانياً أن يحلّق في التأويل والإسقاط ليكوّن تصوّره الخاص إزاء هذا العالم الملبس المكتظّ بالرؤى والتشكيلات والفهوم والتجاورات ومن ثم التأويلات.

المفارقة أداة للدهشة:

منذ عتبة العنوان يدهشنا شيركو بتلك المفارقة التي تسكن عنوان القصيدة لتمتدّ في باقي جسدها؛ فالنافذة تلك الكائن الصّامت الجامد،تتحوّل إلى فعل حركي تجسيديّ قادر على أن يتحدّى الصّمت والجمود،ويتجوّلَ في أصقاع الدّنيا،ليرى ما لا يراه الجامدون،ويتلصّص على الفعل الإنسانيّ في حين يتعذّر الأمر على الكثير من البشر،وكأنّ النافذة غدت معادلاً موضوعيّاً للفهم والإدراك والاكتشاف،وبذلك يدهشنا شيركو بهذا التجسيد الفنّي الذي يتيح للنافذة أن تصبح ذاتاً عارفة قادرة على أن تتنقّل من مكان إلى آخر،ومن زمن إلى زمن،لتكون أداة للكشف والحقيقة والمعرفة بأكثر من مستوى.

فما فعل التجوّل الموصوفة النّافذة به،أيّ نافذة القصيدة ما هو إلاّ فعل الحريّة بكلّ تجلياته التوضيحيّة والبوحيّة والخبراتيّة. وللمتلقي أن يحمّلها بما يريد من التأويلات إذا قدر على تسويغ هذه التّأويلات.

والمفارقة هي من تعطي التجربة والحكمة في هذه القصيدة،فالثلج لا يرى في ذوبانه انتهاء له كما هو معلوم،بل يرى في قدرته على العطاء امتداداً لحياته،وهذا مايطالب به الشّاعر بطريقة التلميح،أن نكون جميعنا قادرين على الاحتذاء بالثلج،فنعطي ونخلق من العدم فلسفة معرفة:

"قال الثلج
اكتب بوضوح،كما أنا!
وفي الذّوبان كن مثلي
وأسبر الأغوار عميقاً
لتصنع الأنهار والبحار كما أنا"(٦)

وفي حين يتوه الجميع في البحث عن المراد في الأرض،يجده الشّاعر بين ثديي الحبيبة،وفي حين تكون كلّ المصابيح مضاءة يكون بيته

مظلماً؛لأنّ بيته بلا حبيبة،ولكن عندما تعود الحبيبة إليه يصبح بيته المضاء بحق،فالمفارقة هنا هي من تحدّد قيمة الكشف والحقيقة التي تتجلّى في أنّ السّعادة تتعلّق بالأحبة وليس بالأزمان أو الأماكن:

" في هذه الليلة المصابيح كلها مشتعلة
لن منزلي لم يزل مظلماً
لم لا تعودين...لم؟
في هذه الليلة جميع المصابيح مطفأة
لكن منزلي مضاء
ترى هل عدتِ؟"(٧)

والمفارقة كذلك هي من توضّح ثمن المعرفة؛ففي حين يقترن الصّمت والسّكون بالجهل،يقترن فعل الاكتشاف بالمتاعب والمشاكل:

"حتى الزّوبعة
تكتب القصائد
أحياناً تكتب سهولاً بأكملها
لكن حينما تبدأ بقراءتها
تعميك الغبار
وتغطيك الحشائش والتراب".(٨)

وفي حين تتباهى الكائنات بأفعالها الفطريّة ولو كانت شريرة،نجد أنّ فعل الحياة يقترن دائماً بمن يعمل على دفع عجلة الحياة؛فهو من يكتب له الخلود دون أن يسعى إليه؛فالخلود دائماً هو مكسب العاملين بصدق:

" ولكن جاء بعدهما طائر لا قوة له ولا مخالب
حمل بمنقاره بذرة
زرعها عند الشّجرة المغتالة
وبدأ يغنّي للحظات
أغنية حزينة
من أجل الغزالة
دون أن يتباهى
أو يتفاخر بطيبته أبداً"(٩)

والشّاعر قادرٌ على أن يجد الحقائق في لعبة مفارقاته المتعدّدة،ففي حين يستطيع أن يلخّص الكون بمساحاته في حفنة تراب،فهو يلخّص العالم كلّه في عيني حبيبته:

" وفي حفنة تراب صغيرة
أرى الأرض بلكّل اتساعها
وفي عينيك أنتِ
أرى السّماء برمّتها"(١٠)

الزّمن الدّائري في القصيدة:

يستخدم شيركو الزّمن في أبعاده الماضية والحاضرة والمستقبليّة،ولكنّه في كلّ ذلك يفتح الزّمن على امتداده،فهو يقول اليوم والبارحة والمستقبل وذات مرّة،ويعني كلّ الأزمان،وبذلك يقدّم زمناً أسطوريّاً دائريّاً لا يعرف نهاية،وهو زمن دوري الذي نجده في شكل حقيقة أنثروبولوجية في جميع الحضارات القديمة, ويقوم على إمكانية تكرار الزمان مع تكرار الأفعال النموذجية المحاكية لفعل مقدّس أوّل. ولا يختلف هذا الزمن عن الزمن الأوّل زمن أساطير الخليقة؛ لأنّ أساطير الخليقة تنطوي على أنّ الخلق عمل متجدد أبداً(١١) .

وللأسطورة فكرتها الخاصة عن الزمن, وهي فكرة تقابل الاستخدام الواقعي والفيزيائي والتاريخي, فالميثولوجيا تعاين الزمن على أنّه سلسلة من الأحداث التي لا تنتهي، أيّ سياق زمن محدّد, وإنّما تقوم فكرة الزمن الأسطوري على التجسيم(١٢) فالزمن الأسطوري كما يراه أرنست كاسرر زمن "بيولوجي يراه البدائي سياقاً لمراحل حياتية متباينة الجوهر. فالظواهر الزمنية المتمثلة في الطبيعة كتعاقب الفصول وحركات الأجرام السماوية وغيرها تعدّ دلائل على خطة خيالية مماثلة لخطة حياة الإنسان وحياة الطبيعة"(١٣)

والزمن الأسطوري زمن مطلق قابل للاستعادة والتكرار والعودة إلى البداية عبر الطقوس, إذ إنّ القيام بالشعائر القديمة يسمو على الزمان, ويتجاوز التاريخ, ويستعيد الزمان الأسطوري الأوّل(١٤) " فالزمن الأسطوري هو زمن البدايات والعود السرمدي, وهو زمن مقدّس, لا يعترف بالحواجز"(١٥). ومن هنا تنشأ قدسية الزمن الأسطوري, إذ إنّه يستعيد زمناً سحيقاً هو زمن البدايات الأولى, التي يعدّها أصحابها ذكريات خالدة, حاضرة دائماً, وهذا الاعتقاد يعطي لبعض الأيام والتواريخ صفة التقديس ,على الرغم من أنّ تلك الأيام والتواريخ ليست مقدّسة بذاتها(١٦)

ولعلّ مراقبة حركة النجوم, وتتابع الفصول، هو أوّل من أوحى للإنسان بأسطورية الزمن وبأبديّته, وحفّز الإنسان على الإرتقاء إلى ذلك العالم العلوي، الذي ينظّم هذه الحركات والتتابعات, ليعيش فيه، علاوة على أنّه ظل يحنّ إلى زمن التكوين الأوّل, الذي أعطاه صفة القدسية والأسطورية, وهو بالتأكيد ليس زمن الناس الحاضر, بل هو زمن الخلق الأوّل الذي يتكرّر، وكأنّه زمن الحلم(١٧)

فعندما يحدّد شيركو الزّمن بقوله:

" اليوم وفي هذه المدينة،اليوم
ثمة غيمة فتاة
رمت بنفسها قبل هطولها،
من فوق شرفة خضراء"(١٨)

فهو يومئ إلى كلّ الزمان المفترضة التي تتشابه عندما تقوم بنفس الفعل الجرمي الذي يدفع غيمة بأن تلقي بنفسها من السّماء؛لأنّ السّماء على غير عادتها أغلقت أبوابها في وجه هذه المسكينة،وبذلك يغدو الفعل الشكليّ للمطر ما هو إلاّ امتداد لفعل الظلم الذي يدفع الكائن إلى الانتحار احتجاجاً على هذا السّلوك تجاهه،والزّمن هنا هو الحامل المستمرّ لهذا السّلوك الذي يتجلّى قبحه في أن تدوس أقدام المارّة هذا المطر المقدّس الهابط من السّماء لينبت زهوراً حمراء.ألا يشبه هذا السّلوك كلّ أفعال الظّلم التي تنتهك كلّ مقدّس،وتفسد كلّ جميل؟ وبذلك يكون الزّمن هو الحامل المستمرّ لهذا الفعل الآثم.

وعندما يقول:

" كانت ليلة وضاءة فضيّة
انقطعت قلادتها على حين غرّة
كنا نبحث جميعاً تحت الموائد"(١٩)

فهو يقصد أن يقول إنّ كلّ الليالي التي ترتبط بفعل المعرفة هي ليالي فضّية قابلة لأن تنفتح على المعرفة الحقيقيّة للأشياء بعيداً عن النّمطي من المعرفة والحقيقة،ففي حين يتوه الموجودون في البحث عن خرزات لا قيمة لها،يشرع الشّاعر بالبحث عن أجمل خرزة تملكها الحبيبة ،وهي الخرزة " النائمة بين نهديها" (٢٠)

وعندما يستخدم شيركو الزّمن الخارج عن التّحديد،فهو يقرنه بالحدث،ليقول إنّه زمن متكرّر متجدّد قابل للتحقّق في كلّ لحظة،ففي:

"ذات مرة
في درب دفتر أشعاري
التقت إحدى قصائدي السّياسيّة
بأخرى غزليّة
كنتُ أرى الأولى حين تتحدّث يخرج من فمها اللهيب
أمّا الثانية فيخرج من فمها
شلالات شهر عسل"(٢١)

فذات مرّة قابلة لأن تكون ذات كلّ المرات التي يكتشف فيها الإنسان أنّ السياسة عذاب وجحيم،وأنّ العشق هو الفسحة الأجمل للوجود. ففعل الزّمن أياً كان زمنه في هذه القصيدة

إنّما يشير إلى ديمومة حياتيّة مقترنة بحكمة الشاعر إزاء الحياة؛فحينما يلتقي الرافدان كلّ يوم يكتشفان نفس الحقيقة"(٢٢)،و"حين أسمع كذبة أريد أم أصمّ أذني على الدّوام"(٢٣) "وحين يموت عزيز أغدو ضريراً وأبكم رغماً عنّي"(٢٤)

والشاعر يستسلم في النّهاية لسلطة الزّمن القادر على تحديد الأقدار والمصائر،وهو بذلك يرسم مصائر قدريّة لكلّ الأشياء وفق قناعاته الشّخصّية:"

سلّة من الأغاني والفراشات
كومة من الأحزان وضوء القمر
سرب من القبلات المرتعشة
غرفة مليئة بالانتقاد
وضعت كلّ ذلك أمام هذا الزّمن
فمنح الزّمن
السّلة للأطفال
والثانية للأطفال
والثالثة للعشّاق
والرّابعة للساسة"(٢٥)

الانتصار للمرأة ضدّ سلطة الاضطهاد:

ينتقد الشّاعر السّلطة المجتمعيّة التي تضطهد المرأة لاسيما في الشّرق،وهو يرى أنّ الذّكوريّة هي المسؤول الأول عن استلاب المرأة وقهرها،وهي كثيراً ما تختبئ وراء السّلطة الوهميّة للدّين من أجل أن تصادر حرية المرأة وسعادتها:

"في هذا الشّرق
حاولت جاهداً أن أضع
كلمتي الحرية والمرأة
فوق كرسيين بجوار بعضهما
أمام إحدى المرايا،ولكن دون جدوى
ففي كلّ مرّة
كانت كلمة المجتمع
يأتي بشاربه الكثّ
متأبّطاً سجادة الصّلاة
ويجلس بدل المرأة على الكرسي"(٢٦)

فالرّجل وفق رأي شيركو هو المسؤول الأوّل والأخير عن تعنيف المرأة وظلمها:

"شجرة الصّفصاف امرأة
ركلها رجل من الوراء
شدّ الرّجل شعرها
ركب الرّجل عنقها
لذلك تراها منحنية الظّهر!"(٢٧)

أمّا هو فيتبرّأ من كلّ مظالم الرّجل للمرأة،ويهرب من احتقارهم السّخيف لها،ليرى العالم كلّه في امرأته:

"وفي عينيكِ أنتِ
أرى السّماء برمّتها"....

ويرى أنّ حبّه للمرأة هو من يهبه كلّ قوة وجديد:

" ترى ما هو حبّك؟
لا أعرف عنه شيئاً سوى أنّه
بؤبؤتان إضافيتان
وأذنان وساعدان آخران"(٢٨)

بل إنّ شيركو يقدّم المرأة معادلاً موضوعيّاً للحياة والمعرفة والخلود،وهو بذلك ينزلها في مكانها السّامي حيث المساواة بين أفراد البشريّة بعيداً عن العنصريّة الجندريّة:

" لو لم أعرف هذه الظلمات
لما استحلت مصباحاً قطّ
لكن الطريق والمصباح
يتجسّدان الآن في عينيكِ"(٢٩)

الشّعر وفعل الوجود:

يقدّم شيركو الشّعر معادلاً موضوعيّاً لوجوده

وأهميته وعطائه،بل هو القصيدة ذاتها:
" إنّني الآن خارج المواسم
إنّني الآن قصيدة
يدوّنني الشّفق والغروب معاً"(٣٠)
كذلك يقول:
" حين أراها من بعيد
أستحيل أنامل قصيدة نحيفة"(٣١)
والشّعر عنده خلاصة التّجارب والمعارف،فمن خلال العشق عرف الشّعر" عن طريق العشق حظيتُ بلقاء الشّعر"(٣٢)
بل إنّ الشّعر عند شيركو هو أداته للتطّهر من كلّ الآثام والصّغائر:
"لكي أفنّد الضّغينة
لا أملك شيئاً في الوقت الحاضر
سوى الشّعر
أفرشه درباً للتّسامح والمحبّة"(٣٣)

تكثيف القصّ لصالح الحكمة:

يلجأ شيركو في قصيدته هذه إلى لعبة القصّ الشّعريّة المكثفة في حكايات صغيرة تجنح جميعها إلى بلورة حكمة يؤمن بها،ويريد أنّ يمدّ المتلقي بها.وهو يتوارى كثيراً وراء الرّمز المبني على شكل قفلة لكلّ القصص الشّعريّة التي يقدّمها في فواصل رقميّة صغيرة على شكل ومضات.وهو يقدّم هذه القصص على مستويات مختلفة: شخصيّة وطبيعيّة ورمزيّة؛فنراه يمدّنا بتجربته مع هدية الحبيبة في قصته:
" كانت هديتك ربطة عنق
وإذا ماصادف أن أزعجتك
وأغضبت أثناء الحديث
فإنّك تبقين ساكنة صامتة
لكن ربطة العنق هذه
بدلاً من يديك
تتشنّج وتكاد تختفي"(٣٤)
وكذلك الحديقة لها حكايتها:
" حينما تسمع الحديقة
حفيف الأوراق المتساقطة تحتها
تبدأ تدمدم
وتسرد ربيع الذّكريات،وهي محدّبة"(٣٥)
أمّا الحكايات الرّمزيّة،فهي تقدّم عبر قصص الحيوان التي نستطيع أن نسقطها بكلّ سهولة على ذوات إنسانيّة احترفت التّعاطي الخطأ مع حقائق هذا الوجود،كما نجد ذلك في قصة الفيل والأسد والطّائر التي يعرضها شيركو في قصته الشّعريّة المختزلة:
" تباهى الفيل بقوته
إذ اقتلع بخرطومه شجرة من الجذور
تفاخر الأسد بمخالبه وبراثنه
إذ انقضّ على غزالة
ولكن جاء بعدهما طائر لاقوة له ولامخالب
حمل بمنقاره بذره
زرعها عند الشّجرة المغتالة
وبدأ يغني للحظات
أغنية حزينة
من أجل الغزالة
دون أن يتباهى
أو يتفاخر بطيبته أبداً" (٣٦)
إذن؛
شيركو يجعلنا في مواجهة حقيقيّة مع شعره القصصيّ أو قصصه الشّعريّة،ويمضي تاركاً لنا خيار التلقّي لإيمانه العميق أنّ الأديب يقدّم الخيارات ولا يمليها،ويصنع الحقيقة،ويترك للبشرية خيار الطّريق،فهذا هو الفنّ رسالته أن يضيء الدّرب لمن بحث عن الهدى والحقيقة والعدل.

الهوامش والمراجع:

١-اعـتـمـدتُ في هـذه الـدراسـة على ترجمة قصيدة "سبعون نافذة متجولة" للشاعر شيركو بيكه س من كتاب" نصوص كردية حـديـثـة" تـرجمـة وتـقـديـم نـوزاد أحمد أسود،ط١،سلسلة خاصة بمهرجان كه لا ويز الثالث عشر،السليمانية،إقليم كردستان العراق،٢٠٠٩،ص١٥-٢٥.

٢- يوسف: آية٤٦.

٣- لحجر: آية ٨٧.

٤- محـمـد عـجـيـنـة: مـوسـوعـة أسـاطـير العرب عن الجاهلية ودلالاتـهـا، ج٢،ط١،دار الفارابي،بيروت،لبنان،١٩٩٤،ص١٩٨.

١٩٨.

٥- انظر المفارقة في :نبيلة إبراهيم: المفارقة، فصول، مج٧، ٣٤/٤، القاهرة، ١٩٨٧، ١٣٢.

٦- نـصـوص كـرديـة حديثة: نـوزاد أحمد أسود،ص١٥.

٧-نفسه:ص١٦.

٨-نفسه:ص١٨.

٩- نفسه:ص٢١.

١٠- نفسه:ص٢٣-٢٤.

١١- محمد عجينة, موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها، ج٢، ١٩٤.

١٢-إبراهيم عبد الله غلوم: التوظيف الأسطوري في تجربة القصة القصيرة في الإمارات العربية المتحدة,فصول, مج١١,ع١، القاهرة,١٩٩٢,٢٧٩

١٣-نورثروب فراي وآخرون: الأسطورة والرمز، دراسات نقدية لخمسة عشر ناقداً,ط٢،ترجمة جبرا إبراهيم جبرا،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت،لبنان،١٩٨٠،ص٣٦.

١٤-محمد عجينة: موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها، ج٢ ,١٩٤.

١٥-نفسه:، ج٢ ,١٩٥.

١٦-خليل أحمد خليل: مضمون الأسطورة في الـفـكـر الـعـربـي ,ط٢،بـيروت،دار الطليعة،١٩٨٠،ص٧٣.

١٧- نفسه:ص٧٤.

١٨- نصوص كـرديـة حديثة: نـوزاد أحمد أسود،ص١٥.

١٩-نفسه:ص١٥-١٦.

٢٠-نفسه:ص١٦.

٢١-نفسه:ص١٦.

٢٢- نفسه:ص١٩.

٢٣-نفسه:ص٢٣.

٢٤-نفسه:ص٢٣.

٢٥-نفسه:ص٢٥.

٢٦-نفسه:ص٢٢.

٢٧-نفسه:ص٢٣-٢٤.

٢٨-نفسه:ص٢٤.

٢٩-نفسه:ص٢٤.

٣٠-نفسه:ص١٩.

٣١-نفسه:ص٢٣.

٣٢- نفسه:ص٢٢.

٣٣-نفسه:ص٢٥.

٣٤- نفسه:ص١٨.

٣٥- نفسه:ص٢٢.

٣٦- نفسه:ص٢١.

ملحمة كرسي عتيق

حنون مجيد

تكاد تكون ملحمة "الكرسي" الشعرية التي انتجها خيال الشاعر الخصب شيركو بيكه س أعظم ملحمة شعرية تناولت الكرسي موضوعاً لها ليس في الشعر الكوردي فحسب بل وفي الشعر العربي ، إن لم يكن في الشعر العالمي كذلك .

وكلمة الكرسي كما هو في المخيال الفردي والجمعي كلمة متعددة الـدلالات، وناقل لتداعيات جمة للرفقة القديمة والحميمة بينه وبين الإنسان.

فهو كرسي الكاتب ، وكرسي الموسيقي ،وكرسي كاتب العرائض ،وكرسي الحاكم ، مثلما هو كرسي الزينة في غرفة النوم ، وكرسي الحديقة ، وكرسي المطبخ ، وكرسي الحلاق ، وكرسي المقهى ، وكرسي المسرح، وكرسي البواب في القصور والدوائر الكبيرة.

وهـو في كل الأحـوال حامل لصنوف شتى من البشر ، سواء اولاء الذين يجدون الراحة أويبـددون تعب أجسادهم عليه ، أم اولئك الذين يصدرون شتى الاحكام من عليه.

وبمقدار ما تتعدد وظيفة هذا الكرسي ووسائل استخدامه وصنوف أشكاله تتعدد أهميته ، إذ لا يكاد فضاء يخلو منه . وعلى مدى عمره ومنذ أن صنع أول نموذج منه ،كان الكرسي موضوعاً اساساً يقصده لذاته اصحابُه بشغف وألفة ، يبثون من عليه تأوهات قلوبهم وأحلام نفوسهم وغالباً ما كان أذناً صاغية وأمينة على ما يسمعه أو يدور عليه.

لقد أنسنت روح شاعرنا الفذ كرسي ملحمته الطويلة ، وكسته لحماً ودماً وجعلته يقص علينا الحكايات والاحداث سواء تلك التي سمع بها او عرفها او جربها او اجريت عليه.

ومتتبع سيرورة هذا الكرسي العتيق سيكتشف أن التجارب العديدة التي خاضها وجاءت محملة بالحزن والحب والحياة والموت ، إنما هي سيرورة أمة كاملة عانت صنوفاً لا حد لها من الظلم والاستلاب والعدوان.

والكرسي هذا هو كرسي مقهى ، ولعله أكثر الكراسي استقبالاً للجلاس من غيره من كراسٍ، لما ينفرد به المقهى من طابع إجتماعي عام ، بفعل عدد من يختلف إليه من جماعات كثيرة من البشر، يقضون بعض أوقاتهم فيه.

هو ذا الكرسي الحائر
منذ سنوات يستوطن المقهى الصغير
خياله دخان ورماد
تناسل من ازيز سماورَ أُجَاج
في سدى نفس منهكة في سوَيداء العمر

إذاً هوذا الكرسي "سليل شجرة نقشبندية" عريق النسب أهـدى جده الكبير جـزءاً من

جسده، هدية، لعروسين:
يحكى أنّ
ذاك الجد النقاش
اهدى من جسده لعرس "الاردلانين"
وزوجته السيدة " ماه شرف"
رقعة شطرنج بني
غليوناً طويلاً ل "سردار"
ومعها بضعة أمشاط فاخرة
كحلاً ومروحة ناعمة
لقمره "ماه شرف" ص ١٥
ولعل من المفارقات أن يكون كرسيّنا هذا ،وهوكرسي مقهى، وحيداً:
لا يعرفه أحد..
في رأسه
يتلوى مسمار الوجع
ثم أنه كأي كرسي في مقهى فإنّ حركته محدودة لا يغادر فيها مقهاه ، ومحددة بطبيعة الحاجة اليه.
أحياناً يغير مكانه
من هذه الزاوية الى تلك الزاوية
من هذه الجهة الى الجهة الاخرى
لكنه ،أبداً..
لا يروح للشارع
لا يمضي للسوق
فقط ،يجول بعينيه المكان.
لعمره المديد
يسع الجميعَ حضنُه .
وتتراوح مشاعر هذا الكرسي بين الحزن والمسرة وتتحدد بحضور او غياب من يجلس عليه ،
ف:
تأخذه البهجة
كلما أقتعد الشعر عليه.
و:
فقط امر واحد
ينغص على قلبه.
ههنا..
لا تعرفه النساء
ولا يأتين لاحتضانه يوماً
لا صديقات لديه بين النساء. ص١٨
لكن ما يبدد وحشة هذا الكرسي الفريد في الليل انه ليس وحده من يشغل هذا المكان ، فهناك اقران لا يلتقون إلا في الليل حين ينفض الجميع ويسكن الوجود فلا صوت إلا لتداعيات الصدور، عندئذ:
في الليل..
يبقى وحده مع بضعة كراس حوله
وأريكة عثمانية تعتمر طربوشاً
وكرسيّ فراريّ؟
من أهالي "سنندج"
غير شكله.
تتهامس فيما بينها عن
سيرة ماضٍ عميق
من جذورِ أجدادهم
من أوراق العشق
واحزان الخريف
من قدّ اجسادها .
ترى هل الكرسي " الأثيل "هذا ، المتأصل في الشرف والعراقة والنسب وبكل أفراحه ومسراته وأتراحه ومآسيه ، لم يكن إلاّ رمزاً عظيماً لمجموعة بشرية عريقة كلما اختلت مع نفسها تداعى اليها ماضيها الذي كان من امتيازاته أنه وليد تجربة مرّت عليها الأعاصير:
....
إنه كرسي أثيل

مذ صار في المدينة
تعرّف على آلاف الأشخاص
كم من معضلة مرت عليه
ومن فتنة؟
دكاكينَ وبيوتٍ
أعاصير الزمن
حَمْلٍ ووضْعٍ
كم كربٍ وطردٍ وقذف
رأى؟

وإذْ يأتي هذا المقطع أو غيره مما تقدم من مقاطع شعرية أخرى بلسان السارد،منشيء النص، تأتي مقاطع تالية بلسان الكرسي بطل المشهد السردي وصاحب القضية دونما منازع:

لا اتذكر أيامي الغضة
ولا رضاعتي
أما منبتي
فربما سيد عشيرة
أو موجة دفء في نهر جدتي البعيدة
أو في الأصل
تكون حفنة تراب.
في تجويف حجرٍ
أول شخص في تاريخي.

ولما كانت سيرورة هذا الكرسي سيرورة ناطقة بالخاص نحو العام وعن البشر بلسان غير البشر كانت مضمخة بألوان معتمة تارة وبراقة تارة أخرى وحيثما حلت الكارثة أو توفرت السعادة:

لمرات عدة في الاسبوع
ريح جواء شريدة،
بزعيقها وشعرها الأشعث
ريح وضيعة
إذْ تفرُّ من دخان سيجارة حطاب
غير جسورة على الظهور قربه
ومع ذلك
تعودتْ في كل مرة أن تمسكني من عنقي
كانت تطويني ،بحيث
لا يصطدم راسي بالارض
لم تدعني وشاني
ريح ستبقى في البال ابداً،
ذعر وجفاء تلك الريح الوضيعة.
لكن فراشة سوداء داكنة
بلقاء
ناعمة
كانت في كلٍ صباح تسبق الندى في قدومها
بخفة تحطُ على كتفي
دون أن تحس بها براعمي

- صباح الخير
- صباح الخير

ما اخبار الحقل؟ أخبار البستان؟،
ما اخبار الغابة؟
كانت تسأل
وتقول في كل مرة:

- طالما العصّف نائم

والفأس مفقود
فالحال بخير.

فإذن أي كرسي هذا وأي حياة هذه ، إن لم يكن الكرسي غير الكرسي والحياة غير حياته؟ يقترب النص الشعري هذا كلما تقدمتَ في تجلياته ، من بعض تجليات النص الفلسفي التاوي ، كما لاحظنا في المقطع السابق:

طالما العصف نائم
والفأس مفقود
فالحال بخير

وكذلك مع المقطع الشعري القادم الذي يقول:

ما تصيره مصيرك

مصيرك ، ما يصنعونه منك.
يقول لاو تسه:
ما لسنا نحن لا نستطيع ان نكونه
ما نحن عليه لا يمكن الا ان نكونه
ما ليس لنا ان نفعله لا نستطيع ان نفعله
ما يسعنا ان نفعله لا يسعنا الا ان نفعله
وهو ما يحيل الى تقارب البعد الرؤيؤي بين الشاعر والحكيم وكلاهما فيلسوف ، ولا سيما إذا متحت الرؤيتان من منبع واحد واتجهتا نحو مصب واحد كذلك ، وفي إطار التجربة الانسانية العامة.

يمتلك هذا النص فرادته من مواصفات خاصة وعميقة هي تجربته وحده ،لا مشارك له في خصوصيتها الا القليل النادرمن التجارب الاخرى ، المدونة في سجل تاريخي موغل في القدم وموغل في التجاهل والإهمال ، لذا فإن صوته حين يمتلك حريته وينفرد ليغني ، يأتي عميقاً ولكن مجروحاً يسيل من بعض غنّاته دم .

ولأن هذاالنص نصُ ذو مسحة ملحمية ، ذات بنية تدوينية تأريخية بالحتم، يكون لا بد له ليشبع الخيال الفردي والجمعي على السواء، من ان يتسع إلى سرودات تكافيء اللهفة الى كشف المستور المغيب قهراً سواء أكان ذلك في الحب او القهر مثلما في الحياة والموت وهذا ما أفاض به هذا السفر العجيب.

كما لا أظنه يغادر ملحميته حين ينتقل الى الحاضر القريب ، لتداخل سروداته بين الأصوات والازمان والأحداث، في بوتقه شعر منفلت من عقال الوعي الملجم نحو آفاق الإلهام المحلق في تخوم اللاوعي ، ليأتي دافقاً مترعاً بسيول أمطار سادرة تبهر الأنفاس.

كذلك من ميزاته تحولاته المستمرة التي تقف أحيانا عند النص المباشر لتمنحه دلالات قريبة من طبيعة الشيء ذاته:
في كل مرة ،كان أبي يقول:
عندما قصّ لي والدي هذا الحديث
كان قد صار عماداً في جامع
زوجته الثانية صارت وضْم جزار
وعمتي صبورة (سبّورة) معلقة في السنة الإبتدائية الأولى
في"ته ويله"
وعمي رفّ في دكان
وضع عليه ثمار جسده من الجوز
....

وهكذا في استعراض عريض ومتنوع يأخذ صفحات يدون فيها التاريخ الواسع للخشب الذي لا تحصر استخداماته بين "خشباً في ارجوحة عاشقين متيمين " و" والذي أمنيته أن يكون مجذافاً جعلوه مشنقة" إنما بالخشب الذي صنع في الاصل منه الكرسي سيد هذه الأشياء جميعاً والناطق المفوه باسمها وتاريخها.
وتتلون ألأساليب الإجناسية في الكرسي وبحسب ما تفترضه ذائقة الشاعرأو حاجته الى التغيير، حينما يُدخل مقطعاً حوارياً في تضاعيف نصه الشعري الطويل ، يقوم على السؤال ورديفه الجواب يملأ هو الآخر عدداً من الصفحات.
وتتجلى في هذا المقطع الحواري الرغبات الخالصة لاماني الخشب في ان يكون، وفي نَفَس صوفي مثير وشفاف يضفي عليه أنبل أنواع الأحساسيس الإنسانية التي قد يفتقر اليها الإنسان بالرغم من أنها - أي الاحاسيس - تنتمي اليه.
كلما رأى شجرة، سألها:

• بعد حياتك هذه ستبعثين لإلهك النجار،
ماذا تحبين أن تكونيه؟
قالت إحداها أريد أن أكون معرض كتب
والاخرى:خزانة لغرفة فتاة
الأخرى:خزانة أوانٍ
الأخرى: طاولة في مرقص
الأخرى: سرير زوجين

ويستمر هذا الحوار باثاً مشاعر صادقة تماهت ،لا بد أولاً، مع مشاعر الشاعر الإنسان في أن يصنع عالمه الخيالي الرفيع ،الذي ما يلبث أن يصطدم بالواقع الصلد ليقلب الأماني الى نقيضها إذ تتحول أمنية من كان يريد ان يكون "سرير زوجين" الى "خشب غسل الموتى" والذي أمنيته أن يكون مجذافاً جعلوه مشنقة" وهكذا في صراع مرّ مع واقع شديد القسوة ، سيّء الطوية ليكون قادراً على قمع تطلعات لم تكن في الاساس غير مجموعة أحلام نبيلة ونظيفة ليس من شأنها إلاّ أن تبهج الإنسان لأنها تفي بحاجته وتسد نواقصه، وليس لها من غرض سوى ذلك.

مع مسيرة باذخة ومتشعبة في سيرورة كرسي تثير كوامن الألم والحزن تبدأ بضمير الشاعر: أنا كاتب هذا النص ص١١ ، لتنتهي بضميره كذلك حين يعود يبحث عن كرسيه الذي يشبه بطلاً من ابطال الالياذه ليجده وكراس غيره منفيين من مقهاهم الى ارض الجنوب "مؤنفلين".

ذهبت ذاك اليوم الى المقهى
جلت ببصري المكان
رأيت كراسي جديدة كثيرة
لم أجد كرسيي،
بحثتُ،اضطربت
قال باب المقهى:
• عن أثر من تبحث؟
قلت: عن كرسي بذاك الشكل وعن أريكة عثمانية.
وكرسي من أهالي سنندج ،لا أجدها
قال: يا أخي ما الذي تقوله..؟
في أذن أي ثور كنت نائماً؟
(.....................................)
للأسف لن تبصرها مرة اخرى
للأسف هي أيضاً مع العم " ويس" والخالة"خجه"،
والصهر وأغاني"علي مردان"،
وعمامة "خداداد علي" ،
وجاكيت"اثيري"،
تم نفيهم بعيداً... للبعيد،
تم إنفالهم للجنوب.

نتعرف فضلاً عن الأسماء التي مر ذكرها في هذا المقطع على شخصيات حقيقية أخرى تظهر بأسمائها الرسمية اختفت لأحلامها البسيطة والجميلة ووطنيتها الصادقة البريئة وأفقها الواسع وحبها المتنامي لأرضها المقدسة : " نوري " كاتب العرائض ،"محرم محمد أمين"، "شاكر فتاح" ، "عبد الخالق"،"كمال صابر" وأسماء أخرى لم يسعفها حظها في أن ترى مطالع النور الجديد ، لكنها ستبقى تلوح في محراب هذا السفرالواسع والمتنامي ، الخارج من بين دفتي غلافيه الى مداه الأبعد والأرحب، الذي لن ينتهي مع آخر سطر فيه .

المكان الشعري وصورته



محمد ثامر يوسف

هل تكتفي قراءة شاعر ما، بحدود القراءة الاولية المتعارف عليها، هل تكتفي بنفسها؟ اقصد هل يمكن تلخيص ماهية خطاب الشاعر ورؤيته وربما حيرته، من دون الاحاطة التامة بمرجعيات الكتابة الشعرية لديه او عزله عن التأثيرات الحياتية المحايثة المتعددة التي تشكلت منها هذه التجربة. مع شاعر مثل شيركو بيكه س يبدو الامر مختلفا قطعا، فالامعان في هذه التجربة يقتضي ليس فقط الائتلاف مع حقيقة بديهية هي ان الايمان بالشعر نفسه هو احد العناصر المطلوبة لقراءته تماهيا مع القدرة التي يولدها خطاب الشعر، ولكن اقول فوق ذلك ايضا انه لايمكن قراءة بيكه س وفقا لهذه المعطيات من دون الاعتراف بحتمية وخصوصية علاقته مع المكان ومن عليه، ثم طريقة رؤيته لما حصل، والاهم طريقة تعاطيه مع اللغة التي يعول عليها في بث مايريد. يتيح ائتلاف بيكه س المفرط مع المكان الكردي ونزوعه الايحائي المستمر لتكريسه في الكتابة مفاتيح دلالية لافتة، تنفذ هي الاخرى لتدل لمغاليق اخرى لاتنفك تنفتح بسهولة واستمرار كلما اوغلنا في تأمل تلك النصوص التي تبدو بوضوح اقل تعقيدا وغموضا، ولكن اكثر عمقا وطراوة،

فهذا المكان المعاد نقله الى الكتابة يكاد يرى بوصفه صورة مطابقة للصورة الاصل وتلك احدى الدلالات المفيدة التي يمكن منها الغور لفهم طبيعة القول الشعري والفضاء الملائم الذي يغلف مرامي وغايات بيكه س، كما ان هذه اللغة ايضا مفتوحة بأمتياز على شرطها الشعري على الرغم من انشغالاتها بالهم الانساني الغائر، مثلما و بنفس المعنى وفي سياقها النصي تبدو اكثر احتفاء بالطبيعة قدر احتفائها بالانسان وقدرته وقيمته في الوجود، بهذه الجغرافية الحية والمتنوعة بوصفها جزءا اساسيا تتشكل عليه كل هذه التفاصيل الشائكة التي لاتغادرها عين الشاعر واختلاجاته، كل هذا لأنه يراقب بعين صافية هذه المصاعب والالتباسات، كتب عليه ان يشهدها ويعيشها ومن ثم لا يجد بعدئذ سبيلا للتغلب عليها الا بالشعر الذي يتحول لديه الى نشيج بالغ التأثير ولكن فيه من القوة والاحتجاج مايلفت، معبرا عما كان يراه ، فجائعية الحياة التي تعرض لها الانسان الكردي وآلامه،مثلا، واحدة من الجمل الاساسية التي راحت ترقى فترتفع قيمتها في النص متغلغلة بأنفعال اقل وانسيابية مرنة داخل بنية الوحدات الصورية التي يمكن ملاحظتها بسهولة في معظم نصوص الشاعر، اعني بالضبط توظيف هذه الاحالات الانسانية الى ما يشبه المأساة او التراجيديا الشعرية الانسانية المعاصرة، لكنها في كل الاحوال عين شفيفة حاذقة تلزم نفسها بالامعان، في هذه الثنائية المعقدة التي تتشكل منها الاحداث الكردية وتقلباتها الحادة. وربما لهذه الاسباب وكذلك لما يتمتع به خطاب بيكه س من تلقائية عالية واحساس واضح بالموضوع الانساني ، احتلت نتاجاته هذه المكانة المهمة في خريطة الشعر المعاصر.

ميزة شعر شيركو بيكه س الاساسية باعتراف كثير من النقاد تتكثف في ذلك النقاء الفعال القادر على الاحتجاج بالشعر، لابوصفه هديرا صوتيا او طاقة كلامية فائضة ولكن بقدرة محفزاته التعبيرية على صياغة المشهد الانساني الذي يعرفه جيدا والذي يتشكل منه خطابه الى حد بعيد، اعني انطلاقا من خصوصية المكان ومأساوية تحولاته وما وقع فيه، يتحقق هذا طبعا من دون الاخلال بالشروط الشعرية التي تؤازر منطق القصيدة، بعيدا عن سيطرة الحدث وضغط آيدلوجيته عليه، اقصد مثلا تأثيرات الفواجع التي مرت بها المسألة الكردية ومأساة الانسان الكردي وآلامه خصوصا قد سبق وان بانت هذه الضغوطات على شعراء كثيرين غيره، من جهة اخرى لايمكن اغفال الميل النفسي والروحي الواضح نحو اغواءات الطبيعة وجمالياتها وممكناتها وثرائها وانعكاس كل ذلك في الكتابة، فبيكه س قد يكون بالفعل في العديد من نصوصه لسان حال الطبيعة الكردسانية في حال تفجرها وتفتحها وتماهيها مع التاريخ، كما شاء ان يصفه ذات مرة مترجم ديوانه (اناء الالوان) وهذه الحقيقة الساطعة هي التي جعلت من شعره اكثر عفوية واقل اغترابا ومواربة مثلما هو اكثر اتساقا مع خصوصيات الواقع الانساني الحي الذي عبر عن هواجسه واحلامه واختلاجاته الخفية وعلاقاته المتجذرة ، الذي تشكل الطبيعة الكردستانية

اهم علاماته الباذخة اذ ان ولاءه غير محدود لها:

(دون ان ادرس على يد اي نهر
استطيع ان اكتب بلغة الماء
ولم ادخل مدرسة اي جيل
ولكنني اقرا الاحجار والاشجار
لم يكن الغيم استاذي ولم ادخل دورة الشتاء
ولكنني احفظ قصائد المطر والثلج والريح الصرصر جميعها)(١)

هذا الانحياز لعالم يعرفه الشاعر وَسم اكثر قصائده حتى لتبدو المفردة لديه وطريقة اختياره للمعنى الشعري شبيهة تماما بسمات الواقع الجغرافي وخصوصيات الاسماء والاحداث وعلى الرغم من ان مناخاة القصيدة تتشابه عنده احيانا وتتقارب او حتى لتبدو المفردة او الجملة الشعرية سهلة ومنقادة ومباشرة او دالة الوضوح بشكل مبالغ فيه مع اول انطباع، لكنها في الآن نفسه تبدو مبالغة مفهومة، تستوعب مايراد قوله، او الايحاء به الى حد بعيد من دون ان تبارح القيم التعبيرية المطلوبة او التي يراد تكريسها بها عبر النص،لكن هل يحتاج الشاعر ابن الطبيعة للايحاء واللامباشرة، شخصيا اجد ان بيكه س واحد من القلائل الذين يتعاملون مع اللغة بوصفها اداة طيعة فهي بالنسبة اليه كائن لايحتاج ليتكلف بمواجهتها و يستجديها، فثمة تماه عميق يبنيه معها بتؤدة، سبيل واضح، يكفيه من خلالها لبناء علاقة مباشرة وحية مع قارئه ، اقصد ان هذه التلقائية الشديدة الاقل افتعالا هي احدى العلامات التي يمكن ان توسم شعره ، فضلا عن طائفة من شعراء كرد آخرين اتاحت لهم ظروف موضوعية ونفسية كثيرة التعامل مع اللغة الشعرية بهذه الطريقة، التي صارت مصاحبة للشعرية الكردية المعاصرة في مجملها، وفرتها ربما من دون قصد الظروف الاستثنائية التي غلفت حياة المكان، فغدت معه هذه اللغة اكثر براءة وعفوية من غيرها في الجوار القريب، نافرة كثيرا وبشكل واضح من الزوائد اللغوية والاحتشاد «الشعري» غير المبرر، هذه الاسباب الفنية وغيرها تعيها ذات شاعر مثل شيركو بيكه مازال يغني بطريقته ومادامت هذه اللغة الشعرية الخاصة تحقق رغبته في التعبير عن حجم الاختلاجات المتراكمة والمصائر المكتنزة لديه او حتى في عشقه لاصالة جذوره وانتمائه العميق اليها:

(سوف ابقى في النهارات
المشمسة والصافية
شاخصا حتى زمن بعيد
تمثالا على شارع المستقبل
اتأبط حقيبتي واوجه بسمتي الى الجبل)(٢)

حتى كأنه في مجمل اشعاره يتوق باستمرار لان ينقل تفاصيل هذه الذاكرة الجمعية للكرد ولذلك التراث الغني بالاساطير والحكايات غير المنتهية.

هوامش

نغمة حجرية - ديوان شعر/ دار الاهالي للنشر والتوزيع دمشق ١٩٩٩.
اناء الالوان - ديوان شعر/ دار الآداب - بيروت ٢٠٠٢..

يتوحد ويقتسم السر: شيركو بيكه س

كتاب الأيام والشجر



هشام القيسي

هو يشهر عمقه ، ليضمد نداء التراب، وهمس النفس . يقدم نفسه وبه جذور أرقها الحزن ، ليس كسابقات الحزن ، غير ان الحنين الى محقه يعد خيمة يستريح بها ، ويطمئن ، ومن خلاله الشجر والنبض والضوء المؤتلق .

وهو يريد الوقوف دائما خلف الزجاج الكاشف وأمامه ليتوحد ويقتسم السر واللحن والمفكرة التي تطرد التعب حتى يصير الهدوء عوالما ، ويصيرهموما موزعة ترقى الى شحنات حب أصيل يعانق الجذور والأفق البهجة المتمردة في الأحداق . أكونه يصول أم يشعل في المفكرة يقظة وتجربة تسكن الذاكرة ولا تهدأ قليلا .

انه كتاب أيامه ، محبوس في حزنه ، مثلما هو مستفيق في صرخته ، انه مملوء ، لآمع ، نسيج عميق ، متمرد ، يحاور في فصوله كل العقول والقلوب . يتجول فيها قبل أن يدور عليها بسوره ، هنا بيننا تدخل وتخرج لتقيم احتفالية لم تكن غائبة مفرداتها ، لكن المواسم كانت قد فرضت الشوك السياسي ، وحملت في أجندتها أوراقا أوصدت كل أسماء الأنتظار .

شيركو بيكه س ، يعرفه الشعر ، ويتناثر حوله على مساحات حمى العشق والبرق والدرب

الوحيد .
في طريقه الى الوطن أسئلة مؤمنة تنادي بأسم كوردستان، وبأسم الخطو الذي أشرع طقوسه وحولها الى اتجاهات تعبر الموج .
تقف معانيه لتتجاذبه بين البحر والذاكرة الحانا من مفكرة تضيء جسورها وتستقر . انه مملكة تفتح فصولها للحب ، مثلما يكتب كي تنهض الدروب الجميلة . وفي كل هذا وتلك دعوة ورحلة عاشقة الى حلم يغمر الطرق ، وسر تمسك به المسافات عبر أوجاع وحرائق ومشاهد باتت معروفة ومالوفة .

في البدء ، كيف يكتب شيركو الشعر ، ان لم يكن يكتبه الشعر، ليكون
عاملا في تطوير مسيرة الشعر الكوردستاني والعراقي ؟
سؤال لايخلو من اصول فكرية ذات طبيعة انسانية نشأ فيها ضياء الماضي ومجرى حياة هي أشد تأثرا بالمكان ونهجه، وما ينطوي عليه من معان، هي أقرب من سواها الى المنطق والرؤية وماتجود به من معطيات . في المرحلة التي تلت يقظة مهاباد ، تعددت اتجاهات الشعر الكردستاني وأساليبه كمحصلة من ملامح التناقض بين الأتجاهات المتباينة على الصعيدالسياسي . ولعلنا لانبالغ القول ان قلنا ان هذا العامل كان الأعنف والأضخم في التأثير النفسي والوجداني . لذالك بدت واضحة سمات الصراعات ومتطلبات التوازن الدولي . ومن هنا انطلقت الروحية الكوردستانية وثابة ، عنيفة ، في دعوة تجديدية سعت الى تأكيد الموضوع وما يبرز قيمه ومظاهره .وفي هذا الصدد لابد من الأقرار بأن هذه الروحية ظلت واضحة المعالم ، هادفة الى تحقيق الأصول ، في بناء فني أدبي يمتلك خصائص وتقاليد تعنى في كثير من الأحيان بالجماليات والواقعية والسعي الدائم نحو التفاعل مع الأنفتاح .
من هذا المنطلق كان الجسر الذي عبر عليه الأيحاء ، والتفصيلات التأريخية ، والحالة الشعرية المتطورة ، والأبداع ليكون فيما بعد قناعة ناطقة ومعبرا نحو اليقين .

في نطاق الرؤية الفلسفية التي يستند اليها الشاعر ، ويستمد منها نظرته ، وفي اطار ثقافته وقناعته، تكون المضامين والموضوعات غاية التأمل في التعامل ، ملتصقة بشكل واضح تماما بموقف الشاعر المبدئي ، مثلما يكون للشاعر اسلوب في التعبير يحقق فيها صلة راسخة صادقة وفق بناء فني نلمس فيه خصائص لغته ، وحرصه الشديد على عالمه الأبداعي . لذلك كان الأنسان منطلقا محوريا أفلح الشاعر في خلق قناعات متعددة ومقاربات في هذا الأتجاه ، كيما تكبر الحقيقة ، ويقبر الزيف لأجل النهوض ودحر الخضوع ونبذ الواقع المتردي :-

" ارفعوا الأقنعة ، ستنهار هذه المسرحية
ارفعوا الأقنعة ، ستنهار هذه المسرحية
أبحث عنك ومنتصف الليل هو حفار قبور مدينة الأحلام
أبحث عنك وارتيابي فارس قادم

كي يحضر
في موعد تعارف ولآدتي وموتي .." (١)

ان استخداماته اللغوية في عفويتها ، ونثريتها ، وتراكيبها لم تمنع استخدامات تلمس فيها الطبقات الصوفية :-

" ياحضرة الكلمة المنورة والقلم الثلجي
يامن لسانك لسان كلمات الخالق البيضاء
وصمتك في الخلوة ساقية المعاني
ويامن انطواؤك وجد الليالي
للعشق المطلق ،
فبعد رحلة مولانا السمندر
بقيت لديك شرارة ، كان رأسك فنار
أسفاره .. " (٢)

والحادة :-

" أنا أرتاب ..أنا أرتاب
أولاترى كيف تختم الفؤوس
على أي باب ينفتح
بوجه شعاع مطرود
ومشرد ؟
أولاترى
ماذا تفعل المقصات
بحق أية رسالة تكتب للمطر والرغيف ووردة الحبيب " (٣)

والتركيبية : -

" على الجذر أن يرتدي سترة الألم
كيف تنبت الأزهار على الجسد
على الماء أن يغدو مرا
كي تثمر أذرع العطش
انظروا الي ، كيف سأصيب رأس موت هذه الليلة
برمح الظهيرة المكتوي في يدي
انظروا الي
سأرفع هذه المرة راية موتي ،
سأمضي ..." (٤)

يتميز بيكه س بلغة شعرية أفصحت عن احتضانها للموسات معنوية : -

" وبأمكانه كتابة تلك الأسماء
على حائط غرفته
وأن يجعل بعضها
على كتاب المدرسة
صورا يرسمها
ولكن خالد
يرى من تلك الأطعمة يوميا
الفول فقط
ويجالس الفول وحده " (٥)

ومادية : -

" ان الناس يرون
في سماء (مامه ياره) مرة في كل عام
صقرا ،
يطير في الأعالي

يدور سبعا وعشرين مرة
ثم يحط
فوق كهريز (وه ستا شريف) " (٦)

وفق مستويات لغوية جميلة تعامل معها حتى وكأنها صارت جزءا منه، وقراءتنا لقصائده تجعلنا نعي كنه اهتمامه بها وتجاربه في هذا الأتجاه، وهذا مايضيف قدرة على الخلق والأبداع في عملية محاكاته وخلقه وتفجيراته وتشكيلاته.

ان الصور الفنية في قصائده تتسم بكونها حية وحيوية تتأتى من خيالاته اللأمتناهية ، واتساع رؤياه ، وابداعها ، وهي تتطابق مع مايستقي سواء أكان من مضامينه الوجدانية والفكرية أومن محيطه وعصره وزمنه : -

" مات مطر ما
أقامت الأرض له
مأتما كبيرا في أحد الحقول
لثلاثة أيام
من ناح أكثر من الجميع
في هذا المأتم
وأدرك الأحتراق القادم
كان أحد طيور قرية مرحلة " (٧)

وكذالك : -
" أستضيف المطر
في غرفتي
حين غادر
ترك زهرة لي ،
أستضفت الشمس
في غرفتي
حين مضت
تركت لي مرآة صغيرة " (٨) .

فيما تقدم اطلالة على مختارات (أنت سحابة ..فأمطرك) والتي يصح القول فيها أيضا ، أنها زاد على ضوء جبين الشعر أزهر ومعه كل السحاب ليمحق الجدب .

الهوامش:

(١) أنت سحابة .. فأمطرك / قصيدة التلوي ص ٨٦

(٢) ———————/ قصيدة مولوي ص ٦٩

(٣)———————/ قصيدة التلوي ص ٨٩

(٤) ———————/ قصيدة سمكو لن يجلس ثانية
ص ١..- ١،١

(٥)———————/ قصيدة خالد ثانية ص ١٣٤

(٦)———————/ قصيدة ٢٧ مرة ص ١٤٩- ١٥.

(٧)———————/قصيدة المأتم ص ١٥٦

(٨)———————/ قصيدة ضيافة ص ١٦٢ - ١٦٣

ملامح الطبيعة في شعر المبدع: شيركو بيكس



سمير أحمد الشريف/الأردن

مع ازدياد وقع دقات طبول الحرب وانتشار الدمار والقتل وتشريد العزل أصبح الهروب من الإذاعات وشاشات التلفزة ملمحا واضحا في مفردات الكتاب والشعراء الذين لا زالوا يحملون أوجاع العالم ويعالجون جراحات أفراده بالكلمة الآسية الجميلة والصورة المحلقة واللوحة الطبيعية المحلقة الحالمة التي تذهب بأحزان القلب بعيدا متخذة من خرير الماء وتلاحق موجات البحر وقمم الجبال التي تكسوها الخضرة إطار لبث لواعج حبه ونفثات قلبه .

هذا وقد لازمت الشاعر الطبيعة ومفرداتها حتى في اللحظة التي يعاني فيها من كابوس نومه، وكأنه في اللاوعي من شعوره يحيا هذه

الطبيعة ويستحضر مكوناتها ومفرداتها..

أغمض عيني

حتى أنام

"أجدُ نفسي في سهب

وقد أصبحتُ غزالاً

يبصرني النمر/ ويُطاردني/

أركضُ وأركضُ والنمر ورائي... يقترب

الشاعر هنا لا يستحضر الطبيعة ومخلوقاتها بل وأنسنتها، ويحاورها ويجعل له منها الأنداد والمصارعين والمحاورين...

أغطّي ليلي بلحاف

عليه صورة نمر

الليل طويلٌ... والنمر طويل

أتلوى ويتلوى معي

أرى من تحت اللحاف

أنيابه مغروزة في عنقي

فينتابني خوف مخطط

وليس هذا فقط فقد وصل الاندغام بالطبيعة درجة تماهي الشاعر مع حيواناتها ..

"أجدُ نفسي في سهب

وقد أصبحتُ غزالاً..

هذا الإندغام والتماهي بالطبيعة يأخذنا لشعر الهايكو وفضاءاته رغم اختلاف البنية والمقومات والبناء الشعري ليدل على أن المشاعر الإنسانية واحدة في تعاطيها مع تضاريس الكون وأبجدياته ولكن المختلف هو طريقة التناول وشفافية الروح وحساسية التلقي.

أما عاطفة الحب التي تعتبر المدماك الرئيس في التعاطي الرومانسي مع الطبيعة فتأثيره بالغ على صياغة وجد من نوع جديد ورؤية مختلفة في النظر إلى الأشياء ..

صنع اللحنُ من الحُبِّ سماءً جديدة

صارت القصةُ طائراً بجناحين كبيرين

وطارت في السماء الجديدة

صار الشعر أُفُقاً فتيا..

ويتمظهر الانغماس بمكونات الطبيعة درجة إلباسه لبوس الحكمة والفلسفة واتخاذ مخلوقات الطبيعة كائنات تشاركنا همومنا وتبادلنا آهاتنا ...

لا تحزني أيتها الفراشة

لعمرك القصير

لأنك وفي الغمضة تلك

منحت طولاً لعُمر الشعر

لم يعطه حتى "نوح"..

هكذا يظهر لنا من خلال سياحة قصيرة في نماذج من إبداعات الشاعر الكردي "شيركو بيكس"مدى رحابة الفضاء الإنساني وتقاطعه مع غيره من المبدعين العالميين الأمر الذي يشير إلى غنى هذا الشعر وضرورة ترجمته وإيصاله لمحبي الإبداع في بقاع الكون المترامية بل هي فرصة للبدء في إنجاز دراسات في منجزات هذا الإبداع في فرع الأدب المقارن على وجه التحديد.

تشعير البنيات السردية في شعر شيركوبيكس



قراءة:شاكر مجيد سيفو

الشاعر شيركو بيكس, يعتبر من أبرز الشعراء الكرد الذين امتدت مساحة تجربتهم الشعرية على امتداد العراق والوطن العربي والعالم, في هذه القراءة نتناول مجموعة من نصوصه الشعرية المنشورة في كتب: أرواح في العراء, وكتاب بيفيني ونصوص كردية حديثة, وإشراقات كردية:

الشاعر شيركو بيكس في تجربته الشعرية الغزيرة والمحتدمة يكاد يعادل أو يقابل أحد اقطاب الشعراء الرواد العراقيين هو عبد الوهاب البياتي, وبأمكاننا أن نصنفه من الشعراء العالميين, حيث ترجمت قصائده إلى لغات عديدة, واحتل اسمه صدارة الشعراء الكرد والمشهد الشعري الكردي الحديث في القرن العشرين .

الشاعر شيركوبيكس يؤرخ في نصِّهِ الشعري حادثة جرح تأريخي بلغة تتعدد فيها مستويات القول الشعري والضخ الشعري والروح الشعري هذه المستويات الثلاثة تكاد تتراسل وتتلاقح وتتجاور فيما بين أنساقها النصية, تتعدد وتتراكم وتزدحم بها و فيها أقانيم الحزن والألم والنشيج للداخل الشخصي الباثّ إلى الخارج المستقبل, لغة الشعر عند الشاعر شيركوبيكس لغة موسيقى تتناغم مع نغمات العذاب والدراما والمأساة والقهر العراقي الأزلي, تتناغم مع نغمات الحب والسيرة التصوفية من جهة والسيرة الكابوسية الموسومة بالمغناطيسية الروحية والحلمية, إذ تهذب سيرة الموت والخواء والفراغ من جهة وسيرة الألم والجنون والعشق من جهة أخرى, تتعدد مستويات الروي الشعري إذ تكتمل و تنتعش في صفاء المفردة وجمالها وتأريخ الكلمة وسحرها وسرودها الأنوية التاريخانية الشخصية.,,....

يهتم الشاعر شيركوبيكس بوحدات التشعير السردية والتي تتشظّى إلى وحدات أو ذرات نصيّة تبرق كالبلورات أو كاللمحات أو الومضات الخاطفة يمتزج في حادثتها الفكرية الواقع والخيال,

إنّ صناعة الشعر في تجربة الشاعر هي اشبه ما يمكن تسميتها بتكنلوجيا الكتابة النصية فهو يعتني بجمال المفردة العنيدة, يهذب فيها الأمل والخلاص وينهضها من إغفاءتها القاموسية, ويمغنطها شعرياً إلى أن يصل إلى بناء عمارة شعرية يتجاور فيها المرئي واللامرئي والمحسوس واللامحسوس والتشكيلي والدرامي والبصري والصوري والذهني والجمالي السحري,

تنشأ كل موضوعاته الأساسية من خلال هذه العناقات الأسية بين الذات الشاعرة والذات الأنا من جهة وبين الآخر عبر معادلة استدعاء العناصر الرئيسية للصورة الشعرية وكثافتها الثرَة وضخّ شعريتها بوساطة اللغة الساخنة وتوهجها اللفظي وكثافتها اللسانية, لتأسيس مشهد شعري يتجانس ولا يتجانس فيه ايقاع المعاني وايقاع الخطاب وتضاداتهما: }أحدُهما ظلُّ شخص واقف/سرعان ما يخرُّ ساقطاً./أما الثاني فيفرُّ ويختفي بعد ساعة/ في مكانه الأول/تبصر غزالة تمشي وتجيء./ وفي مكان الظلّ الثاني/يهبّ رمح لينغرس في الثرى!- من نصه ظلان- كتاب- أرواح في العراء :اعداد وتقديم وترجمة :الاديب عبدالله طاهر البرزنجي ص٤٦{

يكتب الشاعر شيركوبيكس بقوة وعنفوان اللغة الجامحة ويعمل على تشعير الكلمة في كل صورة, حتى تتشعرن الصور والأفكار وأنطولوجيا الدلالة, في سيل من الصور المتلاحقة عبر حركة الأفعال اللولبية داخل النسيج الشعري ويسعى الشاعر من خلال هذه الحركة إلى تأسيس منطقة محتشدة لحاجات الروح والجسد تتفاعل وتتقاطع فيها الأفعال في ترددات شعريتها وذبذباتها الرؤيوية والفكرية والميثيولوجية, وتتمظهر هذه الرؤيا من أعماق القاصّ الراوي أو الذات الشاعرة في انتقالاتها من المحايثة الذهنية الى تمظهرات الرؤية إذ يفصح الشاعر عن داخلية خطابية في مقاربات شعرية تتحرك بقوة اللوغوس بين منطقتي الزمان والمكان, إذ يحدد الشاعر وقائع اشتغال اللاوعي من خلال الوعي في تأطير حلم الشخصية وتوهجه التأملي: ﴿أنطرح على الفراش/أدثر رأسي ببطانية فيها صورة نمر/الليل يتمدد, وكذا النمر يتمدد/ أتململ فيحاكيني/ من تحت البطانية ألمحها/ مخالبه تطوق عنقي./.... إلى أن يصل إلى نهاية نصه المفخّخ بالكابوس الثقيل: (أجفل متصبباً عرقاً بارداً../أزيح عن رأسي البطانية/أهو البيت أتمعن حولي/ فأرى النمر مهشماً ومنكمشاً تحت أقدامي..!.) من نصه: كابوس﴾﴿ هكذا يصرّح الشاعر في لغة كابوسية يسندها إلى وقائع الحدث الشعري ويتراءى له من عمق المشهد مجال الرؤية والرؤيا, يجنح نص الشاعر بفيوضات خياله الشخصي عبر تمشهدات الصور الشعرية في تعالق نصّي عبر صورة الآخر المهزوم (فأرى النمر مهشما ومنكمشا تحت أقدامي..) إذ يرى هنا الأرتداد الى نثيث الحلم ومناخاته الثقيلة في أفقه النصي وقيماته المتجسدة في توهج الصورة الشعرية. ويبدو حضوره الأنوي وكينونته المتجسدة في تبادل الدور مع الذات الشاعرة, إذ يبث الشاعر هنا مستويات الحال الشعري عبر قنوات ترتبط بالنفس الأنسانية بقوة يتصّدرها مركّب الحلم الشعري في مستوياته المستثارة في قيماته الوجدانية

والأنسانية والفلسفية والأنعتاق:
﴿لم أكن معكم هناك حين أضحت شوارع مدينتنا/أنهار شهدٍ للحرية لم أكن معكم حين بدأت تضحك/ نافذتي الناحبة منذ الآف السنين/لم أكن هناك حين استعمل الحجر أحمر الشفاه./فيما غدت الشجرة شبابة./ وتراقصت بيوتنا صفا صفا./ لم أكن هناك حين لثمت الحرية/ جبينكم واحداً واحداً./ لم أكن معكم في ذلك الصباح/إذ عاد موتانا جميعاً الى منازلهم./ الدخان أصبح لبلاباً من جديد/ والرماد صار مهداً.. من نصّه/ حين عاد موتانا ص٤٨)يشتغل الشاعر شيركوبيكس في أخطر مناطق الحياة شعرياً, فهو العارف بأسرار الغياب وكبرياء الانسان وحريته ووجوده، ولا يخفي الشاعر ترسيمانه الشعرية كخارطة بشرية يحيل إليها حتى الصدفة إذ يتحايل عليها ليبني منها مشهدية شعرية تتضاد فيها مكوّنات الصورة الشعرية وكيمياء اللغة الشعرية وارهاصات الذات الشاعرة المحتدمة وتأرخة الحلم اليوتوبي وتفكّرات الأنا العليا وفلسفتها وبلاغة خطابها الوجودي واليقيني إذ يصل الشاعر إلى بوح مضاد للصورة المألوفة في خاتمة نصه الآنف الذكر: (لم أكن هناك/لو كنت معكم/لأيقنت أن الفرح بنشوة قهقهة/يرديني قتيلا على فراشي..! ص٤٩)
تتدفق صور الماضي الموكولة الى كينونات الآخر حين يدرك الشاعر أن العالم يتسع لأكثر من اثنين في اسفارهما وغيابهما وحضورهما في نص شعري يتغنج بصراحة استدعاء الآخر, ويتوخى الشاعر الأخذ والعطاء حتى في تقرير الحال الشعري ((فأخذت منه نزارا يسيراً لشعري)). تتمظهر هنا صور الحضور والغياب والمعاينة وتتكشف مهيمنات الأرسال في هذا البوح التراسلي والتشظّي وإثارة الاسئلة الأشكالوية المحتدمة حياتيا وذاتيا ومشهديتها الفيزيائية وخيميائية شعريتها وألمها الثقيل في رؤيا لصورة الكائن الآخر وتكرارات صور الأخرين في طقوسية نفسية وفلسفية, تبدو الصور كلّها محاصرة يحصنّها الوعي والذاكرة وأُسيّة المعادلة الحياتية الثنائية في كينونتها المتجسدة في صورة الماضي وتجسد الآخر في صورته: ﴿رأيته في أوسلو/كان عائداً من أفق الشرق/ جالباً حزمة من الضياء,/......
﴿رايته في برلين/كان عائداً من حدائق الشرق/ جالباً معه, حفنة شذى من هناك/ فأخذت منه نزراً يسيراً لشعري حتى عودتي إليكم/كانت وحشتي تعبُ من ذلك العبق..!
كان النور كوبيا/والأغنية سابلاخية/والعتب دهوكيا..من نصّهِ: النور والأغنية والعطر.. ص ٥٠-٥١﴾
في هذا الاشتغال الذكي من الكتابة الشعرية تترادف الصور لتحتشد وتتكدس. وتتوالى لتؤسس مشهداً شعرياً, يبتكر للقراءة مفاتيحها واقتراحاتها. وتقود مفردات الحال الشعري إلى هذا التناغم السيزيفي في الأسفار الحاملة لعوالم مفتوحة.
تقترح معانيها في علاقات المقولة الشعرية في داخل تكرار الآخر في مجيئه. وعودته ومتخيلّه البصري, فالأسفار الحقيقية تقترح لفكرة النص-وهي طواف آخر على خراب العالم الذي يتسع لروح الشاعر وزمانية النص المتجذرة في –معادلة- (أفق الشرق+النزر اليسير) هذه المعادلة المزحومة بفضاء التمشهد البصري الزماني, تتقدم على تقديم الشعر

بالمحمول الحكائي المبثوث في الفعل الماضي "كـان" وهو استعارة للزمن المفتوح في أثر الكلمة، ويتضح ويتجلّى هذا في السرديات الشعرية لمنجز الشاعر شيركو بيكس...

يشتغل الشاعر شيركوبيكس على إقامة عمارة شعرية بعناصر البناء السردي ويترادف الذاتي والجمعي في المنطقة المتخيلة مـن الشعر، والمنطقة السردية الحافلة بشعرية عناصر السرد, فالحكاية الشعرية, في نصوص الشاعر تحددها طبيعة الحبكة النصية ومستويات التركيب النسيجي والموضوعاتي وتجاور الواقعي والخيالي وإسقاطات الواقع وانعكاساته على الشعري, وحتى الكتابة عن اليومي وانغماس الشاعر في ذاته ولعبتها الداخلية في مواجهة العالم والكائنات والوجود, حتى الغـوص في ذاكرتـه وأستنطاق واستدعاء حكاياتها الجوانيّة وتيهان الوعي للقبض على جمرة الشعر في تعالقات الزمان والوجود والمكان والحكايات: ﴿في الخريف/رأيت الضوء في النهر/ وقد تدثر بالأوراق الذابلة من البرد/ في الخريف/ رأيت أشجارها هائمة/تنتظر ليلة مقمرة/ مرتجفة في الماء./ جعل الخريف في لياليه الطويلة/ سجلاً للحكايات../ ثم حين كان يجلس متقرفصاً في الضباب ليلاً/ يفتح السجل/ ويختار لكل ليلة حكاية من حكايات الرحيل والغدر/ ويقرأها لأطفال "أطفال" ذلك السهل:﴾ (من نصهّ ضيوف خريفية ص ٣٨٥ من كتاب قصائد.. كتاب بيفيين – ترجمة محمد موكري) تشي طاقة الخيال الشخصي الى واقعات حياتية كارثية تلك المتجسدة في صورها المروعة المرموزة لها بالأنفال, وتغالب الكارثية ما تختزنه الذاكرة الشعرية الشخصية ككيان نصّي بين ثنايا السرود النصية التي تؤكد حضورها بروح السخرية المرّة بالإشارة الى جعل الخريف من لياليه الطويلة سجلاً للحكايات../ ثم حين كان يجلس متقرفصاً في الضباب ليلاً ..ثمة مهيمنات أسلوبية تتمظهر في استعادة ما يقترحه النص من موشورات أسطورية تاريخية ويومية تنحاز لها لغة الشاعر في استنكاه المغمور الشعري والمسكوت عنه في الأستغراق لتوصيفات شكلية لغواية الصور المتشابكة في شعريتها الـتي يسعى الشاعر في تأسيسات بنياتها إلى إحالة الفكر الى مجسات سرّانية تقود إلى عـوالم متسعّة يتراوح في طبقاتها الشعري والنثري في هيكلية سردية تفصح عن التخييل العميق واستبصار الانزياحات في لعة درامية تفيض شعريتها "بالأنشداد الى شعرية إبلاغية على طريقة ياكويسن الى قـاريء مقترح هو الآخـر, قد يكون هو القاريء الضمني, أو القاريء المرائي حسب تعبير الناقد على الفواز... ثمة تدوين يكاد يكون شكلانيا في إداءات النص التعبيرية, ففي غالب الأحيان يجنح الشاعر إلى قراءة مهيمنات الطبيعة ورمـوزهـا وعناصرها, وتتجوهر شعرية الوجود في هذه المنطقة إلى رسم خارطة متخيلة تغني مدلولاتها شعرية النص, ويتجوهر الشعري في قوة الملفوظات وتعاضدها الـصـيروري وكـشـوفـات الشاعر الأدهاشية في بنيان العمارة الشعرية وتخليقات الروح الشعري في إنعاش حياة النص: (الريح تنحني للخريف/ بأحترام../ الخريف ينحني للعاشق بـأحـترام/ العاشق للعشق/ العشق للخيال/ والخيال لي../ وأنا للشعر!) من نصّه: ضيوف خريفية ص ٣٨٥ كتاب بيفيين..

ترجمة: آزاد برزنجي ...

الشعر عند الشاعر شيركو بيكس جزء كبير من روحه و جسده, وربما هو أحد ابنائه, كأني أرى الشاعر يرَبي وينمي النص الشعري بدلال يفوق دلال الوردة ودلال الجبل, الشاعر ينحني للشعر في دواخله وقبل ميلاده, وبعده, وفي قيامتهِ, "الشاعر شيركوبيكس مهووس بفيض الشعر وخلقه وخلقته وبنوتّه وحياته على الارض, كلّ شيء في الحياة يحيله إلى الشعر وإلى حياة شعرية, "الجبل, الماء, الورد, الخضرة وأشجار اللوز والجوز والبلوط والتفاح والتين والرمان, حتى المرأة عنده مخلوقة شعرياً ومن الشعر وبالشعر, الماء عنده عنصر هيولي تأسيسي, فهوى يرى الحياة الشعرية كالمياه تجري في عينيه كالروافد والأنهار والينابيع, والأمطار, في كردستان, المياه عنصر مركب كبير لبناء الحياة, في الوطن الماء مفقود, ليس له هوية, هنا يستعير الشاعر من الطبيعة الخلابة كل مركبات التخييل ليؤسس لها وجوداً سيميائيا تشكيليا شعريا.

إنّ رؤيا الشاعر لهذا المركب الخيميائي هو رؤيته الأزلية للحب وللمرأة, حتى وصوله إلى حالة النيرفانا: ﴿ذات يوم في الخريف/ جعلت من رأسي غربالاً/ وغربلت الحق/ أتيت بألوان المرأة/ وألوان الرجل/ ومزجتها معاً بالتساوي/ وغربلتها دارت رأسي ودارت ثم ما تساقط منه/ أخذه الرجل وأكله الرجل وما بقي من الرأس وفي الغربال/ كان من نصيب المرأة! ص٣٨٦﴾

يتحقق الفعل الشعري في وجوده الشعري في موضوعة الوجود و إرثه التعليلي بين قوّتين أو بين قطبي الحياة –الرجل والمرأة- إذ يعكس الانفعال الشخصي الذاكراتي الوجودي فضاء هذه المعادلة في إشارات النسيج الشعري إلى بنيانها المركبّ في تمظهر العلّة الرئيسية المتمظهرة في لحظات التجلي والحضور ومركزية الوجود الشعري وصيغه التركيبية والتأويلية..........

إن الشاعر شيركو بيكس يؤسس لأسطورته الشعرية الشخصية في مشغله الشعري من إحالاته العميقة لرؤى الأشياء وتشعيرها, ومركبات التأويل في إطار الأبنية السردية, فهو يغوص عميقاً في نسيج الصورة الشعرية ويشتق منها منظومة الأستعارات التخييلية, فنموذج الشاعر الشعري العميق يؤكد في حضوره الأسطوري إلى وجدنة الشخصي الشعري, العميق في تحولات النص المترادفة من خلال مركباتها التضادية وصيغ المستويات الفكرية والعاطفية والوجدانية والميثيولوجية التي تتمظهر بقوة في أنسجة الصور المحسوسة في معظم نصوص الشاعر التي تتعالى فيها صيغة المركب الأنوي: ﴿أنا شخص واحد بظلين/ لي جسد واحد وظلين/ إن غيمّت السماء وتساقطت الامطار.... أنا الخريف الأزلي لهذا الوطن/ أنا امرأة واحدة بظلين/ لي جسد واحد وظلين/ أحدهما يغيب بين فينة واخرى/ ولكن ثانيهما لا يتركني أبداً/ لا يتخلى عن صوتي/ لا يتخلى عن لوني ورأسي/ لا يتخلى عن وجودي/ هذا الظل الرجل.. ﴾

يسعى الشاعر في مشغله الشعري إلى ممارسة لعبة المتوالية النصية وتدوينها شعراً باستدعاء الدال والمدلول وتبادل أدوارهما, في معادلة يتجلى فيها حضور المدلول بأتساع

رقعة النص وتدوين عناصره وتتبدى صيغ التكرار في توالي الفناء أو الأحالة إليه في هذه الصور المشعّة المتوهجة في ملفوظات القول الشعري الجامح المتليء بالمستويات الدلالية المتضادة: ﴿ذوت ورقة... فذوت وراءها إصبع ذوت إصبع.. فذوت وراءها قصيدة./ ولما ذوت القصيدة.. ذوى وراءها عشق حينما جفّ عشق ما/ جفّ معه موسم/ عام جفّ أحد مواسمي/ جفتّ معه مدينة/ وفي مأتم المدينة/ بكى بلد ما/ وفي فاجعة البلد/ كان صدى العالم وراءها/ وحين حلّق صدى العالم عاليا/ سقط وابلُ كونٍ وراءها فبكى الربّ أيضا..﴾

تتجلى الأحالة الوجدانية الصوفية إلى النسيج الشعري التكويني البنيوي أعلاه في صيغ الحال الشعري وحبكة حدثه الوجودي الحسّي والذهني ومركز مدار الرؤيا الجوهرية لدراما النص وحركته المفتوحة والمغلقة في آنٍ واحد, وتنبيء متواليات التضاد عن وظيفةٍ تشكيل سيميائي مشكلة أيقونة تخصيبية استدعت الاستثمار الدلالي للفعل - ذوى - وتشاكلاته وفاعليته التي خلخلت البنى الكونية في ثنائية متلاحقة من خلال الأستبدال الوظيفي لمنظومة المفردات ووظائفها في تشظّي الدلالة المركزية - الانحلال والزوال- كمحيط اشتباك المعاني ورواسبها الشهوية والوجدانية, إقتران القصيدة بالورقة والأصبع, واقتران العشق بالمواسم والمواسم بالمدينة والمدينة بالبلد, والعالم واتصال الراسب الكلّي بالمطلق.

. إنّ الشاعر في نصّه هذا – ضيوف خريفية – يشتغل فيه على الكلّي في وحداته الحكائية, ويقسمه الى مرويات مختزلة ومكثفة لبناء عوالم نصية في الذاكرة ومنطلقة منها ويرسلها عبر شفراته الأفضائية من الاستهلال وحتى خاتمة النص,,,

الشاعر شيركوبيكس يكتب بقوة المعرفي والتخييلي والتشكيلي, وتتمظهر هذه الاشتغالات في قراءته للانسان والطبيعة والوجود والشجر والماء والعشق والمرأة والعالم... يقرأ الشاعر قراءة تجديدية وحداثوية وبنائية مفتوحة على الأجناس الأخرى, يقرأ هائما ينكبُ لكتابتها بقلقه الوجودي الشعري الرائي والمتخيل الشخصي.

في نصه – المغيب والزلزال –

يتراءى لي الشاعر شيركو بيكس, أنهّ واحد من هذه المخلوقات الكائنات التي تحتفي بكارثتها, قبل احتفائها بكارثية العالم, في بشاعة الوجود في صورة – المغيب والزلزال – فكل كلمة في نسيجه الشعري تُنبيء عن عاصفة من الذهاب إلى الفناء, وكل حجر شعري يؤسس لعمارة شعرية كارثية تحيل الوجود إلى الموت - كان جحيمنا في فردوسنا الجديد – مغيباً كان/ مغيب العشق في الموت – والموت في العشق (وكان مناحة) مغيب الجسد في الضباب والضباب في الجسد (كان عويل الغابة) وكان قيام العواصف الثلجية الصفراء للطمى/ وركوع الجبال/ مغيباً أن/ غروب صلوات الـ"موغ"/ وتفتق الشعر والأغاني وذوبان رميم الشمس/ وتساقط جدائل الأحبة/ مغيباً كان/ كانت المهاوي مترعة بأشلاء أشجار الجوز/ ملأى بالجمر المقتول وبواكير الأزاهير الشهيدة..... ص٣٨٨ ﴿من نصّه المغيب والزلزال – ترجمة محمد موكري – من كتاب بيفيني﴾

الشاعر شيركو بيكس يضع القاريء في حركة

نصه الدرامية وسط هيجانات لمخلوقاته .... مخلوقات مصدومة منكسرة, متداعية تتحاور وتتجاور في فعالياتها الحياتية وسط كارثة العالم في عنونة النص – المغيب والزلزال – يضع القارئ في منطقة شعرية حاشدة ومحتشدة في ادهاشيتها وجسارة أفعال أنواتها وذواتها المركبة, وتمثل هذه العنونة لنص الشاعر كل هذا التفجير اللغوي التعبيري وتوليدها لمنظومة من الصور والمعاني واستثمار التخييل الشعري والمخيلة الشعرية والدوران والبحث والذوبان في منطقة شعرية ضاجة ومتشابكة تشابكاً شديداً في ملفوظاتها الميتافيزيقية والسحرية واستثارتها للغة الشعرية الساخنة والثخينة معاً, جعل كل ذلك أن يحفل بالتوتر الداخلي وتلاحق التوزيع الايقاعي وتشظّي التشكيل البصري وآنفلات الروح الشعري وتشظيه إلى وحدات سردية حكائية تنتظم تحت الوهج المدهش للكلمة والصورة واللون والأحاسيس واصطفاق الزمان والمكان في منطقة الشعري الكارثي والتدميري: (لم يبق طير إلاّ وأصابه العمى/ لم تبقَ غمامة إلاّ وأمست عقيمة/ لم تبقَ حديقة إلاّ وأصبحت كسيحة/ وعلى امتداد هذا الربيع الدامي لم يظل سهل إلاّ وجردت عنه الخضرة كالغنائم/ لم يظل غدير إلاّ وكالسليبة نزعت عنه الزرقة.. ص٣٨٩﴾

تتوالى تركيباته الشعرية ويظل منحازاً إلى خزائن التاريخ الفجائعي الذي يضمه المشغل الشعري الكردي في أبشع الحلقات الكارثية في "حلبجه" ويتمثل هذا الانحياز الى الكتابة العميقة, وإلى التاريخ الجمعي, إلى المخيلة البدائية الصافية التي تنحاز إلى الصدق, إلى التصريح بكارثية المعاني الدالة و إلى الدلالات البنيوية والمفردات الشعرية المتضادة, الى نوع من خلق الفوضى الخلاقة, أذ يقدم نبوءته الشعرية مرةً كحكيم وتارة اخرى كعراف ليذكرنا بنيتشه وبطله في - هكذا تكلم زرادشت- حيث هذا الاصطدام بالرؤى المفزعة للواقع الانساني حسب تعبير الناقد فاضل ثامر.. إن الشاعر يجنح نحو بناء نصّ درامي تتعدد فيه كل اشكال الرؤى ورائحة الوجود وصدى أصوات كائنات قريبة منه, كائنات اسطورية, كائنات تحتفي بموروثها الميثيولوجي وطبقاته البنيوية والبدئية بالأشارة الى ميشيل فوكو وكلود ليفي شتراوس,

إن الشاعر شيركو بيكس يبيّت في تجربتهِ الشعرية لثورة شعرية, بمشروعه الطليعي التقدمي هذا, إذ يؤسس لنصهِ الشعري ذائقة خاصة وقيمة ميتاجمالية تتضايف وطاقة الكلام في تجوهره واستدراره لمعنى المعنى حسب – الجرجاني – فهو العارف بأسرار المعنى الطافح من ينابيع المخيلة الشخصية الكونية في انفجارهما الرؤيوي وتحليقات الأنا والذات الشاعرة الى تحقيق هذا الانسجام اللامرئي بين التراث والحداثة وبين الأجناس الأدبية والفنية وحلقاتها المتعددة في التشاكل والترادف والتوازي والتكرار التركيبي وحركته الدائرية والجوانية وقد تمظهرت هذه الانساق في اللعب على مظاهر الطباق والجناس واللعب اللغوي البلاغي وتوظيفه عناصر الأفصاح والبوح والتدليل والتدويم واحتشاد نصوصه بالصور وتعالقاتها والرموز وأسطرتها وتشفيراتها وتتويجات الحلم الأنوي الصارخ والمتجذر معاً: ﴿أنا أبخرةُ الامسِ وغيث (الآن)

وحلم الغد الاخضر/ في آن واحد لي اسم ومادة اسم/ أنا ذكر وأنثى, ذو روح وبدون روح/ أنا زمن التضحيات الأبدية للوداد/ مائة ألف مرة قتلت/ مائة ألف مرّة بعثت/ أنا العنف المتمثلة لحدّ السيف الأصفر من كل أوان/ وكل زمـان.. ص٣٩١﴾ إلى أن يصل لأسطرة المكان وتداعيات تاريخه وحاضره: ﴿"بغداد" الان صوت حديدي لسنة ألف وتسع مائة وثمانية وثمانين/ إحدى قدميها تطل ثرى "زاخو" والاخرى تدوس الـ (بصرة) يبتلع التواريخ القديمة والجديدة﴾ تحيل الاشارات الزمكانية إلى كارثيات الحال العراقي في تاريخه القديم والجديد, وتتمظهر هذه الاشارات في تجسيدات المعاني الدالة على الدمار الذي أدى إلى قراءة الشاعر تاريخ الكرد وتدوينه له شعراً واصفاً إياه بـ(الرماد أصله كرد لماذا!/ إياك أن تعبر هذه القصيدة حافياً فهي مليئة بشظايا الزجاج,/ يا لورا لا تنسي كوردستان لا تنسي كوردستان يا لورا!﴾ من صور كينونة الشاعر وتشعير الكينونة التاريخية والأسطورية والمكانية, احتفاؤه الاسطوري بيوتوبيا الساحرة الغائبة: ﴿كنف نبتة غريبة, في هذا الغدير الجديد../ صـرت المـاء وغنيّت لـلأرض/ صـرت الأرض والصنوبر/ كتبت الشعر!../ كانت حلبجة لحـيـة "مـولـوي" المـضـاءة/وحـجـل قـدم (هورامان) ومعطفاً برونزيا لتأريخ الشهرزور/ حلبجة: كانت رنين آساور يد فتاة يهودية,﴾ من نصّه: الصليب والثعبان ويوميات شاعر ص٣٩٧, ترجمة غفور صالح عبد الله – كتاب بيفيين..)

تتجاور مستويات السرد والتكثيف في بنيات شعرية عميقة ترسل شفراتها عبر معانٍ مترادفة ومتراكبة في تأويلات تتخفى خلف أطياف ما يمكن تسميته بـ(الهرمينوطيقا), إن التجاور الظاهراتي هـذا يكاد يتسلط على معظم نصوص الشاعر شيركو بيكس. تلك التي قرأناها: (ضيوف خريفية والمعيب والـزلـزال, وأُمـــي.. هناك وسبعون نافذة متجولة ومضيق الفراشات والنور والأغنية والعطر, وهو والإضـراب والهوية والاحـتراق وغيرها..) ومن الجدير بالذكر أن ندوّن حياة هذا الشاعر الكبير في هذا الموجز:

شيركو فائق بيكس ولد عام ١٩٤٠ في مدينة السليمانية.

نشرت محاولاته الأولى في أواخر الخمسينات.

أصدر مع مجموعة من الأدباء بيان (روانكة) الأدبي.

أصـدر الكتب التالية ((هـودج البكاء-ضياء القصائد-باللهيب أرتوي-أنشودتان جبليتان-الشفق-مرايا صغيرة-مضيق الفراشات-أصص الألـوان-مـقـابـر الفوانيس-الكرسي- طبعت أعماله في العراق والسويد..

شغل منصب وزير الثقافة, ثم أستقال.

حالياً يعمل رئيساً لمؤسسة سردم.. ﴿المعلومات من كتاب أرواح في العراء-أنطولوجيا الشعر الكردي الحديث-إعداد وترجمة وتقديم: عبد الله طاهر البرزنجي..﴾.

الشاعر الكردي
شيركو بيكه س في «ملك الكلمات»

فتح الله حسيني

بعد أن صدر للشاعر الكوردي شيركو بيكه س مجموعته الشعرية "الكرسي" عن دار المدى في العاصمة السورية دمشق، بترجمة الكاتب سامي داوود، صدرت، مؤخراً، عن دار الينابيع في دمشق أيضاً، مجموعة "ملك الكلمات"، التي أحتوت على أكثر من سبعين قصيدة قصيرة، ومن ترجمة المترجم الكوردي الراحل صلاح برواري.

تحتفي المجموعة بتقديم الصورة الأكثر ألقاً في الشعر الكوردي المترجم الى العربية احتفاءً ساخناً، وربما هذه إحدى ميزات الترجمة الى لغة أخرى، ولعل لجوء المترجم الكوردي صلاح برواري الى فن الترجمة، منذ زمن بعيد، طبعاً، نابع من هاجسه غير الوحيد، في أن للترجمة نكهتها، أوللترجمة منابر أكثر جدوى للإفضاء، بكل تأكيد، الى التواصل المباشر بين الثقافات المتنوعة، وربما أيضاً ناجم من روح وهاجس "الخيانة" الأدبية المتجذرة في قناعات برواري الثقافية، حينما يلجأ الى ذلك، ويدون بلاهوادة، ثم لينثرها وينشرها في صحف عربية كبرى موزعة بين بيروت ودمشق، لتبقى خياناته ذهبية، وهي بالتالي خيانات جميلة تفضي الى ايصال الأدب الكوردي الذي همش كثيراً وبقي في الظل الإعلامي طويلاً، دون الوصول، مترجماً، الى القارئ العربي، بلغته هو، دون زيف، لا سيما تمكن برواري من اللغتين.

اهداء برواري كتاب بيكه س الشاعر، الى بيكه س الانسان، إخلاص واضح من مترجم له باع طويل في هذا المضمار، بعد أن رفد دوريات عربية مهمة بالإبداعات الكوردية المختلفة، وعلى اختلاف أجيالهم دون تحيز.

تبدأ المجموعة بتقديم قصير بقلم المترجم، يسلط فيه الضوء على مسيرة هذا الشاعر الحافلة بالسفر واللااستقرار، منذ ولادته في كوردستان العراق، وتأسيسه لرابطة روانكه/ المرصد، في مطلع السبعينيات من القرن الماضي والتي كانت تمثل حركة التجديد في الشعر والأدب الكورديين، والى تبوءه منصب وزير الثقافة في حكومة إقليم كوردستان والى سفره الى السويد وحصوله على جائزة توخولسكي السويدية العالمية ومنحه محافظة فلورنسا الايطالية جنسيتها الفخرية، وترؤسه لمؤسسة "سردم" في السليمانية، هذه المؤسسة

الضخمة التي تصدر العديد من الدوريات باللغتين الكوردية والعربية، والى توزع بيكه س بين المنابر هنا وهناك، كشاعر تظل له نكهة الشعر، وهو المغتسل بالشعر.
يقول بيكه س في قصيدة "ملك الكلمات" التي تحمل المجموعة عنوانها:
لو ارتديت الشعاع
لتتوجت أنا بقمر زاهٍ
وتمنطقت بموجة
لو تكللت بتاج
من حباحب قصيدة لي
لتحولت أنا
الى ملك للكلمات الجميلة
وتربعت على عرش غمامة
قبالة قوس قزح
بيكه س، الشاعر، الذي يقود مفرداته بروية تامة، هو الذي يحدد الفاصل بين مفردة وأخرى، ويهتم بقصيدته كما يهتم الربّ بملكوته، هادئ في ايراد الكلمة، ويتربع على عرشها، ويراقص جنياتها، وينام في حضنها، هو ملك، في تتويج قصيدته من بعده، لأنه بكل بساطة " شاعر ترتمي جنية الشعر على قدميه، متضرعة فك إسارها، فيقمقمها في قصائد مختزلة وغاية في الروعة والجمال" بحسب تعبير المترجم.
قصيدة حلبجة التي أحتوتها المجموعة، هي قصيدة كتبت أوان الكارثة، أوان الفاجعة الكبرى، أوان بسط الله عباده على أسلاكهم الشائكة، وقالت لهم الأرض تعالوا لأحضنكم، والحدود، والمنافي القاسية، فرداى فرادى أو بالجملة لايهم، لتقول لهم السماء: أنتم أكرادي الموتى/ الشهداء، هي قصيدة قرأتها في بداية التسعينيات، كما هي الآن، من ترجمة ذات المترجم، صلاح برواري، الذي قدم لنا، في دمشق أيضاً، آنذاك كتيباً صغيراً لأربعة شعراء كورد مترجمين الى اللغة العربية وهم :لطيف هلمت، رفيق صابر وعبدالله بشيو بالإضافة الى شيركو بيكه س، ووقفت، حينها، أتأمل وأتمعن في حضرة هذه القصيدة المؤلمة، التي تقص سيرة يباس مقصود، واستشهاد جماعي، أوان كان جرح حلبجة مازال مدمياً، رغم أن المدينة كلها مدماة منذ استشهادها في العام ١٩٨٨ والى الآن:
كان الرابع عشر من الشهر
على هامة كويزه
اختطفت الرياح قلمي
وحين وجدته وكتبت به
حلقت كلماتي أسراباً أسراباً
كان الخامس عشر
أخذ (سيروان) قلمي
وحين استرددته وكتبت به
تحولت قصائدي، واحدة إثر أخرى
الى أسماك
كان السادس عشر
آه، السادس عشر
عندما سلبني (شارزور) قلمي
وحين أعاده إليّ.. لأكتب به
كانت أصابعي قد تيبست
مثل حلبجة.
المجموعة التي تضم أكثر من سبعين قصيدة قصيرة، تحتفي بالوحشة الانسانية، بالألم الكوردي، باحتراق زكيا ألكان، وتهدى الى كمال

جنبلاط، وتوزع كصور انسانية وشعرية على متاهات زمن مر مرير، ويبقى للشعر رونقه كشاهد على ما سيأتي، تماماً كالكرسي الذي أُعدم عليه الشاعر وبقي شاهداً حتى رأى موت الجلاد:

الكرسي الذي
أعدموا عليه الشاعر
بقي شاهداً
وظل حياً
حتى رأى موت الجلاد
وتربعت عليه
الحرية..

الشاعر الكوردي الذي يكتب بالكوردية دون غيرها من اللغات شيركو بيكه س، بتعبير الشاعر الكوردي الذي يكتب باللغة العربية دون غيرها من اللغات سليم بركات هو "الرعوي المنشد الجوالة في الطبائع المائية للكلمات، يحدّث التراب بلسان الروائح التي هي قسم الكوردي، وبلسان اللون الذي هو بذرة روحه، مأخوذاً بكل تدبير للصور بنازع المحتفل كأنما يسرح في المذاهب كلها المؤتلفة باجتهاد الهواء الفقيه".

يقول بيكه س في قصيدة "بيانو":

ذات مرة،
والوقت خريف
طارت أسراب السنونو
صفاً صفاً
من قلوب شعراء القارات الخمس
في هذا العالم.
ورويداً رويداً
دخلت قفصاً
فتحول القفص
الى بيانو

فإذا كانت أسراب السنونو الآتية من القارات الخمس تدخل قفصاً، ليتحول القفص الى بيانو، فأنه في غابر الأزمان وبأمر من الشعر تم دفن زوجة السلطان والحلي والشعر:

في غابر الأزمان
قيل أن شعراً
تزين بحلي زوجة السلطان
وبأمره:
دفنوا الزوجة
والحلي
والشعر معاً.

مجموعة " ملك الكلمات" للشاعر الكوردي شيركو بيكه س ومن ترجمة صلاح برواري تحتاج الى وقفة طويلة، ولكن آثرنا قراءتها سريعاً، لتكون نوعاً من المبتدأ، إيذاناً بخبر غير متأخر.

تجدر الإشارة هنا، الى أن المترجم الراحل صلاح برواري، من الكتاب القلائل الذين يشتغلون على الترجمة الى جانب الكتابة الإبداعية، وهذا ما يفتقده الكثيرون من المنخرطين في الوسط الثقافي، فقد صدر لبرواري كتب مترجمة عديدة تمت ترجمتها من الكوردية الى العربية، منها "انتفاضة آكري: مذكرات الجنرال إحسان نوري باشا" العام ١٩٩٠، "مختارات من الشعر الكوردي المعاصر" العام ١٩٩١، و"قصائد تمطر نرجساً" في العام ٢٠٠٨ للشاعرة كزال أحمد ومجموعة "فصول الحب" للشاعر الكوردي السوري فرهاد عجمو.

البنية الدرامية في شعرية الكرسي لـ (شيركوبيكس)

زهير الجبوري

في الوقتِ الذي تظهرُ فيه القصيدةُ الحديثةُ باشكال التجريب البنائي والمضموني ، فإنها تظل في دوامة البحث عن شكل مغاير وفق ضـرورات اللّغة الشعرية ذاتها وانفتاحها الواسع على الاشياء ، ولعل بنية اللّغة الشعرية حين تشتغل على قراءة ظاهرة معينة ، تفتح ابواب التلقي بنزعات الشاعر ذاته .. ولنا في ذلك ما قدمه الشاعر شيركوبيكس من شعرية معاصرة .. شعرية تحتمل قراءات مفتوحة لموضوعة نجدها في غاية الأهمية ، الا وهي موضوعة (الكرسي) التي صدرت كنص طويل في كتاب شعري ، ترجمة للعربية (هيوا عزيز) ، وراجعة وقدمه (د. شاهو سعيد) ..

ولأن ثيمة الكرسي تحمل دلالات واسعة وقراءات عديدة ، فإن صلب ما نريد توضيحه هو ما ينطوي على البنية الدرامية في شعرية الكرسي ، وقد اشـارت المصادر والبحوث ان النزعة الـدرامـيـة حـين تطبق على بنية القصيدة ، فإنها تكمن في اطـار القصيدة السريالية ، حيث التمرد ورفـض الواقع وعملية السخرية منه ، وما الى ذلك ، (وفيها يتفاعل الذاتي بالموضوعي ، لأنها نتيجة وعي الشاعر البينة التي يعيش فيها ويتاملها بصفته متفرجا)(١) .

لـكـن شيركوبيكس لايـتـعـامـل مـع جملته الشعرية بقصدية البناء الفني حسب ، بل بقدر ما تسقطه لحظة التدوين للحالة التي تبنيه ذهنيته للقصيدة ، وهـذا ما جعل الاحساس بثيمة الكرسي اكثر من احساسه بالجوانب الاخرى المنفتحه على اللغة والمخيلة والايقاع ، شعرية الدراما عند (بيكس) تقترب الى اجناسية النص المرسل وفق اشتراطات (الحركة التي تسعى الى جمع المتناقضات فيما يسمى بالنقطة العليا) ، فتتجاور آلية الحس الـذاتـي والعقلي بالخيالي والواقعي ، فهي بالاحرى توقفات دقيقة انطوت على المعنى

المعمول عليه لثيمة الكرسي ، لنلمس في بعض مقاطع القصيدة الطويلة شحنات غنائية متمحورة داخل الشاعر ليسقطها بالشكل الذي يريد هو .

وانطلاقا من مقولة (ارسطو) بأن – الدراما – (محاكاة لفعل انسان) ، فإن الشاعر اعطى سمته التعبيرية منذ استهلالية القصيدة ، بحثاً عن معنى مكتمل ، وان كانت الجملة الشعرية مفعمة بالتناول المجازي عبر آلية لغوية مزدحمة بالعلامات ، او لأن القصيدة في انطلاقتها الاولى تنبثق عبر رغبات نفسية دافعة ، او كما يقول (هربت ريد) (القصيدة هبوط في الطبقات النفسية العميقة وارتداد من الحاضر الى الماضي) ، لذلك نقرأ في البداية مقطعاً شعري يكشف عن شعرية الدراما المنبثقة من ذاتية الشاعر :

تدخن عزيلتي الضباب
كما اللفائف واحدةً بعد اخرى
فيبدأ الكرسي بالنطق ..
ويبدأ الدخان ، بدوره
بتدوين ما ينطقه الكرسي بلغة الرماد (ص٢٣)

فهل كانت مشهدية القصيدة في استهلالها الاول نقطة انطلاق وافية للتعبير عن مضمون شعري متمحور بثيمة الكرسي ؟ ... اعتقد ان كل ما يدور على جسد القصيدة هذه كشف عن وظائف درامية لشعرية مشحونة بـ (انا الشاعر) ، وتاثيراتها على دلالة الكرسي ، حتى ان هناك مقطعا جاء في البداية يقول :

انا ، كاتب هذا النص
اجوب كما الريح المجنونة
هذه المدينة منذ عصور (ص٢١)

ولأن (بيكس) هو ابن البيئة المفتوحة على فضاءات الطبيعة ، فإن جلّ ما قدمه ويقدمه من شعرية ممتدة لعقود من السنوات ، تقف على استعارات مكانية في غاية من الدقة ، فجاء الكرسي علامة فاحصة لقراءة ما يحمله من شحنات دلالية بارزة ، رغم اني احد نفسي على خلاف ما كتبه (د. شاهو سعيد) في تقديمه للقصيدة قائلا بأن الكرسي (هو فكرة جمالية بحته واصيلة ، يكتشفها النجار الفنان في لحظة اضاءة ميتافيزيقية) ، في حين لعبت مقاطع القصيدة ادوارا لمشاهد معدة اعـداداً وصفياً بلغة المخيلة الشعرية ، بهذا الشكل من الكتابة الشعرية ، تظهر امكانية البناء الشعري عند الشاعر ، نقرأ في المقطع التالي :

منذ سنوات ..
ولم يزل هذا المقهى الصغير
موطن هذا الكرسي المضطرب
خيال هذا الكرسي يشبه الدخان والرماد (ص٢٨)

صحيح ان لبنائية الجملة الشعرية في المقطع هذا فعلاً درامياً / مشهدياً ، فإنه في الوقت ذاته كشف عن ايقاعية هائمة على الانفعال المرسل ، حيث (الكرسي المضطرب) ، لكنه (يشبه

الدخان والرماد) ، وحتى نقف على درجة من التماسك الشعري الذي قصده الشاعر ، نستذكر مقولة (اليوت) ان (ليس الشعر إسالة انفعال ، ولا هو تعبير عن الشخصية لكنه فراز من كليهما) ، فكيف لـ (شيركوبيكس) ان يجعل المتلقي في دوامة الاسترسال الشعري اللّذيذ وهو يمازح بين ثنائية الانفعال والصورة المجازية ؟ .. انها الطريقة التي لازمته منذ فترة ليست بالقصيرة في تجارب سابقة .

ولعلّ تعدد القراءات في شعرية الكرسي يدخلنا في دوامة الانفتاح على ما تصبو إليه التحولات المضمونية في القصيدة ، لنلمس اجناسية الشعرية وفق ضرورات محسوبة ، انها تحولات لها اكثر من قراءة ، ربما تفتح على التاريخي والمكاني والاجتماعي ، وهذا ما بان في قراءتنا للمقطع التالي :

تعود سلالة هذا الكرسي

الي ايام غابرة

فهو حفيد شجرة جوز نقشبندية

ذاعت شهرتها في منطقة (هوراما) (ص٢٩)

نلاحظ العبارات (سلالة هذا الكرسي) و (ايام غابرة) و (منطقة هورامان) ، كلّها دلالات شاخصة ساهمت بشكل دقيق يبين اعطاء فعل درامي لمحورية الكرسي ، على الرغم من ان هذا الفعل الدرامي جاء بطريقة الروي السيري

ومن صلب الموضوع ، نلمس انفتاح شعرية شيركوبيكس على النزعة الدرامية المبارة على العبارات (ربما .. كنت .. صرت .. كان .. ذكرياتي) ، وغيرها الكثير ، لتعطي فعلاً درامياً منفتحاً على المعنى المتداخل في صلب الجمل الشعرية ، حيث نقرأ :

-(ربما) : ربما تشكلت جذوري الاولى / من حفنة طين قرب صخرة ما .(ص٤١)

-(كنت) : كنت شتلة نحيلة .. نحيلة جداً / وكانت ريح هوجاء تهبّ من واد / لتضربني بجدئلها المشوية بالقش والزعيق . (ص٤٢)

-(صرت) : صرت ظلالا للسكارى المترنحين / العائدين بعد المعانقة والاستلقاء .(ص٥٠)

-(كان) : كان ابي يقول دائما / نحن الاشجار والغابات / ربنا الاول هو الطبيعة / وربنا الثاني هو النجار . (ص٥٩)

-(ذكرياتي) : ذكرياتي ... / لا تظنوا بأني امضيت حياتي كلّها / حين كنت بين الاشجار / في احضان الفتيات الخضراوات . (ص٨٥)

من خلال هذه المقاطع تكمن الوظائف الشعرية التي قصدها الشاعر عبر تقنيات لغوية تشكلت في بؤرة الكرسي وانطلقت الى فضاءات واسعة ومتنوعة لقراءة واقع سسيولوجي عميق ، وجاءت هذه الالتقاطة نتيجة وعي الشاعر بكل ما يدور حوله من اجواء مشحونة بالمتناقضات ، رغم انه كان متاملا ومنفتحا على هاجس الذات الشعرية ، لذلك هي قراءة لشعرية الواقع .

---

(١)د.خليل موسى / بنية القصيدة / ص٨٩ .

لا تعيقوا مسار التاريخ.. دعوا القيم تتجدد؟؟!!



شعر: سواره قلا دزيي

-١-
ليس من المحال أن تولدي من أول نظرة
وقطرة الدموع على خدك
كنت فاقدة .....آهات الحنان.... !!!
صنعوا من بريق بسمتك((وصمة عار))
لكي تحرمك من انسانيتك
جعلوك (جارية السلطان)
لتدلكي اكتافه....وتدغدغي أعضاءه....!!!!
-٢-
من رحلة الصيف و الشتاء في ((عكاظ))
يزينونك ...يهيؤنك للرقص ....ويبيعونك
وانت العوبة خرساء ...متخدرة
عندما يغازلك الشعراء .. يمدحونك
ويثنوا ....جمالك الفتان....
كلها ...هراء....بلا بهاء....
من بين غبار سحابات عشقك
يلقون النظرات تلو النظرات
حتى يشبعوا من فضيلة العشق ..و..الانوثة
يتركونك كعبيدة خارج اسوار ((جنة عدن))
يهيئون الظلمات للقاء غد....محمرة بسيلان الدموع....!!
يصيدون عشرات الازهار الباسقة ... في سبات الشتاء
عند لقاء اقداح السلطان ...وعنجهية العرش
وانت قطة اليفة بدون لسان...!!!!
-٣-
العشق مسطح ...مهشم....ممسوح.
اصبح ترتيلة ..بداية صلاة الدجل
ألوجدان موسيقى اجهاض ((الرحم))
تلامس فوهة البندقية و رأس سيف مسمومة
و(تنيل) المجاري....
تغني ...وتغني (لاوك) و (حيران)
بلا هوادة....
ألوجدان عندهم ذبابة سحرية ...مؤذية...

تعض ثديك الملائكية
تترك حلاوة الاستهتار على خديك و فمك العسجدى...!!!
الضحكة ميراث سحرية...فقط
تخدشك ....قاصدا
وتحرفك لاهوائها الشهوانية
جاعلا نفسه....مطيعا ...قزما ...متيما
-٤-
كان ينبغي الا تولدى من اول نظرة
وقطرة الدمع على خديك...
تفكيرك ((محظور))
بسمتك...محرمة
مساواتك...مع الاخر ...جناية
ميراثك بقانون ((سوبر ئيكو))
لم يكن ....استحقاقك
من قمة جدائلك
الى اخمصً قدميك
اياديك ....وقامتك
من ساعة مجيئك الى الدنيا
مطوية بَين لفات خيمة سوداء
من جبروت خنجر ((سوبر ئيكو))
وشموخ الرجال..!!
تقطف رؤوسها
هواياتك ((تُقبر حيا))
عشرات من الازهار
تجبر على قبول الزواج بمهر ...وفدية
من اٍصحاب الجاه..,وشيوخ براء من الضمير
و(الائمة) المخدوعين و(المسؤول الفاسد).....!!!
تكبل أجسادكنً ....بلا روح
فى بروج مشيدة ....مٌظلمات.....!!!
-٥-
الاًف منكم لحد اليوم
رغم كونكم...متعلمين
وفى حدائق قصور .... شامخة

تقضون اوقاتكم
حاملين...شهادات...ولكم مقام...
بجدكم حصلتم على كراسي التوظيف
لكن عندما تواجه التقاليد
تستسلمون دون مقاومة...وصراع....!!
تصبح قطعة ثلج
كعبيد ...التقاليد
لسان ...متلعثم
رويدا ....رويدا...تذاب
لحظات ...سحرية من العيون
على ظهر فرس الرجولة
صوتها كزئير الاسد ...تملا الوغى..!!
الموقف يصبح حلما مجهضا
رويدا...رويدا...الايادى تسقط للاسفل
والرووس تنحني للاكلام....؟!!
-٦-
لماذا هكذا تتصرفين...؟
متى تاتي نجمة المساواة
من سماء احلامك ....المطوية....
تآزر مع وجودك كالانسان
شبابيك امالك ....وخلجاتك
يملؤها نور وضاء...
متى ياتى يوم تكونين صاحب نفسك ...بنفسك...
من اختيار....عشق من تحب
تؤرجحين طفلة دلالك كولهان...مستور....!!
متى يحل...
تقفزين على مسالك ...وعقبات العادات العفنة ..
تثبتين ..وتعلنين وجودك ((الهيومانستي))...؟؟؟!!
متى يأتى يوم
تحطمين القيود المزدوجة ...للفكر العقائدى
وتزيحينها من عنقك
متى يحل
ترفضين قانون((الثنائى-الثلاثى-والرباعى))

من الزوجات
قبول – التخفيف – والتسفيه
اقل من الذكر
تمسح...وتزال على كرامتك للاًبد...
لو أحسست بأنى اكذب في ما أقول
ولا انظر اليك كما انظر لنفسي
لاجل متعة لقاء
نسجت قصص الاكاذيب والتسحير
ان كنت كذلك ...امسحيني من الوجود...
-٧-
اذا كنت مثل ما اكون
من التفكير والسلوك الشخصى
مارسمت على شاشة التجربة الشخصية
وعبر حياتي اليومية
و من خلال اعماق روح اشعارى
ماكنت ازينها كلوحة تشكيلية
ونياشين المساواة مع الخلجات النسّوي
تعارفت معك ومع التاريخ المعاصر
كما اكون
فقط لاجل لحظة لقاء ملئها حيل
وحزمة قبلات ...حلوة ومرة...
واحضان ...
تعارفت معك
عليك ان تجعليني عبرَة
ألبوم السخرية والندامة
لاعياد ميلادك
مثل تقاليدك الحزينة ...التعسة
التى تعتبر نفسها توئمين مقابل ذكر
اذا كنت كهذا بليدا
تاتين بحبل غليظ
تشدينه فى عنقي
وتشنقيني
لاكون عبرة للحياة.....!!!!



تنبؤ

نص وترجمة شيرين. ك*

وحيدة، واجمة كسلحفاة عجوزة تدب في ارجاء البيت، تسحب كعبيها المتشققتين و ركبتيها المتورمتين، لم تعد الفصول تزور هذا البيت ولم يعد الليل ولا النهار يطرق الباب، تناثرت الساعات واللحظات..

في ربيع ما عندما ضاع الزوج في خندق موحل او ربما على سفح جبلي او في هاوية أو.. أو.. أصابت شجيرات الورد في حديقتها حشرة لزجة لم تتفتح البراعم وذبلت جميعها واسودت وأصبحت هشيما..

وفي خريف ما عندما أغوى احد الشباب ابنتها الوحيدة من الذين يعودون الى الوطن بحثا عن عروسة حسب المواصفات.. يومها لم تهتم الابنة بكل توسلات الام وبكاءها، بل عَنفها اثناء جدال محتدم؟ بماذا تمنين علي؟ من ضربك على يديك لتبقين بدون زواج بعد رحيل والدي؟

شهقت الام جزعا وابتسمت الابنة بمكر وغمزت لها (ولم تكوني راهبة.. استمتعت قدر ما سمح لك شبابك..)

وفي نفس ذاك الخريف عندما ودّعتها ابنتها على عجل وتركت البيت جذلى، سقطت أخر ورقة من الكرمة ولم تخضّر منها بعد ذلك ورقة ولم

تصل من الابنة قط لا رسالة ولا ورقة مالية.. وحيدة ساهمة تطوف غرف البيت وهي تسحب جسدها الذي شوهته السمنة، تمشي وتعرج في مشيتها وتكلم الحيطان والاشياء، الان وبعد أن خسرت الشباب والجمال والصحة، كف الرجال عن مطاردتها بعد أن كانوا يحومون حولها كما الذباب يحوم حول الحلوى، والشباب الذين كانوا يتبعونه كالجراء بدؤا بالاختفاء بعد أن غزى الشيب شعرها، فمع كل عثرة لها كانوا يتخلفون عنها ومع كل سقطة كانوايختفون، والاصدقاء والمعارف الذين لم يكونوا ليدعونها وحيدة ولا للحظة لم يعد لهم وجود، فمنهم من مات ومنهم من سافر او هاجر او تخاصم وإياها.. هاجمت الاشواك والاجمات الحديقة الجميلة وجعلتهاكدغل موحش، ما عدا شجرة التوت غير المثمرة بقيت صامدة لتملأ الحديقة بالاوراق الصفراء في الخريف وليجعل من صوت الريح عواءاً حزيناً في الصيف.. تلك الشجرة التي نمت هكذا من حيث لا تدري ولم تثمر قط وكم قالوا لها (من الافضل قطع شجرة غير مثمرة) لكنها أبت (كلا انه إثم، قطع الشجرة فآل سيء). إنها الان ترى نفسها كتلك التوتة غير المثمرة، تسير وحيدة في ارجاء المنزل الواسع تحمل خرقة وتمسح الكراسي والمناضد والخزانات والتحفيات واللوحات ورفوف المكتبة الكبيرة وعندما تلمح صورة زوجها الغائب تشهق وتسأل نفسها هذا السؤال الذي لا يبرح خيالها وتخيلاتها ولا تمل من تكرارها: ماذا لو كان حياً ويعيش في مكان ما من هذا العالم الفسيح؟ انا لم ار جثته ولا أحد من الذين كانوا معه في نفس المكان وعادوا معوقين أو نصف مجانين أو.. لم يروا جثته.. ولكن سرعان ما يضيع السؤال في ذهنها المشوش.. وعندما تقف قبالة صورة ابنتها الوحيدة، تضطرب رؤياها فتضع نظارتها التي علقتها بسلسلة في عنقها وبعد ان تسقط النظارات عدة مرات من على انفها الذي بات متدليا بعد ان كان شامخا في يوم من الايام، تقترب من الصورة اكثر وتلقي بالخرقة ارضاً وتّمسد على الصورة بحنان كأنها تلمس خدها وضفائرها وتبتسم لها وتترنم بأغنية كانت تغنيها لها وهي طفلة الى أن تبّح صوتها وتخبو وتضيع وسط زمجرة الريح الذي يهز أغصان شجرة التوت ويرّج زجاج النافذة التي اصبحت صدئة ومخلخلة.. تسأل نفسها وقد ملئتها الشكوك: هل انجبت حقاً؟ تلك التخيلات والاسئلة تدوّخها، تجر جسدها الواهن نحو غرفة نومها، تجلس على حافة السرير وتنظر خلسة الى طول وعرض السرير (كم هو واسع هذا السرير! يا له من قفار موحش!).. هذا السرير الذي تراه الان كقفار موحش، كان شاهدا لحفنة السنين التي قضتها مع زوجها الذي بلعته الحروب وهو في ريعان شبابه، وكان شاهداً لأيام وليال أخرى مليئة بالحب والحزن والضحك والبكاء والفرح والخوف واللذة والندم ايضاً، انها الان تستلقي عليها بمشقة وتحاول ان تريح ظهرها ورأسها على المخدة فتقع عينيها على الساعة المعلقة على الحائط قبالتها والتي تعطلت مثل بقية ساعات البيت وسالت منها الدقائق والثواني وجرت الى ما لانهاية.. الى ما لازمان..

***

كانت الساعة الواحدة ظهراً عندما تذوقها رجل ما، كثمرة محرمة، لكنها ولفرط إرتباكها وجدت المسألة برمتها بدون طعم ولا لون ولا رائحة.. لكنها وفيما بعد كلما تذكرت تلك الساعة تحس بفرح وسعادة غير مألوفة (لأول مرة شعرت بوجودي بشكل مختلف، شعرت بأني أملك جسدي، شعرت بكياني بكثافة..)

وكانت الساعة الثانية لبعد ظهر أخر ومن سنة أخرى عندما ذاقها رجل أخر وتذوقته هي

الاخرى وبدون خجل ولكنها وفيما بعد شعرت بخواء وضجر كبيرين ووجدت الوضع مثيرا الاشمئزاز (ومنذ ذلك الحين أصبحت ساعات الظهيرة تخيفني.. وتلك الساعات التي تصبح الروح فيه عبدة للجسد والغريزة تأخذ بزمام العقل.. تلك الساعات كان هذا السرير يحترق كما الجحيم)

شاهدت بعين الخيال من مكانها على السرير جميع ساعات المنزل، حيث توجد في كل غرفة ساعة جدارية، تلك الساعات التي علقت لكي تعد ثواني ودقائق وساعات وأيام وليال كانت هي فيها ملكة للجمال والشهرة والسهرات كانت مشغولة على الدوام، كانت أياماً، هي تركض ولا تستطيع اللحاق بالساعات التي كانت تذوب كثلج ربيعي.

***

وحيدة، تجول وتحدق في أثاث البيت، كل غرفة وكل قطعة أثاث تذكرها بحكاية عشق غادر وعديم الوفاء، عشق رجال يلجأون الى دواوين الحب لنزار والاشعار الرقيقة لسهراب لكي يغازلونها.. رجال يأكلون لحمها وثم يكسرون عظامها.. رجال ينتهكون جمالها وحنانها بأسم المدنية و.. تجلس على اريكة من اراءك غرفة الاستقبال وتمسد على القماش المورد للاريكة فتشم رائحة باقات النرجس التي كانت تهدى اليها من قبل رجل ارتدى لبوس الفراشة.. تحدق في الساعة الكبيرة والتي توقفت على السادسة تماماً وأذرعها الثلاث توقفت كصليب بذراع واحدة (كانت السادسة مساءاً)ابتسمت وغامت نظراتها: (يا لمساءات الرومانسية، مساءات تشتهي فيها الروح الشعر والموسيقى والحب.. مساءات تحس فيها الروح بالوحدة اكثر.. فتخبو رغبات الجسد وتصبح الروح فراشة يعشيها العشق ثم وبعد إنتظار طويل كان يأتي او لا يأتي..)

كان مساءاً عندما تعرفت على الحب من جديد، كانت تظن ان الحب للمراهقات فقط، كانت متأكدة من انها لن تحب ولن تصبح عاشقة مرة اخرى، هكذا تربت (لن يحب المرء الا مرة واحدة) لذلك عندما كانت ترغب في محادثته تتعجب من أمر نفسها وتسأل لماذا؟ وأخيراً عندما اقتنعت بأنها احبت وأصبحت عاشقة من جديد، كان الاخر قد تراجع وحنث بيمين حبه لها وكان كأكثر الرجال يحب لحمها فقط..

(في هذه الغرفة وبين زهور هذه الاريكة طردته.. وقلت له: اذ كانت الشهوة اصبحت هاجسك.. اذ كنت تجيد لغة الجسد فقط. اذ كنت.. ايضاً.. فأرحل..)

رحل وصفق الباب بقوة ودقت الساعة ست مرات، ثم تجمد الزمن فيها.. زمن الحب انتهى.. انتهى زمن الاحلام وسالت دموع غريزة..

***

وحيدة، شاردة بين الاثاث المغبّر وتحمل خرقة بيديها تمسح وتمسح وتظل البيت والاثاث مغبراً، تسير جيئة وذهابا تكلم الاثاث، لقد تعلمت لغة جديدة والاثاث بدورها تعلمت لغتها هي.. وهم في حوار مستمر.. عشرات من كتب المكتبة ينادونها بأسماءها المستعارة وكل كتاب يعلن عن الاسم الثلاثي للذي أهدى الكتاب لها في حينها والزهور الموضوعة في الاواني يحكون عن المناسبة التي بسببها جُلبوا الى هذا البيت واللوحات المعلقة على الجدران يسردون حكايات عن الايام الخوالي في المعارض والغاليريهات.. والهاتف الذي كان يمطرها كل حين بكلمات الحب همساً بات الان اخرساً، ومنافض السكائر تتحدث عن الشفاه التي كانت تحترق لهفة لقبلة منها فتطفأ السكائر في صدرها المسود ويملؤنها بالرماد.. والمسجلة التي مضت موضتها من زمان تصدح بالأغاني التي اصبحت جزءاً من ذكرياتها

تلك الأغاني التي تقطر حباً، تلك الكلمات التي كانت تطفي ظمأ جسدهما العطشى، جسدها هي وجسد رجل أصر ان يبقى جسده ضامئاً لها وهاجر وقال عند الوداع: (لن اشاركهم في تلويث جسد هو عندي جسد مريم عذراء، جسد خلق للحب، هذا الرجل حلق كطائر خرافي لم يبق منه غير اغنية حزينة وكومة رسائل حزينة، بهتت واصفرت..)

***

وحيدة تجوب ارجاء البيت، وحيدة تسحب جسدها المضني من غرفة الى اخرى... وحيدة تكلم الاثاث والحيطان وحيدة تسلم يوما أخر من عمرها الى السراب اللانهائي، وحيدة تمضي أخر أيامها مع أشباح الماضي..

وحيدة تعاود احلامها، تشعلها وتطفئها وكل ليلة تستلقي على سريرها الفسيح على جنبها الايمن قبالة القيبلة وتحاول جاهدة ان لا تشغل جسدها مساحة اكثر من شبرين، السرير يغور بعمق قامة رجل وتتحول ظلام الغرفة الى تراب وينهال عليها وتصبح الثريا الفاخرة حجر اللحد ويهبط ويهبط وهكذا فكل ليلة قبل ان ينال منها النوم، تتدرب على الموت، هذا الموت الذي لم يبق لها غيره لكي ينتظره..

*شيرين. ك (شيرين كمال احمد)

***من مواليد مدينة السليمانية**
***حصلت على شهادة البكالوريوس/ جامعة بغداد/ كلية الاداب/قسم اللغة والادب الكردي**
*** تشغل حاليا منصب سكرتيرة التحرير لجريدة(كوردستاني نوي)وهي جريدة يومية تصدر في كردستان العراق.**
*** تكتب باللغة الكردية و العربية في بعض الاحيان**
***أصدرت حتى الآن و باللغة الكردية**
(قبل أن يحل الظلام) مجموعة قصصية
(حكايات الثلج) مجموعة قصصية
(حافات الحلم)مجموعة شعرية.
(لن يأتي ذات مساء)مجموعة شعرية
***(فصول و حروف) مجموعة شعرية باللغة العربية**
***كتبت العديد من النصوص الشعرية وبعض النصوص القصصية و المقالات باللغة العربية.**
***إضافة للقصة والشعر كتبت العديد من المقالات وبعض الدراسات حول قضايا المرأة باللغة الكردية.**
***ترجمت من اللغة العربية الى اللغة الكردية**
***رواية (وسمية تخرج من البحر) للكاتبه الكويتية (ليلى العثمان).**
***(ظل رجل) وهي ثلاث مسرحيات للكاتب المسرحي العراقي هادي المهدي.**
***(طائر النار)مجموعة قصص للاطفال من التراث الروسي.**
***(بنفسج الاربعاء) مجموعة قصص مترجمة من اللغة العربية الى اللغة الكردية لكتاب عرب و اوروبيين**
*** (رحلة ضوء) دراسة عن الرواية لـ(عبدالرحمن منيف).**
*** و ترجمت للكاتب الالماني باتريك زوسكيند عن العربية:**
١-رواية(الحمامة)
٢-(بحثا عن الاعماق)مجموعة قصصية
٣-(عازف الكونترباص)مونودراما
٤- (رسائل الى روائي شاب)مجموعة مقالات عن الرواية للكاتب البيروفي(ماريو باركاس يوسا) ترجمها للعربية صالح علماني
٥- (النفق)رواية للكاتب الارجنتيني ارنستو ساباتو

الشاعر الكردي الكبير شيركو بيكس:

لا نستطيع أن نقارن أكبر قصيدة بنقطة دم لطفل بريء في حمص أو في عامودا



حاوره: لقمان محمود

الشاعر شيركوبيكس هو أحد أكبر قامات الشعر في دنيا الكرد، وهو حالة أدبية وإبداعية فذة لا مثيل لها ويصعب تكرارها، ولا مهرب من الاعتراف به في عصرنا الحديث، كظاهرة شعرية من الطراز الرفيع النادر، فهو صاحب ميراث كبير من الأعمال الإبداعية التي تعتبر جزءاً أصيلاً من الأدب الإنساني العالمي.إنه من أكثر التجارب الشعرية ترجمة و فرادة وتميزاً في تاريخ الشعر الكردي المعاصر.

ولد الشاعر في مدينة السليمانية ، كردستان العراق في عام ١٩٤٠، وهو ابن الشاعر الكردي الوطني المعروف فائق بيكس.

في عام ١٩٧٠ أصدر الشاعر مع نخبة من الشعراء والقصاصين الكرد أول بيان أدبي تجديدي كوردي والمعروف باسم "بيان روانكه – المرصد" حيث دعوا فيه إلى الحداثة الشعرية والأدبية والإبداع بلغة جديدة مبدعة. وقد شكلت هذه الحركة الأدبية إتجاهين رئيسيين في الثقافة الكردية. أولهما الولوج في ذاكرة تلك الثقافة ومفرداتها الحيوية المتجسدة في الرموز الشعبية والتراث والجمالية التي تخلقها عضوية العلاقة بين الواقع والنص. وثانيهما، تأسيس رؤية مفتوحة للنص واللغة وإنقاذهما.

من أعماله الإبداعية والتي تتجاوز ال(٣٥) مجموعة شعرية، نذكر منها: شعاع القصائد(١٩٦٨)، هودج البكاء (١٩٦٩)، باللهيب أرتوي (١٩٧٣)، الشفق (١٩٧٦)، الهجرة (١٩٨٤)، مرايا صغيرة (١٩٨٦)، الصقر (١٩٨٧)، مضيق الفراشات (١٩٩١)، مقبرة الفوانيس، فتاة هي وطني (٢٠١١)..إلخ.

ترجمت منتخبات من قصائده إلى عدّة لغات عالمية منها السويدية، الانكليزية ،الفرنسية ، الالمانية ، الرومانية، البولونية، الإيطالية، التركية، والعربية وغيرها من اللغات.

وتحققت للشاعر شهرة عالمية قلما تحققت لغيره، وحصل على جوائز عالمية عديدة من بينها جائزة "توخولسكي" السويدية عام ١٩٨٧، وجائزة "بيره ميرد"، و جائزة "العنقاء الذهبية" العراقية .

ومما يسترعي الإنتباه في شعره، أن هاجسه خلق الأشياء الجميلة من خلال أناقة اللغة ورشاقة المفردات، وبذلك أحدث ثورة واعية في الشعر الكردي المعاصر، مما جعله يحتل مكاناً ومكانة متميزين في قلب الشارع الكردي.

عبر هذا الحوار نصغي الى أهم الشعراء الكرد صاحب "مضيق الفراشات" و"كتاب الكرسي" و" كتاب القلادة" و "دورق الألوان" و " فتاة هي وطني" وغيرها . ونصغي أيضا إلى تجربته في الشعر والكتابة والحياة.

*لنبدأ من "فرات- مصيري" المجموعة الشعرية الصادرة حديثا باللغة الرومانية.. كيف تمّ ذلك، وكيف تصفها، وماذا تقول عنها؟

- تعرفت على الشاعرة الرومانية (نيسولينا أوبيرا) سنة ٢٠٠٥ في إسطنبول، خلال مهرجان شعري عالمي، حيث طلبت مني هذه الشاعرة أن أرسل لها مجموعة من قصائدي، على أن تكون باللغة الفرنسية، فلبيت طلبها و هي بدورها قامت بترجمة هذه القصائد إلى اللغة الرومانية.

فقد نوهت المترجمة في حديث لها خلال الحلقة الخاصة بالقصائد المختارة إلى أنها تعرفت على الأدب الكردي من خلال قصائد شيركو بيكس. ورغم ذلك لا أريد أن يعرف الآخرون الأدب الكردي من خلال قصائدي فقط، لأن هناك شعراء آخرين لديهم إبداعات و تجارب غنية.

و ربما يعود هذا إلى عدم ترجمة أعمال الآخرين للغات أخرى، ومع ذلك أقول ربما

قدمت شيئاً جديدا، و ربما حالفني الحظ أكثر من الشعراء الآخرين فقصائدي مترجمة إلى عدة لغات عالمية كالإنكليزية والسويدية و الرومانية و المجرية، و التركية، وغيرها من اللغات الأخرى.

ففي كل الأحوال عندما تترجم قصائدي للغات أخرى أشعر بسعادة كبيرة، لأن قصائدي قد أصبحت (وسيط غير مكلّف) لإيصال معاناة الكرد للآخرين.

٭ كيف كسّرت القصيدة الشيركوية عادات اللغة الكردية؟

- الشاعر بدون لغة متميزة، لن يكون شاعراً، و أنا أهتم بصورة رئيسية باللغة، و الشاعر هو عبارة عن العمل داخل اللغة. فالشاعر لن يستطيع الإبداع إن لم يعشق لغته، فاللغة أمر هام و رئيسي بالنسبة للشاعر، و أنا و منذ طفولتي كنت أحب اللغة الكردية من خلال سماعي للحكايات الشعبية..

و من خلال الكتابة أوليت إهتماما كبيرا باللغة ، حتى أنني أستفيد أحيانا من اللهجات الكردية الأخرى حيث أبحث في كيفية إستخدام مفردات جديدة في قصائدي.



٭ حركة المرصد(روانكه) التي أسسها الشاعر شيركو بيكس في عام ١٩٧٠، قد شكلت إتجاهين رئيسيين في الثقافة الكردية، ماذا عنها؟

- أنا لم أؤسس حركة المرصد الأدبية لوحدي، بل بمشاركة مجموعة من الأدباء و الشعراء و ذلك في أوائل السبعينيات، و حينها كنا نتلهف وراء الحداثة الشعرية، و كنا قريبين من الشعراء العرب في بغداد، و في القاهرة، وفي بيروت، و كنا نتابع الحركة الشعرية متابعة جيدة في ذلك الوقت، و كنا على إطلاع بالشعر العربي الحديث في مصر، من خلال قصائد صلاح عبد الصبور و غيرهم، و كنا على إطلاع بقصائد أدونيس و كنا نزوره في بغداد و القاهرة. كان هناك تحولات كبيرة في العالم سواء في الشرق الأوسط او في امريكا اللاتينية، فهذه التحولات و التغييرات تؤثر على الأدب بطبيعة الحال، و نحن كنا متأثرين بتلك الحركات و خاصة بمجلة (شعر) ١٩٦٩ الصادرة في بغداد، و كان يصدرها جماعة فاضل العزاوي و خالد علي مصطفى و فوزي كريم. و في النهاية أصدرنا بياناً أدبياً في ذلك الوقت و كان جوهر البيان يتمحور حول الحداثة الشعرية و اللغة الشعرية الحديثة. بإختصار كنا قد ألقينا بحجر الحداثة في بركة الشعر الراكدة في تلك الفترة.

بهذا المعنى كنت أحد أعضاء المجموعة التي أسست هذه الحركة إلى جانب كلٍ من حسين

عارف و جلال ميرزا كريم و كاكه مم بوتاني و آخرين. حيث أصدرنا ثلاث أعداد من مجلة (روانكه – المرصد) في وقت كنا نعاني فيه من الشح مادياً. و لكن خطوتنا هذه قد شكلت البداية على طريق الحداثة الشعرية الكردية.

* في بداية السبعينيات من القرن الماضي كانت الكتابة آنذاك جرحا بجانب جرح، والحداثة الفنية لم تستطع ان تعبر عن بلاغة الواقع والحياة المعايشة،وخاصة خلال الحرب الظالمة على كردستان؟

- أنا لم أكتب أبداً القصائد الغامضة المفتعلة، كنت أكتب بلغة أنفصل فيها نوعا ما عن الآخرين، حيث لم أكن أفتح الأبواب و لم أغلقها كلها، بل توصلت إلى منطق شفاف لجغرافيا حسية شعرية كانت تصل و لا تصل في نفس الوقت و يفهمها الناس الآخرين في إطار عام. فهذه المسألة مهمة و صعبة في نفس الوقت، أن تكتب بلغة بسيطة و لكن ببساطة معمقة - كما يقال في النقد العربي قصائدي من النوع السهل الممتنع.

فكان هذا الأسلوب بمثابة تجربة جديدة لي، حققت من خلاله قصائد قصيرة ، نشرتها ضمن مجموعتي الشعرية (الفجر) الصادرة في عام (١٩٧٨). من خلال تلك القصائد أستطيع أن أقول أنني دخلت إلى عالم اللغة العربية وإلى عالم اللغات الأخرى. و المسألة هنا هو أننا كيف نستطيع أن نمسك بلب الشعر من خلال الفكر المكثف و من خلال الضربة المهمة و خاصة في نهايات القصائد، و كنت قد تعرفت لأول مرة على الشعراء العرب من خلال تلك القصائد، و كان هناك بعض أصدقائي يترجمون قصائدي إلى اللغة العربية و تنشر قسم منهم في المجلات و الجرائد في ذلك الوقت، و كانت وسيلة للتعارف مع الآخرين، و لحد الآن أعود أحيانا إلى قراءة تلك القصائد القصيرة المترجمة. و فيما بعد ترجمت قصائدي إلى اللغات العربية و الفارسية و مجموعتي الأخيرة ترجمت إلى التركية و صدرت حديثا في تركيا.

* و ماذا عن الكرد في سوريا؟ وهل تتابع المشهد (الحياتي، السياسي، الشعري) في ذاك الجزء من كردستان؟

كتبت عن الكرد و القضية الكردية في سوريا و أحببتهم، و كتبت مرات عديدة عن هواجسهم و آمالهم و كتبت عن انتفاضتهم في آذار ٢٠٠٤، و هناك قراء لي بين الكرد في سوريا و لدي تواصل مع الأدباء الكرد هناك.



حيث تعرفت في أوائل الثمانينيات على الكاتب و الشاعر سليم بركات من خلال الرسائل (حينها كان مقيماً في قبرص)، و كان هناك تبادل رسائل بيننا طوال سنوات و لا زلت أحتفظ ببعض من تلك الرسائل. و عن طريق سليم بركات تعرفت على آخرين.

لذلك أعتقد أن جيل ما بعد سليم بركات جيل متأثر به و بكتاباته.. و هنالك من بين هؤلاء مبدعون.. و التوجه الإبداعي في كتاباتهم ليس بقليل.

ما دمنا بصدد كردستان سوريا، ما رأيك بالثورة السورية؟★

- أنا أتابع الثورة السورية العظيمة يوميا و أحزن و ابكي احيانا أمام شاشة التلفاز. فالتضحيات لا حدود لها. شعب أعزل و لكنه عظيم. ففي أحلك الظروف يتشبثون بالأمل. لكن المسألة هنا هي: هل نستطيع أن نعبر من خلال اللغة عن تلك التضحيات؟! يبدو أن اللغة عاجزة عن وصف تلك التضحيات الجسام، فكل يوم هناك قتلى و مشاهد مؤلمة و محزنة. فالبارحة فقط قُتل اكثر من خمسين شخصا على يد قوى الأمن السوري، و كل يوم هناك٢٠-٣٠ قتيلا، و اللعبة السياسية جارية و بدون حل. حتى الدول الكبرى ليس لها موقف جدي. هناك موقف مقزز لروسيا و الصين تجاه ما يجري من جرائم بحق الإنسانية.

على أية حال لا أعتقد أن هذا النظام سيبقى. أنا أحيي هذا الشعب العظيم، و أحيي الشعب الكردي في غرب كردستان. فأنا أرى تظاهراتهم في عامودا و القامشلي وفي باقي المناطق الكردية.. يتوجب علينا جميعا أن نكون سندا لهم.

و لكنني في النهاية أقول أن اللغة و القصيدة لا تستطيعان فعل أي شيء أمام هذا الحدث الكبير.. بحيث لا نستطيع أن نقارن اكبر قصيدة بنقطة دم لطفل بريء في حمص، أو في عامودا أو في القامشلي أو في أيّ منطقة من مناطق سوريا. إنها بحق ثورة عظيمة.

★في هذه المجاميع الشعرية: (مضيق الفراشات) ، (كتاب القلادة)، (مقبرة الفوانيس) و (الكرسي)و (دورق الالوان) .. الكتابة عند شيركو بيكس هي إسقاط للحدود، و هنا الشاعر ليس خارجا عن الأخلاق المعرفية، أو يضرب ما هو تاريخي ، و كأن شيركو بيكس يمشي على ماء الكتابة حالما بأنواع لن تُسمى، و كل كتابة سارت على الطريق المستقيم، فقدت ملحها و خصوصيتها.. لعلّها إحدى الخاصيات الاساسية التي ميّزت تجربتك الشعرية، هو هذا الاشتباك مع حقول معرفية وابداعية عديدة وتفاعله معها.. لهذا السبب لم تسر كتاباتك على طريق مستقيم، و لذلك نكتشف يوما بعد يوم أهمية هذه الكتابات. حبذا لو حدثتنا عن ذلك؟

- أعجبني هذا السؤال، و هذا تشخيص دقيق حول أسلوبي و كتاباتي. فأنا و خلال عشرين سنة الأخيرة، و منذ كتابة "مضيق الفراشات" و إلى الآن احاول أن أزاوج في اسلوبي الشعري، و أن أجمع في نفس الوقت بين عناصر أدبية داخل نصي الشعري الجديد. لذلك حين نقرأ الكرسي، نجد فيها نوعا من الدراما و القصة و المسرحية و الشعر و النثر.

لقد حاولت أن أجمع الأجناس الأدبية في كتاب واحد. هنالك الشاعر و هنالك غير الشاعر، حتى الكلام العادي ادخله في النص، و ذلك بهدف توسيع الأفق الشعري قدر المستطاع. و مثلما قلتَ فأنا لم امش على خط مستقيم و مكرور. دائما أختلفَ في إسلوبي من كتاب إلى آخر، و أحاول أن أكتشف عالما

جديداً و خاصة من خلال الأشياء الصغيرة، أو الهوامش.

أنـت تعرف أنـه ربمـا المـؤرخ يكتب الأشياء بعناوينها الكبيرة ، و لكن الشعر دائما و بإعتقادي يبحث عن الأشياء الصغيرة و مثال على ذلك الأسلوب الذي إتخذته في كتابة (القلادة) و (الكرسي) و حتى في ديواني الأخير ايضا (فتاة هي وطـني). هناك تمرد على قصائدي الأخـرى. إن الشعر مقدس بصورة دائمة، فالمسألة تكمن هنا في كيفية أن تكون لدينا عيون ثاقبة في مراجعة دائمة و إنتقاد دائم. تلك هي محاولات، و من خلال المحاولات نؤكد أننا غير مقتنعين بما نبدعه و علينا تجاوزه قدر المستطاع. أنا إهتممت كثيرا بتلك الأشياء الصغيرة و مستمر في ذلك. حيث أحاول في الفترة الأخيرة أن أدخل عنصرا جديدا على قصائدي و هو أن أجعل الملابس تتحدث ، أي أن تتحدث الملابس عن حياة الشخوص. خذ مثالاً على ذلك: القبعة والنظارة والقميص يتحدثون عن حياة الشخص..إلخ.

لا أدري هل سأصل في هذا الكتاب الى كتابة جديدة أم لا؟ و لكنها البداية على كل حال، و لا أدري إن كنت سأكملها أم لا؟.

*هناك دائما في كل كتاب – خاصة الكتب الشعرية – هناك ذكرى أو تاريخ.. كمثال على ذلـك هناك كتاب الكرسي، ففي هذا الكتاب أجلست الحرية أخيرا على الكرسي، و كأن الكرسي كتاب في الحرية. و كأن مضيق الفراشات تاريخ للالم الكردي، و كأن كتاب القلادة تاريخ للمرأة الكردية، وهنا سأتوقف قليلا، بإعتبار كل كتاب من هذه الكتب قد سردت حكاية معينة أو تاريخ معين.. حتى في "دورق الألـوان" يكتشف القارئ شيئا جديدا وانت تحاور فلسفة الموت في خصوصية حضوره وتماثله في داخل الانسان من حيث لا خلاص ولا نجاة.

سنعود الى كتاب القلادة باعتباره شوق اصيل الى ملامسة أسرار المرأة الكردية.. وباعتبارها –المرأة- محرض قوي لكتابة الشعر، فهل من نساء معينات في شعر شيركو بيكس؟

- لا توجد إمرأة معينة في قصائدي، و لكن هناك تتجسد المـرأة بصورة عامة و المـرأة الـكرديـة بـصورة خـاصـة، و هـذا صحيح، فالقلادة حكاية حياة المـرأة الكردية و معاناتها من الجوانب الإجتماعية و غيرها و بدون حب المرأة لا أستطيع كتابة شيء، فهناك حب في ديوان القلادة.

* إذا قيل أن شيركو بيكس شاعر معروف على المستوى العالمي من خلال الترجمات التي حصلت لمختارات من قصائده، مَن مِن الأدباء الكرد تقرأ لهم؟وهل من شاعر معاصر تنظر الى تجربته الشعرية باعجاب وتقدير؟

- هناك قلة من الشعراء و الأدباء و المثقفين الكرد الذين أقرأ لهم.أكثرهم ثقافة بإعتقادي هو الروائي و الكاتب بختيار علي، فهو يكتب روايات مهمة، و رواياته تشكل إنعطافة كبيرة متجاوزة لما هو موجود، و كذلك دراسـات و كتابات الباحث مريوان وريـا قانع. و من الشعراء الذين لديهم صوتهم الخاص: جمال غمبار و هيوا قادر و دلاور قرداغي. و من الشاعرات دلسوز حمه، فهي تكتب قصائد جميلة. هـذا بالاضافة الى الشاعر الجميل كريم دشتي حيث يعتبر شاعراً جدياً. هناك أيضا الشاعرة دلشا يوسف، التي تبدع بصوت كـردي جميل قصائد جميلة دون رتـوش ودون مكياج. قرأت لها مجاميع شعرية وزوايا أسبوعية..إنها كاتبة جيدة أيضاً. فمن الصعب عليّ سرد كل الاسمـاء، و لكن هـؤلاء الذين

ذكرتهم لديهم نتاجات جيدة.

⋆ تجاه انشغالك بالدفاع عن القضايا الإنسانية النبيلة المتمثلة في الحرية والكرامة والحوار بين الحضارات، ما زالت قصيدتك تحفظ نسبها إلى الهوية الكردية، انطلاقا من حمولتها التخييلية كإبداع متألق انساني جميل.. وسؤالنا.. كيف يختار شيركو بيكس الحدث الذي يحمل في داخله القدرة على التحول من ماض كردي إلى حاضر إلى مستقبل؟

- طبًعا الشاعر بطبيعته يحب أن يكون إنسانيا، و الشاعر حينما يخرج عن إنسانيته، يفقد شاعريته، فالشاعر هو الموقف و هو الآخر. و عالمنا اليوم عالم متكامل بكل أجزائه، و لا أستطيع الكتابة بعيدا عن إنسانيتي الشعرية، سواء بالنسبة للكرد أو غيرهم، و هذا شيء موجود وثابت كمسألة الحرية و الكرامة الإنسانية و الجوع و الفقر. جميعها مسائل مشتركة.. الحقوق و المطاليب العادلة و الآمال و النكبات تشمل الجميع. و لكن و بالطبع لكل شاعر عالمه الخاص و من حقي أن أهتم بقضايا شعبي قبل الاهتمام بقضايا الآخرين، و لكن هذا ليس بمعزل عن الإنسانية، و على أي حال فأنا شاعر كردي و لكنني إنساني بنفس الوقت. أعتبر نفسي مسؤولا عن كل شيء يجري في هذا العالم، و لكنني انظر للأحداث بمنظور شاعر كردي، و لذلك حينما أرى طفلا في الصومال أتجاوز الحدود و أعتبره طفلي و هو يموت جوعا. أو شاب منتفض في ساحة التحرير بالقاهرة. أرى هؤلاء جميعا على طاولتي عند الكتابة و هم متشخصون أمام ناظري و في قلبي و في كتاباتي، لذلك لا استطيع أن أنأى بنفسي عن إنسانية الشعر فهذا غير ممكن.

⋆ كلمة أخيرة تود أن تقولها للأدباء و للحياة و للمرأة في هذا العالم الذي اصبح صغيراً؟

- لنكن دائما أصدقاءً للمحبة الشعرية ، و لنكن دائماً بجانب الشعوب المضطهدة، و أن نكتب بدمائنا و أرواحنا. فالإبداع لا يأتي من فراغ، و الأشياء الجميلة قليلة، و أنا أعتبر نفسي أحد الشعراء في هذا العالم و أريد أن أتواصل بحبي مع الآخرين خارج المألوف، و بنفس الوقت أعتبر نفسي مسؤولاً عن ما يجري في هذا العالم.

Sherko Bekas

Eufratul, taina destinului meu

اهمية مخطوطات العلماء الكورد

قراءة في فهرست مخطوطات مكتبة الاوقاف المركزية في السليمانية

تأليف: محمود احمد محمد
عرض وتعليق: شعبان مزيري

ما هي المخطوطة:المخطوطة هو كتاب لم يتم طبعه بعد ولا يزال بخط المؤلف أو الكاتب ،أو أخذت عنه صورة شمسية لتودع كل صورة منها في إحدى المكتبات العامة التي تحرص على اقتناء المخطوط.

والمخطوط :كتاب جمع بين دفتيه نتاجاً فكرياً في موضوع معين أو في موضوعات مختلفة وكتبت مواده بخط اليد بنسخة واحدة او بنسخ قليلة معدودة ابتداء من بداية التاليف في القرن الهجري الأول وانتهاء بنهاية القرن الثالث عشر الهجري.

إذ على الرغم من ان الطباعة دخلت الشرق الاوسط مع بداية الحملة الفرنسية على مصر سنة ١٧٩٨م فان المخطوطات ظلت صناعة قائمة ولم تنته حتى اواخر القرن الثالث عشر الهجري واوائل القرن التاسع عشر الميلادي (واستمرت لحد الآن).ان هذه المخطوطات كتبت باللغات الشرقية العربية والفارسية والتركية والسريانية والعبرية والحبشية والاردية هذا بالاضافة إلى مخطوطات كتبت باللغات الصينية والهندية واليونانية واللاتينية والكوردية ولكن الاخير قليلة ونادرة.ولاتزال توجد مخطوطات بلغات منقرضة كتبت على الصخور والطين الذي يفخر بعد ان يكتب او غيرها من مواد صلبة معروفة لدى علماء الآثار.

ويوجد المخطوطات في مكتبات بغداد ودمشق والقاهرة والقيروان وحلب وقرطبة واشبيلية وغرناطة والمغرب الأقصى وغيرها من البلدان ولكن هذا التراث الوافر الضخم لم يسلم من عاديات الزمن ما تلف أو احرق أو ضاع أو نهب ، ولم يبق للعرب والمسلمين اليوم منه إلا ما قل، بعضه مهمل في مكتبات الشرق، وكثير منه في مكتبات الغرب

اما أهم مكتبات التي تحفظ فيها المخطوطات هي المكتبة (الظاهرية) في دمشق والمكتبة (الاحمدية) بحلب فيها مجموعة قيمة من المخطوطات فضلاً عن المكتبات الخاصة مثل مكتبة (الشيخ ناجي الكردي) قيم الجامع

الاموي بحلب ومكتبة (الاستاذ زين العابدين) بحلب وفي مصر تظم دار الكتب المصرية مجموعة ضخمة من المخطوطات القيمة فضلاً عن مكتبات كاملة من المخطوطات مثل المكتبة التيمورية ومكتبة طلعت ومكتبة سليم ومكتبة الجامع الازهر ومكتبة الاسكندرية وغيرها .

اما في العراق تضم بعض المكتبات والمساجد والأديرة في العراق رصيداً هائلاً من المخطوطات في البصرة وبغداد والموصل وتلكيف ودير السيدة ودير مار بهنام، ودير مار متي ، وفي سامراء وفي الكاظمية وكربلاء وكركوك والسليمانية والنجف ومكتبة الاوقاف، ومكتبة الشيخ عبدالقادر الكيلاني، والمكتبة الكرمليين ببغداد التي كان قد جمعها الاب انستاس ماري الكرملي وكان عددها(١٥٠٠) مخطوطة اهدى الادباء الكرميون إلى مكتبة المتحف العراقي.

فضلاً عن مكتبات الموجودة في دول العربية الاخرى .

ان التراث الفكري الذي تركته الاجيال السالفة إلى الاجيال اللاحقة على مدى قرون متعددة من حياة ابنائها له الاثر الفعال في تكوين هذه الامة وفي جعلها ذات رابطة قوية مشتركة ان التراث الفكري ذخائر وكنوز تستمد منه الامة قوة تعزز مسيرتها وتقدمها وتجعلها ذات مصير واحد تشده جذور عميقة إلى ماضي سحيق في القدم الكثير من العطاء واسهم اسهاما فعالا في بناء الحضارة الانسانية.

كانت كوردستان مركزاً لإشعاع العلم ابتداء من القرن الثالث الهجري ذلك ان الأكراد ومنذ ان اعتنقوا الإسلام من قرارة انفسهم ساهموا في بناء الحضارة الإسلامية مساهمة فعالة منقطعة النظير، فأصبح العلم جزءاً من ديدنهم وتفرغ علمائهم إلى دراسة والتدريس والتأليف والتحقيق وكتابة الحواشي على مؤلفات أساتذتهم،واهتموا بجمع الكتب النادرة لرفد مدارسهم الموجودة في المناطق النائية والوعرة والتي كانت يعيش في ظلام والجهل والامية ولهذا فإن كثيراً من المخطوطات كتب النساخون أسماء القرى التي استنسخت فيها،وشهدت كوردستان نوع من الدراسة فريدة من نوعها من بين الشعوب وهي المدارس المتنقلة رحالة وكان المدرسين ينتقلون مع القبائل الرحالة من السهول إلى الجبال صيفاً ومن الجبال إلى السهول شتاءاً فكانت لكل قبيلة خيمة(بيت من الشعر) (او من الصوف) تنصب ليتم فيها حلقات التدريس ابناء القبيلة( ). وان البدايات الأولى لمكتبة الأوقاف المركزية في السليمانية تعود إلى سنة ١٠٦٥هـ/١٦٥٦م متزامنة مع مدرسة(مركة) البابانية التي ظهرت للوجود أيام(فقي احمد دارشمانه) أول مؤسس لهذه الإمارة في عهدها الاخير(الأسرة الخامسة). وكان هذا الرجل احد الطلاب المتخرجين من المدارس الدينية لذلك كان مهتماً إلى درجة كبيرة بالمدارس وشؤونها وبعد انتقال الإمارة من(مركة) إلى(دارشمانه) ومنها إلى قصبة(ماوت) في شهربازار سنة ١٠٧٥هـ/١٦٧٦م ظهرت المكتبة البابانية بل تطورت وأصبح لها كيان مستقل حيث نرى ذكراً لها في اواخر بعض المخطوطات والحواشي.وكانت المكتبة غنية بالكتب وخصص لها مكان معين ضمن المدرسة البابانية في(ماوت) والتي كان العلامة ملا موسى الماوتي مدرساً في مدرستها،وأصبح هو مسؤول عن المكتبة وبعد انتقال مقر الإمارة إلى(قلعة جوالان) سنة ١٠٨٠هـ/١٦٨١م توجه البابانيون إلى الثقافة والعلوم اكثر من

ذي قبل.وتم فتح مدارس في قلعة جوالان ومدرسة في قرية "هزارميرد"،ومدرسة في"كناو"واخرى في "قزلجة" و"ره شه كانى"و"بيتوش"و"بلنكان" وغيرها الكثير. وكانت المكتبة البابانية تضم(ستة الأف من النوادر وامهات الكتب. إلا ان تعرض المنطقة خلال سنوات ١٢٢٠ ـ ١٢٢٨هـ لهجمات الفرس وتوغل الجيوش الغازية في اعماق كوردستان خلف وراءها الدمار والخراب والحرق والتشريد واحراق القرى وبما فيها من المساجد والمدارس ومكتباتها وجعلها مهجورةاً الامر الذي حذا بالعلماء وأهالي المنطقة ان يستنجدوا بوالي بغداد طالبين منه العون والمساعدة، شاكين احوالهم السيئة والدمار الذي حل ببلادهم واكبر دليل على ذلك رسالة الشيخ معروف النودهي التي كتبها إلى والي بغداد مبينا فيها احوال المنطقة ومدارسها ومكتباتها وما أصابها من الويلات والنكبات حيث يقول: ((ومنذ استولى شاه العجم على هذه المالك اختلت امور الدنيا والدين فلم يبق في القرى اقامة الجماعات والجمع،وكانت القرى كلها عامرة واليوم اكثرها غامرة،وتعطلت مدارس البلدان عن التدريس ولم يبق من المحصلين إلا شرذمة قليلون،وكان بمدرستنا اكثر من سبعين طالباً واليوم فيها اقل من عشرة...الخ)).

فضلاً إلى التقرير الذي رفعه، نظم الشيخ معروف النودهي قصيدة يشكو فيها ما آلت إليه المنطقة من ظلم المعتدين ويتضرع إلى الله بانقاذهم ودحر الغزاة كما يقول:

احفظ بلادنا من الأعداء
وأولنا سوابغ النعماء
واقتل رئيسهم وبدد شملهم
وكف عنا خيلهم ورجلهم
سلط عليهم عسكر الإسلام
يستأصلون عسكر الاعجام.

وكان العلامة ملا محمد ابن الحاج السنجوي الكوردي المتوفي سنة ١١٨٩هـ استاذ الشيخ معروف النودهي قد اضطر إلى ترك منطقة والهجرة من بلاد بابان متوجهاً إلى منطقة عقرة سنة ١١٨٨هـ أثر هجوم الجيش الإيراني(العجم) وخوفاً من الحاق الاذى به لانهم اخذ بقتل العلماء وتهديم المدارس وحرق المكتبات وهذا هو شيمتهم. ويضم المكتبات العامة شتات مخطوطات التي اهديت إليها من قبل المواطنين على سبيل الذكر خزانة ملا محمد مصطفى الكوردي التي اهدى(١١٤) مخطوطة إلى مكتبة الاوقاف المركزية في السليمانية وخزانة كتب العائدة لملا عبدالكريم في القلعة جوالان التي هي الاخرى هديت إلى المكتبة الاوقاف المركزية في السليمانية ومخطوطات التي أهديت من قبل السيد كامران احمد محمود حمدي وغيرهم لاعتقادهم بان المكتبة هي المكان الامثل لوضع مخطوطاتهم فيها لحفظها من التلف وهناك كثير من المخطوطات كتبت باللغة الكوردية يعود إلى القرن الثامن عشر والتاسع عشر وان هذه المخطوطات نادرة محجوز في مكتبات يوجد لها نسخة واحدة أو نسخ اخرى ناقصة،لان الورق المكتوب عليها بمرور الزمن تتلف..وان صيانتها مكلفة اقترح تشكيل لجنة لدراسة المخطوطات المكتوبة باللغة الكوردية في مكتبة الاوقاف المركزية في السليمانية والمكتبة العمادية والتي رحلت(٣٠٠) مخطوطة من مكتبة(قوباد) إلى المكتبة دار المخطوطات الوطني في بغداد،وقام بها شخص مجهول الهوية ومن المحتمل انه استلم مقابلها مبالغ طائلة واتفق مع مدير دار المخطوطات الوطني لعدم

ذكر اسمه. بما ان المخطوطات تقدم خدمات الجليلة للباحثين من علماء،وطلبة علم،وطلبة الدراسات العليا،وان المخطوطات تعد ثروة علمية ووطنية لايحق التصرف بها إلا وفق احكام القانون وإلـزام حائزي المخطوطات والمسكوكات الاثرية بتسجيلها لدى السلطات الاثـاريـة والمحافظة عليها واخـبـار الـدائـرة المختصة عن اي طاريء تتعرض له كالحريق او الغرق او تغيير ملكيتها.إذن فإن اهمية هذه المخطوطات ترجع إلى :

١ـ كتب باللغة الكوردية ونحن بأمس حاجة لمثل هذه المخطوطات لان عند طبعها سوف نحصل على بعض المفردات نادرة وغير مستعملة الآن في لغتنا وبهذه الطريقة سوف نحي هذه المفردات الميته ان صح التعبير وتدخل ضمن القاموس الكوردي ومن المحتمل ان يستعمل هذه الكلمات من قبل الكتاب ويحل محل بعض المفردات الاجنبية الدخيلة التي تستعمل الآن في اللغة الكوردية. وفي هذه الفرصة سوف اذكر اسماء بعض من هذه المخطوطات التي كتبت باللغة الكوردية قبل اكثر من مئتي سنة او ثلاثمائة سنة. وهـذه المخطوطات كانت مـوجـودة في مكتبة المكتبة الاوقاف المركزية في السليمانية لحين طبع الفهرس المخطوطات المكتبة.

١ـ ديوان الشيخ نوري الدين البريفكاني المولود ١٢٠٥ ـ ١٢٦٨هـ/ ١٧٩٠ـ١٨٥١م.

الاول : آه أي واحد همتا يك وى اله ما

بكرم بيته بحالى كرماته آه ما..الخ))

الاخر: راحتاهه، دوسرا اقبال بخت

)نوريا): والله دروقت حديث

الناسخ : عبدالله الايراني(هيراني) نسخه سنة ١٣٢٨هـ.

٢ـ مخطوطة(ذخر السالكين)

الأول: أي لي أهلي جماتي وى بدن وى قصتي داكو حاصل كن نجاتى قط نبينن زحمتى .. الخ))

الاخر: نصحتى صاحب شناسا.. رهبرى اهل قياسا

حيفه تيكن كيم و كاسا. قنج بن اتن حكمتى

سرى طريقى ، كشتيا بحرا غريقى

كأس فنجان حقيقي، خاتما مختومتى.

الناسخ:مجهول نسخة مشكلة ضاعت منها صفحات وهو كتاب نادر كتب عنه علدالرقيب يوسف مقالاً تحت عنوان(ذخرة السالكين) الكتاب الـكـوردي الضائع الشيخ نورالدين الـبريـفـكـانـي ، نـشـرتـه جـريـدة الـعـراق في العدد(١٢٤٩) بتاريخ ٣/ ٤/ ١٩٨٠.

٣ـ تصريف الزنجاني باللغة الكوردية

المـؤلـف: ابـراهـيـم الـزنجـانـي كـان حياً سنة ٦٥٥هجرية ترجم إلى اللغة الكوردية:

الأول:(اعلم) توا بزانه..

أيها المتعلم أي اوكسه ى

طلب زانينم علم صرف اكى..الخ))

الاخر: ناقص والموجود ينتهي بـ(... هاتين له اوليهوه به همزيكى وصلى مكسوره لبر رفع ابتدا بساكن كرا به اظهر

٤ـ مولود نامه باللغة الكوردية

)ترجمة من العربية إلى اللغة الكوردية)

المؤلف:الشيخ حسين القاضي ابن السيد محمود النقيب١٢٢٥ـ١٢٩٢هـ

الاول: أي مسلمانينه بـزانـن ئـه م مانكه مولولوده مانكيكى زور عظيمه.. الخ)).

الآخر: نوريكى عظيم داخل بووه ولم طيريكى عظيم الجثه داخل بووه حجره كم بالى سبزى بسرمداهينا فوضعت البني الهادي

الناسخ : مجهول.

٥. مخطوطة يوسف وزليخا باللغة الكوردية
المؤلف: احمد سليمي:
الأول: ناقص والموجود يبدأ بـ(...
ژخو ناخوه مبى ژبو برانه
حيلان دكزا اولته بزاند
نجم كرد بريژ بوته سجده
اخوان دبن ژبوته بنده ... الخ))
الاخر: از هيفى دكم ژ زات امجد
ازاد بكى ببخش احمد
لو هيفى كرم ژ خاص عامان
هر وقت زمان وحين وان
الناسخ:عثمان ابن صالح من قبيلة باشمى في قرية(شروروان) عندما كان طالباً لدى ملا عبدالله سنة(١٣٠٧هـ) وهذه النسخة يتيمة لا ثانية لها في مكتبات العالم حسب معلوماتنا.
٦ـ العرائض المغنية لكل محتاج (رسائل ارسلت إلى الشيخ معروف النودهي لمؤلفه الملا يحيى بن خالد المزوري المتوفي سنة(١٢٠٥هـ)
الأول:يا اخي المشفق اشفق علينا فلا توقعها في ورطة انكار مرشدنا الشيخ خالد قدس سره .. الخ.
الاخر:واحذروا عما يسخط به العارفون فان العكس في العكس من ذلك وأسأل الله توفيقكم
الناسخ:مجهول.
وجاء في مخطوطة (الزواجر عن اقتراف الكبائر) لمؤلفه: احمد بن محمد بن محمد بن حجر الهيتمي ٩٠٩ ـ ٩٧٣هـ . هناك وقفية عبدالله باشا البابانى وقف الكتاب بموجبها على ملا عمر الباراستي هذا نصها.
)) الحمد لله الذي واقف على عباده والصلاة على حبيبه. اما بعد فمعلوم عند التطراء والعلماء العالمين بإنه قد وقف امير الامراء العظام واعدل الحكام الكرام عبدالله باشا (والي بابان) كتاب الزواجر أزعالي جناب ملا عمر باراستي وقف نمود ، وبعد أزان أز اولاد اعلم بطنا بعد بطن ما تناسلوا فإذا انقرضوا فهو وقف على علماء المسلمين بحيث لاتباع ولا توهب من بدله بعد ما سمعه فإنما اثمة على الذين يبدلونه . سنة (١٢٣٩هـ).
وهناك عليها وقفية اخرى نصها ما يلي:((وقف ملا عبدالوهاب بن مولانا حسين الزكي يوم الاحد وهو اليوم الثالث من شهر جمادي الاول سنة(١٢٤٢هـ) جميع حصته من قرية(خاتون) مع جميع قشلاقاته مثل(بردميش) وغيره أرضاً وماءً وأشجاراً وانهاراً وطواحيناً توابعاً ولواحقاً ومنفعة مع نصف حديقة مشتركة بينه وبين مام الياس آختجي بالمناصفة أرضاً وماءً واشجاراً ومنفعة على قول ابن الرفعة من نفسه ثم من اولاده الذكور الصلبية بعده ، ثم اولاد الاولاد إلى ما تناسلوا وتنازلوا ثم إذ لم يبق احد منهم فمن جميع المؤمنين وقفاً عاماً ثم وقف بذلك التاريخ على أصل المذهب اولاده الذكور على الترتيب المذكور بشرط ان لايؤجر في عقد واحد اكثر من سنة واحدة وكانت توليته بيده ما دام الحياة حسبنا الله وكفى بالله شهيداً)).
من الشاهدين على وقف ملا عبدالوهاب .. حسين بن اسماعيل عبداللطيف(عياكندي) وعبدالله بن عمر الباراستي.
وورد في مخطوطة(شرح رسالة الهندسة والحساب) والتي نسخها: عباس لاجل استاذه ملا موسى في مدرسة قرية"ماوران" عندما كان الاخير يدرس عند الاستاذ المحقق ملا اسماعيل بن إبراهيم بن حيدر سنة ١١٥٤هـ نسخة جيدة مزدانة بخطوط توضيحية. وفي آخرها إجازة علمية منحها ملا اسماعيل بن

ابراهيم لملا موسى والإجازة تعتبر وثيقة علمية كانت سائدة في المدارس الدينية وبما إننا نجد الفائدة القصوى من مثل هذه الوثائق لذلك ننقلها نصاً

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي ابدع اللوح والقلم،واظهر هذا النظام المحكم من كتم العدم وخلق الانسان وعلمه من البيان مالم يعلم،بحيث ترمي من حضيض المرتبة الهيولانية إلى اعلى ذروة الادراك والتعليم وصعد من التعلم إلى أبلغ مدارج التدريس والتفهيم والصلوة والسلام على من اختص باخص خواص النبوة والتأييدات الربانية واتصف بأنواع الكمالات والنواميس الالهية استاذ الكل في الاولين والاخرين، واكمل الانبياء والمرسلين خاصة أولاد آدم محمد صلى الله عليه وعليه وعلى آله وصحبه وسلم وبعد فيقول الفقير إلى الله الغني الهادي اسماعيل بن ابراهيم بن حيدر الصفوي الحسين ابادي أن حافظ هذه الوثيقة وناقل هذه النميلة المولى المكرم افضل دهره ووحيد عصره الملا موسى بن الملا ابراهيم الباني الزردبني قد قرأ علي شطراً معتداً به من العلوم العقلية الاعتقادية والفنون الحكمية الكلية والجزئية والصنائع الادبية حسبما هو المعتاد بين الطلاب واجادة المستقيمة للاصحاب واشتغل بالتحصيل وقراءة الكتب المعتبرة المختصرة والمطولة مجتهداً فيها دقيقها وجليها وساعياً في الكل كثيرها وقليلها ولما رأيت انوار العرفان على ناصيته ظاهرة وشاهدت أثار الفضل في وجنته باهرة متزيناً بملكه استنباط الفروع في الاصول ومتحلياً بنفايس المعقول والمنقول قابلاً للتعليم والانادة ومستعداً كاملاً للتفهيم والاعادة،منتهياً إلى أعلى مراتب العلوم الحقيقة ومتدرجاً إلى اقصى مدارج الفنون اليقينية، اجزته للتدريس في العلوم الاعتقادية كلها والخوض في دقايق الفنون الحكمية دقها وجلها والاشتغال بتفسير كلام الله وتعليم العلوم الدينية. ونقل الاحاديث النبوية، وتفهيم الحقائق اليقينية ساعياً في جميع ذلك شرايط الانصاف عادلاً عن طريقه الجور والاعتساف مجتهداً في تحقيق المسائل بالبراهيت واقرير المقاصد بالتبيين ومشفقاً على الطلاب حافظاً جناح العطوفة للمستفيدين والاصحاب فأن العلوم في هذه الزمان غير مرغوبة والمعارف في هذه الاوان متروكة غير مطلوبة فلولا الإهتمام التام من العلماء الكرام ان يندرس مدارس العلوم والفنون وينطمس مجامع الأدب والرسوم اللهم اجعله وايانا من الواصلين إلى العين لامن القاعدين في البين امين يا مجيب السائلين وانا الفقير إلى الله الغني قد قرئت العلوم النقلية والفنون العقلية الحكمية والأعتقادية والصنائع العربية على صاحب التصانيف الفايقة والتأليفات الرايقة علامة زمانه واستاذ الكل في اوانه اعني من هو والدي وسندي مولانا ابراهيم مد ظلله وهو على والده الوحيد في عصره والفريد في دهره مولانا وجدنا العلامة حيدر الحريري وهو على والده العالم العارف صاحب المحاكمات مولانا احمد بن مولانا حيدري الكردي وهو قد قرأ العلوم النقلية والفنون الادبية والصناعات العربية مقداراً معتداً به في العلوم النقلية على والده تلميذ شيخ الإسلام مولانا زين الدين الكردي البلاتي تلميذ نصرالله الخلخالي تلميذ خواجه جمال الدين محمود الشيرازي تلميذ المولى المحقق جلال الملة والدين محمد بن أسعد الصديقي والدواني.

وقرأ تتمة المقولات على إستاذ الكل مولانا

محمد بن شروين تلميذ مولانا احمد المجلى تلميذ ميرزا محذوم تلميذ ميرزاجان تلميذ خواجه جمال الدين، تلميذ المحقق المذكور ثم قرأ درسين في أول تفسير البيضاوي على أفضل معاصري زمانه مولانا الشيخ الكوردي الاشنوي واخذ منه الآذن في التفسير بل مطلق التدريس وهو تلميذ مولانا ميرزاجان الشيرازي وهو تلميذ خواجه جمال الدين محمود التلميذ للمحقق الدواني تلميذ محيي الدين الكشكناري تلميذ العلامة الشريف الجرجاني (قدس سره) تلميذ مبارك شاه تلميذ المحقق قطب الدين الرازي تلميذ العلامة الشيرازي تلميذ نصير تادين الطوسي، وكان أيضاً تلميذاً للكاتب القزويني تلميذ الامام فخر الدين الرازي تلميذ حجة الإسلام محمد بن الغزالي تلميذ امام الحرمين عبدالملك يوسف الجويني تلميذ الشيخ ابي طالب المكي وهو اخذ الاتابة والارادة وليس الخرقة من ابي عثمان المغربي وهو من ابي عمرو الزجاجي وهو من سيد الطائفة أبي القاسم جنيدي البغدادي وهو من ابي الحسن السري بن مغتلس السقطي وهو من الشيخ معروف الكرخي وهو من ابي سليم داود الطائي وهو من الحبيب العجمي وهو من الحسن البصري وهو من حضرت الامام علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي وهو من حضرة المصطفى صلى الله عليع وسلم، وهو من ذي النورين المبين بواسطة الروح الامين الممتاز بين الملائكة المقربين برسالة رب العالمين إلى الانبياء والمرسلين جبرئيل عليه السلام اللهم افض علينا من بركاتهم واسلك بنا مسالك كرامتهم. وقرأ المولى المشار إليه جدنا احمد بن حيدر الكوردي الحريري مشكاة المصابيح على الشيخ عبدالملك العصامي إلى باب الاعتصام بالكتاب والسنة واخذ منه الآذن وهو من والده تلميذ الشيخ شهاب الدين احمد بن حجر المكي الهيتمي تلميذ قاضي زكريا الانصاري تلميذ الجلال المحلى تلميذ الجلال البلقيني تلميذ امير الحافظ شارح صحيح البخاري ابن حجر العسقلاني حرره الفقير إلى الله الغني الهادي اسماعيل بن ابراهيم بن حيدر بن احمد الحريري الحسين آبادي.

المصادر:

١- د. عبدالقهار داود العاني، منهج البحث والتحقيق، ط١، محاضرات القيت على طلبة دراسات العليا في كلية معارف الوحي والعلوم الانسانية الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا،٢٠٠٢، ص١٣٥.

٢- المصدر نفسه،ص١٣٦-١٣٧

٣- المصدر نفسه،ص ١٣٧-١٣٨-١٣٩.،١٤٠

٤ - مصطفى مرتضى الموسوي وعبدالكريم ابراهيم الامين ومنى محمد علي ابراهيم، المخطوطات العربية، بغداد، مطبعة العمال المركزية، ١٩٨٦،ص٥-٦.

٥- محمود احمد محمد ، فهرست مخطوطات مكتبة الاوقاف المركزية في السليمانية ، ج٥، بغداد ، مطبعة بغدادن ١٩٩٠، ص٢٥٢.

٦- محمود احمد محمد - المصدر السابق، ص٢٥٦.

٧- المصدر نفسه، ص٢٥٧.

٨- المصدر نفسه،ص٨٥-٨٦.

٩- المصدرنفسه، ص٢٣٨،٢٣٧،٢٣٦.

البروفيسور جاسم جليل
رائد النهضة الثقافية الكردية
في الاتحاد السوفييتي السابق

بقلم: دلزار أمين

يعد جاسم جليل من الرواد الأوائل الذين أرسوا دعائم الثقافة الكردية في الاتحاد السوفييتي السابق مثل عرب شمو ، حاجي جندي ، أمين عفدال ، وزير نادري ، اوجاغ مراد ، علي عبد الرحمن ، سعيد إيبو ، قناتي كردو، بشكو حسن ... الخ.

وقد يكون جاسم متفوقاً عليهم بإبداعاته ونشاطاته و وقفته التي دامت سبعين عاماً في خدمة ومساندة الثقافة الكردية.

إن كتاباً واحداً لا يمكن أن يستوعب نشاطات ووصف البروفيسور جاسم جليل ، لذلك سنتوقف عند مراحل مهمة من سيرة حياته.

ولد جاسم جليل في تشرين الأول من عام ١٩٠٨ في قرية (قزل قولا) في محلة ديكور في منطقة قرس ، وفي عام ١٩١٨ بعد الحرب العالمية الأولى وانسحاب الجيش الروسي من قرس ، هاجم الجيش التركي بقيادة(كاظم قره باشا) منطقة (قرس) وقتل من الشعب الكردي والأرمني بشكل وحشي ومخيف ، يومها كان جاسم في العاشرة من عمره ، وأثناء ذلك القتل الوحشي ، أبيدت عائلته التي كنت أكثر من خمسين شخصاً ولم ينجُ منها سوى جاسم وأخته خجي ، ومع الأسف ضاعت أخته بين جيش الفارين إلى جبال (الاغوز).

استطاع الطفل المسكين أن يصل مع جمع المتشردين ،جائعاً ، حافياً وعارياً إلى يريفان. تربى جاسم مع آلاف الأطفال اليتامى من الكرد و الأرمن في ميتم الكسندرا بولي وجلالوخليي.

وفي عام ١٩٢٨ رشح ليذهب إلى المدرسة العسكرية في باكو ، ونظراً لذكائه أرسل الى تبليس لدراسة مرحلة أعلى من السابقة. وفي بدايات عام ١٩٢٩ ، بعد أن تحسن وضع أكراد ما وراء القفقاس (أذربيجان ، أرمينيا ، جورجيا) ،و بعد أن وضع عرب شمو

بمساعدة مورغوف ألف باء اللغة الكردية ، فتحت الدولة المجال أمام الأكراد لتعلم لغتهم قراءة وكتابة ، ولكن لقلة الكادر الكردي ، ذلك الكادر الذي يستطيع أن يقوم بعمله المطلوب في المدارس والمعاهد ، اختاروا عدداً من يتامى الكرد والأرمن (الأذكياء منهم) وكان جاسم من بينهم ، حينها كان عمره ٢٣ عاماً.

وهكذا عاد جاسم من تبليس إلى يريفان لخدمة الثقافة الكردية ، وأصبح عضواً في الحزب الشيوعي السوفياتي عام ١٩٣٠ ومديراً لمعهد إعداد كوادر الأكراد والأرمن في المراكز والمدارس الكردية لما وراء القفقاس عام ١٩٣١ وقد تخرج على يديه مئات الشباب والفتيات الأكــراد ، وأصبحوا مـدرسـين في المـدارس الكردية.

ولتفوقه في معهد إعداد الكوادر ، اختارته الحكومة الأرمنية عام ١٩٣٢ مديراً للطباعة وتطوير اللغة والأدب الكرديين . وبعد هذا التغيير أصبح المسؤول الأول لطباعة الكتب الكردية ، ومنذ ذلك الحين شقت الكتب المكتوبة باللغة الكردية طريقها إلى الصدور مثل جميع اللغات في الاتحاد السوفييتي.

وما بين عامي ١٠٣٢ - ١٩٣٨ وفي السنة الأخيرة أوقف ستالين هذه الإصدارات،و كان جاسم في ذلك الحين قد طبع مئات الكتب باللغة الكردية من كتب المدارس إلى دواوين الشعر وترجمة الكلاسيك الروسي إلى اللغة الكردية. لقد أعد جاسم لوحده حوالي عشرة كتب للمدارس الكردية إضافة إلى ترجمة عدة كتابات لماركس ولينين إلى اللغة الكردية ، ولا تزال بعض كتبه تقرأ وتدرس.

وبعدها درس ثلاث سنوات في الجامعة ، في كلية الحقوق ونـال شهادة الدبلوم. وفي سنوات الحرب العالمية الثانية أصبح مدرساً للغة الكردية في المدارس العسكرية الخاصة ، و بناءَ على طلب من الحـزب الشيوعي في يريفان نظم حوالي (٥٠٠) أمسية في المناطق الكردية حول حب الوطن ومحبة الأمم.

لعب جاسم جليل دوراً كبيراً في مجال تطوير اللغة والأدب الكرديين بعد الحرب العالمية الثانية.

وفي الذكرى المائة والخمسون لميلاد الشاعر الكلاسيكي الروسي (أ ، س ، بوشكين) ترجم جاسم مجموعة من أشعاره إلى اللغة الكردية ونشرها . وبعد وفاة ستالين ، فتح المجال مرة أخرى أمام اللغة في قرى الأكراد ، وأعادت جريدة ريا تازه البسمة إلى وجوه الأكراد إثر صدورها مرة أخرى.

ولكن الحدث المهم بالنسبة للأكراد جميعاً وخاصة أكـراد ما وراء القفقاس هو فتح الإذاعة الكردية في يريفان سنة ١٩٥٥ وبإدارة جاسم جليل ، وبفضله انتشر صوت الشعب الكردي إلى العالم ، وراح الأكـراد في الأنحاء الأربعة من العالم يستمعون إلى موسيقاهم وفولكلورهم ، وبفضله أنقذت حولي (١٠٠٠) أغنية ومقاطع موسيقية من الضياع

والاندثار.

لم يكن جاسم عاشقاً لسماع الأغنية الكردية فحسب بل كان موسيقياً أيضاً يعزف على الناي ، فكان يتذكر أغاني طفولته ، وطفولة قرى آبائه وأجداده فكان دائماً يغني ويدندن تلك الأغاني فيشعر بالراحة والترويح عن النفس.

وكان للقسم الكردي في إذاعة يريفان دوراً كبيراً في إيقاظ الكرد في النواحي الأربعة.

وفي عام ١٩٧٠ أصبح مسؤولاً لطباعة الكتب الكردية في مطابع الدولة على مدى عشر سنوات ، وطبع خلالها المئات من الكتب .

وهب جاسم جليل سبعين عاماً من عمره هدية للشعب الكردي دون أن يتوقف يوماً عن حب وطنه ، فقد كان الوطن دائماً في فكره وقلبه.

وكان عاشقاً لفولكلوره ، وغالباً كان الفولكلور أساساً لكتاباته ومزيناً لها ، حيث كان يسعى جاهداً لتعريف فولكلوره الغني بالشعوب المجاورة من الأرمن والروس والجيورجين ... الخ.

ترجمت العديد من أشعاره إلى اللغة الروسية ، ونشرت في كبريات الصحف السوفياتية مثل برافدا و ايزفستا ... الخ ، وفي عام ١٩٦٣ أثناء الظلم الوحشي الذي كانت تمارسه الحكومة العراقية على ثورة البارزاني, كتب العديد من القصائد ونشرها.

وبفضله ترجمت أشعار الكثير من الكتاب الأكراد إلى اللغة الروسية ، الإنكليزية ، الأذربيجانية الأرمنية ونشرت في مجلات مختلفة في أرمينيا.

وكان جاسم مثالاً للبارزين في الاتحاد السوفياتي السابق ، فلم تبق مجلة أو صحيفة في أرمينيا إلا ونشرت قصائده ، وتحدثت عنه بايجابية.

وفي عام ١٩٣٦ في اتحاد الكتاب الكتاب السوفييت، ولعدة مرات أصبح ممثلاً في الكونفرانسات في موسكو ويريفان لنشاطه الدائم والمثمر ، ونال العديد من الجوائز.

وفي ٢٤/ ١٠ / ١٩٩٨ فارق الحياة في إحدى مشافي يريفان عاصمة جمهورية أرمينيا

بعد أن عاش تسعين عاماً ذاق خلالها المرارة والسواد ، وبقيت رؤية أرض الآباء والأجداد حسرة في قلبه ودفن فوق تل يبعد ١٥ كم من يريفان. إلى الشمال من قبره ترى جبال ألاغوز بوضوح ، تلك الجبال التي أنقذته من الموت ذات يوم ، وإلى الجنوب من قبره جبل أرارت يعلو نحو السماء والذي أصبح مقبرة لشهداء ثورة أرارات ما بين سنة ١٩٢٧ – ١٩٣٠.

ذهب العالم الجليل و ترك خلفه ثلاثة أبناء وهم : الكبير البروفيسور اورديخان جليل وهو أستاذ باحث في الفولكلور ، وأبنه الأصغر البروفيسور جليلي جليل المؤرخ المشهور ، وابنته جميلة جليل باحثة وموسيقية ماهرة ، وهؤلاء أيضاً كرسوا حياتهم لخدمة الثقافة الكردية.

الأميرة الخالدة ... قدم خير

بقلم : رضا شوان
ترجمة : ماجد السوره ميري

"الأسود حين تخرج من عرينها أسود، ذكرا كانت أم أنثى" مثل كـردي. تاريخ شعبنا القديم والمعاصر مليء بالفخر والعظمة، وصفحاته الذهبية تزينت باسماء عشرات النساء البطلات على كل الصعد، وكلهن مارسن أدورا مؤثرة على صعيد معين خدمة ودفاعا عن الكرد وكـردسـتـان، في العلم والمعرفة، في البناء الحضاري، منهن من كانت أميرة ووجيهة وقـائـدة وفـارسـة شجاعة وثائرة وبيشمركه وحاكمة وعالمة وحكيمة وسياسية وشاعرة وكاتبة وضابطة وأستاذة جامعية... بل وحتى نائبة برلمانية.

ولو أمعنا النظر في الرحلات و المذكرات والكتب والكتابات التي خطتها أقلام الرحالة والسواح و التجار الاجانب، الذين مروا بكردستان ورأوا بأم أعينهم دور وفاعلية المرأة الكردية، ودونوا ذلك بضمير حي... يؤكدون على تلك الحقيقة القائلة أن المرأة الكردية أنموذج للمرأة الشرق-أوسطية... فهي أكثر حرية وتحركا من المرأة الفارسية والتركية والعربية، وتناضل وتخدم جنبا الى جنب الرجل في كل الميادين... وقل نظيرها في العالم كله في القتال الى جانب الرجال.

الأميرة الخالدة "قدم خير" واحدة من مشاهير نساء الكرد، وهي البطلة والقائدة الثائرة الكردية الصلدة، وهـي الفارسة المقدامة الشجاعة الهمامة، التي قل نظيرها في حبها للكرد وكـردسـتـان، فقد كـانـت كردستان أغلى عندها من الـروح والحياة، وكان أملها ان تتحرر كردستان والـكـرد مـن المحتلين العنصريين الـقـسـاة، ولم تخش التضحية والفداء والجود بالنفس من اجل هذا الهدف المـقـدس. فما عـادت تطيق الظلم والجـور والاضطهاد الذي تعرض له الكرد على يد شاه ايران رضا بهلوي، وجسدت المثل الكردي الذي يقول "عش قليلا ولكن عش عظيما" فكانت تفضل ذلـك على حياة الأسـر والعبودية، وحملت سلاح (الكردايتي) والرجولة و قامت

باعلان الانتفاضة والثورة في منطقة لورستان في كوردستان الغربية... وقد تزامنت هذه الثورة مع ثورة القائد الكبير سمكو الشكاك (اسماعيل خان الشكاك)، وثورة الآذريين في ايران ... وبالمقارنة مع القائدة الثورية الفرنسية (جاندارك) ضد الانكليز الذين احتلوا بلادها، نجد ان قدم خير الكرد أشجع منها، ولكن الاثنتين قضتا غيلة وغدرا.

الأميرة (قدم خير) ابنة الامير (قند القلاوندي)، الذي كان أحد أمراء إمارة لورستان الصغرى.. من قبيلة لورية فيلية، معروفة بالبطولة و الشجاعة وحب وعشق الكرد وكردستان. وفي نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، ولدت قدم خير (المؤسف انه ليس هناك مصدر يشير الى سنة ولادتها وموتها)، كانت قدم خير فتاة جميلة ممشوقة القوام ذكية و واعية وذات فكر لماع، وفارسة شجاعة ومحبة لكردستان، وصارت مادة للعديد من الأشعار والأغاني خصوصا باللهجة الفيلية، التي بقي صداها حتى يومنا هذا على لسان الكرد الفيليين، والتي تتحدث عن شجاعتها وبطولتها وثوريتها.

وفي سنة ١٩٢٥ قام الشاه رضا البهلوي بقتل شامراد خان، آخر امراء امارة لورستان الصغرى غيلة وغدرا، وهو شقيق قدم خير، ما أثار غضبها وحنقها على الشاه .. وتوعدت ألاّ تقبل بالظلم والاضطهاد، وألاّ تدع بلادها لقمة سائغة، يقوم الشاه بالتهامها.. واستطاعت في فترة وجيزة أن تجهز جيشا من الكرد الفيليين وأعلنت الانتفاضة والثورة وقادتها بنفسها وأرادت أن تعلن استقلال لورستان، وجعلت من جبال لورستان الحصينة معقلا للثورة وهاجمت غير مرة قوات الشاه من عدة جهات والحقت بها خسائر كبيرة وغنمت الكثير من الأسلحة والأعتدة، فحاول الشاه ان يخدع العشائر الكردية بإغرائها بالمال والمناصب ويجعل منها جحوشا مرتزقة لمواجهة الثورة غير أن هذه العشائر أبت هذه الخيانة ولم تقبل أن تلطخ ايديها بدماء بني جلدتها، فقامت قوات الشاه بهجمات اخرى ضد الثورة ولكنها جوبهت بالارادة الفولاذية للثواروحملاتهم وضرباتهم المميتة التي أوقعت بهم أفدح الخسائر... واستطاعوا في مدة وجيزة تطهير كامل مناطق لورستان من جيش الاحتلال.

وحينها أرسلت الأميرة قدم خير وفدا الى الشيخ محمود الحفيد يحمل له رسالة شرحت فيها المظالم التي تعرضوا و يتعرضون لها، وكيف ان الشاه رضا البهلوي قتل أخاها الأكبر الأمير شاهمرادخان غيلة وغدرا، وطالبت الشيخ الحفيد توحيد جيشيهما وان يهاجموا بقوة واحدة المحتلين في شرق وجنوب كردستان .. وكتبت له أيضا بأنها على استعداد ان تكون بإمرته، هي وجميع الثوار مع كامل أسلحتهم وأعتدتهم التي تكفي مؤونة قتال سنتين كاملتين... إلا ان الشيخ لم يصغ لطلبها، ويقال بانه خشي إن اتفق معها فسيبتعد عنه فرسانه لاعتقاده بانهم بسيئون فهمه، ويظنون ان الشيخ إنما يفعل ذلك طمعا في ثروة وجاه أميرة غنية.

وبعد ان تكبدت قوات الشاه هزائم عديدة، لجأ الى التحايل و الكذب، فارسل وفدا الى الأميرة قدم خير مع مجموعة من الهدايا القيمة، وعدها من خلالهم ان يقوم باصلاحات وعمليات إعمار في لورستان وأن يرفع المستوى المعيشي لسكانها، وأعلن عفوا عاما عن جميع الذين رفعوا السلاح ضده وطلب يد قدم خير للزواج منه. فغضبت قدم خير من الوفد وأمرتهم ان يحملوا كل ما جلبوه من هدايا، وان ينقلوا له نص كلامها الآتي :"انا لست امرأة لأتزوج، إنما أنت امرأة". فقد كانت قدم خير على علم بنوايا وأهداف الشاه الخبيثة، ولكن وللاسف صدّق عدد من الثوار بالعفو الذي أصدره الشاه، فسلموا أنفسهم مع أسلحتهم للشاه، الأمر الذي أضر كثيرا بالثورة. وحين علم الشاه بموقف الأميرة قدم خير استشاط غضبا وتوترا، وجهز جيشا جرارا مزودا باقوى الأسلحة وتوجه به نحو لورستان، ولم يدع هذا الجيش أمرا شائنا الا وفعله، فقام بقتل المئات من الاطفال والنساء والكهول الابرياء، وخرب ودمّر عشرات القرى واحرقها وسلب ونهب ماكانت تحتويه البيوت، ولكن ورغم كل هذا لم يستطع أن يحتل جبال لورستان.. فقام الثوار بتنظيم صفوفهم في الجانب الجنوبي من منطقة كَرميان، وعبروا تارة اخرى الى لورستان وهاجموا جيش الشاه من عدة جوانب والحقوا به انكر الهزائم والخسائر والأضرار .

وحينما أدرك الشاه أنه من المحال أن يسيطر على المنطقة بقوة الجيش والسلاح وينهي ثورة قدم خير. لجأ مرة اخرى للمكر والخديعة والأيمان الكاذبة والوعود العسلية في مؤامرة أكبر من سابقتها، وعلى الرغم من انها لم تكن المرة الاولى التي يقوم الاعداء بخداع الكرد عبر التستر بستار الدين الاسلامي... فقد أرسل الشاه الغادر وفدا آخر الى قدم خير محملا إياه رسالة أخرى مع نسخة من القرآن الكريم دون على جلده الاول توقيعه مع طبعة يده، حتى يصدقوا بأنه مسلم يخشى الله وقد وضع يده على هذا القرآن دلالة على حسن نيته وجاعلا القرآن شاهدا على ذلك، وكتب لهم عفوا عاما بلا قيد أو شرط ، وأن يعود كل مسلح لداره وعياله، واعدا أن يعمر لورستان أفضل من السابق...

وعندما وقعت أعينهم على القرآن الكريم صدق أغلب الثوار وعود الشاه وانطلت حيلته عليهم، فسلموا أنفسهم بأسلحتهم لجيش الشاه... عدا قدم خير وعدد قليل من الاشخاص الذين أدركوا ألاّ حيلة لديهم وليس بمقدورهم فعل شيء أمام جيش الشاه فسلموا أنفسهم أيضا.. وإن كانوا غير مطمئنين للعفو الذي اصدره الشاه... فقام جيش الشاه الغادر في أول ليلة بقتل معظم الثوار واعتقل الأميرة قدم خير و١٧ من قادة الثورة وأرسلهم الى طهران، وبعد وصولهم بيوم واحد أعدموا جميعا. ويروي البعض، وفي فعل مشين وغادر أنهم قاموا بربط ضفائر قدم خير لذيل بغل ، فتحطم جسمها وتقاطرت دماؤها ومن ثم رموها في زنزانة.

محمد موكري
شجرة الأدب الكردي الخالدة

بقلم: لقمان محمود



على الرغم من أن الجميع قد توصل إلى نتيجة تشير بهدوء و بإستسلام، إلى أن نهاية الحياة هي الموت، فإن الراحل محمد موكري سيبقى حيّاً على المدى البعيد. فطالما الموت يعبر الإنسان كل يوم، فلا خلاص له سوى إبداعه. و موكري ناضل لتكريس هذه الخصوصية في زمانها ومكانها وقيمها كبيشمركه و كمبدع.

إن رحيل محمد موكري بمعناه الضيق، هو مجرد حزن وألم و فجيعة لأهله و لأصدقائه و لمحبيه ولقرائه.

هذه الحقيقة لها هيئاتها المؤدية إلى حدوثها، حيث ووري جثمانه الثرى في مقبرة

"رابـريـن" بمدينة السليمانية صباح يوم الأحد ٦ أيار/مايو ٢٠١٢، ضمن دائرة مغلقة بالحزن والدموع. في هذه الدائرة المغلقة بقيَ الجميع قلقاً من الحقيقة، لكنه الوحيد الذي بقيَ مطمئناً.

صدمـة المـوت هـذه سـتـترك أثـرهـا – بكل تأكيد – على المدى البعيد أيضاً، لما تركه هذا المبدع من أعمال روائية خالدة، كالنباح والثأر والتنين.

لقد استحضر موكري في هذه الروايات الملاحم الـكـرديـة، واصـفـاً حركة البيشمركه منذ انطلاقتها الأولى، إلى زمان الحرية و الإستقرار.

إذن، نحـن أمـام فاجعة استثنائية، لكاتب استثنائي أبدع في الرواية و القصة والمسرح والشعر والترجمة، واستطاع من خلال هذه الأجناس الأدبية تقريب الإبـداع من بعضه البعض كردياً وعربياً وفارسياً. وقد واصل مشواره هذا مذ كان سنداً للمقاومة الكردية، مذ كان بيشمركه، مذ كان إنساناً يريد الحفاظ على البعد البطولي في مستواه الإنساني العميق.

ولـد محمد موكري في العام ١٩٤٥، في محلة القلعة بمدينة كركوك الكردية، التي عرفت أسماء أدبية كثيرة، إلا أن شهرة الراحل كادت أن تحتكر الأدب بشخصه للبراعة التي تميّز بها، وحسن انتقائه للحدث، وأسلوبه المغرف في التفاصيل والملاحم والبطولات الكردية، بحيث لم يـدع شيئاً إلا ورصـده، وبـثّ فيه الروح، و أعطته نفساً جديداً يعج بالحركة والصخب والدلالة والتوظيف. حيث رصد في أعماله كل صغيرة وكبيرة في كردستان، ليحيلها إلى مساحات واسعة من الدلالات والمعاني، في رواياتٍ ما زال النقاد يعتبرونها من أهم التجارب الروائية على مستوى كردستان، وعلى مستوى المنطقة التي ترجمت إليها هذه الروايات كالعربية و الفارسية و التركية.

محمد موكري في روايته المشهورة "نباح"، لم يحد عن درب تطويع اللغة الروائية حسب شهواته الإبداعية فحسب، بل واصله بحيث تحولت شخوصه الكردية، و أمكنته الكردية، و أزمنته الكردية إلى حقيقة روائية مرّة، جعل بعض الكرد من البيشمركه في حالة من الغليان من هذا البيشمركه الثائر على الحقيقة، وعلى الواقع الكرديين.

إنّ رواية "نباح" للكاتب الخالد محمد موكري، تتميز بذاكرة دقيقة و حسّاسة لأحرج لحظات الواقع الكردي السياسي. حيث نجح في بناء علاقة صادقة بين الواقع و بين النص الروائي، برؤية جريئة مفتوحة على الحقيقة.

فرواية " نباح" عبارة عن رسالة غضب إلى الأحزاب الكردية بجميع أطيافها السياسية و الإيديولوجية، بسبب القتال الداخلي(إقتتال الأخوة) آنـذاك. فمن العسير أن نفصل – في هذه الرواية – الحقيقي عن المخترع، حيث يتداخل حدود الواقع بحدود الخيال بجمالية عفوية، و بواقعية مرفوضة.

تقول الرواية: " ألا تتذكر أسماء رفاقك الذين قتلوا على أيدي بعضهم البعض، و طوى المجهول مصيرهم". بهذه الكلمات المؤثرة يتابع محمد موكري مجريات الـروايـة من خلال السارد الوحيد في الرواية، و كأنه يريد تصحيح مسيرة النضال، من خلال تصحيح مسيرة الآلام:

" أنا لن أرتبط بأي من الجبهتين. كل من الجبهتين صائبة و مخطئة، لذا قررتُ – بعد ان اتضح لي بأن الإنسحاب هو الخدمة الوحيدة – أن أتخلى عن البندقية، و أن لا أستخدمها أبداً ضد أخ لي".

إنها لغة مواجهة لإزالة الحواجز الحزبية، لصالح القضية الكردية العادلة. فهذا الشعور الإحباطي للروائي كان في حينها شعور شريحة كبيرة من الشعب الكردستاني:

" لا نعرف علام تعادون بعضكم البعض، و تلطّخون أيديكم بدماء بعضكم البعض في القتال الأهلي".

الحقيقة دائماً جارحة، لهذ السبب قوبلت الرواية بغضب شديد. و لإيضاح هذا الغضب، يقول مام جلال (رئيس العراق الفيدرالي) في تقديمه لهذه الرواية في طبعتها الثالثة عام ٢٠٠٦:" لكن لم يمر وقت طويل حتى إرتفع صوت الغضب و الإحتجاج من لدن بعض كوادر و بيشمركه الإتحاد الوطني الكردستاني، ضد رواية "نباح ". من هنا و هناك، الأقاويل و الإعتراضات، و أنا منذ زمنٍ قد قمت بصياغة شعار (الحرية و الحياة) للكتاب و الأدباء في قرارة نفسي، و انتهزت الفرصة للتعبير أكثر عن الشعار و رفع رايته عالياً. لذا نستطيع أن نقول بأن " نباح" كانت لها تلك الإيجابية، و الإيجابية الأخرى لنشر رواية " نباح" أنها أصبحت مدار للحديث و المناقشات و المجادلات. في الحقيقة أنني شاركتُ فيها أيضاً مع البيشمركه الناقمين، و مع كوادر و كتّاب الإتحاد الوطني الكردستاني و أكدنا هذه الحقيقة للجميع".

إذن، فالحياة الواقعية معّرضة دائماً و بإستمرار للتزوير و قلب الحقائق، سواء لتعدد الرؤى، أو لتعدد الأهداف و الغايات، و هذه الرواية قالت ماهو حقيقي، قالت ليس من باب التشهير و الذم، بل من باب حب الوطن و حب الشعب الكردي. فالأمة الكردستانية لم تتح لها فرصة إستقلال حقيقية، إلا بعد إنتفاضة آذار ١٩٩١، تلك الإنتفاضة التي قسّمت المشهد الثقافي الكردي الى أدب ما قبل الإنتفاضة، و أدب ما بعد الإنتفاضة. و هذه الرواية بكل تأكيد تابع الى ما قبل الإنتفاضة. و هي - الرواية- بكل سلبياتها و ايجابياتها، محاولة من الكاتب كي تبقى شجرة حياة الكردي دائماً خضراء.

من كل ذلك نفهم أنّ الحرية التي صنعها المبدع الراحل محمد موكري، وحصل عليها فيما بعد الكثير من المبدعين، ما زالت راسخة بقوة الجرأة والحب والحقيقة لكردستان و للأمة الكردية.

إذن، علينا أن نبكي أخيراً، علينا أن نبكي بغزارة، فمحمد موكري ارتدى لباس الخلود، ومضى في حريته.

علينا أن نبكي إلى آخر دمعة، و إلى آخر دمعة ملتصقة بعين القلب. علينا أن نبكي، فمحمد موكري قد رحل ولن نراه من الآن وصاعداً مع توأمه، مع روحه، مع صديقه الأبدي الشاعر قباد جلي زادة.

من الآن وصاعداً، سنحبس دمعتنا الجسورة بكل ما أوتينا من حزن، ومن ألم، كلّما رأينا قوباد جلي زادة وحيداً.

من الآن وصاعداً، سنبكي بقلوبنا، إذا رأينا قوباد جلي زادة مغرورقاً في عيوننا.

مأساة شيرو في رواية (خه جا به رليني) للروائي الكردي حسن ابراهيم



بقلم: جمال برواري

في هذه الرواية أراد الكاتب حسن ابراهيم، والتي كتبها بلغته الكوردية، توظيف بطل الرواية ((شيرو)) والبطلة ((خه جي)) لايصال رسالة او فكرة أومجموعة افكار، والتي مثلت حجر الزاوية التي بنى عليها الكاتب موضوع روايته.

تدور أحداث الرواية في قرى ووديان كوردستان ، ثم ينقل الكاتب احداث روايته الى العاصمة الالمانية برلين . وفي سلسلة احداث رومانسية وتراجيدية جسدها الكاتب في روايته مستنداً على مقومات وعلاقات الصدام والصراع مع النفس والشعور بالذنب والعقاب.

المكان في رواية ((خه جا به رليني)) والذي جرى فيه الاحداث، استطاع الكاتب ان يحرك فيه شخصياته بذكاء مستخدماً ((الفلاش باك)) ليروي لنا احداثاً يشد القارئ اليها ويبحث عن فك رموز العقدة، مستخدماً أدوات فنية تحرك الاحداث بسرعة.

استخدم الكاتب عنصراً آخر من عناصر الرواية الفنية وهو الوصف ، حيث يصف المكان, الاحداث، الشخصيات. وهي الوسيلة الاساسية في تصوير المكان . يتناول الاشياء ويرسمها بريشة فنان وعدسة مصور ومخرج فلم سينمائي ، من خلال لغة كوردية سليمة واستخدام مفردات اصيلة.

في الرواية تبدأ الاحداث متسلسلة ومترابطة ، لكنها تبدأ بالتأزم ويتصاعد الفعل حتى يصل إلى الذروه ليكون عنصراً

فنياً آخر يشد القارئ الى الاحداث.
عندما تبلغ الاحـداث المتمثلة ذروتها، وعندما تتعقد بين شخصيات الرواية، تصل الى درجتها القصوى , لتتسارع الاحداث والمفاجآت , بحيث يفاجئنا الكاتب في كل فصل بقنبلة موقوتة، ليجعل من بطل الرواية ان يفقد توازنه بفعل تلك الاحداث والتي تبدأ بقصة حب ((شيرو)) الراعي والبطل, قصة عشق اشبه بقصة او ملحمة ((خه ج وسيامند)) ولكن بصيغة اخرى , وبنهاية مأساوية.
استخدم الروائي حسن ابراهيم ((الفلاش باك)) في سرد احداث الرواية , فعندما يقع بطل الرواية شيرو في قبضة البوليس الالماني , وامام المحققة في مركز الشرطة يستذكر شريطاً من الاحداث الرومانسية والمـأسـاويـة يـصورهـا الـروائـي في فلم سينمائي تراجيدي . وقف ((شيرو)) امام المحققة الحسناء تسأله عن يوم ميلاده:
في الحقيقة لا اعلم متى ولدت ولا املك هوية, وأغمض عينيه وقال .. اهل القرية كانوا يقولون لقد ولدت ليلة حرقت القرية .. لقد ولدت في واد وتحت شجرة, عندما استشهدت والدتي بفعل قصف الطائرات للقرية , استشهدت معها مجموعة من اهل القرية ايضا.
وفي مشهد اخر يسترسل ((شيرو)) الحديث مع البوليس فيقول. ((عندما كنت اسرح مع الغنم، التقيت بمجموعة من الرجال المسلحين الـثـوار، طلبوا مـني المساعدة لاسعاف جريح كان معهم وكانوا يحتاجون الى ادويـة.. ذهبت الى القرية لاجلب لهم الادويــة ,... عـدت مـن القرية ومعي الادوية.
وفي مشهد اخر من الرواية يقع ((شيرو)) في غرام ((خه جى)) تلك الفتاة الجميلة, بنت القرية.
يصور الروائي مشاهد هامة وكأنها من فلم رومانسي، حيث يلقي الضوء على لقاءات ((شـيرو)) و ((خـه جـى)) برومانسية هادئة، إلى أن يتزوج ((شيرو)) حبيبته ((خه جى)) وينجب منها طفلين. يصاب ((شيرو)) بجروح بالغة , ويرسل الى المانيا للعلاج بعد اصابته بعاهة مستديمة, ويحصل على اللجوء , ويطلب لم شمل العائلة, ينتظر طويلاً ويتحقق الحلم, واللقاء في مطار برلين .. ((شـيرو)) في المطار.. يشاهد الطائرات يتذكر عندما كانت الطائرات تقصف قريته وتقتل الاطفال والناس والشيوخ.
ويتم لم الشمل من جديد، ويتجدد قصة الحب من جديد، قصة ((شيرو)) و ((خه جى)).
إل هنا، ما يزال مشهد شيرو امام البوليس الالماني – من خلال فلاش بـاك- حيث يتذكر ويقول للمحققة: تغيرت ((خه جـى)) بسرعة ورفعت يديها واصبحت أسيرة الملذات والتقدم ذهبت بسرعة مع التيار وبعد وقت قصير اصبحت تتصرف مثل الالمان وتقلدهم تقليداً اعمى.

تعلمت اللغة الالمانية بسرعة وتعلم الاولاد , اما انا فلم أستطع ان اغير نفسي مثلهم. كانت ((خه جى)) تقول حياتنا تبدأ من اليوم , أنا بنت اليوم لقد ولدت اليوم. ويسترسل شيرو الحديث امام المحقق.. لم أستطع ان اعيد ((خه جى)) الى صوابها لم اعد املك السلطة عليها , وبدأت مشاكلنا منذ ذلك اليوم واصبحنا اعداء , وهي لم تعد تهتم بي.. وعلمت بناتها , لم اعد مسيطراً عليهم ويستمر المشهد وشيرو مازال امام المحققة الالمانية الحسناء.

نعم.. طلقت ((خه جى)) لقد وقعت على قرار موتي , لقد تعهدت بأن لا اقترب من بيت ((خه جى)) لااقترب من اطفالها .. لاتدخل في شؤون حياتهم. قد يكون في هذا البلد .. الطلاق امر سهل ولا ينظرون الى الطلاق بأنتقاص .. اما عندنا فلا.. ويقول المثل .لتخطف سبع مرات ولا تتطلق .. الطلاق يعني الموت.. الموت افضل من الطلاق!!

وتتسارع الاحداث وتتعقد وتظهر مفاجآت ويتعرض شيرو الى ضغوطات نفسية من جراء تلك الاحداث , تتفكك العائلة كل واحد لايعلم عن الاخر شيئاً ... لاصديق ((لشيرو)) سوى كأس الخمر والضياع، الاولاد مدمنون على المخدرات.....

يروي ((شيرو)) احداثاً امام المحققة لايصورها ولايتقبلها العقل.. وينادي باعلى صوته... نعم قتلت ((خه جى)) لقد قتلتها..

الفصل التاسع عشر قبل الاخير ص١٣٢

أثناء التحقيق مع ((شيرو)) من قبل البوليس الالماني يروي ((شيرو)) تفاصيل جريمته عندما قتل زوجته ((خه جى))- بعد ان غرست السكين الاول في صدر ((خه جى))

أمسكت بيدي وقالت..

أفتح عينيك ولا تخرب بيتك، لاتسمع كلام المنافقين قلت لها: انت التي خربتي بيتنا، انت جعلتِ رؤوسنا في الطين , انت بعت شرفنا بثمن بخس, انت السبب في ضياعنا.

امسكت((خه جى)) السكين التي في صدرها وقالت: انت السبب في كل ماجرى لنا ، انت انشغلت بملذاتك، انت بقيت ذلك الراعي ولم تحاول ان تغير نفسك، انت السبب لانك لم تستطع ان تحافظ علينا، انت السبب في انحراف اولادك وبناتك لانك كنت .. كنت مشغولاً في اهوائك وملذاتك ولياليك الفاجرة. لقد نسيت اولادك وبناتك, كم حاولت ان اجعل منك انساناً اخر، ولكنك بقيت ذلك القروي وذلك الراعي, كم مرة قلت لك اجلس مع اولادك ولا تخرج الى المراقص والملاهي، ولاتعود الفجر وانت ثمل. الذنب ليس ذنبي بل ذنبك أنت.. لانك لم تقف بجانبي في تربية الاولاد.

كلما كانت ((خه جى)) تذكر اسم قرية ((شيرو)) وتقول أنت مازلت قروياً ولم تتغير , كان ((شيرو)) يغرس السكين في صدرها أكثر.

لقد قتلت ((خه جى)) ولست نادماً.. نعم لست نادماً ولكني متهم يجب ان يقتلني احد , نعم انا كذلك متهم انا شريك في ضياع العائلة نعم صدقت ((خه جى)) كنت مشغولاً في ملذاتي .. النوم الى الظهيرة وفي الليل ثمل وسكران كنت لا اعرف ماذا يجري ويحدث في البيت , كنت لا اعرف ماذا يفعلون واين يذهبون..

كلما حصلت على مبلغ من المال كنت اضع ذلك المبلغ في جيب بائعات الهوى , كنت بعيداً عن البيت بحيث نسيت وجوه اطفالي... كنت أنهض من النوم والاولاد وحدهم يذهبون الى المدرسة كنت اعود الى البيت بعد منتصف الليل والاولاد نائمون , صدى كلمات ((خه جى)) كانت ترن في اذنيه..... انت لا تريد ان ترى اطفالك ... انت لاتعلم من الدنيا شيئاً ...انت لاتعرف ان تربي عائلة.. انت فقط راع ولم تتغير.

-نعم لم استطع ان اغير نفسي ولم تستطع ((خه جى)) ان تصنع مني شخصاً اخر ولهذا طردتني من البيت ((زيان)) كانت تخرج وتبقى خارج البيت.

لقد منعوني من دخول البيت , طلبت ((خه جى)) الطلاق منعوا عني زيارة الاولاد , بعد مدة تزوجت ((خه جى)) وبعد مدة تركت ((ئه فين زوجها)) أما الولد ((وه لات)) اصبح مدمناً , جاءت ((خه جى)) بزوجها الجديد الى بيتي واصبح هو صاحب البيت اصبح والد اولادي . لم استطع ان افعل شيئاً زادت همومي , لم يعد لي اصدقاء سوى كأس الخمر, اصبحت مدمناً على المخدرات كنت انام في الطرقات وفي الحدائق العامة, اصبحت مثل الحيوان. كنت احصل على الطعام من بقايا النفايات الى ان جاء احد الاصدقاء من بلادي وانقذني من الضياع .. ياليتني بقيت ضائعاً الى الموت , ضاعت ((خه جى)) ففقدت الامل , رأيت ولدي في دار الاحداث ورأيت الاخر ملقياً في طرقات برلين .. رأيت بنتي زيان....؟؟ الفصل ((٢٣)) في الزنزانه بعد ان قتل شيرو زوجته ((خه جى)) رفع ((شيرو)) يده امام وجهه وهو ينظر الى نور ضوء الكهرباء بدأ ضوء النور يعكس لمعان شفرة الحلاقة بين اصابعه امسك بالشفرة وضغط عليها باصبعه واغمض عينيه وردد أشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمداً رسول الله ثم ضغط بقوة على الشفرة وبدأ الدم يتدفق من عنقه وبقوة ليرسم لوحة مأساوية على جدران غرفة المعتقل...

تزوجت((خه جى)).

ضاعت ئه فين مع اختها.. ولات مدمن على المخدرات، كاوه في دار الاحداث، لقد قتلت ((خه جى)) .. ماتت ((خه جى))

لقد دفنوا جثمان خه جى مع الالمان

اضطرت بلدية برلين ان تدفن جثمان شيرو بجانب قبر ((خه جى)) في مقبرة الغرباء.

الشاعرة الكردية دلشا يوسف: ويقظة المكان في الزمن الأليم



بقلم: هشام القيسي

عاشقة ومعشوقة عبر إيقاعات قدحها الزمكان ، بارعة ماهرة في (قفلات) حد الدهشة . مسكونة بتواصل امتدادات الهوية / العشق – الوجود / العشق . في قصائدها جماليات تتلألأ عبر عوالم الإيحاء الشعري. دمها نهار قلبها الوضاء في ليالي الزمن الملعون ومورفولوجيته . وتسللها الدائم الى صفحات الحب ، غير صامت ،يفتح الفضاء الطلق بقصائد ترتفع مدياتها عالياً . هكذا هي الشاعرة دلشا يوسف ، وطن الشاعر لقمان محمود وقيثارة المكان الأليم .

تقاسم الهموم والآلام والأحلام بعض مايتمناه العاشق الجليل في مرايا الأشجار والأسفار .

ابتداء إذا كانت المدلولات المتناسلة في الذات المعبرة عن جانب من اسقاطات المكان ومساراته تشير الى مديات التعلق ، فهذه الحاضنة في ذات الوقت تأسر الجانب اللغوي والجمالي بقصد إسعاف المتلقي بمستويات تتحرك في اطارها الذاكرة والنفس والحواس . وهكذا يكون التحول من المستوى المادي الى المستوى الحسي الشفاف الذي يسمو ويعلو ويسحر :

((أيها الحلم العميق
حينما يخيب كل رجاء
أشفق حتى على العتمة
بهذا النور القاحل
على الأرض ....))

وعلى هذا يصبح المكان قاعدة في التأسيس الرؤيوي والتخيلي عبر جدلية محورية قطبيها الإنسان / المكان وعبر توصيفة موجزة يمكن اجمالها بعزف الذات على أوتار الموضوعات المكانية . وتأسيساً على هذا تكون العلاقة التأثرية والتأثيرية مساحة تقدح انساق المكونات الداخلية بمختلف النوافذ النفسية والروحية والحيوية :

((أيها الوطن الأول
والأخير
مازلت أكتب
بصبر الحرية
أجراس اللقاء))

ان ما مكن الشاعرة دلشا يوسف من امتلاك التنوع الصوري الدلالي في قصائدها العاشقة هو جدل المسار الداخلي الذي إنشغل في جحيم المرجع

المكاني مما جعل إطلالاتها مبثوثة في ثنايا تحولية متفاعلة ورؤيـة تسمو ضمن مساحات صارخة بنفس الشاعرة :

((معك يا حبيبي
أكتشف حياتي
وأكتشف معنى العمر الضائع
لكن
كل شيء مرَ حزيناً
كأثر الحروب على الأرض))

وإيحائية صورها قد بلغت من الأهمية بحيث أصبحت العلاقات تستحضر كامل الأبعاد ، في ذات الوقت الذي تجسد الفاعلية المشهدية من خلال الكشف والإفصاح عن صميمية الفضاء النفسي بتمايزه ومـفـارقـاتـه ومطابقاته عـبر تجربة شعورية تشخيصية للمحسوسات :

((كالمطر
سأهدم حيطانك الطينية
على قدك وقامتك
لأشيد محلها
لهذا القلب
قصوراً من العشق))

وهكذا فـإن مساحات التفاعل والتوتر تقودنا الى فهم حي لشعرية الشاعرة، وإلى سياقات تشع علاقاتها بكينوناتها وحركاتها من خلال فاعلية تلمس غنائيتها :

((ملك جمال العشاق
اعتلى عرشي وإيواني
وحين غمست اصبعي
في عسل حبه ،
تحولت خلاياي
إلى قفير
وبدأت أقطر
رضاب عسل...))

أيضاً ان التداخل الصوري يمنح أبعادا موسيقية مهيمنة بـدءا مـن الهمس وصـولاً الى الإنفعال والإيغال الموفق الذي يستثير القارئ ويحيله الى مشاهد تخييلية وحسية تتواجه عندها مراجع المشاهد الحياتية :

((دعوتك الى النزال
وواجهتك ،
حين إلتقى سيفانا
علا صليلهما
وبرقا ،
حينها
كانت أجراس اللقاء أيضاً
تقرع
وتبشر بلقاء أبدي ..))

و

((لاتستكين أمواجي
في مدي وفي جزري
لا معنى للسعادة عندي
ما لم ترسى سفينتي
المنهكة
في مرسى عينيك ...))

وهكذا نجدها تفيض بتلوينات تهطل منها إمكانيات توليدية تتسق بشكل عفوي وصادق .

وفي صيغ التواصل ، هي – هو ، تجاذبات تتراكم فيها منارات الإندماج ، الإيحاء ، الإختيار ، الأوتار لذلك فان أحاسيسها ووجدها من خلال الحرائق والحقائق يجعلها مسكونة بالعشق ، عميقة في مساراته :



دلشا يوسف

((أركن قرب جمرك
وأستحل فنجاناً
كي أفور إليك ..))

و

((حارسه منه .. وفيه
لكنه
لايصبح مفرشا
لأي ضيف ! .))

كذلك

((زوبعة الروح الحبلى بالأحاجي والماجريات
مكابرة الآلهة في توحدها
النورس الذي سلب صعفر أسماك بحيرتي
وأقام عشه
على هامة قلبي .

ووفق ما تقدم وضمن لوحات شعرية تنعم بالموسيقى والعذوبة ، وتستجيب للمواقف والمواقع ، استطاعت الشاعرة عبر انزياحات المكان واسقاطاته أن تؤسس لأمكنة متوهجة وتجربة حارة لا تستبعد المجاهل ولا تبتغي سوى الحرية في كل مكان .

دلشا يوسف، إذاً، مساحة شعرية مكتملة تتفجر بديمومة إطلالاتها على العالم والوجود والانسان عبر تطواف تلقائي هادر و ساحر .

الهوامش:

أجراس اللقاء، دار آميردا،لبنان ٢٠٠١

شمال القلب، إتحاد الأدباء الكرد – فرع دهوك، ٢٠٠٦

تشظيات الواقع الكردي في روايات سليم بركات

د. عادل كرمياني

لابد ، في البدء ، أن نشكر فرع السليمانية لأقامتها هذه الأحتفائية الرائعة لمجموعة من الكتاب ولادباء الكرد ، الذين رغما عنهم أضطروا أن يكتبوا بغير لغتهم الأم الكردية . وكذلك لابد من التنويه ، بأني أُهدي هذه الدراسة عن سليم بركات الى الشاعر والمترجم جوهر كرمانج ، الذي بذل ويبذل كل ما بوسعه لكي يعيد روح اللغة الكردية لروايات سليم بركات المكتوبة باللغة العربية ، مع تمنياتنا أن يترجم قصائد سليم بركات الى اللغة الكردية ، خاصة وأن هذا المترجم هو من الشعراء الكرد المعروفين .

شهد الواقع الكردى في بقاع كردستان حتى بدايات القرن السادس عشر هدوءا ملموسا ، ولكن بعد معركة جالديران في عام ١٥١٤ انقسم الواقع الكردي على الجانبين الامبراطورية الفارسية الصفوية والامبراطورية العثمانية ، التي خرجت من المعركة فائزة بعد نجاح الامير البدليسي في ضم انحياز الامراء الكرد آنذاك الى جانب الجيش العثماني ودعمه .

وازداد الواقع الكردي بؤسا بعد توقيع معاهدة لوزان في عام ١٩٢٣ ، والتي نصت على تقسيم ارض كردستان على الدول الاربعة العراق وتركيا وايران وسوريا ، وهكذا وجد المواطن الكردي نفسه محاط بالحدود الرسمية لتلك الدول وفقد ما كان يتمتع به من حرية السفر والتجوال من دون جواز سفر بين بقاع وطنه كردستان .

وشهدت الثقافة والتعليم الكردية بعد تلك المعاهدة تدهورا ملموسا ، فقد فرض على المواطن الكردي في كل دولة من تلك الدول الاربعة التعلم والدراسة فقط بلغة ذلك البلد ، بل وصلت الامور الى حد سحب ومحو الشخصية القومية لهم ، خاصة في تركيا وسوريا ، حيث اعتبر كمال اتاتورك مؤسس الدولة التركية الجديدة المواطنين الكرد في تركيا بانهم اتراك جبليون وليسو اكرادا ، واعتبرت سوريا الاكراد لديها مواطنون سوريون من دون منحهم شهادات المواطنة السورية لحد الان وتركتهم اشبه بحال البدون في الكويت . ولم يكن حال المواطن الكردي في ايران بالافضل ، فقد حاول بعض الكتاب من امثال رشيد ياسمي اعتبار اللغة الكردية من لهجات اللغة الفارسية ، وحاولت الدولة الايرانية تشييع الكرد وتغيير انتمائهم المذهبي الديني الى الطائفة الشيعية بكل شكل ، وحرمت عليهم

الدراسة والتعلم بلغتهم الام الكردية ، ولازال هذا الواقع المؤسف مفروضا لحد الان .

ومن باب قول الصدق والحقيقة فأن حال الكرد في العراق ، بعد معاهدة لوزان في عام ١٩٢٣ ، أفضل من بيقية ابناء قوميتهم في سوريا وتركيا وايران . فقد ضمن اول دستور عراقي ، بعد تشكيل الدولة العراقية عام ١٩٢١ ، بعض الحقوق القومية الثقافية البسيطة للكرد ، مثل التكلم والدراسة والتعلم بلغتهم الام الكردية ، واصدار كتبهم وصحفهم ومجلاتهم بلغتهم الكردية ، وكان الحاكم البريطاني في السليمانية الميجر سون اول المبادرين الى اصدار اول جريدة كردية باللغة الكردية تحت اشرافه المباشر بأسم (بيشكه وتن – التقدم) في عام ١٩١٩، بعد ان جلب مطبعة لبلدية السليمانية . وهكذا ظهرت ظاهرة كتابة الادب الكردي بالحروف العربية (في العراق وايران) واللاتينية (في تركيا) والسلافية (في ارمينيا السوفياتيية انذاك) من قبل الكرد الارمن الهاربين من ظلم السلطات العثمانية في اعوام نهاية القرن التاسع عشر ، بالاضافة الى سيطرة اللهجات الكردية على ثقافة المتنورين الكرد وعدم اهتماهم بشكل كبير باستخدام اللغة الكردية الموحدة . من هكذا واقع كردي مرير وجد سليم بركات السوري والكردي الاصل نفسه مجبرا على الدرسة والتعلم والكتابة باللغة العربية فقط، من دون اكتساب القدرة على التعلم الكتابة بلغته الكردية .

شهد التلاقح الثقافي بين الكرد والعرب ، قديما وحديثا ، دورا ملموسا للعديد من المثقفين والادباء والكتاب الكرد في مجال اغناء الثقافة والادب العربي بالعديد من النتاجات الفكرية والادبية . وهناك العديد من الأمثلة ، حيث يشير المرحوم مصطفى نريمان في كتابه (ما أسداه الكُرد الى المكتبة العربية) الى كاتب كردي قدموا نتاجاتهم الفكرية والأدبية باللغة العربية كأدلة على التفاعل الثقافي بين الكرد والعرب منذ قديم الزمان . وهناك ادباء كرد من شعراء وقصاصين وروائيين اغنوا المكتبة العربية خلال القرن الماضي بنتاجاتهم المكتوبة باللغة العربية ، من امثال العائلة التيمورية في مصر وعباس محمود العقاد واحمد شوقي والزهاوي وعبدالمجيد لطفي وبلند الحيدري ويوسف الحيدري ومحي الدين زنكنة وسليم بركات وحليم يوسف وآخرون لايسع المقام لذكرهم جميعا .

عرف عن المبدع سليم بركات ، المولود عام ١٩٥١ في قرية (موسيسانا) التابعة لمدينة قامشلي في غرب كردستان ، والواقعة في شمال شرق سوريا ، والتي " كانت كافية ليتعرف على مفرداته الثقافية بالإضافة إلى الثقافات المجاورة كالآشورية والأرمنية. انتقل في عام ١٩٧٠ إلى العاصمة دمشق ليدرس الأدب العربي ولكنه لم يستمر أكثر من سنة ، ولينتقل من هناك إلى بيروت ليبقى فيها حتى عام ١٩٨٢ ، ومن بعدها انتقل إلى قبرص وفي عام ١٩٩٩ انتقل إلى السويد . وكذلك عرف عن سليم بركات ، والذي يعيش حاليا كلاجىء في السويد منذ عام ١٩٩٩ بعد ان ضاق مرارة شظف العيش وقساوة الغربة في لبنان وتونس وقبرص وروما ، بأنه مبدع متميز باسلوبه في كتابة الشعر والرواية ، حيث قال عنه الشاعر العراقي المغترب سعدي يوسف " انك أعظم كردي بعد صلاح الدين " ، وقال عنه الشاعر السوري المشهور ادونيس " الكردي الذي ملك مفاتيح اللغة العربية " ، وقد اهداه الشاعر الفلسطيني المبدع محمود درويش

قصيدة بعنوان (ليس للكردي سوى الريح) . اصدر سليم بركات خلال سنوات ابداعه سبعة عشر رواية هي : (فقهاء الظلام /١٩٨٥ – الريش/١٩٩٠ – ارواح هندسية/١٩٨٧ – معسكرات الابد – ثلاثية الفلكيون في ثلثاء الموت (١- عبور البشروش ٢- الكون ٣- كبد ميلاؤس)- انقاض الأزل الثاني – الأختام والسديم – دلشاد (فراسخ الخلود المهجورة)- كهوف هايدراهوداهوس – ثادريميس – موتى مبتدئون – السلالم الرملية – لوعة الأليف اللاموصوف في صوت سارماك – هياج الاوز– السماء شاغرة فوق اورشليم)، وقد اصدر ايضا خمسة عشر مجموعة شعرية هي :(كل داخل سيهتف لأجلي ، وكل خارج ايضا /١٩٧٣ – هكذا ابعثر موسيسانا /١٩٧٥– للغبار ، لشمدين ، لأدوار الفريسة وأدوار الممالك /١٩٧٧– الجمهرات /١٩٧٨ – الكراكي /١٩٨١ – بالشباك ذاتها ، بالثعالب التي تقود الريح /١٩٨٧ – البازيار /١٩٩١– الأعمال الشعرية /١٩٩٢ – طيش الياقوت – المجابهات ، المواثيق الأجران ، التصاريف ، وغيرها – المثاقيل – المعجم – شعب الثالثة فجرا من الخميس الثالث – ترجمة البازلت – السيل) ، بالأضافة الى سيرتين هما :(الجندب الحديدي /١٩٨٠ – سيرة الطفولة) ، و(هاته عاليا، هات النفير على آخره – سيرة الصبا /١٩٨٢) ، بالأضافة الى كتاب (الأقراباذين – مقالات في علوم النظر)، وكتاب (التعجيل في قروض النثر - مقالات) ، وكتاب (كنيسة المحارب – يوميات /١٩٧٧). علما " أن بركات نشر أول قصيدة له بعنوان (نقابة الأنساب) في مجلة (الطليعة) الأسبوعية السورية ، وكان ذلك في عام ١٩٧١ ... واذا ما عددنا هذه القصائد أولى قصائده ، فأن (فقهاء الضلام) تعد أولى رواياته ، وقد نشرها في عام ١٩٨٥ . عرف عن سليم بركات – رغم كرديته - أنه يكتب بلغة عربية فصيحة وبليغة قلما نجد نظير لها عند كتاب الرواية والشعر العرب ، حتى أن ترجمة رواياته للغات الآخرى اصبحت مهمة صعبة . ومهما يكن درجة استخدامه للغة العربية اضطرارا – لعدم تعلمه اللغة الكردية دراسة وكتابة بسبب ظروف معيشته ودراسته في سوريا - ، لكن هموم انتماءه القومي الكردي تبرز في عدة روايات من حيث ثيمة النص الروائي وزمكانه وتسمية شخصياته الروائية ، وهذا ما حدى بنا الى تناول الواقع الكردي في رواياته ، فمن حقنا كمثقفين كرد ان نفتخر بهكذا كاتب كردي مبدع ، ولايصح تجاهل نتاجاته في دراساتنا عن الادب الكردي المعاصر ، بل وننصح بعدم تناول نتاجاته بالمقارنة بل بالموازنة عند كتابة دراسة عن الادب الكردي المعاصر ، لأن هناك العديد من شروط الهوية القومية الكردي للنص الأدبي في نتاجاته ، من حيث كون اصل الكاتب هو كردي واجواء نصوصه على الأغلب كردية وتسميات شخوصه كردية ، ولذا لايعد لغة النص هو الفيصل الحاسم في الهوية القومية للنص الأدبي .

يقول سليم بركات عن سبب كتابة نتاجاته باللغة العربية :" كان ممكن أن أكتب بالكردي مثلاً لو أنا عندي يعني موهبة أكثر مثل أقراني الأكراد الثانيين ، تعلموا اللغة الكرديَّة في المنفى ، وتعلموها بإتقان ، بس يمكن كان إحساسي إنه ما دمت أقدر أعبر بأي لغة عن نفسي ، سواء بتهمني إذا كانت هي اللغة لغة الأصل أم لا ، أو اللغة الوافدة ،وكون اللغة العربية بالنسبة لنا ما كانت لغة وافدة ، لغة موجودة دينياً ، هي مش لغة فرنسية جاية على الجزائر، على

الإطلاق، هي لغة الدين ، هي لغة الفقه ، لغة الشريعة ، لم أجد..، يعني لم أكن غريباً عليها ، ثم وجدتها لغة غنيَّة جداً ، يمكن التعبير بها عن خصوصيتي ككردي أكثر حتى من اللغة الكرديَّة ، كل ما وجدت في لغة ما فضاء شاسع للتعبير عن نفسك كإنسان بالتأكيد بتعبري عن نفسك بطريقة أجمل وأقـوى ، وكانت اللغة العربيَّة من الشساعة ومن السعة ومن الثراء إلى درجة أستطيع أن أعبر بها عن كرديتي ، إلى الحد ، لن أقـول الحد الأقصى ، أبالغ لكن إلى الحد الضروري للتعبير عن نفسي ، حوَّلت اللغة العربيَّة معي إلى هويَّة كرديَّة . "ذهبت في اتجاه شريك منعني عن اللغة الكرديَّة فذهبت إليه متسامحاً بلغته التي هي اقتداري على تدبير حريتي في بلاغتها ، وتدبيري هويتي في نبلها الأعمق مستغلاً استغلال العاشق تواطؤها مع أعماقي على تدبير المعنى الذي يستحقه كردي في الإشارة إلى دجاجات أمه وتبغ أبيه.

استفدنا من المنهجين الوصفي والتحليلي في كتابة هذه الدراسة ، وتتكون دراستانا هذه من تمهيد ومبحثين ، خصصنا احدهما للحديث عن السيرة الذاتية للروائي سليم بركات ، وخصصنا المبحث الثاني للحديث بشكل مفصل عن الواقع المرير للمواطن الكردي في سوريا ، ومستوى وعيه الثقافي والسياسي . كذلك هناك خلاصة بالنتائج وقائمة بالمصادر التي استفدنا منها لكتابة هذه الدراسة الموسومة بـ (تشظيات الواقع الكردي في روايات سليم بركات) .

شهدت بقاع كردستان (بعد الحرب العالمية الاولى) نوعا من الاستعمار البريطني والفرنسي، كإقامة المعسكرات وتولي رجالهما ادارة شؤون تلك البقاع الكردية كمستشارين ، لكن الكرد لم يظلوا مكتوفي الأيـدي ، فقد كان للثورات والتمردات والأنتفاضات الكردية دورها في رفع الصوت الكردي المناهض لمثل ذلك الإحتلال ، مثل انتفاضات الشيخ محمود في كردستان العراق ، وانتفاضة سمكو في ايران وثورة الشيخ سعيد بيران في كردستان تركيا وانتفاضة اكراد سوريا . وبحكم الـروائـي من مواليد مدينة قامشلي في كردستان سوريا ، لذا فهو يتناول في روايته الموسومة بـ (معسكرات الأبد) نضال الشعب الكردي في سوريا ضد الاحتلال الفرنسي ، حيث يكون للشيخ سعيد الدقوري ، الذي اقام ثورته في اقليم (عامودا) ، دوره الريادي في تلك المقاومة الشريفة التي تدوم لستة سنين من دون أن يعلمنا الروائي بمصير ذلك الشيخ الجليل وما آلت اليه انتفاضته ضد الإحتلال الفرنسي في تلك المنطقة الكردية الواقعة على الحدود التركية السورية ، حيث يدور هذا الحوار بين الشيخ سعيد وموسى موزان (ابو البنات) : " فطأطأ موسى بدوره ، هامسا : ((هذا أمر جديد علينا يا سيد سعيد . منذ ست سنين ونحن لانعرف ما الـذي سنفعله)) ، ثم رفع وجهه الغارق في ظلام النقاب : ((ست سنين والأمر مايزال جديدا علينا)) ، واضاف سائلا : ((أهكذا حالك ، ايضا؟)). حدق ((سعيد)) في شيخ الرجل الطويل : ((لدينا متسع من الوقت)) . ((أي وقت تعني ياسيد سعيد ؟)) سأله ((موسى)) بنبرة قلقة ، فردّ ذو اللحية الزرقاء مبتسما : ((لماذا أنت قلق ؟ لديك متسع من المكان)) ، وأشار بيده من التخوم التي توقف يها – لصق الحدود التركية السورية المتداخلة – صوب الهضبة ((لديك المكان المشرف على المياه يا سيد موسى ، أنت في الكمين.

وكعادة المحتلين في اضطهاد واعتقال مناهظيهم وانصارهم ، فقد لجأ قائد معسكر الفرنسيين

الى اعتقال (حسين مصطفى آغا) واقتياده الى بلدة (دير الزور) ، لكونه كان " ممن يمدون ((سعيد آغا الدقوري)) بالكثير ، في ثورته ، دون اضطرار الى الحرب على الفرنسيين جهرا . ولم يكتف المحتلون الفرنسيون بذلك ، بل لجأو قبلها الى تنصيب رجل متنفذ عربى على تلك المنطقة الكردية ، بعد أن يقومو باشعال نار الفتنة والمعركة بين الكرد والعرب :" انطلقت حرب شعواء في الشمال الغربي بين عشائر ((بكارة) العربية وبين عشائر ((كيكان)) الكردية بتحريضفرنسي صرف ، لكن عشيرة (حرب) العربية وقفت الى جانب الاكراد في هذه الحرب التي سميت (حرب كيكان)، وقد دامت سنين بين كرُ وفرّ، ونهب وسلب ، وغزو ، وغدر ، وقطع طرق . فلما مالت الكفة لصالح الكرد تدخل الفرنسيون فأوقفوا المهزلة التي حبكوها . لا أحد يدري ، بعد ذلك ، من أوعز الى الفرنسيين اللجوء الى تنصيب ((آغا)) عربي على عشائر منطقة ((درباسية)) ، عندما استعصت عليهم استمالة أولئك الكرد المسرفين في النظر اليهم ككفار . فقد عينوا عربيا هو ((عيسى القطنة)) في منصب (آغا) ، على نحو لم يكن معهودا في تاريخ الكرد . فالآغا ، عادة ، هو سليل آغوات آخرين ، أبا عن جد ، وله دم كردي صرف .

هذا التصرف المشين للفرنسيين جاءت بعد فشلها في كسب ود الكرد عن طريق (جلادت بدر خان) :" الفرنسييون بعيدون جنوبا ، لكنهم حذرون من اتساع شهرة ((سعيد آغا)) الذي لم يحتكوا احتكاكا حقيقا به ، لأختبار قوتهم ، بل ابتعدو عن العشائر التي تمتعت بـ((جفاف)) مقلق في مشاعرها ازاء وجودهم ، بالرغم انهم حاولوا ، مرارا ، جرهم الى حلف عبر وعود باعطاء شبه الجزيرة الكردية ، شمال سوريا ، استقلالا يمكن الكرد ، هناك ، من اقامة كيان ما . والغرض المغري لقي بعض الاستجابة بين عشار قرى ((الدرباسية)) ، الواقعة شرقي اقليم ((عامودا)) ، بسبب دخول احدى العائلات الكردية – الدمشقية ، العريقة ، على الخط ، بين الفرنسيين وبين العشائر المتاخمة للحدود التركية . فقد اوفدت عائلة ((بدرخان باشا)) ابنها ((جلادت بك)) الى الشمال السوري مرتين ، جاهدا ان يقنع عشيرة ((آزيـزان)) بالمشروع الفرنسي ، مصطحبا معه ضابطا كرديا من دمشق اسمه ((كابتن قاسم)) ، فالتقى كلا من ((حاج درويش)) ، شريف قرية ((قره مانيه)) و((فرحان آغا)) شريف قرية ((الغنامية)) ، وهما ولدا عمومة متنافسان على زعامة عشيرة ((آزيـزان)) . بيد انهما ، لاسباب خارجة على تقدير الربح والخسارة ، والشهامة والشرف ، آثرا دعم ثورة ((سعيد آغا الدقوري)) ، حتى حين آلت زعامة عشيرة ((آزيزان)) الى ((فرحان آغا)) دون ابن عمه ((حاج درويش)).

يستخدم سليم بركات في ، هذه الرواية ، الراوي كلي العلم ، الذي هو بشكل ما يمثل شخصية الروائي عند امتلاكه لمعلومات وافية عن احداث وشخصيات روايته . وهذه الظاهرة موجودة في الاسلوب الروائي لسليم بركات في كافة رواياته . وبهذا الصدد يشير د.شاهو سعيد الى " تتمحور الأحداث والأفكار حول رؤية الراوي في معظم روايـات سليم بركات . ويتميز هـذا الـراوي بقدرته على التحليل والاستبطان والتغلغل في أمور باطنية وميتافيزيقية . وفي بعض المقامات تصل قدرة الاستبطان عند الـراوي الى درجة يقرأ معها ما يـدور خلف الأحـداث والنيّات

والأشياء ، ويستكنه ما يدور في خلد الآدميين والحيوانات والأشياء الجامدة ايضا.
قديما اشار ارسطو في كتابه (فن الشعر) الى مهمة المؤرخ ومهمة الشاعر ، حين اشار الى ان المؤرخ يدون ماجرى من احداث الماضي ، وان الشاعر يدون ما سيحدث في المستقبل . وحديثا نقول : ان مهمة المؤرخ هو الصدق في تدوين احداث الماضي ، ومهمة الروائي هو تشذيب احداث الماضي ومنحها نوعا من الخيال الفني عند تصوير احداث الماضي . فهل ياترى لعب سليم بركات دور المؤرخ والروائي في تدوين مثل تلك الاحداث من تاريخنا الحديث ، حين يتناول احداثا تخص قوميته الكردية في بدايات القرن الماضي ، علما بأن احداث روايته تدور في المناطق القريبة من مدينته (قامشلي) موطن ولادته؟! ، حيث قدم في بداية روايته وصفا جغرافيا لداخل هذه المدينة وتخومها من القرى والشوارع والطرق ، مثل قرى (الهلالية) و(حلكو) ونهر (جغجغ) .
وبذات الروح الواقعية والتاريخية ، يُقدم سليم بركات على تناول احداث ايام ما بعد اسقاط جمهورية كردستان ، التي يطلق البعض عليها (جمهورية مهاباد) ، والتي استمرت لأحد عشر شهرا فقط (خلال عامي ١٩٤٦-١٩٤٧)، بعد أن تخلى (جوزيف ستالين) والاتحاد السوفياتي السابق عن دعم ومناصرة القاضي محمد رئيس تلك الحكومة المخنوقة ، فيبقى مقاوما مع جماعته ، ولايهرب أو يترك ساغات الوغى حتى يلقى القبض عليه مع بعض رفاقه ويشنقون وتبقى اجسادهم الطاهرة معلقة على اعواد المشانق في ميدان (جوار جرا – المشاعل الاربعة) وسط مدينة مهاباد .
تبدأ أحداث هذه الرواية من داخل ساحة المشاعل الاربعة بعد ايام من اعدام القاضي محمد ورفاقه :" الحذر يقتضي الإحجام عن مقاربة كل غريب . هم يحملون في عظامهم عزيف الحذر مُذ فرَّ من ((مهاباد)) ذات العويل المرتطم كالفَرَاش بسراج الغدر ، جسد القاضي محمد يتدلى من عمود وسط حديقة من الحبال نبتت في اطرافها رؤوس متكسرة الأعناق . إعدامات بختم ذي نصفين أحدهما إيراني ، والآخر بلشفي. هذا الإتهام للأتحاد السوفياتي نجده يتكرر مرة أخرى في هذه الرواية حين ، يقول الراوي :" سلمت الكرملين عنق القاضي الدمث الى مطحنة العصف الفارسي. وكذلك في مكان آخر من هذه الرواية بصدد هذه القضية يقول : " بعد اعلان مهاباد دولة ذات مجلس ، وقوانين ، وحكومة من اربعة عشر وزيرا ، بدعم ستاليني ألجم البهلويين في طهران عن تقويضها . هذا المدح نجده في مكان آخر يتحول الى ذم حاد :" لم يكن من امل للقاضي محمد ، بعدما فتح الشاه البهلوي لستالين ممرا الى حدائق الذهب الاسود.
وينتقد الراوي طبيعة حكم كمال اتاورك وقساوته تجاه الكرد في تركيا ، حيث تعيش المدن الكردية تحت حراب ازلام النظام العسكري الدكتاتوري الاتاتوركي ، والذي يصف الراوي صوره المنقوشة ، على مكان بارز من كل مدينة كردية ، في اكثر من مكان في روايته ، بمايلي " الرسم المرصود بالحجر لرأس الذئب الأغبر. هناك حكاية ساذجة ملفقة عن اصل الكرد ، اختلقها المسعودى في كتابه (نزهة القلوب) ، حين يصف الكرد بأنهم شعب من بقايا تجامع جن النبي سلمان مع بعض خادماته الجميلات ، وهذه الحكاية يصورها سليم بركات بالشكل التالي حين يقول احد الفرس المعقبين للرجال الخمسة الكرد الفارين بعد خروجهم من احد الابواب التسعة لميدان (جار جرا – المشاعل

الاربعة):" الكرد من نسل الجن "، ثم يقول الراوي على لسان (شهبور) البارع في استخدام حواسه لتعقب الفارين " سرب شُهب عذراوات قادهن عتاق الجن من ضفاف الانهار ، في اقاليم اوروبا ، الى مملكة سليمان . ولما بلغهُم موتُ الملكِ مُحَلم الطير تزوج عِتاقُ الجنّاولاء العذراوات ، اللواتي اختطفوهن لمتعة السيد ، فأنجبن الكرد. وعلى نفس المنوال ينتقد سليم بركات الكرد الخونة حين يصبحون ادوات بيد اعداؤهم ، كما هو حال زاهدان نوري الذي يصبح ترجمان من الكردية الى الفارسية ضمن الرجال الاحدى والعشرون ، الذين يقودهم (زادة بزربادي) للتحري وقتل الرجال الكرد الخمسة الفارين من مهاباد ، وخاصة (شريف رندو) أمين الرسائل بين الرئيس القاضي محمد والعشائر الكردية ، وهنا يقول الراوي قولته البليغة :" لاينتصر غير الكرديَ على الكرديَ إلا بمؤازرة من كرديَ. ويشير ايضا الى كتاب الكردي الخائن (غُوك ألب) بالقول :" غُوك ألب الكرديَ أبن الكرديَ وضع كتابا عن ((مبادىء القومية التركية))في عشرينات هذا القرن ، مسكونا بتذويب الأعراق في مظهر الفكرة كي يرجع الخلق ، أجمعين ، الى مقام اللب ((في البطيخ الأحمر)) . ((الكل لتركيا)) ، سهر مصطفى كمال الأغبر على سطور ألب، صنف الحياة على مثاقيل ميزان سطور ألب.

بهذا الشكل والصور المختلفة صور لنا سليم بركات ، في هذه الرواية ، جوانب من تشظيات الواقع الكردي في بقاع كردستان ايران وتركيا . وتنتهي هذه الرواية بشكل تراجيدي مأساوي حين يتمكن فريق القتلة الايرانيون من اصطياد الفارين الكرد الخمس وقتلهم مع ثلاثة وعشرين شخصا من أهالي قرية (كايي خودان – ثور الله) في كردستان تركيا ، بعد ان يلجأ افارون الكرد اليها والبقاء فيها لبضعة ايام .

الخلاصة

سليم بركات من الروائيين الكرد الذين يكتبون باللغة العربية .

يطغي الهم القومي الكردي على بعض رواياته ، ولذا نجد فيها تشظيات من الواقع الكردي .

يجل الروائي سليم بركات من الجانب التاريخي اطارا لبناء حدث رواياته .

لغته الروائية واسلوبه الروائي رصين ، يكثر من السرد الروائي مع توظيف بعض الجوانب من المعتقدات الكردية .

ينتهل الروائي سليم بركات من الواقعية التاريخية والنقدية والسحرية في بناء فضاءه السردي الملفت لنظر قارىء رواياته .

المصادر

١- شاكر صابر محمد – الفضاء الروائي عند سليم بركات – قراءة في ثلاثية (الفلكيون في ثلاثاء الموت)، اطروحة دكتوراه مقدمة الى كلية الاداب / جامعة بغداد ، ٢٠٠٩

٢- سليم بركات – رواية معسكرات الأبد ، دار التنوير للطباعة والنشر ، لبنان ، ١٩٩٣

٣- د. شاهو سعيد – التبئر الفلسفي في الرواية – مقاربة ظاهراتيه في تجربة سليم بركات ، مطبعة دار سردم للطباعة والنشر ، السليمانية ، ٢٠٠٧

٤- سليم بركات– رواية أنقاض الأزل الثاني ، دار النهار للنشر ، بيروت، ١٩٩٩

أحمد أمين، المقالي الحكيم



أ.د.فائق مصطفى
جامعة السليمانية/ العراق

ولد أحمد أمين في القاهرة عام (١٨٨٦)، لأبوين ينحدران من أصل ريفي، كان أبوه المتخرّج في الأزهر يعمل مدّرسا في احدى مدارس الحيّ الذي كانت الأسرة تسكنه. إلتحق أحمد بالكتّاب وتعلّم القراءة والكتابة، وحفظ القرآن ودرس على والده التفسير والحديث، ثم التحق بإحدى المدارس العصرية التي تأسست في القاهرة. وفي سنّ الرابعة عشرة ألحقه أبوه بالأزهر حيث راح يحضر دروس الشيخ محمد عبده ويعجب بها كل الاعجاب. ولكنه يترك الأزهر بعد أربع سنوات يقضيها فيه. ويعمل مدّرسا في احدى مدارس الاسكندرية. ثم التحق بمدرسة القضاء الشرعي وتخرج فيها بعد أربع سنوات من الدراسة، وأصبح معيدا فمدرّسا فيها. وحين اندلعت ثورة ١٩١٩، أيّدها أحمد أمين وشارك فيها بوسائل مختلفة، وعلى أثر ذلك نقل من مدرسة القضاء الشرعي، ليعمل قاضيا في بعض المدن.

في عام ١٩٢٦ دعاه طه حسين للتدريس في كلية الآداب في الجامعة المصرية، فقبل الدعوة وتحمس للتدريس الجامعي، وأعجب بالأجواء العلمية بالجامعة. وفي هذا الوقت نشط للبحث العلمي فأصدر دراساته الاسلامية القيّمة وهي (فجر الاسلام)، و(ضحى الاسلام)، و(ظهر الاسلام)، و(يوم الاسلام) وهي كتب حظيت بأهمية واهتمام بالغَيْن. وأصبحت مصادر ثمينة عن الحياة العقلية في الاسلام.

ومن الأعمال المهمة التي قام بها أحمد أمين إشرافه على تحرير مجلة (الثقافة)، التي أصدرتها لجنة التأليف والترجمة في عام ١٩٣٩، وأصبحت مدرسة أدبية كبرى يلتقي فيها القراء كل أسبوع بكبار الأدباء أمثال طه حسين وتوفيق الحكيم والمازني والعقاد. ظل أحمد أمين يدرّس في كلية الآداب حتى أصبح

أستاذا ثم عميدا لها، وأُنتدب في الوقت نفسه للعمل بالإدارة الثقافية في وزارة المعارف، وكان من جهوده فيها إنشاء الجامعة الشعبية.

بعد إحالته على التقاعد، عيّن مديرا للإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية، حيث أنشأ معهد المخطوطات العربية. وفي عام ١٩٤٨ مُنح درجة الدكتوراه الفخرية وجائزة الفؤاد الأول، وظل في نشاطه الفكري حتى رحيله عام ١٩٥٤.

أما ما يخص أصوله الكردية، فهو يقول عنها في سيرته (حياتي): "نظر مـرة الى رأسي أستاذ جامعي في علم الجغرافية، وحدّق فيه ثم قال هل أنت مصري صميم؟ قلت: فيما أعتقد. ولمَ هذا السؤال؟ قال: أن رأسك ـ كما يدل عليهَ علم السلالات ـ رأس كردي. ولستُ أعلم من أين أتَتْني هذه الكردية، فأسرة أبي من بلدة (سُمُخراط) من أعمال البحيرة، أسرة فلاحة مصرية. ومع هذا فمديرية البحيرة على الخصوص مأوى المهاجرين من الأقطار الأخـرى. فقد يكون جدي الاعلى كما يقول الاستاذ كرديا أو سوريا أو حجازيا. ولكن على العموم كان المهاجرون من آباء ديموقراطيين من أفراد الشعب لا يؤبه بهم ولا بتأريخهم. ولكن لعّل مما يؤيد كلام الأستاذ أني أشعر بأني غريب في أخلاقي وفي وسطي".(١)

عُــرف أحمــد أمــين في حيــاتــه الشخصية بالاستقامة في الخلق والتواضع والصبر في العمل وحبّ العدل والموضوعية، وجميعها خصال امتاز فيها أحمـد أمـين على أقـرانـه. يقول عنه ابنه الدبلوماسي حسين أحمد أمين "هو شديد التواضع دون أدنى تكلّف، تحيته للوزير كتحيّته للساعي والخادم، وبابه مفتوح لهذا كما هو مفتوح لذلك، وقد كان يزوره في المستشفى وقت اجراء العملية الشبكية له، وزراء وأعيان، وسعاة وفلاحون، فيأذن لهم جيمعا بالجلوس حول سريره، حتى تكاد ساق رئيس الوزارة تلامس ساق فـرّاش مكتبه. وكـان سخيّا الى ابعد الحـدود، ساذجاً أشدّ السذاجة في أمور المال، ولا أظنه كان ليترك ملّيما لأسرته لولا حرص والدتي وحسن تدبيرها. فهو يمد يد العون دوما لأقربائه الفقراء، خاصة ابنة اخته التي جرت ساقاها تحت عجلات الترام (......). وقد كان مع هدوئه وتواضعه وطول صمته وقلّة كلامه قوي الشخصية مؤثرا فيمن حوله. وهي قوة نابعة اساسا من قوة خلقه ونبل مبادئه ومسلكه وعدله وموضوعته"(٢).

وعلى نحو عام، يمكن أن تلخص كلمة واحدة حياة أحمد أمين وأعماله الفكرية على السواء، وهـي الصدق اذ لم يُعرف عنه قط الكذب والنفاق والرياء والمبالغة في تزويق الكلام.(٣).

يرى باحث معاصر أن أهمية أحمد أمين في الفكر والأدب تتمثل في ثلاثة جوانب متميّزة هي:

أولا: البحث العلمي الذي تحققت نتائجه في الأبحاث التأريخية.

ثانيا: الفكر الذي تناول عديدا من القضايا على مختلف المستويات المحلية والقومية والانسانية، والذي كانت له أحيانا انعكاسات اصلاحية في مجالات مختلفة.

ثالثا: الكتابة الأدبية التي يُحسب على أساسها ضمن ابناء جيله من الأدبـاء، وتشمل المقالة الذاتية والسيرة الذاتية وأدب الوصايا.(٤)

لكننا في بحثنا هذا، سنقف عند مقالاته الذاتية، وما تحمله من حكمة تتعلق بجوانب الحياة والمجتمع كافة اذ كان اصلاحيا بكل ما تعنيه

هذه الكلمة، شغوفا بنزعة البناء والتشييد، وقد جعل لنزعته هذه طابعا من التجديد لا مغالاة فيه ولا انسلاخ، فهو اذا شيّد التمس لأساس بنيانه عتادا من كنوز الشرق وأمجاده، ولكنه يقيم على هذا الأساس طرازا تتوافر له كل مزايا التحضر العصري والعمران الحديث. انه ظل طوال حياته يوجّه أبناء الأمة نحو الخير والعلم فكان من كبار مفكريي الشرق وحكماء الاسلام.(٥)

تعتمد شهرة أحمد أمين الأدبية أساسا على كتابة المقالة الذاتية التي ظل يمارسها مدّة زمنية تمتد من عام ١٩١٨ وتنتهي قبيل وفاته في ١٩٥٤. نشر مقالاته في مجلات "السفور" و"المصور" و"الهلال"، لكنّ أكثر المقالات نشر في مجلة "الرسالة" الصادرة في عام ١٩٣٣، ومجلة "الثقافة" التي رأس تحريرها في عام ١٩٣٩، وجمع معظم هذه المقالات في ما بعد في كتاب سماه "فيض الخاطر" في عشرة أجزاء.

صدرت مقالات أحمد أمين عن مفهوم خاص للأدب التزم به طوال حياته، فقد كان يرى الأدب فكرا ومعنى قبل أن يكون شيئا آخر. يقول في سيرته الذاتية "حتى في الأدب أكثر ما يعجبني منه ما غزر معناه ودقّ مرماه، فيعجبني الجاحظ وأبو حيان التوحيدي وابن خلدون أكثر مما يعجبني الحريري والقاضي الفاضل والصاحب بن عبّاد وطريقته، والعماد الأصفهاني ومدرسته. ويعجبني المتنبي لولا اغرابه أحيانا وتكلّفه، والمعرّي لولا تعاليه، وافضّلهما على أبي تمّام وتقعّره...".(٦) من هنا صار في مقالاته يقصد ـ كما يقول في سيرته ـ "الى تجويد المعنى أكثر مما أقصد الى تجويد اللفظ، والى توليد المعاني أكثر من تزويق الالفاظ. حتى كثيرا ما تختلّ (ضمائري) فأعيد الضمير على مؤنث مذكرا وعلى مذكر مؤنثا، لأني غارق في المعنى غير ملتفت الى الألفاظ، ولا أتدارك ذلك الا عند التصحيح. وقد يفوتني ذلك ايضا. ولتقديري للمعنى أميل الى تبسيطه حتى لأسرف أحيانا في ايضاحه لشغفي لوصوله الى القارىء بيّنا، ولو ضحّيت في ذلك بشيء من البلاغة".(٧)

من أجل ذلك غلب العقل على العاطفة في مقالات كاتبنا، فهو يتلقى الحياة بعقله وتفكيره ولايلتهمها بقلبه وشعوره، ويمتاز ايضا بالوضوح في التعبير والدقة في الوصف والايجاز في العرض، على طريقة الكتّاب الذين يستمدون صورهم من واقع الحياة البسيطة التي يحيونها، وهو في حرصه على تصوير الواقع لايتورع عن استعمال ألفاظ عامية أو عبارات اقليمية.

إن ايمان أحمد أمين بالأدب الهادف، جعله يصب عنايته أساسا على جانب المضمون في المقالة، ويهتم كل الاهتمام في الوقت نفسه باللغة السهلة لاتعقيد فيها ولاتكلّف. من هنا صار همّه ـ كما يقول أحمد حسن الزيات ـ "أن يقرر ويقنع، لا أن يؤثر ويمتع، وفي هذا يبدو عقله أخصب من خياله، وعلمه أكبر من فنّه، وقد حبّب اليه حبّ الحرية والصرامة ارسال النفس على سجيّتها من غير تقييدها باسلوب معيّن، وعرض الفكرة على حقيقتها من غير تمويهها بوشي خاص. لهذا لاتروع القارىء منه الصور البيانية الأخاذة أو الأصوات الموسيقية الخلابة، وانما تروعه منه المعاني المبتكرة الطريفة والآراء الصريحة الجريئة، والشخصية القوية المهيمنة، فنحن منه بإزاء عالم يبحث

لينتج، أو مصلح يصف ليعالج، لا بإزاء مصور يلوّن ليعجب أو موسيقار يلحّن ليطرب".(٨)
لقد عشق أحمد أمين هذا اللون من الأدب، وصار يستمتع بكتابته لاتفاقه مع نظرته الاصلاحية، فهو يقول "وأكثر ما اتجهت في هذه المقالات الى نوع من الأدب تغلب عليه الصبغة الاجتماعية والنزعة الاصلاحية. فهذا أقرب أنواع الأدب الى نفسي واصدقها في التعبير عنّي. خير الأدب ما كان صادقا يعبّر عمّا في النفس من غير تقليد، ويترجم عمّا جرّبه الكاتب في الحياة من غير تلفيق. ولقد اطمأننت الى هذا النوع من الكتابة، اذ كان يفتح عيني للملاحظة والتجربة، ويسرّي عن نفسي بالافراج عمّا اختزنته من حرارة، فكنت أشعر بعد كتابة المقالة كما يشعر المحزون دمعت عينه أو المسرور ضحكت سنّه. وكنت أحسّ كأن نحلة تطنّ في أذني لاتنقطع حتى أكتب ما يجيش في صدري، فاذا استولى موضوع المقالة على ذهني فهو تفكيري اذا اكلت أو شربت، وحلمي اذا نمت، وعمل لاوعيي الباطن اذا شغلت. ولهذا انقلبت هذه الظاهرة الى عادة، ومن عادة الى "كيف" متسلطن كما يشعر مدمن الدخان أو مدمن الخمر".(٩)
إنّ أغلب مقالات أحمد أمين تحمل أفكارا عميقة تقرب من الحكمة التي تتمثل في معرفة أفضل الأشياء بأفضل الطرائق والعلوم، واصابة الحق بالعلم والعقل. وهذه الحكمة في مقالات أحمد أمين ترتبط بأغلب جوانب الحياة وآفاقها الشاسعة، لكننا نتناول هنا ست ثيمات من الثيمات التي تدور عليها حكمة كاتبنا.

أولا: الذوق والاحساس بالجمال:

عُني أحمد أمين عناية كبيرة بتنمية الذوق والاحساس الجمالي، فهو في مقالات كثيرة يؤكد هذه المسألة الحياتية ويراها ضرورية جدا لاكتمال شخصية الانسان، فالانسان عنده جسم وعقل وعاطفة، ولكل منها غذاؤه الخاص، فغذاء العاطفة الاحساس الجمالي، واذا افتقرت اليه العاطفة صارت شخصية الانسان سقيمة ومعقدة. وقد تعلّم كاتبنا هذه الحكمة من السيدة الانكليزية "مس ثور" التي كانت تعلّمه الانكليزية. قال عنها في سيرته "لاحظتْ فيَّ عيبَين كبيرين فعملت على اصلاحهما، ووضعت لي مبدأين تكررهما عليّ في كلّ مناسبة. رأتني شابا في السابعة والعشرين اتحرك حركة الشيوخ، وأمشي في جلال ووقار، واتزمت في حياتي، فلا موسيقى ولا تمثيل ولا شيئا حتى من اللهو البريء وأصرف حياتي بين دروس احضرها ودروس ألقيها، ورأتني مكتئب النفس منقبض الصدر ينطوي قلبي على حزن عميق، ورأتني لا أبتهج بالحياة ولا ينفخ صدري للسرور، فوضعتْ لي مبدأ هو "تذكر أنك شاب" (.......) والثاني انها رأت لي عينا مغمضة لاتلتفت الى جمال زهرة ولا جمال صورة ولا جمال طبيعة ولا جمال انسجام وترتيب، فوضعت لي المبدأ الآخر: "يجب ان يكون (هذه أصح أم تكون) لك عين فنية"، فكنت اذا دخلت عليها في حجرتها وبدأت آخذ الدرس وأتكلم في موضوعه صاحت فيّ (ألم ترَ في الحجرة أزهارا جميلة تلفت نظرك وتثير اعجابك فتتحدث عنها؟)"(١٠). والذوق الذي يعني التعامل الراقي مع الناس والحياة، يحتل مساحة واسعة في مقالات ورسائل كاتبنا حيث يتألم حين يرى المدارس والجامعات تعنى بالجسم والعقل لكنها لاتقيم وزنا ولا تضع

منهجا للذوق وتربيته وهو الأحق بالعناية "فما الحياة بلا ذوق، وما الدنيا بلا جمال، وجزى الله خيرا من وجّهني الى الجمال فهويته، ورتبت في شبابي بائع الزهور بجانب بائع الخبز واللبن، فأعجب بالورد وجماله (.....) إن الذوق عمل في ترقية الافراد والجماعات أكثر مما عمل العقل. فالفرق بين انسان وضيع وانسان رفيع ليس فرقا في العقل وحده، بل أكثر من ذلك فرق في الذوق، ولئن كان العقل أسس المدن ووضع تصميمها، فالذوق جمّلها وزيّنَها. إن شئت ان تعرف قيمة الذوق في الفرد، فجرّده من الطرب بالموسيقى والغناء، وجرّده من الاستمتاع بمناظر الطبيعة وجمال الأزهار، وجرّده من أن يهتز للشعر الجميل والأدب الرفيع والصورة الرائعة، وجرّده من الحبّ في جميع أشكاله ومناصبه، ثم انظر بعد ذلك ماذا عسى أن يكون...".(١١)

ثانيا: الوعي الاجتماعي:

يعرّف أحمد أمين الوعي الاجتماعي بأنه "الأدب الذي يجب ان يتأدب به الفرد من حيث هو عضو في مجتمع، وعضو في ....أمة....، فكل انسان له شخصيتان: شخصية فردية، وعليه ازاءها واجبات فردية، وشخصية اجتماعية، وعليه ازاءها واجبات اجتماعية".(١٢). ثم يوضح ذلك قائلا "والانسان تتوزعه عاطفتان: عاطفة حب ذاته، وعاطفة حب أمته، والشخص البدائي هو الذي ينظر الى كل الأمور مراعيا شخصه فقط، والشخص الراقي هو الذي ينظر الى ذاته والى أمته، ويعطي هذه حقوقها وهذه حقوقها، بل هو اذا ارتقى جدا رأى خيره في خير أمته، وخير أمته في خيره، وتوحد الأمران. هذا الشعور بالواجبات الاجتماعية لايخلق مع الانسان يوم ان يولد، ولكن المجتمع الذي يعيش فيه هو الذي يكوّنه ويربي عنده شعوره بالأمة بجانب شعوره بذاته، وذلك بواسطة التربية في الأسرة وفي المدرسة...".(١٣). لكن أحمد أمين رأى ان هذه الروح الاجتماعية غير متوافرة عندنا، وهذا من أهم الفروق بين أمم الشرق وأمم الغرب، فمن أهمّ عيوبنا ضعف الشعور الاجتماعي، ضعف الشعور بـ"نحن"، وقوة الشعور بـ"أنا". ومن مظاهر ضعف الشعور الاجتماعي عندنا الاخفاق في الاعمال والانشطة الاجتماعية كاللجان والنوادي والجمعيات، والسبب ان هذه مجتمعات لايمكن أن تنجح الا اذا توارى الى حد كبير الشعور بـ"أنا"، وظهر الى حد كبير الشعور بـ"نحن". ومن مظاهر ذلك أيضا فوضى المجتمعات عندنا سواء كان الاجتماع لمحاضرة علمية أو أدبية أو حفلة موسيقية...الخ حيث يفهم كل فرد ان المحاضرة أو الحفلة له وحده. كذلك تظهر هذه الفوضى في الشوارع، فكل سائر يعتقد ان الشارع ملكه وحده يرمي فيه بالأوراق التي يستغني عنها كما يشاء، ويسير في أي جانب كما شاء.(١٤).

ثالثا: المرأة:

دافع أحمد أمين دفاعا مستميتا عن المرأة ورأى ان من أهم معالم المجتمعات الحديثة ظهور أثر المرأة فيها، فهي زهرة المجالس وناشرة المرح فيها، والقيّمة على بناء اخلاق أولادها بناءً مؤسساً على العلم.(١٥). وهو يقارن بين الوضع الايجابي للمرأة الغربية والوضع السلبي للمرأة الشرقية قائلا "تمتاز المرأة الغربية عن المرأة الشرقية بسعة ثقافتها، بحكم انها في الغالب تتعلّم تعلّما أرقى وبحكم انها أكثر اطلاعا

للعالم، وبحكم مخالطتها للرجال ومحادثاتها الطويلة معهم، وبحكم رحلاتها وما تتمتع به من حرية. ويظهر ذلك كثيرا في تربية أولادها على أساس علمي لا خرافي، كما يظهر في حديثها وتصرفاتها. أما المرأة عندنا في الشرق فهي حديثة عهد بعلم، وقد كانوا في القرون الوسطى حتى الى عهد قريب، يحرمون تعليمها، ويعتقدون انها لم تخلق للعلم ولكن لتقعد في بيتها وتدبر شئونه....... وضعف تعليم المرأة الشرقية يجعلها تؤمن بكثير من الخرافات كالأحجية والجن والتعاويز، وتسير حياتها وفق هذه الاعتقادات".(١٦).

هنا شخّص أحمد أمين أهمّ مصادر الثقافة للمرأة وهي التعليم والقراءة والاختلاط والسفر والحرية، وهي مصادر كانت تفتقر اليها المرأة الشرقية. وفي الوقت نفسه اضفى أحمد أمين على المرأة أعظم صفة وأرقاها، وانصفها أيّما انصاف اذ جعل قلب المرأة مستودع ذخائر الامة، فقال في مقالته (مستودع الذخائر) "اين - تظن - مستودع الذخائر للأمة؟ قد تجيب على الفور: انه المطارات، ومخازن الأسلحة، ومستودع القنابل، وما الى ذلك من أماكن تكدّس فيها آلات القتال وأدوات الحرب....... وقد تتفلسف قليلا، فتقول: ان ذخيرة الأمة هي جيشها المسلح ...... فما قيمة الذخائر اذا لم تجد رجالا؟ وما ينفع السيف اذا لم تك قتّالا؟. ان السيف في يد الفرّ والحاذق كالقلم في يد الأمي والكاتب، بل ما ينفع الجندي المسلح، ان لم يكن له بين جنبيه قلب لايهاب ونفس لا تفزع؟. الاجابة الحقة هي ان مستودع الذخائر للأمة، قلب المرأة. قلب المرأة هو الجيش الأول الذي لا قيمة لقنابل ولا طيارات ولا غواصات، ولا دبابات بدونه، وان شئت فقل هو الطابور الخاص الذي لايوقع الرعب والفزع في قلوب الأعداء شيء مثله...... {فبوساطة} اللبن الذي ترضعه الام أولادها، توعز اليهم الجبن أو الشجاعة بسلوكها، فان هي ربتهم تربية الارانب فأفادتهم وأشبعتهم وحاطتهم (أم أحاطتهم؟) بكل ضروب العناية، ولم تسمح لهم ان يجربوا وان يخاطروا وان يجازفوا، ثم حدثتهم من الاحاديث ما يخلع قلوبهم، ويحبّب اليهم الحياة بأي ثمن، وعلمتهم ان لا قيمة للعقيدة بجانب حياتهم، ولا للوطن بجانب سلامتهم، وصاحت وَوَلْوَلَتْ يوم يجنّدون وفقدت رشدها يوم يسلحون، فهناك نرى صورة جند ولا جند، ونرى أشكال الرجال ولارجال..... وان هي ربتهم من صغرهم على المخاطرة والمجازفة وحدثتهم أحاديث الابطال وعظماء الرجال، وعودتهم مكافحة الحياة والتغلب على الصعاب، وعلمتهم ان المبادىء فوق الاشخاص والوطن فوق حياة الافراد.... فهناك الرجال، وهناك العزة، وهناك الشرف". (١٧). فاذا آمنا بهذه الحكمة البليغة عرفنا قدر المرأة، وقدر تربيتها لأولادها، وآنذاك نضمن المستقبل المشرق لنا.

رابعا: المعلم:

عرف أحمد أمين أهمية التعليم والمعلم ودورها الخطير في بناء المجتمع ورقيّه. لذلك خصّ المعلم بمقالة تعدّ أروع ما كُتب عن المعلم في النثر العربي، مثلما تعدّ قصيدة شوقي المعروفة "قم للمعلم وفّه التبجيلا" أجمل ما نظم عن المعلم في الشعر العربي. يقول في مقالة "هل يكون معلما؟"، "كل ذي صناعة منتج أو مبدع أو خالق، فالنجار

والحداد والمثّال ونحوهم يبدعون من المواد الخام صورا لم تكن، وقد يبلغون في الانتاج حدا يستخرج الاعجاب والعجب، ولكنهم مهما بلغوا لايصلوا الى ابداع المعلم وسموّ صناعته وسحر فنّه. ماذا يصنع المعلم؟. انه يجلو أفكار الناشئين والشباب، ويوقظ مشاعرهم، ويحبي عقولهم، ويرقّي ادراكهم. انه يسلحهم بالحق أمام الباطل، وبالفضيلة ليقتلوا الرذيلة، وبالعلم ليفتكوا بالجهل، انه يملأ النفوس الخامدة حياة والعقول النائمة يقظة، والمشاعر الضعيفة قوة. انه يشعل المصباح المنطفىء ويضيء الطريق المظلم وينبت الارض الموات، ويثمر الشجر العقيم. ان المعلمين عدّة الأمة في سرّائها وضرائها، وشدتها ورخائها، لا تنتصر في حرب الا بقوتهم، ولاتنهزم الا لضعفهم، ولا يزهر العلم فيها الا بهم، ولاترقى مصانعها ومتاجرها الا برقيهم. هم منشئو الجيل، وباعثو الحياة ودعاة الانتباه وقادة الزمن. هم عنوان الأمة، ومظهر ضعفها أو قوتها، في عقلها وقلبها وخلقها لانهم يصنعون القوالب التي تصب فيها أبناؤها وبناتها ويشكلونها بالأشكال التي يصورونها ويضعونها. المعلم يملك نفوسا وعقولا ومشاعر بعدد من يعلمهم، ومن يصل نفعه اليهم، وغيره يملك مالا وضياعا وعقارا........ المعلم يتاجر ولكنه يتاجر في الارواح والعقول والمشاعر، ويكسب ويخسر ولكنه يكسب نفوسا تتعلق به وقلوبا تجتمع حوله، أو يخسر عقولا أتلفها ونفوسا أفسدها". (١٨).

ما أعمق هذا القول، وما أسماه! وكم أمة حالفها التوفيق والرقي عندما طبقته مثل الأمة اليابانية وغيرها.

خامسا: الوظيفة الخلقية للجامعة:

يرى كثير من العلماء والباحثين ان للجامعة وظيفة واحدة هي الوظيفة العلمية المتمثلة في تزويد الطلبة بالمعلومات والمهارات المتعلقة بتخصصاتهم العلمية. لكن أحمد أمين يرى أن للجامعة وظيفة خطيرة تأتي قبل الوظيفة العلمية، ألا وهي الوظيفة الخلقية. فهو يقول "للجامعة - كما أتصور - وظيفتان: وظيفة علمية، ووظيفة خلقية، وكلتا الوظيفتين متصلة بالأخرى أتمّ اتصال، فالضعف العلمي يتبعه ضعف خلقي والعكس، كما ان القوة العلمية تتبعها قوة خلقية والعكس".(١٩). ويقصد بالوظيفة الخلقية الدور المهم الذي تقوم به الجامعة في بناء شخصية الطالب على وفق الأسس الأخلاقية والحضارية السامية بخلق ذوق رفيع عنده وعقلية علمية، وروح ايجابية تجعله يشعر بأنه عضو فعال في مجتمعه، عليه ازاءه واجبات مثلما له حقوق، وتكوين حواس راقية عنده تدفعه دائما نحو البحث عن الجمال والنظام والتناسق في كل شيء حتى يرتقي الطالب، ومن ثمّ يسهم في ترقيته مجتمعه.(٢٠).

سادساً: البساطة:

عاش أحمد أمين حياة بسيطة في مأكله وملبسه ومسكنه ومختلف عاداته. وقد انتقلت هذه البساطة الى أدبه في شكله ومضمونه، أما ما يخص الشكل فقد عرفنا عناية أحمد أمين باللغة البسيطة البعيدة عن التصنع والتزويق اللفظي. وأما ما يخص المضمون فقد تجلى ذلك في دعوته الصريحة الى التمسك بالبساطة في الحياة ليكون الانسان سعيدا. يستهل مقالته (بساطة العيش) بهاتين الجملتين الفعليتين

"تعجبني الحياة البسيطة لا تعقيد فيها ولاتركيب، وأكره ما أكره التكلف والتصنع وتعقيد الحياة وتركيبها".(٢١). بعد ذلك يعطي أمثلة متعددة عن التعقيدات التي شهدتها الحضارات المختلفة، ويختمها بقول رائع أعدّه الدستور السامي للحياة، لو طبقه الانسان في حياته، لأصبح في قمة السعادة: "في بساطة العيش راحة النفس، وحفظ الصحة، وحسن التفاهم، والتخفف من الأعباء المالية، وشعور بأن الحياة المادية ليست كل شيء في الحياة حتى يضيع كل الزمن في تعقيداتها وتركيبتها، فهناك حياة روحية سامية جميلة تستحق ان يوفر لها جزء من الزمان، ويخصص لها وقت من التفكير".(٢٢).

*****

تلك هي الثيمات الست التي دارت عليها حكميات أحمد أمين ، لو قرأناها وأمعنّا النظر فيها، لعشنا حياتنا بعمق ورقي، واقتربنا من السعادة، وكسبنا احترام انفسنا واحترام الآخرين الذين نعيش معهم.

الهوامش:

أحمد أمين: حياتي، دار الكتاب العربي، ط٢، بيروت، ١٩٧١/ ٥٦.

حمدي اسكوت ومارسون جونز: أعلام الأدب المعاصر في مصر/ أحمد أمين. دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، لبنان، ١٩٨١/ ٤ـ٥.

حسين أحمد أمين: في بيت أحمد أمين، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٨٩/ ١٢ـ١٣.

عبدالحكيم حسّان: مقدمة كتاب: أعلام الأدب المعاصر في مصر/ ٤٧.

عامر العقاد: أحمد أمين/ حياته وأدبه، المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت، ١٩٧١/ ١٦.

حياتي/ ٢٩٢ ـ ٢٩٣.

حياتي/ ٢٥٧ ـ ٢٥٨.

نقلا عن: سالم الحمداني وفائق مصطفى أحمد: الأدب العربي الحديث، جامعة الموصل، ٣٣١/١٩٨٧.

حياتي/ ٢٥٧..

حياتي/ ١٥٥ ـ ١٥٦

أحمد أمين: الى ولدي.

أحمد أمين: فيض الخاطر، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٦، ج ٤/ ٢١٠.

فيض الخاطر، ج ٢١٠/٤.

فيض الخاطر، ج ٤/ ٢١٢ ـ ٢١٣.

ينظر: أحمد أمين: الشرق والغرب، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ٨٠/١٩٥٥.

الشرق والغرب/ ١١٢ـ١١٣.

خليل الهنداوي وعمر الدقاق: المقتبس من فيض الخاطر، مكتبة دار الشروق، بيروت، (د.ت)/ ١٧١ـ١٧٤.

المقتبس من فيض الخاطر/ ١٣٧ـ ١٣٨.

فيض الخاطر، ج١/ ٦٥.

للمزيد ينظر للباحث: الوظيفة الخلقية والاجتماعية للجامعة، دار سردم، السليمانية، ٢٠١٠.

فيض الخاطر، ج٤/ ٢٢٧.

فيض الخاطر، ج٤/ ٢٣١.